

وصف فيها مسيره عن مصر ، وذكر المنازل التي قطعها ، وهجا كافورا ،
وعرض بجعفر بن الفرات ، ثم توجه إلى مدينة السلام ^(١) .

[أبو الطيب في مدينة السلام] °

قال أبو علي الحاتمي ^(٢) : كان أبو الطيب عند وروده مدينة السلام ، قد
التحف برداء الكبر والعظمة ، يُخَيَّلُ له أن العلم مقصور عليه ، وأن الشعر
لا يتغترف عذبة غيره ، ولا يتقطف نواره سواه ، ولا يرى أحداً إلا ويرى
لنفسه مزية عليه ؛ حتى إذا تخيل أنه نسيج وحده ، وأنه مالك رِق العلم دون
غيره ، وثقلست وطأته على أهل الأدب بمدينة السلام ، وطأطأ كثير منهم
رأسه ، ونحفّض جناحه ، واطمأن على التسليم جأشه ، وتخيل أبو محمد المهلبي
أنه لا يتمكن أحد من مساهلته ومقارعتة ، ولا يقوم لمجادلته ، والتعلق بشيء من
مطاعنه ، وساء مُعز الدولة ^(٣) أن يترد على حضرته رجل صدر عن حضرة عدوه ^(٤) ،
ولم يكن بمملكته أحد يُماثلُه فيما هو فيه ، ولا يساويه في منزلته يبدي لهم عواره
ويكفي آثاره ، ويهتك أستاره ويمزق جلابيب مساويه ، فتوخيت أن يجمعنا

ما جرى له
مع الحاتمي

(١) المنتبى في فراره من مصر لم يقصد إلى الكوفة مباشرة بل عرج على الحجاز وسار فيه إلى أن قارب
مدينة الرسول ولكنه لم يدخلها وما زال ينتقل في مضارب الأعراب مدة لا تقل عن أربعة أشهر حتى إذا
أحس أن عيون كافور وأرصاده قد انصرفت عن تتبعه خرج إلى الشام ثم إلى الكوفة وقد تتبع ياقوت في
معجم البلدان هذه الرحلة تتبعاً دقيقاً فكلما ذكر بلداً أو ماء مر به المنتبى ذكر فيه شيئاً من أخباره وربما
استشهد بشيء من شعره .

• هذا العنوان من وضعنا

(٢) أبو علي الحاتمي : هو محمد بن الحسن بن المظفر (كما في معجم الأدباء ١٨ : ١٥٤) ،
كان من المولعين بدرس الشعر ونقده وله في ذلك عدة مؤلفات وقد خدم سيف الدولة مدة كان فيها مع أبي علي
الفارسي وابن خالويه وأبي الطيب اللغوي وأمثال هؤلاء من كافوا في بساط سيف الدولة ، وكان معاصراً للمنتبى
وذا صلة بالوزير المهلبي ، وكلاهما يضمّر للمنتبى أشد العداوة فترى الحاتمي منتظراً قدوم المنتبى بغداد
ليناظره ، ويؤلب عليه العامة ، ويزهدهم في شعره ، وقد تم له ما أراد ، توفي سنة ٣٨٨ هـ . وما قصه
المؤلف من مناظرة الحاتمي للمنتبى مختصر لم يلتزم فيه نص ما قال الحاتمي ، والرسالة منشورة بنصها
بكتاب الإبادة طبع دار المعارف .

(٣) معز الدولة : يريد معز الدولة بن بويه . (٤) يريد سيف الدولة .

مجلس أجرى أنا وإياه في مضماره ليُعرف السابق من المسبوق فلما لم يتفق ذلك قصدتُ مجلسه فوافق مصيرى إليه حضورَ جماعة يقرءون عليه شيئاً من شعره فحين استؤذن لي نهض من مجلسه ودخل بيتاً إلى جانبه ، ونزلت عن بغلي وهو يراني ، ودخلت إلى مكانه ، فلما خرج إلى نهضتُ إليه فوفيتُه حقَّ السلام غير مشاحٍ له في ذلك ، وكان سبب قيامه من مجلسه لثلاثين يوماً لي عند الدخول إليه ولبس^(١) سبعة أقبية ملونة وكان الوقت أحرَّ ما يكون من الصيف وأحقَّ بتخفيف اللبس فجلس وأعرض عني ساعة لا يُعيرني طَرْفًا ، ولا يكلمني حرفًا ، فكدتُ أتميز غيظًا ، وأقبلت أستخف رأيتُ في قصده ، وأعاتب نفسي في التوجه إلى مثله ، وهو مقبل على تكبره ملتفتٌ إلى الجماعة الذين بين يديه وكلُّ واحد منهم يومئذٍ إليه ، ويوحى بطَرْفه ، ويُشيرُ إلى مكاني ، ويوقِظُه من سِنَةِ جهله ويأبئ^(٢) إلاَّ ازورارًا ونفارًا جريًا على شاكلة خُلِّقَه ، ثم توجه إلى فوالله ما زادني على قوله : أى شيء خبرك ؟ فقلت ما جنيتُه^(٣) على نفسي من قصدك وكلَّفْتُ قديمي^(٤) من السعي إلى مثلك ، ثم انحدرت عليه انحدار السيل وقلت أبين لي عافاك الله ما الذى يُوجبُ ما أنتَ عليه^(٥) من العظمة والكبرياء ؟ هل هنانسب يُورثُك الفخر ، أو شرفٌ توجَّبتُ^(٦) به دون أبناء الدهر ، أو علم ، أصبتَ فيه علمًا يقع الأيماءُ إليه ، أو مَوْرِدٌ تقفُ الهممُ عليه ؟ وهل أنتَ إلاَّ وتِدُّ بِقاعٍ في أشر البقاع ؟ وإني لأسمع جَمْعَجعةً ولا طحن^(٧) فامتقع لونُه ، وجعل يعتذر عن جنائته ، وأقول له يا هذا إذا أتاك شريفٌ في نسبه تجاهلتَ عليه ، أو عظيمٌ في أدبه صغرتَ قدره ، أو مُقدِّمٌ عند سلطانِه لم تعرف موضعَه ، هل العز^(٨)

(١) جميع النسخ : سبع .

(٢) ساقطة من ب . ح ، د ، هـ : فايزداد . . .

(٣) ح ، د ، هـ : ما اجنيتَه .

(٤) ح ، د ، هـ : نفسى .

(٥) ساقطة من ب . ح ، د ، هـ : فيه .

(٦) جميع النسخ : توجب مكان توجت . تحريف .

(٧) أصله المثل : أسمع جمعجة ولا أرى طحنا .

(٨) هل العز تراث . . . وردت هذه العبارة محرفة في جميع النسخ .

تراث لك دون غيرك ؟ كلا والله ، ولكنك مددت الكيبر سترا ، وضربته رواقا دون جهلك ، فعاد إلى الاعتذار وأخذت الجماعة في تسلين جانبي ، والرغبة في قبول عذره وإعمال مياسرته ومساحته ، ويخلف بالله أنه لم يعرفني فأقول : يا هذا ألم يُستأذن عليك باسمي ونسبي ؟ أما كان في هؤلاء الجماعة من يُعرفك بي إن كنت جتهلنتني ؟ وهب كان ذلك ألم ترَ تحتي بغلة رائعة^(١) يعلوها مركب ثقيل ، وبين يدي عِدَّةُ غِلَمان ؟ أما شاهدت لباسي أما شِمتَ نَشري أما راعك شيء من أمري أتميز به عن غيري ؟ وهو خافض جناح الذل ، وقد زال عنه ما كان فيه وأقبل عليّ ، وأقبلت عليه .

ما انتفده الحاتمي على المتنبي

ثم قلت له يا هذا يختلج في نفسي أشياء من شعرك أريد أن أسألك عنها ، وأراجعك فيها . قال وما هي ؟ قلت أخبرني عن قولك :

إذا كان بعضُ الناس سيفاً للدولة
ففي الناس بوقات لها وطُبول^(٢)

أهكذا تُمدحُ الملوكُ ؟ وعن قولك :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع
فلن لُحت حاضت في الخدور العواتق^(٣)

أهكذا يتشيب بالمحبوب ؟ وعن قولك :

(١) ح ، د ، هـ : رائقة .

(٢) موضع النقد في تعبيره عن سيف الدولة « ببعض الناس » فقام الملوك أرفع من هذا . وأما ما يقال من أن المتنبي أخطأ في جمع بوق على بوقات فليس بوجه إذ له نظائر مثل حوام وحامات وسراقد وسراقات على أن الكلمة أعجمية والعرب تجرى ما تعربه على أصل الجمع وهو التأنيث على أنه كان لأبي الطيب في الصحيح مندوحة وفي المجمع عليه متمتع (اقرأ الوساطة ص ٤٥٦ - ٤٥٩ طبعة عيسى الحلبي) والبيت من قصيدة في مدح سيف الدولة مطلعها :

ليالي بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل

(٣) البيت ساقط من ح ، ب ، د ، هـ : المبرقع . هـ : خاضت . تحريف . الديوان : (ذابت) مكان حاضت . العواتق : جمع عاتق وهي الجارية المقاربة للاحتلام ووجه النقد أن مثل هذا الوصف لا يليق إلا بمحبوبة والتصريح « ببرقع » زاد الكلام قبحا . وقالوا لما أنكر عليه استعمال الكلمة : حاضت ، غيرها فجعل مكانها : ذابت . والبيت من قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحق التنوخي أولها :

هو البين حتى ما تأنى الخزائق •

ولا مَن في جنازتها تجارٌ يكون وداعُها نفصَ النعالِ (١)
أهكذا رثاء أخت (٢) الملك؟ والله لو قلت هذا في أدنى عبيدٍها لكان قبيحاً ،
وعن قولك :

سلام (٣) الله خالقنا حنوطاً (٤) على الوجه المكفن (٥) بالجمال
أما استحييت من سيف الدولة ؟

وعن قولك في هجاء ابن كتيبة (٦) :

وإذا أشار مُحدِّثاً فكأنه قردٌ يُقهقه أو عجوزٌ تلطم (٧)

أما كان في أفانين الهجاء التي تصرف فيها الشعراء مندوحةً عن هذا الكلام
الذي تنفر عنه الأسماع ، ويمجه كل طبع . وأخبرني أيضاً عن قولك في صفة
الكلب :

(١) المعنى أن هذه المرأة ليست من السوق ، يشيع جنازتها باعة وتجار ينفضون نعالمهم إذا رجعوا ،
وإنما كانت ملكة جليلة القدر ، والعيب في هذا النقي ، والبيت من قصيدة يرى بها والددة سيف الدولة ومطلعها :

نعد المشرفية والعمالي وتقتلنا المذون بلا قتال

(٢) القصيدة في رثاء والددة سيف الدولة كما في الديوان وقد تقدم مطلعها .

(٣) الديوان : صلاة .

(٤) جميع النسخ : حنوط . الديوان : حنوط .

(٥) ب : الملقى . تحريف . ح ، د ، هـ : المبرقع . الحنوط : طيب يستعمل في غسل الميت .

الصلاة : الترحم والدعاء . والعيب في وصفه أم الملك بالوجه الجميل .

(٦) ابن كيغلغ : هو أبو إسحق الأعور إبراهيم بن كيغلغ والي أطرابلس أو طرابلس (بلد بالشام)
وكان جاهلاً ، فأغراه ثلاثة من جلسائه بأبي الطيب ، وكان بينهم وبين أبي الطيب عداوة ، فقاتلوا ما فحب
أن يتجاوزك ولم يمتدحك ، وإنما يترك مدحك استصغاراً لك ، فسأل الوالي أبا الطيب أن يمدحه واحتج
الشاعر بيمين عليه ألا يمدح أحداً إلى مدة ، فعاقه الوالي عن طريقه وكان يريد أنفاكية ينتظر انقضاء تلك
المدة ، وأخذ عليه الطريق ، ومات الثلاثة الذين كانوا يغرونه بأبي الطيب في مدة ٤٠ يوماً فقال أبو الطيب
بهجوه وهو بأطرابلس - قال ولو فارقته قبل قولها لم أقلها أنفة من اللفظ بما فيها - وأملأها على من يثق به
وخرج إلى دمشق ولم يدركه رجال ابن كيغلغ ومطلع القصيدة :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت أنى أسلم

وفيها فحش يستحي منه المتنبي .

(٧) قالوا لا معنى لتشبيه الحديث بالطم وكان حقه أن يضع في موضع : يلطم تولول أو تبكي
والاحتجاج للمتنبي سهل لأن الطم لا بد أن يصحبه صوت .

فصار^(١) ما في جلده في المِرْجَل ولم يَصْرِنا^(٢) معه فقد الأجل^(٣)
 أى شئ أعجبك من هذا الوصف ؟ أعذوبة عبارته أم لطف معناه ؟
 أما قرأت رَجَزَ الحسن بن هاني^(٤) وطَرْدِيَّة^(٥) ابن المعتز^(٦) أما كان في المعاني
 التي ابتدعها هذان الشاعران ما تتشاغل به عن بُنَيَات فكرك من اللفظ اللثيم ؟
 وعن قولك :

أرقُ على أرقٍ ومثلى بآرقٍ وجَوَى يزيدُ وعبرةٌ تترقرقُ^(٧)
 أهكذا تكون الافتتاحات ؟

وعن قولك :
 أحبكُ أو يقولوا جرّ نملٌ ثَبِيرًا وابن إبراهيمَ رِيحًا^(٨)
 أهكذا تكون المخالصة ؟

- (١) الديوان : وصار . (٢) د ، هـ : يصرنا . تحريف .
 (٣) البيت في وصف الظبي الذي صاده الكلب لافي وصف الكلب كما يقول الحاتمي . الضمير من :
 جلده للظبي و « ما في المِرْجَل » كناية عن لحمه . الضمير في : معه يعود على الكلب . الأجل : الصقر ومعنى
 الشطر الثاني أن الكلب أغنانا عن الصقر فلم يضربنا فقهه ولعله أراد البيت السابق لهذا وهو قوله :
 كأنه من علمه بالمقتل علم بقراط فصاد الأكل
 فهذا في وصف الكلب حقاً وبقرط : حكيم قديم يضرب به المثل في الطب والحكمة . والأكل : عرق
 في الذراع من عروق الفصاد . والنقد الموجه إليه أن الأكل ليس بمقتل لأنه من عروق الفصد وهو يصف
 الكلب بالعلم بالمقتل وهذا خطأ ظاهر ورد بأن المتن لم يخطئ لأن فصد الأكل من أسهل أنواع الفصد
 فإذا احتاج بقراط إلى تعلم فصد الأكل من الكلب فهو إلى تعلم غيره أحوج .
 (٤) الحسن بن هاني هو أبو نواس .
 (٥) الطرد : يفتحتين مزاولة الصيد وهو باب من أبواب الأدب أكثر القول فيه كثير من
 الشعراء كابن نواس وابن الرومي وابن المعتز .
 (٦) هو عبد الله بن المعتز أحد خلفاء العباسيين ، منزلته في الشعر والنثر رفيعة ويشتهر بتشبيهاته
 الرائعة وهو أول من كتب في البديع توفي سنة ٢٩٦ هـ .

(٧) مطلع قصيدة يمدح أبي منتصر شجاع بن محمد بن أوس بن معن الأزدي . والنقد أن المطلع
 يشعر بالهم ويدعو إلى الكتابة . فذكر الأرق والجوى والعبرة جعلت المطلع - والقصيدة في الممدح - غير مستساغ .
 (٨) د ، هـ : ريمًا يفتح الراء وسكون الياء خطأ والصواب ريع مجهول راعه أى خوفه . ثبير :
 اسم جبل . ابن إبراهيم : الممدوح وفي العرف رواية أخرى : ثبير أو ابن إبراهيم . . .
 وهو من قصيدة يمدح بها علي بن إبراهيم التنوخى أولها :

ملث القلر أعطشها ربوعاً وإلا فاسقها السم النقيعاً

وقد تقدم الكلام على هذا المطلع . ومعنى البيت : لا أزال أحبك إلى أن يقال : إن النمل جر هذا
 الجبل ، أو إن بعض الناس أخاف هذا الممدوح . يريد أن ذلك لا يكون فحبته لا تزول .

وعن قولك :

- فقلقلت بالهمّ الذي قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل^(١)
 قال أبو علي الحاتمي فأقبل على وقال أين أنت من قولي ؟
 كأن الهام في الهيجا عيسون^(٢) وقد طُبعت سيوفك من رقاد
 وقد صُغت الأسنة من هموم فما يَسْخَطُرْنَ إلّا في فؤاد^(٣)
 وأين أنت من قولي في وصف جيش :
 في فيلق من حديد لو قذفت به صرّف الزمان لما دارت دوائرُه^(٤)
 وأين أنت من قولي ؟ :
 لو تسعّل الشجرُ التي قابلتها مدّت عُجِيبةً إليك الأعصنا^(٥)
 ومن^(٥) قولي أيضًا :
 أينفع في الخيمة العذّل^(٦) وتشمل من دهره يشمل^(٦)
 وما اعتمد الله تقويضها ولكن أشار بما تسفعل^(٧)
 وقولي فيها أيضًا :
 وملمومة زرد^(٨) ثوبها ولكنه بالقنا مُخْمَل^(٨)

(١) هذا البيت من قصيدة قالها في صباه أولها :

قفا تريا ودقي فهاتا الخايل ولا تخشيا خلفاً لما أنا قائل

قلقل : حرك . العيس : الإبل . قلاقلها : خفافها ، وقلاقل الثانية إما بمعنى الأول ، أى إبلا خفافا كلهن خفاف ، أو جمع قلقلة وهى الحركة ، والمعنى : حركت بسبب الهم الذى حرك نفسي إبلا خفافا فسافرت . غير مرجح بالمقام الذى يلحقنى فيه الضم . وعيب البيت ظاهر للتنافر الواضح من كثرة القافيات واللامات فيه (٢) البيتان من قصيدة يمدح بها الحسين بن الحسن التنوخى . والحسن جاء من ناحية اختياره أليق مشبه به لمشبه ، وسيأتى حديث عنهما .

(٣) من قصيدة يمدح بها جعفر بن كيسان من أمراء حمص .

(٤) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار . (٥) جميع النسخ «عن» مكان «من» تحريف .

(٦) الديوان : يقدح . . . وتشمل من دهرها . (٧) هذا البيت ساقط من : ح .

(٨) الأصل : تحمل مكان نخل . تحريف . وكان سيف الدولة قد ضرب خيمة بميفارقين وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها فهبت ريح شديدة فوقعت الخيمة وتكلم الناس في ذلك فقال أبو الطيب قصيدة منها هذه الأبيات ومعنى البيتين الأولين : لا ينفع في هذه الخيمة أن تعذل على سقوطها فعذرنا واضح ، وكيف لها أن تشمل من يشمل الدهر بسلطانه ؟ ومن كان بهذا الحل لا يعلوه شيء ، ولم يرد الله خطها ، وإنما كان سقوطها تنبيهاً منه جل شأفه لك على ما تفعله من الرحلة والتوجه للغزو ، وليس الأمر على ما يقول الناس . ومعنى البيت الثالث : أن جيشك يمنعك من وصول أعدائك إلى ما يشتهون منك . والملمومة : الكتيبة . والزرد : حلق الدروع . ونخل الثوب معروف .

وأين أنت من قولي ؟

الناسُ ما لم يَرَوْكَ أشباهُ والدهرُ لفظُ وأنت معناه

وأين أنت من قولي ؟

وما شرقَ بالماء إلا تذكرُ لاء به أهل الحبيب نزولُ

يُحرّمه لمعُ الأسنة فوقه فليس لظمان إليه سبيلُ

أما يكفيك إحساني في هذه وتغفر^(١) إساءتي في تلك ؟ قلت : ما أعرفُ لك

إحساناً في جميع ما ذكرت ، وإنما أنت سارق متبع ، وآخذ مقصّر . وفيما تقدم

عن هذه المعاني مندوحة عن التشاغل بها .

فأما قولك :

كأن الهام في الهيجا عيونُ وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صُغت الأسنة من هموم فما يخطرن إلا في فؤاد

فنقول من منصور النمرى^(٢) :

فكأنما وقع الحسام بهامه خدر^(٣) الأسنة أو نعاسُ الهاجع^(٤)

وأما قولك :

في فيلق من حديد لو قذفت به صرف الزمان لما دارت دوائره

فإنما نقلته نقلاً لم تحسن فيه ، وهو قول الناجم^(٥) :

(١) سائر النسخ : تغفر عن .

(٢) سائر النسخ : من قول النمرى منصور بزيادة « قول » وتقديم النمرى على منصور ، والنمرى

خطأ صوابه النمرى - كما أثبتنا - نسبة إلى النمر بن قاسط قبيلة الشاعر وهو منصور بن سلمة بن الزبرقان . من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة اتصل بالفضل بن يحيى الذى وصله بالرشيد .

(٣) في جميع النسخ : خدر . تحريف . > : بهامة موضع بهامه . تحريف .

(٤) روى البيت في التبيان :

وكان موقعه بمجمعة الفقى سكر المدامة أو نعاس الهاجع

وهو يؤيد أن الكلمة خدر لا خذر .

وفى أخبار أبى الطيب لتوفيق البكرى .

وكأنما وقع الحسام بها مهم خدر المنية أو نعاس الهاجع

وإن وقع تحريف فى : خذر .

(٥) الناجم : هو محمد بن سعيد المصرى قال المرزبانى فى معجم الشعراء : كان فى ناحية وهب

ابن إسماعيل ابن عياش الكاتب ، وأكثر مدحه فيه وفى أهله .

ولى في أحمد أملٌ بعيدٌ ومدحٌ قد مدحتُ به طريفٌ
مديحٌ لو مدحتُ به الليالي لما دارتُ على لها صروفٌ
والذاجم نقله من قول أرسطو وهو: قد تكلّمت بكلام لو مدحت به الدهر
لما دارت على صروفه^(١).
وأما قولك :

لو تعقيل الشجر التي قابلتها مدّتْ مُحَيَّيَّةٌ إليك الأغصنا
فهذا معنى مبذول قد تجاذبته الشعراء ، وأولُ من نطق به الفرزدقُ بقوله :
يكاد يُمسكه عرفانٌ راحته ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم^(٢)
ثم تكرر على ألسنة الشعراء ، إلى أن قال أبو تمام :
لو سعتُ بقعةً لإعظامٍ أخرى لَسَعَى نحوها المكانُ الجديبُ^(٣)
وأخذَ هذا المعنى البحريُّ ، فقال :
ولو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعهِ لَسَعَى إليك المنبرُ^(٤)
وأما قولك :

وما اعتمد الله تقويضها ولكن أشار بما تفعل .
فهذا مأخوذ من قول رجل مدح بعض أمراء الموصل ، وقد عزم على المسير ،
فاندقَ لوائه فقال :

ما كان مُندقُ اللواء لريبة تُخشي ولا أمر يكون مرتلا
إلاّ لأن العودَ صغُرَ متنّه صِغَرُ الولاية فاستقل الموصل
وأما قولك :
الناس ما لم يَروكَ أشباه والدهر لفظُ وأنت معناه .
فنقول من قول منصور بن بسام^(٥) .

(١) جاء هذا المعنى منظوماً في هامش التبيان هكذا :

كلم إذا ما كنت ممتدحاً بها ذا الدهر ما دارت على صروفه
وواضح أن النظم ليس لأرسطو .

(٢) من قصيدة للفرزدق في زين العابدين على بن الحسين مطلعها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

(٣) في وصف صحابة .

(٤) من قصيدة يعني بها المتوكل بعيد الفطر وخروجه للصلاة .

(٥) منصور بن بسام : لعل فيه تحريفاً والمراد به أبو الحسن على بن محمد بن نصر بن منصور

ابن بسام الشاعر الكاتب ، والبيتان اللذان نسبهما له المؤلف وردا في المعبري طبعة الحلبي (٢ : ١٢٩)
منسوبين لعبد الله بن المعتز ونسبهما ياقوت في معجم الأدباء (١٨ : ١٦٦) لابن بسام في عبيد الله
ابن سليمان يرثيه ، وقوله الآتي : (استوى النامس) أخذه منه المتنبي في قوله : (الناس ما لم يروك أشباه) .

قد استوى الناسُ وماتَ الكمالُ وصاحَ صرفُ الدهرِ أين الرجالُ
هَذَا أبو العباسِ في نَعَشِهِ قوموا انظروا كيف تسير الجبالُ
وأما قولك :

وملمومة زردٌ ثوبُها ولكنه بالقنا مُحَمَّلٌ .
فنقول من قول أبي نواس :

أمامَ خَمْسِيسٍ مُرْجَوَانٍ كَأَنَّهُ قميصٌ مَحْكُوكٌ من قَنَنًا وحياد (١)

وقال بعض الحاضرين ما أحسن قوله : قوموا انظروا كيف تسير الجبال !
فقال أبو الطيب اسكتْ ما فيه من حُسْنٍ ، إنما سرقة من قول النابغة (٢) وهو :
يقولون حِصْنٌ ثم تأبى نفوسُهُم وكيف يحصن والجبال جُنُوح
قال الحاتمي وأما قولك : (والدهر لفظٌ وأنتَ معناه)
فنقول من الأخطل (٣) وهو :

وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر لا عارٌ بما فعل الدهرُ
ثم قلتُ له : أترأه أخذه من أحد ؟ فأطرق هنية ثم قال : ما تصنع بهذا ؟ قلت
ليستدل به على موضِعك وموضع أمثالِكَ من سَرَقَةِ الشعر . فقال الله أكبر (٤) ،
سأفهمك ، ثم قال : ألا قلت بل أخذه من قول النابغة الذبياني : وهو أول من
ابتكره ، فقال :

وعيرتني بنو ذُبْيَانٍ خَشِيتَهُ وهل علىَّ بأنْ أخشاه منْ عارٍ (٥)

-
- (١) البيت في مدح الفضل بن يحيى البرمكي . الأرجوان : الثوب الأحمر .
(٢) النابغة : أحد شعراء الجاهلية . ومن أشراف ذبيان إحدى قبائل مضر ومن تكسب بالشعر
في الجاهلية وقد اشتهر بالمدح والاعتذار توفي قبل الإسلام .
(٣) الأخطل : هو أبو مالك غياث التغلبي شاعر بني أمية كان يحيد مدح الملوك ووصف الخمر
توفي سنة ٨٩٥ .

(٤) سائر النسخ : الأكبر . والصواب ما أثبتنا كما في أخبار أبي الطيب للبكري .

(٥) جميع النسخ : وعيرتني بنو ذبيان . . . خطأ . والبيت من قصيدة مطلعها :

لقد نهيت بني ذبيان عن أقر وعن تربعهم في كل أصفار

يعاتب قومه على أنهم قد استباحوا « ذا أقر » وكان قد جاء النعمان بن الحارث الأكبر أبي شمر الغساني
فلما مات النعمان وجه أخوه عمرو إلى بني ذبيان خيلاً فأصابوهم فقال النابغة هذه القصيدة . والأصفار :
جمع صفر وهو الشهر المعلوم ، والاربع : الإقامة بالمكان وقت الربيع .

أخذه أبو تمام فقال وأجاد :

خَشَسُوا لَصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ فِيهِمْ
كالموت يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَارُ
وَأَمَّا قَوْلُكَ :

وَمَا شَرَّقِي بِالْمَاءِ إِلَّا تَذَكَّرَا
يَحْرِمُهُ لِمَعَ الْأَسْنَةِ فَوْقَهُ
فَهُوَ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُدَ (١) .

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْتِي
فَلَا تَعْذُلِينَا فِي التَّنَائِي فَإِنْسَا
يَرَاهُ قَرِيبًا دَانِيَا غَيْرَ أَنَّهُ
فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ : أَلَسْتُ الْقَاتِلُ :

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُونُ مِنْ تَعَالَى
شَرَفٌ يَنْطَحُ النُّجُومَ بِرَوْقَيْهِ
قَلْتُ بَلْ أَخَذْتُ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ (٢) بَكْرِ بْنِ النَّطَّاحِ :

يَتَلَقَّى النَّسْدَى بِوَجْهِ حَسْبِي
وَصُدُورَ الْقَنَا بِوَجْهِ وَقَاحِ
هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ الْمَعَالَى
طُرُقُ الْبَحْدِ غَيْرُ طُرُقِ الْمَزَاحِ

وَأَخَذْتُ الثَّانِي مِنْ بَيْتِ أَبِي تَمَامٍ وَأَفْسَدْتُهُ
هَمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَحَظٌّ
آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضٌ

(١) المكنى بابن دارة أخوانهما سالم وعبد الرحمن ابنا مسافع بن يربوع من بني عبد الله بن غطفان ، ودارة أمهما وهي امرأة من بني أسد وهو وأخوه شاعران محستان وسيأتى في صفحة ٢٥٨ شعر منسوب إلى عبد الرحمن بن دارة . ولعله المذكور في الأصل باسم عبد الله . (انظر معجم الشعراء المرزبانى) .
(٢) موضع المرقعة البيت الأخير من أبيات ابن دارة ولا يزال بيته أقوى فإن حيلولة المنايا أشد من وقع الأسنة .

(٣) ح ، د ، هـ : بقرنيه . الروق : القرن . والبيت السابق مطلع قصيدة قالها يمدح سيف الدولة ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به وذلك في جمادى سنة ٣٤٤ هـ وقد تقدم كلام عن ثغر الحدث في قصيدته التي مطلعها : على قدر أهل العزم . . .
(٤) ح ، د ، هـ : من قول بكر . بزيادة : قول .

• بكر بن النطاح : شاعر عباسى ذكره المرزبانى في الموشح في الشعراء المحدثين ص ٢٩٨ وفي الأعلام للزركلى أنه شاعر من بني حنيفة اتصل بأبي دلف فجعل له رزقا سلطانيا عاش به إلى أن توفي أبو دلف ، فانتقل إلى مالك بن على الخزاعي فجعله في جنده وزاد له في المرتب فدحه بقصائد كثيرة وله ترجمة في فوات الوفيات . ج ١ ص ٩٩ .

قال : فأى شيء أفسدته ؟ قلت : جعلت لِشَرْفِ الرَّجُلِ قَرْنًا . قال
هي استعارة . قلت : استعارة خبيثة . قال : أقسمت بالله إنى لم أقرأ شعراً قطُّ
لأبى تمامكم . فقلت : هذه سَوَاءٌ لو سترتها كان أولى . قال : السَّوَاءُ قراءة شعر
مثله ، أليس هو القائل ؟

كيف وضع من
أبى تمام

خَشَنَتْ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنَى الْحُشَيْنِ^(١) وَأَنْجَحَ فِيكَ قَوْلُ الْعَاذِلَيْنِ
وهو الذى يقول :

تسعون ألفاً كآساد الشَّرى نَضِجَتْ جُلُودُهَا قَبْلَ نَضِجِ التِّينِ وَالْعَنْبِ^(٢)
وهو الذى يقول :

أقول لقُرْحَانٍ مِنَ الْبَيِّنِ لَمْ يُصَبِّ رَسِيسَ الْهَوَى بَيْنَ الْحَشَا وَالتَّرَائِبِ^(٣)
ما قُرْحَانِ الْبَيِّنِ ؟ أخرس الله لسانه ! فقلت له : يا هذا ، قد كذبت نفسك ،
هذا من أدلِّ الدليل على أنك قد قرأت شعراً الرجل ، بتتبعك مساويه ، ثم^(٤) قلت :
يتسم أبو تمام بميسم^(٥) النقيصة وهو الذى يقول :

نَوَالِكُ رَدِّ حُسَادَى فُلُولَا وَأَصْلَحَ بَيْنَ حُسَادَى وَبَيْنِي
هلا اعتبرت البيت^(٥) بهذا البيت الذى لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ؟
وأما قوله تسعون ألفاً .. البيت ، فله خبرٌ لو عَرَفْتَهُ وَتَقَصَّيْتَهُ ، لَمَّا قُلْتَ

(١) سائر النسخ والديوان : خشين . أنجح : نجح ، والبيت مطلع قصيدة يمدح بها إسحق بن إبراهيم
المصعبى ، وقد أرسله المعتصم لإخضاع الحمرة وقد كاذبوا من أصحاب بابك الحرمى .

(٢) الديوان : أعمارهم بدل جلودها . يشير أبو تمام فى هذا البيت إلى من كان بعمورية من
الرجال وما كان من قوهم : إن مدينتهم لا تفتح قبل نضج التين والعنب ، وعاب بعضهم عليه ذكر التين
والعنب فى الشعر ، وقالوا ليس هذا من ألفاظ الشعر ، ورد عليهم بأنه لم يعرفوا أن هذا هو ما وقع وليس
خيالا من خيالات أبى تمام حتى يلام عليه .

(٣) سيأتى لهذا البيت تفسير . رسيس الهوى : ابتداء الحب . الترائب : عظام الصدر .
الديوان : لم يصف ، وروى لم يصف .

(٤-٥) هكذا فى ١ و ب . ج : يتسم أبو تمام بميسم النقيض . على تقدير همزة الاستفهام
د ، هـ : تم أبو تمام . تحريف .
(٥) يريد البيت الأول ، وهو قوله :

خشنت عليه الخ ، واعتبرت ، : أى وازنت بين البيتين ، وغفرت ما فى الأول من عيب بما
فى الثانى من إحسان . وفى سائر النسخ : هلا اعتبرت الأول فهذا البيت الذى لا يستطيع أحد أن يأتي
بمثله . تحريف . وفى الإبانة ط دار المعارف ص ٢٦٥ : فهل اغتفرت الأول لهذا البيت ...

ما قلت (١) ، ثم قصصت عليه سبب إيرادِه . ثم قلت له وفي هذه القصيدة (٢)
 ما لا يستطيع أحد من مُتقدِّمِي الشعراء ، وأمراءِ الكلام وأربابِ الصناعة أن يأتي
 بمثله . قال وما هو ؟ قلت لو قال قائل لم يبدأ أحد بأوجهه ولا أحسن ولا أنحصر
 من قوله :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتُبِ في حنِّهِ الحدُّ بين الحدِّ واللعبِ
 لما عُنِفَ في ذلك ، وفيها يقول :
 رى بك الله بُرجيَّها فهدَّما ولو رى بك غيرُ الله لم يُصبِ (٣)

وفيها :
 لما رأى الحربَ رأى العينَ توفَّليْسُ والحربُ مشتقةُ المعنى من الحربِ (٤)

ومنها :
 فتح تَفَتَّحُ أبوابُ السماءِ له وتبرَّزُ الأرضُ في أثوابها القُشْبِ
 غادرت فيهمُ بهيمَ الليلِ وهوْضُحى يَشْلُوهُ وَسَطَها صَبْحُ من اللَّهَبِ (٥)
 حتى كأن جلايب الدجى رغبُ عن لونِها وكأن الشمس لم تَغِبْ
 أجبته معلنا بالسيفِ منصلتنا ولو أجبت بغير السيف لم تُجِبْ
 وأما قوله . أقول لقرحان من البين ... البيت فإنه يريد رجلا لم يقطعه أحبابه

(١) في شرح التبريزي لأبي تمام (طبعة دار المعارف الجزء الأول ص ٧٥) تعليق مجمله . أن الناس
 تكلموا في هذا البيت ، ورد الصولي على من طعن فيه فقال : إن كان هذا لأن التين والعنب ليسا
 مما يذكر في الشعر . فقد ذكرهما عبد الله بن قيس الرقيات في شعره . وقد عابه من لم يدر قصده ، ويقال :
 إن بعض من كان بعمورية من الرهبان قال : إنا نجد في كتبنا أنه لا يفتح هذه البلدة إلا ملك يغرس في
 ظاهرها شجر التين والكرم ويقم حتى يشمرا . فأمر المعتصم بأن يقتصر التين والكرم ، فكان الفتح قبل
 ذلك فاستعمار النضج للأعمار لما قابله بنضج التين والعنب .

(٢) يشير إلى القصيدة التي قالها في فتح عمورية وأولها : السيف أصدق . . . ومنها البيت السابق :
 تسمون ألفا . . . إلخ

(٣) سائر النسخ : تصب .

(٤) توفلس : ملك الروم ، واسمه توفيل . الحرب محركا : سلب الأموال .

(٥) يشله : يطرده . وفي الديوان : يفله مكان يشله . غادرت فيها مكان فيهم .

(٦) سائر النسخ : معلما . والضمير في أجبته يعود على صوت المرأة المسلمة التي استغاثت بالمعتصم
 قائلة . وامعتصاه . والأبيات ليست متتالية في القصيدة .

ولم ينأوا عنه ^(١) وفي هذه القصيدة ^(٢) من المعاني الرائعة ، والتشبيهات العجيبة ، والاستعارات البارعة ، ما يغتفر معه هذا البيت وأمثاله ، فمن ذلك قوله ^(٣) :

إذا العيسُ لاقتُ بي أبا دلفٍ فقد تقطَعَ ما بيني وبين النوائب
يرى أقبَحَ الأشياءِ أوبَسَ أمل كستهُ يدُ المأمولِ حلَّةَ خائب
وأحسنُ من نَورِ تفتحه الصِّبا بياضُ العطايا في سوادِ المطالب ^(٤)
وقد علم الأَفشينُ ^(٥) وهو الذي به يُصانُ رداءُ الملكِ من كل جاذِب
بأرشق ^(٦) إذ سالتُ عليهم غمامةً جرتُ بالعوالى والعناقِ الشوازِبِ
بأنك لما استحتك ^(٧) الأمرُ واكتسى أهابِي تَسْفِي في وجوه التجاربِ

وفيها يقول :

ولو كان يَفْنَى الشعرُ أفناه ما قَرَّتْ حياضُك منه في العصورِ الذواهبِ ^(٨)

(١) أصل معنى القرعان : الخالي من الداء أو نحوه . يقال : جمل قرعان : أى لم يجرب ، وصبي قرعان لم يجدر - الواحد والاثنان والجميع والمذكر والمؤنث سواء - يذون ولا يذون . وقد استعاره أبو تمام هنا لمن لم يذق ألم الفراق .

(٢) يريد القصيدة التي منها هذا البيت : أقول لقرعان . . . ومطلعها :

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب
(٣) ساقطة من سائر النسخ .

(٤) د ، د ، هـ : الندى مكان الصبا . ومن طريف ما يروى أن أبا تمام لما قال صدر هذا البيت لم تسعفه فريحته بعجز يلائم هذا الصدر حتى سمع سائلاً يقول : من بياض عطاياكم في سواد مطالبنا فصاغه عجزاً .

(٥) الأفشين : قائد تركي من بلاد ما وراء النهر اسمه حيدر كان في حاشية المعتصم أيام المأمون وأصله من أبناء ملوك هذه الناحية والأفشين لقب الملك منهم كما يلقب ملك الفرس بكسرى . وقد تولى للمعتصم مصر والشام حين كانوا له أيام ولاية العهد ، فلما ولي الخلافة نذبه لحرب بابك الخرى وعلى يد الأفشين كان قتل بابك ، وأبو دلف كان قائداً تحت إمرة الأفشين في هذه الحرب .

(٦) أرشق : جبل بنواحي موغان (وموغان تقدم الكلام عنها في رقم ١٠ من هوامش ص ٢٧) كانت بها موقعة مشهورة بين الأفشين ومن معه وبين بابك وفيها هزم بابك ولم يفلت من رجاله أحد وأفلت هو في نفر يسير من خياله إلى موغان . العناق : الخيل الكريمة ، الشوازب : الضواجر . وهي في د ، د ، هـ بالذال . خطأ .

(٧) استحتك الأمر : اشتد . وفي ب ، د ، هـ : اسحتك وهما بمعنى . وفي الديوان : لما استخذل النصر . الأهابي : جمع إهباة وهو الغبار . تسفى : تذرى . والقصيدة في مدح القاسم بن عيسى الملقب بأبي دلف ، وكان ذا رأى في الحرب حتى جعل الأفشين يرى عاقبة الأمر واضحة جليلة بما كشف له منها وموضع هذا البيت قبل سابقه كما في الديوان .

(٨) قري الحوض الماء : جمعه . ومعنى البيت أن الشعر لو كان ينقد لأتى عليه ما قيل فيك وفي آبائك الأجواد . فقد قيل فيهم كثير من الشعر ولكنه متجدد دائماً لأنه فيض العقول إلى آخر ما جاء في البيت التالي .

ولكنه فيضُ العقول إذا انجلت سحائب منه مُعْقِبَتٌ بسحائب
 فبهه ما أوردته عليه ، وأمسك عنانَ عبارته ، وجبَسَ بُنْيَانَتِ^(١) صدره ،
 وعَقِلَ^(٢) عن الإجابة لسأله ، وكادَ أن يشغب^(٣) ، لولا ما خاف من عاقبة
 شغبه ومعرفته بمكانى فى تلك الأيام ، وأن ذلك لا يتم له ، فما زاد على أن
 قال : أكثرت من أبى تمام فلا قدس الله رُوح أبى تمام ! فقلت : لا قدس الله
 روحَ السارقِ منه ، الواقع فيه ! ثم قلت : ما الفرق فى لغة العرب بين التقديس
 والقُدَّاس والقادس^(٤) ؟ قال : وأى^(٥) شىء غرضك فى هذه المذاكرة ؟ بل المهاترة^(٥) ؟
 ثم قال : التقديس : التطهير ، ولذلك سُمِّيَ القُدَّاسُ^(٦) قَدَّاسًا ،^(٧) لأنه
 يشتمل^(٨) على الذى يكون به الطهور . وكلُّ هذه الأحرف تثول إليه ، فقلت
 له : ما أحسبك أمتعَ النظرَ فى كتب اللغة ، وعلوم العرب ، ولو تقدَّم منك
 مطالعة لها ، ما جمعتَ بين معانى هذه الكلمات ، مع تباينها ؛ لأن القُدَّاسَ
 (بتشديد الدال) : حجر يلقى فى البئر ليعلم^(٩) غزارة ما فيه من قلته . حكى ذلك
 ابن الأعرابى . والقُدَّاس يشبه الجحمان يعمل من الفضة حكى ذلك الخليل ، واستشهد
 بقوله (كنظم قداس سلكه متقطع^(١٠)) .

والقادس : السفينة . فلما علوته بالكلام قال : يا هذا ، اللغة مسلمة لك ، فقلت :
 كيف تُسلمُها وأنت أبوعذرتها^(١١) وأولى الناس بها ، وأعرفهم باشتقاقاتها^(١٢)

(١) ح ، د ، هـ : ببيان . تحريف .

(٢) ح ، هـ : غفل . تحريف .

(٣) جميع النسخ يسغب . . . سغبه . تحريف ، والصواب ما أثبتناه .

(٤ - ٥) هكذا فى أ ، ب . ح : أى شىء . د ، هـ : قال أى شىء .

(٥) المهاترة : الساب بالباطل . سائر النسخ : المهاترة .

(٦) ساقطة من أ ، ب .

(٧) القدس : بالتحريك السطل لأنه يتطهر بما فيه من ماء طهور .

(٨) كذا فى أ ، ب . وفى سائر النسخ : لاشتماله .

(٩) سائر النسخ : ليعلم وهى فى الأسلوب أوجه .

(١٠) صدر البيت كما جاء فى اللسان : تحدر دمع العين منها فخلته شبه تحدر دمه بنظم القداس
 إذا انقطع سلكه . والجنان اللؤلؤ والذى فى هامش اللسان (قدس) أن القداس بمعنى الحجر أو ما يعمل
 من الفضة .

(١١) أنت أبوعذرتها : العذرة البكارة ، والعبارة مثل يقال لمن لم يسبق إلى الشىء .

(١٢) ح ، د ، هـ : باشتقاقها .

والكلام على أفانينها ، وما أحسدُّ أولى بأن يُسأل عن غريبها منك ، وشرع الجماعةُ يسألونني العفو عنه ، وقبول عذره ، وكنتُ بلغت شيئاً كان في صدري ، وعلمت أن الزيادة على الحدِّ الذي انتهيتُ إليه ضربٌ من الأُسْرِ والبغى ، ولا أراه في مذهبي ، ورأيت له حقَّ التقدم في صناعته^(١) فطأطأت له كَنَفِي ، واستأنفتُ جميلاً^(٢) من وصفه^(٣) ، ونهضتُ ، فنهض لي مُشيهاً إلى باب الدار ، حتى ركبْتُ وأقسمت عليه أن يعود إلى مكانه ، وتشاغلْتُ ببقيةِ يومِي بشغلٍ عن لي عن حضرة الوزير المهلبى * ، وانتهى إليه الخبر .

وأنت^(٤) رسلُهُ ليلاً ، فسرتُ إليه ، وقصصْتُ عليه القصةَ بتمامِها ، فحصل له من السرورِ والابتهاج بما جرى ما بعثه على مُباكرةِ مُعزِّ الدولة * ، وإخباره^(٥) بكل ما أخبرته . وأخبرني الرئيس أبو القاسم محمد بن العباس أنه بمجرد دخوله على مُعزِّ الدولة قال : أعلمت ما كان من أبي على الخاتمي والمتنبى ؟ فإنه شَقَقَني منه صدرًا . قال أبو على الخاتمي : وشاهدت من فضيلته^(٦) ، وصفاء ذهنه ، وجودة حِذْقِهِ ، ما حدَّدَ أني على عمل^(٧) الخاتمية ، وتأكدتُ بيني وبينه الصَّحبةُ ، وصيرتُ أترددُ إليه أحيانًا .

قال الخالديان^(٨) : كان أبو الطيب المتنبى كثيرَ الروايةِ جيدَ النقدِ . ولقد حكى

(١) - د ، د ، هـ : صنعته . (٢) جميلاً : ساقطة من سائر النسخ .

(٣) هكذا في ب . سائر النسخ : وضعه تحريف .

* تقدمت ترجمته .

(٤) هكذا في ا ، ب . وفي سائر النسخ : فأتيت .

• تقدمت ترجمته .

(٥) - د ، د ، هـ : وأخبره .

(٦) الضمير في « فضيلته وما بعدها يعود على المتنبى .

(٧) ب ، هـ : حمل مكان عمل تحريف . والخاتمية التي يشير إليها هنا هي الرسالة التي كتبها أبو على الخاتمي وضمنها حكم أرسططاليس التي صاغها المتنبى شعراً . انظر هامش (١) ص ٢٥٣ وهامش رقم (١) ص ٢٧٠ من كتاب الإبانة ط . دار المعارف .

(٨) الخالديان : هما أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان أدبا البصرة وشاعراها في عصرهما قد اتصلا بسيف الدولة ومدحاه ، وكان بينهما وبين السرى الرفاء ما يكون بين المتعاصرين من التغاير والتضامن ؛ فكان يدعى عليهما سرقة شعره ، وكان أبو عثمان أصغر الأخوين نادرة الدنيا في الحفظ توفي سنة ٣٧١ هـ وتوفي أبو بكر سنة ٣٨١ هـ . والخالديان نسبة إلى خالدة (قرية من أعمال الموصل) .

بعضٌ من كان يتحسده أنه كان يضع من الشعراء المحدثين، ويتغنص من (١) البلغاء المفلّقين، وربما قال أنشدوني لأبي تمامكم شيئاً حتى أعرف منزلته من الشعر، فتذاكرنا ليلةً في مجلس سيف الدولة بدميةً فارقين (٢) وهو معنا، فأنشد أحدنا لمولانا أيده الله شعراً له قد ألم فيه بمعنى لأبي تمام استحسنته (٣) مولانا أدام الله تأييده فاستجاده واستعاده .

فقال أبو الطيب هذا يشبه قول أبي تمام ، وأتى بالبيت المأخوذ منه المعنى ، فقلنا قد سررنا لأبي تمام إذ عرفت شعره ، فقال : أو يجوز للأديب ألا يعرف شعر أبي تمام ، وهو استاذ كل من قال الشعر بعده فقلنا قد قيل إنك تقول كيت وكيت ، فأنكر ذلك ، وما زال بعد ذلك إذا التقينا يُنشدنا بدائع أبي تمام ، وكان يروى جميع شعره .

وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها ، ولا يسأل عن شيء إلا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر ، حتى قيل إن الشيخ أبا على الفارسي قال له يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فيعلتي ؟ فقال له في الحال حجلتي وظهرتي (٤) .

قال الشيخ أبو على الفارسي : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لها ثالثاً فلم أجد . وحسبك من يقول مثل أبي على في حقه ذلك . ولما استقرت بدار السلام ، وترفع (٥) عن مدح الوزير المهلبى ذاهباً بنفسه عن مدح غير الملوك شق ذلك على المهلبى ، فأغرى به شعراء العراق ، حتى نالوا (٦) من عريضه ، وتباروا في هجائه ، فلم يجيبهم ، ولم يفكر فيهم ، فقيل له في ذلك فقال : إني فرغت من إجابتهم بقولي لمن هو أرفع طبقة في الشعر منهم :

(١) هـ ، ح : « بعض » مكان « يغص » .

(٢) من أشهر بلاد الموصل .

(٣) جميع النسخ فاستحسنته بالفاء .

(٤) حجل جمع حجلة بالتحريك وهى طائر يسمى القبجة، وظهرى جمع ظربان كقطران وهى

دويبة منتنة الرائحة .

(٥) ج ترفع ، تحريف . (٦) ا : قالوا مكان نالوا . تحريف .

وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعُضَالَا (١)
يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا

أرى المتشاعرين غرّوا بذى
ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ
وقوله :

ضعيفٌ يقاوينى قصيرٌ يطاولُ
وقلبى بصمتى ضاحكٌ منه هازلُ
وأغيطُ من عاداك من لا تشاكل (٤)
بغيفٍ إلى الجاهل المتغافل (٦)

أفى كيلٍ يوم تحت ضيبتى (٢) شويعرٌ
لسانى ينطق (٣) صامتٌ عنه عادلٌ
وأتعِب من ناداك من لا تُجيبه
وما التيه طبعى (٥) فيهم غير أنى
وقولى :

وإذا أتتك مدممتى من ناقصٍ
ولما بلغ الحسن بن (٨) لسنكك بالبصرة ما جرى على المتنبي من وقعة شعراء
العراق فيه (٩) واستخفافهم به كقولهم فيه :

من هجا المتنبي
من الشعراء

- (١) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار مطلعها : بقائى شاء ليس هم ارتحالا
وغروا من غرى بالشيء أولع .
(٢) ١ ، ب : ظئى تحريف . الضبن : ما تحت الإبط إلى الخاصرة وهو الحضن .
(٣) الديوان وسائر النسخ : بنطق .
(٤) ب : ألا تجيبه . . . ألا تشاكل . تحريف .
(٥) ٥ ، د ، هـ : طبقى . الطب : بشد الطاء وكسرهما العادة والشأن .
(٦) الديوان : المتعاقل . هذا البيت والأبيات الثلاثة قبله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة أوطا :
دروع ملك الروم هذى الرسائل ، والبيت الأخير من قول الطرماع :
لقد زادنى حبا لنفسى أنى بغيفٍ إلى كل امرئ غير طائل
إذا ما رآنى قطع الطرف بيته وبينى فعل العارف المتجاهل
(٧) الديوان ، ٥ ، د ، هـ ، كامل . والبيت من قصيدة يمدح بها القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي
ومطلعها : لك يا منازل في القلوب منازل .

وأصل هذا المعنى من قول الطرماع السابق وأخذه مروان بن أبي حفصة قتال :
ماضرنى حسد اللثام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير
وأخذه أبو تمام فقال :
لقد آسف الأعداء فضل ابن يوسف وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع
وأخذه ابن المعتز فقال :

ما عابنى إلا الحسو د وتلك من إحدى المناقب
فأتى أبو الطيب فى المعنى بلفظ مخالف للفظ مروان وأتى أبو تمام بالمعنى فى جزء من لفظ مروان وتممه
بلفظ من عنده وأتى ابن المعتز بالمعنى فى لفظ سوى لفظيهما .
(٨) هو أبو الحسن المعروف بابن لنكك البصرى الشاعر الأديب كان فرد البصرة وصدر أديبها
فى زمانه ولكن المتنبي أخمل ذكره ، لذلك كثر شعره فى هجائه وفى شكوى الزمان .
(٩) ساقطة من : ٥ ، د ، هـ .

أى فضل لشاعر يطلب الفضل لـ من الناس بُكرةً وعشياً
عاش حيناً يبيع بالكوفة الما ءَ حيناً يبيع ماء الحيا
وكان ابن لتلك حاسداً له ، طاعناً عليه ، هاجياً إياه ، زاعماً أن أباه كان
يسقى الماء بالكوفة ، فشمت به ، وقال :

قولاً لأهل زمان لا خلاقَ لهم أعطيتمو المتنبي فوق مُنبتِه
لكن بغدادَ جاد الغيثُ ساكنها ومن قوله فيه :
متنبيكمُ ابنُ سقاءِ كوفَا كان مِن فيه يسلحُ الشعرَ حتى
ومن قوله فيه :

ما أوقحَ المتنبي فيما حكى^(١) وادعاهُ
أبيعُ مالاً عظيماً لما أباح قفاه^(٢)
يا سائلي عن غناه من ذاك كان عنه^(٣)
إن كان ذاك نبيا فالجائليقُ^(٤) إلهُ

ثم إن أبا الطيب اتخذ الليل جملاً ، وفارق بغدادَ مُتوجّهاً إلى حضرة أبي الفضل
ابن العميد^(٥) . قيل إن صاحب بن عباد^(٦) طمع في زيارة المتنبي إياه بأصفهان^(٧) .

(١) استعمال الخلاق بمعنى الأخلاق : في البيت الأول خطأ لغوي فإن معناه النصيب الوافر من الخير .

(٢) حرف الشطر الأول في ه تحريفاً لم ذر إثباته .

(٣) الفقحة : حلقة الدبر .

(٤) ب ، ا : حكاة والوزن لا يستقيم معها .

(٥) سائر النسخ : أتيح . . . أتاح .

(٦) سائر النسخ : غناه . والصواب عنه بالعين المهملة .

(٧) الجائليق : رئيس الأساقفة يكون تحت يد بطريق أنطاكية .

(٨) هو الأستاذ الرئيس كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى وصاحب طريقة الشعر المنشور

توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٩) هو صاحب إسماعيل بن عباد كاتب المشرق ووزير آل بويه توفى سنة ٣٨٥ هـ .

(١٠) من أشهر مدّن فارس ومنها أبو الفرج صاحب الأغاني .

ولإجرائه مجرى مقصوده ^(١) من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب ، والحال حويلة ، والبحر دُجيلة ^(٢) ، ولم يكن استُوزر بعد ، فكتب يُلاطفه في استدعائه ، ويضمن له مشاطرته جميع ماله ، فلم يُقم له المتنبي وزناً ، ولم يُجبه عن كتابه ، وقيل إن المتنبي قال لأصحابه : إن غليماً معطاء بالرّى يريد أن أزوره وأمدحه ، ولا سبيل إلى ذلك . فصيرّه الصاحب غرضاً يرشّقه بسهام الوقعة ، يتتبع عليه ^(٣) سقطاته في شعره وهفواته ، وينعته عليه ^(٤) سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته وأحفظهم وأكثّرهم استعمالاً لها ، وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته ، وكان أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد يسمع بأخبار أبي الطيب ، وكيف اشتهاره في الأقطار ، وترفعه عن مدح الوزراء .

وسمع أنه خرج من مدينة السلام متوجّهاً إلى بلاد فارس وكان يخاف ألا يمدحه ، ويعامله معاملة المهلب ، فيتكره من ذكره ، ويُعرض عن سماع شعره . قال الربيعي ^(٥) : قال لي بعض أصحاب ابن العميد : قال دخلت عليه يوماً قبل دخول المتنبي فوجدته واجماً ^(٦) ، وكانت قد ماتت أخته عن قريب ، فظننته واجداً ^(٧) لأجلها ، فقلت لا يحزن الله الوزير . فما الخبر ؟ قال : إنه ليغيظني أمر هذا المتنبي ، واجتهادي في أن أُخمد ذكره ، وقد ورد على نيف وستون ^(٨) كتاباً في التعزية ما منها ^(٩) إلا وقد صدر بقوله :

حمد ابن العميد
لأبي الطيب

(١) - ، د ، هـ : مقصوده .

(٢) معنى هذه الجملة والتي قبلها أن الأمور سهلة .

(٣) ساقطة من - ، د ، هـ .

(٤) سائر النسخ : إليه . تحريف والصواب نعى عليه ذنوبه أي أظهرها وشهرها .

(٥) هو أبو الحسن علي بن عيسى الربيعي النحوي البغدادي المنزل الشيرازي الأصل كان عالماً في النحو متقناً له قرأ على أبي علي الفارسي عشرين سنة وفيه يقول أبو علي : قولوا لعل البغدادي لو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أنحي منك . توفي ببغداد سنة ٤٢٠ هـ . وقد درس الأدب على أبي سعيد السيرافي ، وكان من المعجبين بالمتنبي أيام إقامته بفارس .

(٦) الواجم : الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام .

(٧) الواجد : الحزين .

(٨) ١ ، ب : وستين . تحريف .

(٩) جميع النسخ : منهم . تحريف .

طوى الجزيرة حتى جاعني خبر^(١) فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً^(٢) شريت بالدمع حتى كاد يشرق بي^(٣)

فكيف السبيل إلى إخماد ذكره ؟ فقلت : القدر لا يغالب ، والرجل
ذو حظ من إشاعة الذكر ، واشتহার الاسم ، فالأولى ألا تشغل فكرك بهذا
الأمر . وهذان البيتان من قصيدة لأبي الطيب يرثي بها أخت سيف الدولة ، وأنفذها
إليه من بغداد سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ، وأول القصيدة :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب^(٤)

وفي الشطر الثاني من هذا البيت نقد للمتأمل^(٥) .

وفي صفر سنة أربع وخمسين ورد على أبي الفضل بن العميد وهو بأرجان^(٦) وروده على ابن
فحسّن موقعه منه ، وأنشده :

باد هواك صبرت أو^(٧) لم تصبرا وبكائك إن لم يجر دمعك أو جرى

قيل^(٨) : سئل أبو الطيب عن نصب تصبرا^(٩) ، فقال : سلوا الشارح ،

يعني ابن جني

كم غرّ صبرك وابتسامك صاحباً لما رآه وفي الحشا ما لا يرى

قال أبو عبد الله : كان ابن العميد كثير الانتقاد على أبي الطيب ، فإنه لما

أنشده هذا البيت قال : يا أبا الطيب ، تقول باد هواك ثم تقول بعده كم غرّ صبرك ؟

(١) شرق به : غص .

(٢) د ، ه : الحسب . والنسب : آباء الإنسان . والحسب : ما يعنه من مفاخرهم .

(٣) النقد في ذكر الشطر الثاني إذ جعل يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية عن أشرف
النسب والكناية لا تكون إلا لعل تتسع فيها التهم لأنها للسر والتعمية فكيف ورى عن شرف النسب تورية
المعاييب وكفى عنه والتصريح به من المفاخر والمناقب ولو فطن لقال :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب غنى بهذا وذا عن أشرف النسب

(٤) بلدة بفارس كثيرة الأشجار حسنة المكان .

(٥) ه ، ه والديوان : أم .

(٦) ساقطة من سائر النسخ .

(٧) أراد تصبرن بنون التوكيد الخفيفة فأبدلها ألفاً وظائر هذا كثير .

ما أسرع ما نقضت ما ابتدأت به ! فقال تلك حال وهذه حال ^(١) :

أمرَ الفؤادُ لسانَه وجفونَه فكتمنَه ^(٢) وكفَى بِجسمكُ مُخبِراً
تعيَسَ المهاريَ غيرَ مَهْرِيٍّ غداً بمصوَرٍ لَبِيسَ الحريرِ مُصَوِّراً ^(٣)
نافستُ فيه صورةً في خِدره لو كنتُها لَخَفِيتُ حَتَّى يَظْهَرا ^(٤)
لا تَتَرَبِّ الأيدي المقيمةُ فوقه كِيسرى مُقامَ الحاجِبيْنَ وقِصرِا ^(٥)
يَقِيانِ ^(٦) في أحدِ الهوادِجِ مقلَّةٌ رَحَلتْ ^(٧) وكان لها فؤادى مَحْجَرا ^(٨)
وقد استعمل أبو الطيب هذه الطريقة ^(٩) حيث قال في وصف الخيمة وهو : ^(١٠)

(١) جواب أبي الطيب موجز لم يوضح مراده ، ومراده أن الحال التي يذكرها في البيت الثاني سابقة على الحال المذكورة في البيت الأول لأنه يريد أن صبره كان يغر الناظر إليه قبل أن أسقمه العشق وغير منظره ، ولكنه لما هزل جسمه بعد ذلك استدل الناظر بنحوه على عشقه ، فبدأ هواه ، ولم يعد صبره ولا ابتسامه يغنيان عنه شيئاً في إخفاء هواه ، وقد زاد هذا المعنى بياناً في البيت الذي يليه .

(٢) كذا في الديوان ، ا . سائر النسخ : فكتمته بالثاء وهي مضمومة في ب .

(٣) ح ، د ، هـ : لبس الحديد . المهاري مخفف مهاري جمع مهري وهو البعير المنسوب إلى مهرة ابن حيدان أبي قبيلة من العرب مشهورة بحسن القيام على الإبل . غدا : ذهب غدوة ، والمعنى يدعو بالعتار على الإبل التي رحلت بأحبته مع استثناء ركوبة الحبيب وجعله مصوراً لكمال حسنه ، والحرير المصور المنقوش .
(٤) الديوان : ستره . المعنى : فاخترت الصورة التي على ستر هودجه لأنه أجمل منها ولو كنت أنا تلك الصورة لخفيت حتى يظهر هو والمراد بخفاء الصورة زوال الستر الذي هي عليه ومتى زال ظهر الحبيب المحتجب وراءه .

(٥) جميع النسخ : لا تثرَب بالثاء تحريف . والتصويب عن الديوان .

(٦) يقيان : محرفة في سائر النسخ .

(٧) ب ، د ، هـ : وحلت ج . وحلت . تحريف .

(٨) الهودج : مركب النساء على الإبل . المحجر : ما حول العين . يقول : هذان الحاجبان يصوفان من الغبار وحر الشمس مقلَّة في أحد الهوادج يعني هودج الحبيب وكفى عنه بالمقلَّة وجعل فؤاده محجراً لتلك المقلَّة ويقال إن هذه القصيدة من قصائده المختارة وأنه لما قصد مصر وملح كافوراً ملح وزيره أبا الفضل جعفر بن الفرات بها وجعلها موسومة باسمه فكانت إحدى قوافيها « جعفرأ » وكان قد قال فيها :

صفت السوار لأى كف بشرت بابن الفرات وأى عبد كبرا

فلما لم يرضه صرفها عنه ولم ينشده إياها ، ولما توجه إلى عضد الدولة قصد أربان وبها أبو الفضل بن العميد فحول القصيدة إليه وجعل ابن العميد مكان ابن الفرات .

(٩) يريد بالطريقة أن أبا الطيب استعمل في وصف الخيمة صوراً ورسوماً كما استعمل ذلك في وصفه السابق للهوادج .

(١٠) ساقطة من سائر النسخ .

وأحسن من ماء الشبيبة كله
عليها رياض لم تحكها سحابة
وفوق حواشي كل ثوب موجه
تري حيوان البر مصطليها بها
إذا ضربته الريح ماج كأنه
وفي صورة الروي ذى التاج ذلة
حيّا بارق في فائزة أنا شامه^(١)
وأغصان دوح لم تغن حمامه^(٢)
من الدر سبط لم يشقه ناظمه^(٣)
يحارب صدد ضده ويسالمه^(٤)
تجول مذاكيه وتسد أي ضراغمه^(٥)
لأبلج^(٦) لا تيجان إلا عمائم^(٧)

وكذلك أوردتها أبو عبادة البحرى في قصيدته التى أولها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن ندى كل جبس^(٨)
إلى أن قال فى وصف إيوان^(٩) كسرى :

(١) الحيا : المطر . البارق : السحاب ذو البرق . الفائزة : المظلة بعمودين (وكان ملوك هذه الأيام إذا ركبوا فى يوم زينة ركب حول الملك جنديان يحملان هذه الفائزة) والشام : الناظر إلى البرق يرجو المطر . أراد بهاء الشبيبة حبها ونضارتها أخذاً من ماء السيف ونحوه . وعنى بالبارق المدحج وهو سيف الدولة ، وبمطره جوده يقول : أحسن من ماء الشبيبة الذى فقدته ما أنا راجيه من المدحج وكرمه .
(٢) عليها : أى على الفائزة ويريد بالرياض والشجر صوراً منقوشة عليها . يقول إن تلك الرياض ليست مما أقيمت السحاب وسحاكته ، وأغصان تلك الأشجار لا تتغنى حائمتها لأنها صور غير ذات روح .
(٣) الموجه : ذو الوجهين . السبط : غيط النظم ويطلق على الفلاة وأراد بالدر نقوشاً بيضاء فى حواشي الثياب التى اتخذت منها الفائزة غير أن الذى نظمها لم يشقه لأنه ليس بدر حقيق .
(٤) يريد صور حيوانات عليها مما لا يسالم بعضها بعضاً وقد صورت متحاربة وهى فى الحقيقة مسالمة لأنها جهاد لا تقاتل .

(٥) المذاكى : الخيل المسنة . دأى الصيد : ختله . يقول إذا ضربت الريح تلك الثياب ماجت وتحركت صورها فكان الخيل تجول والأسود تختل الظباء لتصيدها .

(٦) ح ، د ، هـ : بأبلج أى بسببه .

(٧) الأبلج : المشرق والنقى ما بين الحاجبين . كان قد صور فى هذه الفائزة ملك الروم ساجداً لسيف الدولة وهو ما أراده بالذلة ووصف سيف الدولة بأنه لا تاج له لأنه عربى وتيجان العرب عمائمها .

(٨) ح ، د ، هـ : جنس . تقدمت ترجمة البحرى ، وهذا مطلع سينيته فى وصف إيوان كسرى وعظمة فارس وهى التى قال فيها ابن المعتز : لو لم يكن للبحرئى إلا قصيدته السينية فى وصف إيوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها . . . لكان أشعر الناس . وهى التى قال فيها صاحب الفتح القسى فى الفتح القدس من كلام طويل : فانظروا إلى إيوان كسرى وسينية البحرئى فى وصفه تجدوا الإيوان قد خرت شعفاته وعفرت شرفاته وتجدوا سينية البحرئى قد بقى بها كسرى فى ديوانه أضعاف ما بقى شخصه فى إيوانه » وهذه السينية تذكريا بسينية شوقي التى عارض بها البحرئى وأشاد فيها بمجد العرب وأتى بما لا يقل روعة عما أتى به البحرئى .

(٩) الإيوان : بيت كبير مستطيل ، بأوله عقد ذو باب واسع ، وكان طول إيوان كسرى ١٠٠ ذراع ، وعرضه ٥٠ ذراعاً وارتفاعه ٨٠ ذراعاً ، يحيط به أروقة كبيرة تزیده حسناً وبهاء ، وتخلع عليه عظمة وجلالا ، وكان معاً لجلوس الملك مع أرباب مملكته .

وهو^(١) يُسَبِّحُكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ
فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا
وَالْمَنَايَا مَوَائِلُ وَأَنُوشِرُ
فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللِّبَاسِ عَلَى
وَعِرَاكُ الرِّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنْ مُشِيحٍ يَهْوَى بِعَامِلٍ رَمَحَ
تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَا
يَغْتَلِي فِيهِمْ ارْتِيَابِي حَتَّى
وَالسَّابِقُ إِلَيْهَا^(٢) أَبُو نَوَاسٍ فِي قَوْلِهِ :
قَرَارَتُهَا كَسْرَى وَفِي جَنَنْبَاتِهَا
وَمِنْ قَصِيدَةِ الْمُتَنَبِّي :
أَرْجَمَانُ أَتَيْتَا الْجِيَادُ فَإِنَّهُ
لَوْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا اشْتَهَيْتَ فَعَالَتُهُ
عَزَمِي الَّذِي يَذَرُ الْوَشِيحَ مُكْسَرًا^(٣)
مَا شَقَّ كَوَكُوبُكَ الْعَجَاجَ الْأَكْدَرَا^(٤)

(١) وهو : النضير يعود علي الجرماز في بيت سابق، والجرماز هو الإيوان. أنطا كية بلد بالشام حيث وقعت معركة بين الفرس والروم وقد صورت في الإيوان . موائل : قائمات تنتظر العمل وقت الحرب . الدرفس : العلم الكبير . علي أصفر : أي علي حصان أصفر . ورس : نبات ذو صبغ أحمر . المشيح : الحذر . عامل الريح : صدره . المليح : الخائف الحذر . تصف العين : يخيل إليها . يغتل فيهم ارتيابي : يزيد شكي في حياتهم . تتقراهم يداي بلمس : تتبعهم حتى ألمهم في الصورة بيدي لأتبين أهم أحياء حقاً كما يخيل إلي، والأبيات في جملتها تصف الموقعة المصورة على جدار الإيوان وكان البحري مبدعاً في وصف تلك الصورة إبداع مصورها ووجه الإبداع يرجع إلى دقة التصوير الشعري حتى إن القارئ يكاد ينتقل بقراءتها من عالم الحقيقة إلى عالم الخيال الذي يرجع بالذاكرة إلى ما كان فيتمثل المعركة بين الروم والفرس دائرة الرعي وكسرى على جواده يسوق الرجال والعلم الكبير يخفق فوق رأسه والمنايا موائل متحفزة وقد حمى وطيسها فسكنت الأنفاس وصمت الألسنة فلا ترى إلا مشيحاً برمح أو مليحاً بترس وقد بلغ البحري غاية الإبداع في التصوير حين قال يغتل فيهم ارتيابي حتى أتتبع تلك الصورة بيدي ألمسها لأتبين أهولاً أحياء حقاً كما يخيل إلي أم أن ذلك إبداع المصور . وفي هذه القطعة يظهر ولع البحري بالفن الفارسي وإشادته بذلك الفن . ويظهر أن هذه النزعة كانت جديدة في هذا العهد ولهذا استوجبت الإعجاب .

(٢) والسابق إليها : أي إلى هذه الطريقة التي عرفناها آنفاً وهي وصف الصور والتماثيل والنقوش على الكؤوس والحدردان والطنافس . وقبل هذا البيت :

تدار علينا الراح في عسجدية
وبعده : فلنراج ما زرت عليه جيوبهم

(٣) أرجان : بتشديد الراء ولكنها خففت بحذف التشديد لضرورة الشعر ونصبت بفعل محذوف

أي اقصدى أيتها الجياد أرجان . الوشيح : شجر تعمل منه الرماح

(٤) ما اشتيت : خطاب للخيال . الكوكب : هنا المجتمع من الخيل . العجاج : الغبار .

لَأَيِّمَنَ أَجَلَ بَحْرٍ جَوْهَرًا^(١)
 مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقْصَرًّا أَوْ مُقْصَرًا^(٢)
 بِأَبْنِ الْعَمِيدِ وَأَيَّ عَبْدٍ كَبِيرًا

أُمِّي أَبَا الْفَضْلِ الْمَبْرِّ أَلَيْمَتِي
 أَفْتَى بِرُؤْيَيْهِ الْأَنَامُ وَحَاشَ لِي
 صَغْتُ السَّوَارَ لِأَيِّ كَفٍ بَشَرْتِ
 وَمِنْهَا :

شَرْفًا عَلَى صُمِّ الرِّمَاحِ وَمَتَفَخَّرَا
 تِيَهُ الْمُدَلَّ فَلَوْ مَشَى لَسَبَخْتَرَا
 قَبْلَ الْجِيُوشِ ثَنِ الْجِيُوشِ تَحْشِيرَا
 وَمَنْ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنَفَرَا^(٤)
 وَقَطَعْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا ذَوَّرَا
 وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرَّرَا
 قَلَّمْ لَكَ اتَّخَذَ الْأَنَامُ مِنْبَرَا
 فَرَأَوْا قَنَّا وَأَسِنَّةً وَسَمَنُورَا^(٧)
 وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَا
 كَالْخَطِّ يَمْلَأُ مِسْمَعِي مَنْ أَبْصَرَا^(٨)
 نَسَمَلْتُ يَدَ اسْرُحًا وَخُفْمًا مُجْمِرَا^(٩)

يَتَكَسَّبُ الْقَصْبُ الضَّعِيفُ بِخَطِّهِ^(٣)
 وَيَبِينُ فِيمَا مَسَّ مِنْهُ بَنَانُهُ
 يَا مَنْ إِذَا وَرَدَ الْبِلَادَ كَتَابُهُ
 أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا رَكِبْتَ طَرِيقَهُ
 قَطَفَ الرِّجَالُ الْقَوْلَ قَبْلَ^(٥) نَبَاتِهِ
 فَهُوَ الْمُتَسَبِّعُ^(٦) بِالْمَسَامِيعِ إِنْ مَضَى
 وَإِذَا سَكَتَ فَانْ أَلْبَغْ خَاطِبَ
 وَرَسَائِلَ قَطَعَ الْعُدَاةُ سَحَاءَهَا
 فِدَاكَ حُسْنُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا
 خَلَفَتِ صِفَاتُكَ فِي الْعْيُونِ كَلَامَهُ
 أَرَأَيْتَ هِمَةً نَاقَتِي فِي نَاقَةٍ

(١) أُمِّي : أُمْرٌ مِنْ أَمْ بِمَعْنَى قَصْدٍ . الْأَلِيَّةُ : الْيَمِينُ ، وَبِرٌّ فِي يَمِينِهِ : صَدَقَ . وَقَدْ أُبْرِ بِمَعْنَى .

(٢) مُقْصَرٌ : بِتَشْدِيدِ الْصَادِ مِنْ قَصَرَ عَنِ الْأَمْرِ تَرْكُهُ عَجْزًا ، وَمُقْصَرٌ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ ثَالِثِهِ مِنْ أَقْصَرَ عَنْهُ تَرْكُهُ اخْتِيَارًا .

(٣) الدِّيَوَانُ : بِكَفِهِ .

(٤) الرَّدِيفُ : الرَّابِعُ خَلْفَ رَاكِبٍ آخَرَ . الدِّيَوَانُ : إِذَا ارْتَكَبْتَ . يَقُولُ أَنْتَ مُتَفَرِّدٌ فِي كُلِّ طَرِيقَةٍ تَأْتِيهَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَقْتَدِيَ بِكَ فِي طَرِيقَتِكَ لَصُغُوبَتِهَا كِرَاكِبِ الْأَسَدِ لَا يُمْكِنُ أَحَدًا أَنْ يَكُونَ رَدِيفًا لَهُ .

(٥) الدِّيَوَانُ : وَقْتُ . (٦) الدِّيَوَانُ وَ ب : الْمَشِيعُ .

(٧) رَسَائِلُ : عَطَفَ عَلَى قَلَمٍ . السَّحَاءُ : مَا تَشَدُّ بِهِ الرِّسَالُ مِنْ أَدَمَ . السُّنُورُ : الدَّرُوعُ ، وَالْمَعْنَى : إِذَا بَلَغْتَ رَسَائِلَكَ الْأَعْدَاءَ فَقَطَعُوا سَحَاءَهَا قَتَلْتَهُمْ خَوْفًا فَكَأَنَّمَا رَأَوْا فِيهَا الرِّمَاحَ وَالدَّرُوعَ .

(٨) يَفْسِرُ كَيْفَ دَعَاكَ اللَّهُ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَ يَقُولُ : إِنَّ مَا يَرَاهُ النَّاسُ فِيكَ مِنَ الصِّفَاتِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي خَصَّكَ اللَّهُ بِهَا يُؤْذَنُ بِأَنَّهُ قَدْ فَضَّلَكَ عَلَى سَائِرِ الرُّسَاءِ وَجَعَلَكَ الْأَكْبَرَ بَيْنَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِذَلِكَ لَفَظًا فَهَذِهِ الصِّفَاتُ كَالْخَلْفِ لِكَلَامِهِ وَمِثْلُهَا بِالْخَطِّ فَإِنْ مَعْنَاهُ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ بِالْبَصَرِ فَيَسْتَفِيدُ مِنْهُ الْقَلْبُ مَا يَسْتَفِيدُهُ بِسَمَاعِ الْأَذَانِ .

(٩) سَرَحًا : سَهْلَةً السَّيْرِ . مَجْمَرًا ، بِكَسْرِ الْمِيمِ الثَّانِيَةِ : خَفِيفًا سَرِيعًا . وَجَعَلَ الْمَعْنَى أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى صَبْرِهِ وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ فِي الْأَسْفَارِ حَتَّى حَمَلَ نَاقَتَهُ فِي السَّيْرِ مَا لَا يَطِيقُ أَمْثَالَهَا .

تَرَكَتْ دُخَانَ الرَّمْثِ فِي أَوْطَانِهِ (١)
وَتَكْرَمَتْ رُكْبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكِ
لَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ .

ومنها :

مَنْ مَبْلُغُ الْأَعْرَابِ أَنْتَى بَعْدَهَا
وَمَلِكْتُ نَحَرَ عِشَارِهَا فَأَصَافَتِي
وَسَمِعْتُ بِطَلِيمُوسَ دَارِسَ كُتُبِهِ
وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنْتَمَا
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا
جَالَسَتْ رَسْطًا لَيْسَ وَالِاسْكَنْدَرَا
مَنْ يَنْحَرُّ الْيَسَدَ النَّضَارَ لِمَنْ قَرَى
مُسَمَلَكًا مُتَبَدِّلًا مَسْحَضًا
رَدَّ إِلَيْهِ نَفْسُوسَهُمْ وَالْأَعْصَرَا
وَأَنَّى « فَذَلِكَ » إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا (٢)

ورأيت في نسخة قديمة « وَأَنْتَ فَذَلِكَ » .

ومن تأمل هذه الأبيات علم أن أبا الطيب قد ملك رِقَابَ الكلام ، واستبعد
كرائمها ، واستولد عقائدها . وفي ذلك فليتنافس ، وعن مقامه فليتنافس .
ومنها :

(١) الرمث : نبت يوقد به ، والمعنى أن الناقة تركت الأعراب وأنت قوماً وقودهم من العنبر وهم قوم
الممدوح والبيت من قول البحري :

نزلوا بأرض الزعفران وجانبوا أرضا ترب إلشيع والقيصوما

(٢) ركبات : جمع ركية وقصد بها الاثنتين . المسك الأذفر : الشديد الرائحة وهو كقوله تعالى :
« فقد صفت قلوبكما » وذلك أن أقل الجمع اثنان فجاز أن يعبر عنهما بالجمع ودل على أنه أراد التثنية أنه
أخبر عنهما فقال : تقعان ويجوز أن يكون أراد الجمع فسمى كل جزء منهما ركية كقوله :
شابت مفارقة وهو مفرق واحد ، وإنما أراد كل جزء من المفرق ، ثم رجع إلى الحقيقة فقال تقعان فقول
المؤلف : لا يخفى ما في هذا البيت يفسره ما قلنا .

(٣) بطليموس : فلكي مشهور صاحب كتاب المجسطى . نستوا : سرودوا . « فذلك » : فاعل
أتى وهي حكاية قول الحاسب إذا جمع حسابه فذلك كذا وكذا . وهذه الأبيات الأربعة في مدح ابن النعميد
يقول : إنه بعد ما فارق الأعراب لقي رسطاليس الفيلسوف المشهور ، والإسكندر الذي ملك الشرق والغرب ،
وأنه نزل ضيفاً على من يكرم ضيوفه ببدر الذهب وأنه رأى عالماً حكيمًا جمع بين جلالة الملك وقصاحة البدو
وظرف الخضر ، وقد لقي بلقائه كل فاضل من الأولين فكان الله أحياءهم ورد عصورهم ، ثم يصفه أخيراً
بأنه أتى وقد جمع مزايا السابقين فكانه حاصل جمع لأعداد سبق تفصيلها .

يَا لَيْتَ بَاكِیَّةٌ شَجَانِي دَمْعُهَا نَظَرْتُ لِبَيْتِكَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَعَذَّرَا (١)
فَتَسْرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةً الشَّمْسُ تَشْرُقُ وَالسَّحَابُ كَسَنَهُوْرَا (٢)
وَتَنَازَعَ نُدَمَاءُ (٣) ابْنِ الْعَمِيدِ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ ، فَقَالَ : أَثْبِتْهُ حَتَّى أَتَأْمَلَهُ ،
فَأَثْبِتَ الْبَيْتَ ، وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَطْرَقَ مَلِيًّا يَفْكُرُ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ هَذَا يُعْطِلُنَا
عَنِ الْمَهْمِ ، وَمَا كَانَ الرَّجُلُ يَدْرِي مَا يَقُولُ (٤) .

وقد أشار المتنبي إلى أن ابن العميد ينتقد شعره بقوله :
هَلْ لَعُذْرِي إِلَى الْهَمَامِ أَبِي الْفَضْلِ لِي قَبُولُ سَوَادُ عَيْنِي مِدَادُهُ (٥)
أَنَا مِنْ شِدَّةِ الْحِيَاءِ عَلِيلٌ مَكْرَمَاتُ الْمُعْلِيَّةِ عُرْوَادُهُ (٦)

(١) فتعذرا : منصوب بعد فاء السببية . يقول : ليت التي حزنت لفراق إياها فبكت رأت ما رأيت
فكانت تعذرن في فراقها والرحيل إليك .

(٢) روى : « وتري » وقد فصل في هذا البيت ما كان يتمنى أن تراه تلك الباكية عند لقاء
ابن العميد فإنها ترى الفضيلة لا تتعارض مع فضيلة أخرى كما لا يتعارض إشراق الشمس وتراكم السحاب
وكذلك ابن العميد يهمل وجهه بالبشر ويتدفق كرم يديه بالعتاء وفي معنى بيت المتنبي قول محمد بن علي بن بسام :
الشمس غرته والغيث راحته فهل سمعتم بغيث جاء من شمس
وأوضحه ابن الرومي فقال :

تلقى مغبرا مشمسا في حالة هطل الغمامة نير الإشماس
وقال أيضاً :

لكل جليس في يديه ووجهه مدى الدهر يوم قاتم الجوشماس
وتبعه البحتري فقال :

وأبيض وضاح إذا ما تغيمت يداه تجلى وجهه فتشعما
(٣) ح : قدماي . تحريف .

(٤) ابن العميد يقول حقا فقد اختلف شراح الديوان فقرأ ابن جني « لا ترد » بالبناء للمجهول
وأخذ يتمحل الوجوه لتفسير البيت وقرأه غيره بالبناء للمعلوم وعلى كل وجه نرى في البيت خفاء لا يظهر
إلا بعد العمل وكذا الدهن وما هكذا الشعر .

(٥) في الديوان : هل لعذري عند الهمام . . . وهو يشير في هذا البيت إلى نقد ابن العميد لقصيدته
الرائية السابقة . وقوله : « سواد عيني مداده » من باب الدعاء أي جعل الله سواد عيني مدادا له يشير بذلك
إلى أن ابن العميد من أهل الأدب المشتغلين بالكتابة والتصنيف وتنبيها على الانتقال من مخاطبته بالرياسة
إلى مخاطبته بالعلم وهذا البيت والأبيات التي بعده من قصيدته التي أولا :

جاء نير وزنا وأنت مراده . يمدح بها ابن العميد ويهته بالنيروز ويصف سيفاً قلده إياه وفرسا حملة
عليه وجائزة وصله بها وكان قد عاب عليه القصيدة الرائية وكان المتنبي لم ينكر نقد ابن العميد فهو يعتذر عما فرط
منه فيها ويسلم به كما يرى القارئ في أبياته الآتية .

(٦) يقول أنا لشدة حيائي من انتقاده شعري كالعليل وهدايا الذي أعلني تأتي كل يوم كأنها
تعودني من ذلك الإعلال .

ما كفاني تقصيرُ ما قلتُ فيه
عن علاه حتى ثناه انتقاده^(١)
إتني أصيدُ البزاة ولكن
نَ أجَلَّ النجوم لأصطاده^(٢)
رُبَّ مالا يُعَسِّرُ اللفظُ عنه
والذي يُضْمِرُ الفؤادُ اعتقاده^(٣)
ما تعودتُ أن أرى كأبي الفضه
ل وهذا الذي أتاهُ اعتياده^(٤)
إن في الموج للغريق لَعْنَدًا
واضحًا أن يفوته تَعَداده^(٥)

وهذه الأبيات من قصيدته التي يمدح بها ابن العميد ، ويهنته بالنوروز وأولها :
جاء نيروزنا وأنت مراده
وَوَرَّتْ بالذي أراد زِناده^(٥)
هذه النظرة التي نالها من
لك إلى مثلها من الحول زاده^(٦)
ينثني عنك آخر اليوم منه
ناظرٌ أنتَ طرفه ورُقاده^(٦)
نحن في أرض فارس في سرور
ذا الصباح الذي نرى ميلاده^(٧)
عظمته ممالكُ الفرس حتى
كل أيام عامه حُساده^(٧)
ما لَيْسَنا فيه الأكاليل حتى
لَيْسَتْها تلاعُه ووهاده^(٧)

(١) ثناه : صار ثانيه ، والضمير للتقصير .

(٢) أصيد : أفعل تفضيل من الصيد ويريد بأصيد البزاة أنه أشعر الشعراء وأقدرهم على شوارد المعاني ويريد بأجل النجوم زحلا والمقصود به الممدوح والمعنى أنه مع حذقه في الشعر لا يبلغ كلامه أن يصف ابن العميد .

(٣) الضمير في «اعتقاده» يعود إلى «ما» في الشطر الأول وما تكرة موصوفة بمعنى شيء أي رب شيء .
يعتقده الفؤاد ولكن اللسان يعجز عن أن يعبر عنه باللفظ لدقته أو لبلوغه مبلغا لا يحيط به الوصف وهو اعتذار عن قصوره في مدحه .

(٤) يقول : ما تعودت أن أمدح مثله فإن قصرت كنت معذورا ، والذي مدحته به من كلامي شيء معتاد عنده لأنه لا يزال يمدح فهو أعلم الناس بالشعر . وهذا يدل على تحرز أبي الطيب منه وتواضعه له ولم يتواضع لأحد في شعره تواضعه لابن العميد .

(٥) النوروز : من أعياد الفرس عربته العرب نيروزا ليكون على مثال قيصوم وديجور ونحوهما وهو أول يوم من أيام السنة عند حلول الشمس في أول الحمل . الزناد : جمع زند وهو الحجر يقتح به . يقال وري زندي كناية عن الظفر بالشيء .

(٦) الناظر : العين . الطرف : البصر . يقول : عند انسلاخ هذا اليوم ينثني عنك ناظره الذي أنت ضياؤه وطيبه فيفارقك على حزن وأسف .

(٧) التلاع : جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض . الوهاد : جمع وهدة وهي ما انخفض من الأرض وكان من عادة الفرس إذا جلسوا في مجلس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النباتات والزهر فيضعونها على رؤوسهم .

وكان من عادة الفرس في ذلك اليوم حمل الهدايا إلى ملوكهم ، فقال في آخرها :

كثُر الفكرُ كيف تُهدى كما أهـ لدت إلى ربها الرئيس عبادُه
والذى عندنا من المال والخيل ل فنه هباتُه وقيادُه^(١)
فبعثنا بأربعين مِهار^(٢) كلُّ مُهرٍ ميدانُه إنشادُه
عددٌ عِشْتَه يَترى الجسمُ فيه أربا لا يراه فيما يُزادُه^(٣)
فارتبطُها فإن قلباً نماها مربوطٌ تسبقُ الجيادَ جيادُه^(٤)
وهذا من إحسان^(٥) أبي الطيب . واحتج عن تخصيص أبياته بالأربعين دون غيرها من العدد بحجة غريبة ، وهى أنه جعلها كعدد السنين التى يرى الإنسان فيها من القوة والشباب وقضاء الأوطار ما لا يراه فى الزيادة عليها ، فاعتذر بالطف اعتذار فى أنه لم يزد القصيدة على^(٦) هذه العدة ، ونُسخت القصيدتان ، وأنفذتا من أرتجان إلى أبى الفتح بن أبى الفضل بن العميد بالرى ، فعاد الجوابُ يذكر شوقه إلى أبى الطيب ، وسروره به ، وأنفذ أبياتاً نظمها طعن فيها على المتعرضين لقول الشعر ، فقال أبو الطيب والكتاب بيده ارتجالاً :

بِكَتُبِ الْأَنامِ كِتَابٌ وَرَدَ فَدَتْ يَدَ كَاتِبِهِ كُلُّ يَدٍ
يُعْبَرُ تَحْمَلُنَا عِنْدَهُ^(٧) وَيَذْكَرُ مِنْ شَوْقِهِ مَا نَعْجِدُ

(١) والذى إلى آخر البيت حال . قياده : مصدر أى كثر افتكارنا كيف نهدى إليه شيئاً كما تهدي العبيد إلى أربابها وكل ما عندنا من المال والخيل هو من عنده قد وهبه لنا وقاده إلينا .
(٢) الديوان : مهاراً على الحال . وجره كما فى جميع النسخ على البدل أو البيان . وكنى بالمهار عن أبيات القصيدة لأنها أربعون بيتاً وجعل ميدانها الإنشاد لأنها تعرف به كما يعرف المهر فى الميدان ، وفى العكبرى كلام فى إعرابه .

(٣) عدد : خبر عن محذوف ضمير الأربعين . وعشته : جملة دعائية . الأرب : الحاجة فى النفس . أى أن عدد الأربعين يرى فيه الإنسان من أرب العيش ما لا يراه فى السنين التى زادها بعد ذلك يدعو له أن يعيش هذا العدد فوق ما عاشه وكان ابن العميد فى هذا الوقت قد جاوز السبعين وناهر الثمانين .
(٤) لما سمي الأبيات مهاراً فيما سبق قال هنا : احتفظ بها فإن القلب الذى نشأت فيه تسبق جياده جياد غيره أى ينظم من الشعر ما يفضل شعر سواه .

(٥) إن كان فى هذا إحسان فهو فى تلك المعانى الجيدة أما الشعر فلا يفهمه إلا خاصة الأدباء .

(٦) = : عن والمشهور أن زاد تتعدى بعل لا يعن .

(٧) العرف : عما له عندنا . وفى العكبرى : « يخبر عن حاله عندنا » .

فأخرقَ رأيَه ما رأى وأبرقَ ناقدَه ما انتقد^(١)
إذا سمعَ الناسَ ألفاظَه خلَقنَ له في القلوبِ الحسد
فقلتُ وقد فرَسَ الناطقينَ كذا يفعلُ الأسدُ ابنُ الأسد^(٢)

ما صدر بين ابن
نباتة السعدى
وبين ابن العميد

وأبو الفضل بن العميد هذا هو الذى ورد عليه أبو نصر^(٣) عبد العزيز بن
نباتة السعدى وامتدحه بالقصيدة التى أولها :

بَرَحُ اشتياقِ وادِّكارِ ولبيبُ أنفاسِ حِرارِ^(٤)
ومدامعُ عبراتها ترفضُ عن نومِ مطارِ^(٥)
للهِ قلبى ما يُجِذُّ ن من الهمومِ وما يُوارى
لقد انقضى سكرُ الشبا ب وما انقضى وصبُ الخمارِ^(٦)
وكتبتُ عن وصلِ الصفا رومًا سلوت عن الكبار
سقيًا لتغليسي إلى باب الرصافةِ وابتكارِ^(٧)
أيامَ أخطرُ في الصبا نشوانَ مسحوبِ الإزارِ^(٨)

(١) أخرق : أدهش . أبرق : حير ، والمعنى أن الذى رأى الكتاب أدهشه ما رأى من حسن خطه
والذى انتقد لفظه حيره ما انتقد من فصاحته .
(٢) لم يوفق المتنبي فى وصف كتاب أبي الفتح بن أبي الفضل بن العميد إذ استعمل أخرق ، وأبرق ،
وفرَس وهى كلمات لا تناسب وصف الألفاظ والمعانى ، ألا قال كما قال البحرى يصف بلاغة محمد بن عبد
الملك الزيات :

لتفتنت فى الكتابة حتى عطل الناس فن عبد الحميد
وبديع كأنه الزهر الضا حك فى رونق الربيع الجديدي
مشرق فى جوائب السمع ما يخ لقه عوده على المستعيد
ومعان لو فصلتها القوافى هجنت شعر جرول ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمة التعقيد
وركن اللفظ القريب فأدرك ن به غاية المراد البعيد

(٣) كان شاعراً مجيداً جمع بين حسن السبك وجودة المعنى ومعظم شعره جيد وله ديوان كبير
توفى سنة ٤٠٥ هـ .

(٤) برح اشتياق : ألمه ووجعه .
(٥) ترفض : تنتثر وتنتثر .
(٦) الخمار : بقية السكر فى الإنسان .
(٧) التغليس : السير فى ظلمة آخر الليل (الغلس) . الرصافة : محلة ببغداد .
(٨) خطر الرجل فى مشيته : تبخر (من باب ضرب) وخطر الشيء بالبال من باب دخل ، ويحب
الإزار : كناية عن الكبر والخيلاء .

حجّتي إلى حَجَرِ الصِّرا ة وفي حداثتها اعتماري^(١)
ومواطنُ اللّذاتِ أو طاني ودارُ اللّهُوداري
لم يبق لي عيشٌ يلدُ م سوى مُعاقرة العُقار
حسّني بالحنّ ترا عت بين الحان القسّماري^(٢)
ولإذا استهلّ ابن العميد تضاحكت ديم القطار^(٣)
خرقٌ صفت أخلاقه صفو السبيلك من النّضار^(٤)
فكأنما رُدِفَت موا هبه بأموّج البحار
وكانَ نشرِ حديثه نشرُ الخزامي والعرار^(٥)
وكاننا مما تُفرّ م ق راحته في نثار
كلفٌ بحفظ السرّ يُح سب صدره ليل السرار^(٦)

* * *

إن الكبار من الأمو ر تُنال بالهمم الكبار
وإلى أبي الفضل انبعث ن هواجسُ الشعر السّوّاري^(٧)

فتأخّرت صلته عنه ، فشفع هذه القصيدة بأخرى ، وأتبعها برقعة ، فلم يزده
ابن العميد على^(٨) الإهمال ، مع رقة حاله التي ورد عليها إلى بابه ، فتوسل إلى أن
دخل عليه يوم^(٩) المجلس ، وهو حافل بأعيان الدولة ، ومقدمى أرباب^(١٠)

(١) الصّرا : نهر بالعراق يمر ببغداد . وأغلب الظن أن البقعة التي كان يمر بها هذا النهر كانت ذات منازة وملاء . ح : الصّرات : تحريف .

(٢) القماري : جمع قمرى أو قمرية بضم القاف ضرب من الحمام حسن الصوت .

(٣) استهل : أى ظهر أو أعطى . ديم : جمع ديمة مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . القطار : جمع قطر والقطر المطر واحده قطرة .

سائر النسخ : تطاولت أى تكلفت الطول لتتظر إليه فهو منافس القطر .

(٤) سائر النسخ : مول . بدل « خرق » الخرق : السخى .

(٥) الخزامى والعرار بفتح العين : نباتان طيبا الرائحة .

(٦) سائر النسخ : تحسب بناء في أوله .

(٧) ساقط من ح . وقد جاء البيت على لغة بنى الحارث بن كعب التي يلحقون فيها الفعل علامة تثنية أو جمع إذا كان الفاعل مثنى أو جمعا .

(٨) ح ، د ، هـ : إلا . (٩) ساقطة من سائر النسخ .

(١٠) سائر النسخ : أصحاب .

الديوان ، فوقف بين يديه ، وأشار بيده إليه ، وقال : أيها الرئيس إني قد لزمته لزوم الظل ، وذلت لك ذل النعل ، وأكلت النوى المحرق ، انتظاراً لصلتك فوالله ما بي شيء ^(١) من الحرمان إلا شامة قوم نصحوني فأغشيتهم ، وصدقوني فاتهمتهم ، فبأى وجه ألقاهم ؟ وبأى حجة أقاومهم ؟ ولم أحصل من مديح بعد مديح ، ومن نثر بعد نظم إلا على ندم مؤلم ويأس مسقم ، فإن كان للنجح علامة فأين هي ؟ وما هي ؟ إن الذين تحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتكم ، وإن الذين هجوا كانوا مثلك فزاحم بمنكبك أعظمهم سناماً ، وأنورهم شعاعاً ، وأشرفهم يفاعاً ، فحار ابن العميد ، ولم يدر ما يقول ، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال : هذا وقت يضيق عن الإطالة منك في الاستزادة ، وعن الإطالة مني في المعذرة ، وإذا تواهبتنا ما دفعنا ^(٢) إليه استأنفنا ما نتحامد عليه . فقال ^(٣) ابن نباتة : أيها الرئيس هذه نفثة صدر قد دوى ^(٤) منذ زمان ، وفضلة لسان قد خرس منذ دهر ، والغنى إذا مطّل يستلأم ، فاستشاط ابن العميد وقال : قد ^(٥) والله ما استوجبت هذا العتب من أحد من خلق الله ، ولقد نافرت العميد من دون هذا حتى دفعنا إلى شغب ^(٦) عاتم ، ولجاج قائم ، ولست ولي نعمتي فأحتملك ، ولا صنيعتي فأغضى عنك ، وإن بعض ما أوقرت في مسامعي ، ينقض ^(٧) مرة الحلم ، ويبدد شمل الصبر ، هذا ^(٨) ، ولا استقدمتك بكتاب ، ولا استدعيتك

(١) كذا في ح ، د ، هـ . وفي أ : فوالله ما بي من الحرمان إلا . . . وفي ب : فوالله ما بي الحرمان ولكن شامة . . .

(٢) ح ، د ، هـ : ما دفعناه إليه . تحريف ، ومعنى إذا تواهبتنا ما دفعنا إليه أن ابن العميد إذا تنازل عن موقفه من ابن نباتة وحرمانه . وتنازل ابن نباتة عن إلحاحه في الطلب استأنف كل منهما ما يحمل الموقف محموداً بينهما فيعطى ابن العميد ويرضى ابن نباتة .

(٣) سائر النسخ : قال .

(٤) جميع النسخ : ذوى . ذوى : أصابه الداء .

(٥) ساقطة من ح ، د ، هـ .

(٦) في جميع النسخ : قرى ، ولا معنى لها إلا أن تكون استمارة تهكية وما أثبتناه هو المناسب لكلمة « لجاح » بعده وهو من نسخة الصباح (هامش التبيان) طبعة الشرفية .

(٧) سائر النسخ : ينقض .

(٨) ساقطة من سائر النسخ .

برسول ولا سألتك مديحي ، ولا كلفتك تقرضي^(١) ، فقال ابن نباتة : صدقت أيها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ، ولا استدعيتني برسول ولا سألتني مدحك ، ولا كلفتني تقرضك ، ولكنك جلست في صدر إيوانك بأبهتك ، وقلت لا يخاطبني أحد إلا بالرياسة ، ولا ينازعني خلق في أحكام السياسة ، فأني وزير ركن الدولة ، وزعيم أولياء الحضرة ، والقيم^(٢) بمصالح المملكة ، فكأنك دعوتني بلسان الحال ، وإن لم تدعني بلسان المقال ، فثار ابن العميد مغضباً ، وأسرع في صحن داره إلى أن دخل حجراته ، وتقوض المجلس ، وماج الناس ، وسمع ابن نباتة وهو ماري في صحن الدار يقول : والله إن سف التراب ، والمشى على الجمر ، أهون لنا من هذا ، فلعن الله الأدب إذا كان بائعه مهيناً له ، ومشتريه مُماكساً فيه . فلما سكن غيظ ابن العميد ، وثاب إليه حلمه ، التمس من الغدليعتذر إليه ، ويزيل أثر ما كان منه ، فكأنما غاص^(٣) في سمع الأرض وبصرها ، فكانت حسرة في قلب ابن العميد [إلى أن مات]^(٤) .

قدومه على عضد الدولة

وسار أبو الطيب من بعد ما ودع ابن العميد ومدحه بالقصيدة التي أولها :
نسيتُ وما أنسى^(٥) عتاباً على الصدِّ ولا خفراً زادت به حمرةُ الخدِّ

(١) تقرضي : تقرظي ومدحي . سائر النسخ : قرضي .

(٢) سائر النسخ : المقيم . تحريف .

(٣) ح ، د ، هـ وابن خلكان : غاص .

(٤) ساقطة من أ . وهذا الذي كان من ابن العميد على جلالة قدره وبخائه وحرصه على أن يمدحه

الشعراء عجيب وطلبه ابن نباتة في الغد للاعتذار إليه دليل على شعوره بخطئه ، وانظر هذا الخبر في ترجمة ابن العميد من وفيات الأعيان لابن خلكان .

(٥) كذا في أ ، ب والديوان . ح ، د ، هـ : ولم أنس . يقول : نسيت كل شيء ولا أنسى

ما جرى بيني وبين الحبيب من العتاب على الصدود وما غشيه عند ذلك من الحياء الذي زادت به حمرة وجهه . العرب تذكر ما جرى بينها وبين الحبيب عند الوداع كقول الآخر :

ولست بناس قولها يوم ودعت	وقد رحلت أحبالنا وهي وقفت
ألست على العهد الذي كان بيننا	فلسنا وحق الله عن ذاك نصرف
فقلت لها حفظي لعهدك متلف	ولولا حفاظ العهد ما كنت ألتف

وكقول الآخر :

ولم أنس توديعي لهم وحداتهم	ترحلهم فوق المطى المخزم
وقوفي وراء الحى سرا وبيننا	حديث كنشر المسك حين يجمعهم
ترشفت من فيها رضاباً كأنه	سلافة خمر من إناء مقدم
مبرقة كالشمس تحت سحابة	أو البدر في جنح من الليل مظلم

قاصدا أبا شجاع عضد الدولة^(١) وهو بشيراز^(٢) ، وأنشده القصيدة التي أولها :

أوه بديل من قَوْلتي واهما لمن نأت والبديل ذكرها^(٣)
وقد رأيتُ الملوك قاطبةً وسرتُ حتى رأيتُ مولاها
قيل لما سمع سيف الدولة هذا البيت قال أترأه أدخلنا في هذه الجملة ؟
ومنها^(٤) :

ومن منايهم براحتهم يأمرها فيهم وينهاها
أبا شجاع بفارس عضد الدِّم ولة فتنًا خسرو شهَنشاه^(٥)
أسامياً لم تزدَه معرفةً وإنما لذةً ذكرناها

تذكرتُ بهذا البيت ما نقله بعض أئمة الأدب : أن رجلاً من مدينة السلام كان يكرهُ أبا الطيب المتنبي ، فألى على نفسه ألا يسكن مدينةً يُذكر بها أبو الطيب ، ويُشددُ كلامه ، فهاجر من مدينة السلام ، وكان كلما وصل بلدًا يسمعُ بها ذكره يرحلُ عنها ، حتى وصل إلى أقصى بلادِ الترك ، فسأل أهلها عن أبي الطيب فلم يعرفوه ، فتوطنها ، فلما كان يوم الجمعة ذهب إلى صلاتها بالجامع ، فسمع الخطيب يُنشدُ بعد ما ذكر أسماء الله الحسنى أسامياً لم تزدَه معرفةً وإنما لذةً ذكرناها

(١) عضد الدولة هو أبو شجاع فتنًا خسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن أبي شجاع بويه الديلمي من أعقاب سابور ذي الأكتاف ونسبهم معروف في ملوك بني ساسان . وأول من تملك من آل بويه عماد الدولة عم عضد الدولة وهو أحد ثلاثة إخوة ملكوا كلهم وكان أبوهم صياداً ليست له معيشة إلا من صيد السمك .

قال ابن خلكان في ترجمة عضد الدولة لما مرض عمه عماد الدولة بفارس أثناء أخوه ركن الدولة واتفقا على تسليم فارس إلى أبي شجاع فناخسرو بن ركن الدولة فتسلمها بعد عمه سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة وتلقب بعض الدولة وهو أول من خوطب بالملك في الإسلام وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة وكان أديباً شاعراً محباً للفضلاء مشاركاً في عدة فنون ، وقصده فحول الشعراء في عصره ومدحوه بأحسن المدائح .
(٢) شيراز : عاصمة بلاد فارس إذ ذاك .

(٣) أوه : كلمة توجع . واهما : كلمة تعجب واستطابة ، والبيت الذي بعد هذا ليس تالياً له في القصيدة .

(٤) ساقطة من سائر النسخ .

(٥) شهَنشاه : ملك الملوك ، وهو لقب بني بويه .

فعاد إلى دار السلام . ومن القصيدة :

لو فطنتُ خيلنهُ لئالتهُ لم يُرضِها أن تراه يرضاهُ
هذا البيتُ له معنيان : أحدهما أن خيله لو علمت مقدار عطاياه لما رضيت
له أن تكون من جملتها لأنها أنفسُ منها ، والثاني لم ترض لأنه إذا ملكها وهبها .
ومنها (١) :

تُشرقُ تيجانهُ بغرتهُ إشرافُ ألفاظه بمعناها
دان له شرقها ومغربها ونفسه تستقل دنيها
تجمعتُ في فؤاده هممٌ مِلءُ فؤاد الزمان لإحداها

وحكى عبد العزيز بن يوسف الجرجاني وكان كاتب الإنشاء عند عضد
الدولة عظيم المتزلة منه قال : لما دخل أبو الطيب المتنبي مجلس عضد الدولة ،
وانصرف عنه ، أتبعه بعض جلسائه ، وقال له : سله كيف شاهد مجلسنا ؟ وأين
الأمراء الذين لقيهم منا ؟ قال : فامثلت أمره ، وجاريت المتنبي في هذا الميدان ،
وأطلت معه عنان القول ، فكان جوابه عن جميع ما سمعه مني أن قال : ما خدمتُ
عيناى قلبي كالיום ، ولقد اختصر اللفظ وأطال المعنى وأجاد فيه ، وكان ذلك
منه أوكد الأسباب التي حظي بها عند عضد الدولة . وكان أبو على الفارسي إذ
ذاك بشيراز وكان ممر المتنبي إلى دار عضد الدولة على دار أبي على الفارسي ،
وكان إذا مر به أبو الطيب يستقله على قبح زيه ، وما يأخذ به نفسه من الكبرياء ،
وكان لابن جنى هوى في أبي الطيب ، كثير الإعجاب بشعره ، لا يبالي بأحد يذمه
أو يحط منه ، وكان يسوءه إطناب أبي على في ذمه ، واتفق أن قال أبو على يوماً
اذكروا لنا بيتاً من الشعر نبحت فيه ، فبدأ ابن جنى وأنشد :

حُلَّتْ دون المزار فالיום لوزر تِلْحال النحولُ دون العِناقِ (٢)

فاستحسنه أبو على ، واستعاده ، وقال لمن هذا البيت ؟ فإنه غريب المعنى ،
فقال ابن جنى : للذي يقول :

(١) ساقطة من أ ، ب .

(٢) هذا البيت من قصيدة مطلعها : أتراها لكثرة العشاق . . . يمدح بها أبا العشائر وقد سبق
الكلام عنها .

أزورهم وسوادُ الليل يشفعُ لي وأنثى وبياضُ الصبح يُغري بي (١)
 فقال والله هذا حسن (٢) بديع جداً ، فلمن هما ؟ قال للذي يقول :
 أمضى إرادته فسوف له قدٌ واستقرب الأقصى فثَم له (٣) هُنا
 فكثُر إعجابُ أبي علي ، واستغرب معناه ، وقال لمن هذا ؟ فقال ابن جني :
 للذي يقول :

ووضعُ الندى في موضع السيف بالعللا مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى
 فقال وهذا حسن (٤) والله ، وقد (٥) أطلت يا أبا الفتح ، فأخبرنا من القائل ؟
 قال هو الذي لا يزال الشيخُ يستقله ، ويستقبِحُ زِيَّه وفعلَه ، وما علينا من القشورِ
 إذا استقام اللبُّ ؟ قال أبو علي : أظنك تعني المتنبي ؟ قلت نعم .
 قال والله لقد حببته إليّ ، ونهض ، ودخل على عضد الدولة ، فأطال في
 الثناء على أبي الطيب ، ولما اجتاز به استترله ، واستنشهده ، وكتب عنه أبياتاً من
 الشعر .

قال الربيعي : كنتُ يوماً عند المتنبي بشيراز ، فقيل له أبو علي الفارسي
 بالباب ، وكانت تأكدتُ بينهما المودة ، فقال (٦) بادروا إليه فأنزِلوه ، فدخل
 أبو علي وأنا جالس عنده ، فقال يا أبا الحسن خذ هذا الجزء ، وأعطاني جزءاً من

(١) من قصيدة يمدح بها كافورا مطلعها :

« من الحاذِر في زِي الأعراب »

قال صاحب اليتيمة : هذا البيت أمير شعره ، وفيه تطبيق بديع ولفظ حسن ومعنى بديع جيد ، وهذا البيت
 قد جمع بين الزيارة والانشاء والانصراف ، وبين السواد والبياض ، والليل والصبح ، والشفاعة والإغراء ،
 وبين لي وبني ، ومعنى المطابقة أن تجمع ضدين كهذا ، وقد أجمع الحذاق بمعرفة الشعر والنقاد أن لأبي الطيب
 نوادر لم تأت في شعر غيره منها هذا البيت ومنها :

ووضع الندى في موضع السيف بالعللا (الآتي)

ومنها :

واحتمال الأذى ورؤية جانيه ه غداء تضيء به الأجسام

وغير ذلك كثير . وللدكتور طه حسين رأي في البيت السابق سبرد عليك .

(٢) كذا في ١ ، د . وفي ب ، ح ، ه : أحسن .

(٣) ح ، د ، ه : إلى . تحريف ، والبيت من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار مطلعها :

« الحب ما منع الكلام الألسنا »

(٤) سائر النسخ : أحسن .

(٥) كذا في ١ ، ب . سائر النسخ : لقد .

(٦) كذا في ١ ، ب . سائر النسخ : قال .

كتاب التذكرة ، وقال : اكتب عن الشيخ البيتين اللذين ^(١) ذكرتك بهما وهما :
 سأطلبُ حتى بالقنا ومشايخ كأنهمُ من طُول ما التُموا مُردُ
 ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دُعوا كثير إذا شدُّوا قليل إذا عُدُّوا ^(٢)
 ومن مدائح أبي الطيب في عضد الدولة القصيدة التي يذكر فيها شيع
 بـوان ^(٣) وأولها :

مغانى الشَّعبِ طيِّباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان
 ولكنَّ الفتى العربيَّ فيها غريبُ الوجه واليدِ واللسان
 ملاعبُ جِنَّةٍ لو سار فيها سليمانُ لسار بِتَرْجُمان
 فلما وصل إلى قوله :

فسرَّتُ وقد حجبَ الشمس عني وجئن من الضياء بما كفاني
 وألَّتى الشرقُ منها في ثيابي دنائيراً تفرُّ من البنان
 فقال ^(٤) عضدُ الدولة واللَّهِ لأُقرَّنها ^(٥) وفعل :

لها ثمر تشيرُ إليك منه بأشربة وقفن بلا أوان
 وأمواهُ يَصِلُ ^(٦) بها حصاها صليل الحلي في أيدي الغواني
 ومنها ^(٧) :

تَحِلُّ به على قلبٍ شجاعٍ وترحلُ منه عن قلبٍ جبانٍ ^(٨)

(١) ١ : الذي . خطأ . ب : اللذين . خطأ

(٢) البيتان من قصيدة للمتنبي يمدح بها محمد بن سيار بن مكرم التميمي أولها :
 أفل فعلى بله أكثره مجد وإذا الجد فيه نلت أو لم أفل جد

(٣) شعب بوان : أحد نزه الدنيا الأربع وجناتها وهي : غوطة دمشق ونهر الأبله وصغد سمرقند
 وكان المتقدمون يضرِّبون بكل منها المثل في الحسن والطيب وجمال المنظر ، وشعب بوان يقع بالقرب من مدينة
 شيراز في بقعة خضرة الجنان ملتفة الأغصان لا تكاد الشمس تقع على كثير من أرضها ولا تبصر العين فيها
 إلا ماء وخضرة وبهاء ونضرة وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وبه لهج الشعراء فأكثر وا فيه القول .

(٤) فقال : جواب لما ، ولا معنى لزيادة الفاء .

(٥) أى في يدك .

(٦) الديوان : تصل .

(٧) ساقطة من ح ، د ، هـ .

(٨) الضمير : به ومنه يعود على الممدوح (عضد الدولة) ومعنى البيت أنك إذا حللت بهذا
 الممدوح حللت بشجاع جرىء على القرى وإذا فارقت فارقت إنساناً يحزن لفراقك ويخافه .

وَمَنْ بِالشَّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ
وقد يتقاربُ الوصفانِ جداً
يقولُ بشعبِ بوانِ حصاني
أبوكم آدمُ سنَّ المعاصي
[إلى أن قال] (١) :

فلو طُرحتْ قلوبُ العشقِ فيها
ولم أر قبله شَيْباً (٣) هزبري
أشدَّ تنازعاً لكرمِ أصلٍ
وأكثرُ في مجالسه استماعاً
وأولُ رَأْيَةٍ رَأياً (٥) المعالي
وأولُ لفظَةٍ فهِماً وقِلاً
وكنْتَ الشمسُ تبهرُ كلَّ عينٍ
فعاشا عيشةَ القمرينِ يُحيا
ولا مَلَكاً سوى مُلكِ الأعادي
وكان ابنا عدو كاثراه
لما خافتُ من الخدقِ الحسانِ (٢)
كشليله ولا مُهرى رِهانِ
وأشبهَ منظراً بأبِ هِجانِ (٤)
فلانُ دقَّ رُحماً في فلانِ
فقد علقا بها قبل الأوانِ
إغاثَةُ صارخٍ أوفكُ عاني
فكيف وقد بدتْ معها اثنتانِ
بضوئيهما ولا يتحاسدانِ
ولا وريثاً سوى مَنْ يقتلانِ
له ياءى حروفِ أنيسيانِ (٦)

(١) زيادة ليست في جميع النسخ زدناها لأن الأبيات غير متتالية .

(٢) يشير في هذا البيت إلى درجة استتباب الأمن في بلاد عضد الدولة فيقول : إن قلوب العشاق لو طرحت فيها لأمنت على نفسها من العيون الحسان وهذا معنى جميل وتصوير حسن .

(٣) ح : سيل . د ، ه : شبل ، وكلاهما تحريف .

(٤) هجان : خالص كريم .

(٥) سائر النسخ : رأى . تحريف . رَأْيَةٍ : اسم مرة من رأى ومعنى البيت أن أول شيء رآه هو المعالي فقد عشقها قبل أن يلقا أوان العشق .

(٦) والأبيات من قوله : ولم أر قبله . . . إلى هذا البيت في مدح ولدى عضد الدولة : أبي القواريس وأبي دلف . قال ابن جني : حدثني علي بن حمزة البصري قال : كنت حاضراً بشيراز وقت عرضه لهذه القصيدة وقد سئل عن معنى هذا البيت : وكان ابنا عدو كاثراه . . . قال فالتفت إلي وقال لو كان صديقنا أبو فلان حاضراً لفسره يعني بهذه الكنية . قال ابن جني وقال لي يوماً أظن أن عنايتي بهذا الشعر مصروفة إلى من أمدح به؟ ليس الأمر كذلك لو كان لم لكفاهم منه البيت ، قلت فلمن هي ؟ قال هي لك ولأشبهك .

أى زيادةٌ أولاد عدوك كزيادة التصغير ، فإنه زيادة نقص ، وقد ابتدع هذا المعنى دعاءً كالثناء بلا رياء ^(١) يؤديه الجَنَان إلى الجَنَان

ومن قصائده فى عضد الدولة القصيدة التى أولها :

اثلتُ فإنما أيها الظللُ نَبكى وترزيمُ تحتنا الإبلُ ^(٢)
ومنها ^(٣) :

قالت ألا ^(٤) تصحو فقلتُ لها أعلمتني أن الهوى ثمل
ومنها ^(٥) :

قدرُوا عَقَوًا وعدوا وفَوَاسُطُوا أغنوا عَدَوًا أعلوا ولُوا عدلوا
فوق السماء ^(٦) وفوق ما طلبوا فإذا ^(٧) أرادوا غايةً نزلوا
أخذه من قوله ابن الرومى وهو قوله :

نزلتم على هام المعالى إذا ارتقى إليها أناسٌ غيرُكم بالسلام

وذاك ^(٨) بعض المعنى الذى تضمنه قول ابن الرومى ، لأنه قال : إنكم نزلتم على هام المعالى ، وأن غيركم يرقى إليها رُقيًا ، وأما المتنبي فإنه قال إنكم إذا أردتم

(١) فى الديوان : رثاء .

(٢) اثلت : كن ثالثًا ، تقول : ثلث الرجلين أى صرت ثالثهما .

ترزم : من الإِرْزَام وهو الحنين . يخاطب ظلل الأحبة ، فيقول : نحن نبكى عندك ، والإبل تحن كأنها تبكى أيضاً ، فكأن أنت أيها الظلل ثالثنا ، وفيه نظر إلى قول البحارى :

اطلبنا ثالثًا سوى فاني رابع العيس والدجى والبيد

وأخذ التهامى معنى أبى الطيب فقال :

بكيت فحنت ناقتي فأجابها صهيل جيادى حين لاحت ديارها

وهذا المطلع من مطالع المتنبي المستكره .

(٣) ساقطة من ح ، د ، هـ .

(٤) ح ، د ، هـ : أما .

(٥) ساقطة من ح ، د ، هـ .

(٦) كذا فى ح ، د ، هـ . ويؤيده ما يقوله المؤلف بعد فى الموازنة بين قول ابن الرومى والمتنبي .

١ ، ب والديوان : السماء .

(٧) كذا فى الديوان . سائر النسخ : فإن .

(٨) هـ : وذلك .

غايةً نزلتم ، وأما قوله فوق السماك فإنه يغنى عنه قول ابن الرومي نزلتم على هام المعالي
إذ المعالي فوق كل شيء لأنها^(١) مختصة بالعلو مطلقاً . وقال يعزى عضد الدولة
بعمته ، وقد توفيت ببغداد ، وورد عليه الكتاب بشيراز بالقصيدة التي أولها :

آخرُ ما المملِكُ مُعزَّى به	هذا الذى أثر فى قلبه
لا جَزَعاً بل أنفًا شابهُ	أن يتقدّر الدهرُ على غَصْبِهِ
لو درت الدنيا بما عنده	لاستحييت الأيامُ من عَتَبِهِ
لعلها تحسب أن الذى	ليس لديه ليس من حزبه
نحن بنو الموتى فما بالناس	نعافُ ما لا بُدَّ من شربه
لو فكر العاشقُ فى منتهى	حُسن الذى يسيه لم يسْئِهِ ^(٢)
يموت راعى الضأن فى جهله	موتة جالينوس فى طِبِهِ ^(٣)
استغفر الله لشخص مضى	كان نداه منتهى ذنبه
يحسبه دافنه وحده	ومجده فى القبر من صحبه
ما كان عندى أن بدر الدجى	يُوحِشُه المفقودُ من شُبهه

وقال يودعه وهى آخر شعره ، وفى أثنائها كلام جرى على لسانه كأنه يتنعى
فيه نفسه وهى من محاسن ما يؤتى به فى معنى الوداع وأولها :

فِدَى لكَ مَن يُقْصِرُ عَن مَدَاكَ فَلَ مَمْلِكٍ إِذْنٌ إِلَّا فَدَاكَ
إلى أن قال :

أروحُ وقد ختمت على فؤادى	بجبتك أن يحلَّ به سواكا
وقد حملتني شكراً طويلاً	ثقيلاً لا أطيق به حرّاًكا ^(٤)
أحاذر أن يسْئُقَّ على المطايا	فلا تمشى بنا إلا سِواكا ^(٥)

(١) ١ ، ب : لأنه . تحريف .

(٢) هذا البيت من أحسن الكلام الذى يعجز عن مثله المجيدون وهو من قول الحكيم : النظر فى
عواقب الأشياء يزيدها فى حقائقها ، والعشق عمى الحس عن درك رؤية المعشوق .

(٣) كنى براعى الضأن عن الجاهل ، وبجالينوس الطبيب عن الطبيب الحاذق .

(٤) مثله لأبي نواس :

قد قلت للعباس معتذراً من ضف شكرك به ومعتزلاً
لا تسدين إلى عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفاً

(٥) السواك : مشى ضعيف من مشى الإبل المهازيل الضعاف .

لعل الله يجعله رحيلاً يُعينُ على الإقامة في ذَرَاكَ^(١)
لما أنجحت سفرته ، وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة ، ووصل^(٢) إليه
من صلاته أكثرُ من مائتي ألف درهم استأذنه في المسير عنها ، ليقضى حوائج في
نفسه ، ثم يعود إليها ، فأذن له ، وأمر بأن يُخلع عليه الخلعُ الخاصة ، وتعادَ
صلتهُ بالمالِ الكثير ، فامتثل ذلك ، وأنشده^(٣) هذه القصيدة ، وفي أثنائها
كلام ينعى فيه نفسه وإن لم يقصده كما قدمنا ، فنه^(٤) قوله :

فلو أنى استطعت خفصتُ طرقي فلم أبصر به حتى أراكا
وهذه لفظة^(٥) يتطير منها :

أرى أسنى وما سِرنا شديداً فكيف إذا غدا السيرُ ابتراكا^(٦)
وهذا الشوقُ قَبْلَ البين سيفٌ وهأنا ما ضُربتُ وقد أحاك^(٧)

(١) الذرا : الكتف والناحية وهو من قول الطائي :

آلفة النحيب كم افتراق أظل فكان داعية اجتماع

ولست فرحة الأوباء إلا لموقوف على ترح الوداع

ولمعرفة بن الزبير : تقول سليبي لو أقمت بأرضنا ولم تدر أنى للمقام أطوف .

(٢) زدنا الواو قبل الفعل : « وصل » ليستقيم الأسلوب .

(٣) = : وأنشده .

(٤) ب : فن قوله . = ، د ، هـ : كقوله

(٥) يقصد : « فلم أبصر به » وقد نقله من قول أبي النجم :

لما تيقنت أنى لا أعاينكم غصصت طرقي فلم أبصر به أحداً

ومن قول مسلم :

إن يحجبوها عن العيون فقد حجبت طرقي لها عن البشر

(٦) الابتراك : سرعة السير ، والبيت من قول أشجع :

فهائت تبكى وهم جيرة فكيف تكون إذا ودعوا

لقد صنعوا بك ما لا يحل ولو راقبوا الله لم يصنعوا

أنطعم في العيش بعد الفراق محال لعمرك ما تطمع

ومثله لآخر :

لقد كنت أبكى خيفة لفراقه فكيف إذا بان الحبيب وودعا

ومثله لسحيم :

أشوقاً ولما يمض لى غير ليلة فكيف إذا غب المطى بنا عشراً ؟

(٧) أحاك : أثر .

إذا التوديع أعرض قال قلبي عليك الصمت لا صاحبت فاكاً^(١)
وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

ولولا أن أكثر ما تمنى معاودة لقلت ولا مناك

أى لولا أن أكثر ما تمنى قلبي أن يعاودك لقلت له ولا بلغت منك . ومنه :
قد استشفيت من داء بسداء وأقتل ما أعلت ما شفاكاً^(٢)
أى قد أضمرت يا قلب شوقاً إلى أهلك ، فكان ذلك داء لك ، فاستشفيت
منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقتة داء لك أيضاً أعظم من داء شوقك إلى
أهلك ، فكانك تدأويت من فراقه بما هو أقتل لك من مكابدة الشوق إلى أهلك ،
وهذا شبيهه^(٣) قول النبي صلى الله عليه وسلم (كفى بالسلامة داءً) . ومنها^(٤) :
فأستر منك نجواناً وأخفى هموماً قد أطلت لها العراكا
إذا عاصيتها كانت شديداً وإن طاعتها كانت ركاكاً^(٥)
ومنه^(٦) :

وكم دون الثوبة من حزين يقول له قدوى ذا بذاك
الثوبة من الكوفة . يقول له قدوى ذا بذاك : أى هذا القدوم بتلك الغيبة ولك
هذا السرور بذلك الحزن . ومنه :
ومن عذب الرضاب إذا أنحنا يُقبل رحل تُروك والوراك
تُروك : اسم ناقة لم يرمثلها لعضد الدولة أمر له^(٧) بها^(٨) ، والوراك
شئ يتخذ الركب كالحلدة تحت وركه .

(١) عليك الصمت : اسكت لا تتكلم بالدواع أولاً تملح غيره .

لا صاحبت فاك : دعاء وهو ما يتطير منه .

(٢) هو منقول من قول حميد بن ثور الهلالي :

أرى بصرى قد رابني بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما

(٣) = : يشبه . (٤) ساقطة من ب

(٥) الركاك : الفصاف مفردا ركيك .

(٦) ساقطة من سائر النسخ .

(٧) « أمر له » ساقطة من = ، ه .

(٨) = : به . . تحريف .

يُحَرِّمُ أَنْ يَمَسَّ الطَّيِّبَ بَعْدَى وَقَدْ عَلَّقَ^(١) الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَ
وهذا أيضاً منه :

وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ طَيِّبٍ^(٢) وَيَمْنَحُهُ الْبِشَامَةَ^(٣) وَالْأَرَاكَ
يُحَدِّثُ مَقْلَتَيْهِ النَّوْمُ عَنِ فَلَيْتَ النَّوْمِ حَدَّثَ عَنْ نَدَاكَ^(٤)
وَمَا أَرْضَى لِمَقْلَتِهِ بِحُلْمٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَوْهَمُهُ ابْتِشَاكَ^(٥)
وَلَا إِلَّا بِأَنْ يُصْنَى وَأُحْكِي فَلَيْتَكَ لَا يَتِيَمَةُ هَوَاكَ^(٦)
ومنه^(٧) :

وَفِي الْأَحْيَابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدِ^(٨) وَآخِرُ يَدْعَى مَعَهُ اشْتِرَاكَ
إِذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودِ تَسِينُ مَنْ بَكَى مِنْ تَبَاكِي
فَزُلْ يَا بَعْدُ عَنْ أَيْدِي رِكَابِ لَهَا وَقَعُ الْأَسْنَةُ فِي حَشَاكَ^(٩)
هذه استعارة حسنة لأنه خاطب البعد وجعل له حساً .
وَأَيَّاءُ شَتَّ يَاطُرُقُ فَكُونِي أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكَ^(١٠)
جعل قافية البيت الهلاك فهلك ؛ وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور

(١) الديوان : عبق . صاك به : لزع ، والمعنى أن هذا الشخص لا يمس طيباً بعدى حزناً على فراق
وهو مع ذلك طيب الرائحة كأن العبير قد لصق به .

(٢) الديوان : صب .

(٣) : السآبة . تحريف . د ، ه والديوان : البشامة ، البشامة واحدة البشام وهو شجر يستاك به
كالأراك . يصفه بالعفة والصون ؛ يصون ثغره عن العشاق ويذله للسواك المتخذ من هذين الشجرين .

(٤) المعنى أنه إذا نام رأى خيالي في النوم فكأنه قد حدثه عني فليت نومه حدثه عن إحسانك إلى
حتى يعذرن في الإقامة عنك .

(٥) الابتشاك : الكذب . المعنى أنه لا يرضى إلا بأن يراه في اليقظة على ما وصف له الحلم .

(٦) أي ولا أرضى إلا بأن يصننى إلى وأحدثه عن إحسانك وصفاتك وإذا كان ذلك فليته لا يصير
متيهاً يحبك فينصرف عني .

(٧) ساقطة من ح . د ، ه : ومنها .

(٨) ب : بود .

(٩) معنى البيت : يخاطب البعد فيقول له : تنح عن أيدي مطاياانا ، فإنه لا ثبات لك أمامها
لأنها تخرقك وتنفذ منك كما تخرق الرماح الأحشاء .

(١٠) قيل : إن عضد الدولة قال : تطيرت عليه من تركه النجاة بين الأذاة والهلاك . وروى البيت :
وأي شئت . . .

مال ، فلما فارق أعمال فارس حَسِبَ أن السلامة تستمرُّ به كاستمرارها في مملكة
عضد الدولة قُتِل ، كما سنشرحه . ومنها :

أذمتْ مكرماتُ أبي شجاع لعيني من نوى على ألاكا^(١)
ومنْ أعتاضُ عنك إذا افترقنا وكلُّ الناس زورٌ ما خلاكا
وما أنا غيرُ سهم في هواء يعود ولم يسجدْ فيه امتساكا^(٢)

كيف قتل المتنبي قال الخالديان كُنَّا كتبنا إلى أبي نصر محمد الجسَّلي^(٣) نسأله عما صدر
لأبي الطيب المتنبي بعد مفارقه عضد الدولة ، وكيف قُتِل ؟ وأبو نصر هذا من
وجوه الناس في تلك الناحية ، وله فضل ، وأدبٌ جزل ، وحرمة ، وجاه ، فأجابنا
عن كتابنا جواباً طويلاً يقول في أثناثه : وأما ما سألتها عنه من خبر مقتل أبي الطيب
المتنبي فأنا أسوقه لكما ، وأشرحه شرحاً بيناً :

اعلمنا أن مسيره كان من واسط في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت
من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، وقتل يضيعة^(٤) تقرب من دير
العاقول في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، والذي تولى قتله ، وقتل
ابنه وغلامه ، رجلٌ من بني أسد يقال له فاثك بن أبي جهل بن فراس

(١) أذم له منه : أخذه اللمة وهي العهد والجوار . وأذم له على فلان : إذا أخذ له اللمة ليجيره
منه . ألاك : اسم إشارة بمعنى أولئك وهو إشارة إلى دموع المتباكي . والمعنى : أن مكرمات الممدوح
أخذت لعيني عهداً من البعد أن تكون في مأمن من دموع المتباكي . أي أن مكرماته تمنع عيني أن تجرى على
فراقه دموعاً كاذبة لأنه قد ملك قلبه بإحسانه فهو يبكي عن وجد لا عن تكلف . وهذا البيت في الديوان
قبل البيت السابق له .

(٢) يشير في البيت السابق إلى أنه ينوى الرجوع إليه وفي هذا البيت يقرر هذا المعنى فيقول :
أنا في انطلاق من عندك وسرعة عودي إليك كالمهم إذا رى به في الجوف فإنه لا يصادفه ما يمسه هناك
فلا يلبث أن ينقلب ويعود إلى الأرض .

ونعود فننبه على أن مدح المتنبي عضد الدولة كمدحه كافورا لم يكن عن عاطفة صادقة لأن هواه كان
دائماً مع سيف الدولة ولأن عضد الدولة من هؤلاء الأعاجم الذين كان المتنبي لا يرى استحقاتهم للسلطان ،
وينقم منهم غصبهم سلطان العرب ، وهو إن أجاد أحياناً فإنما كان ذلك لنزعته الأدبية ولأنه كما يقول
لابن جني أنظن أن عنايتي بهذا الشعر مصروفة إلى من أمدحه به ؟ ليس الأمر كذلك لو كان لهم الكفاهم
منه البيت ؛ ولما سأله ابن جني : لمن هو ؟ قال هو لك ولأشباhek ولذلك نرى في مدحه عضد الدولة كلاماً
يحتمل الوجهين كما هو الشأن في مدح كافور وإن كان ما وقع له مع عضد الدولة من هذا قليلاً .

(٣) نسبة إلى « جبل » بفتح الجيم وضم الباء المشددة بلدة على شاطئ دجلة .

(٤) يقال لها : بيوزى كما في معجم البكري .

ابن بدّاد^(١) . وكان من قوله لما قتله وهو متعفّرٌ : قبحاً لهذه اللحية ياسبّاب .
وسبب ذلك أن فاتكا^(٢) هذا خالُ ضبة أخو والدته . وضبة هو ابن يزيد العيني^(٣)
الذي هجاه أبو الطيب بقوله :

ما أنصفَ القومُ ضبّةً	وأَمّه الطرطُبةَ ^(٤)
وإنما قلتُ ما قلّ	تُ رحمةٌ لا محبةٌ ^(٥)
وما عليك من القّة	لِإنما هي ضربه
وما عليك من العا	رِ أن أمك قبحه
وما يشق على الكلا	ب أن يكون ابن كلبه
ما ضرها من أتاها	وإنما ضرَّ صلبه
ولم ينكها ولكن	عجانها ناك زُبّه
يا أطيب الناس نفسا	وألين الناس رُكبه
وأرخص الناس أما	تبيع ألفنا بحبّه
كل الأيور سهام	بأمه وهي جعّبّه
وما على من به الدأ	ءُ من لقاء الأظبة .

(١) كذا في جميع النسخ . وفي العرف مع أنه نقل عن الصباح : شداد .

(٢) ح ، د ، هـ : كان مكان : هذا ، وهذه الكلمة لا تستقيم مع قوله بعد : أخو والدته .

(٣) صوابه : العتيبي كما في شرح الواحدي ومعجم البكري في رسم الصافية وكان من قصة هذا الرجل أن قوماً من أهل العراق قتلوا أباه يزيد وسبوا امرأته أم ضبة ، وكان ضبة غداراً بكل من نزل به ، واجتاز به أبو الطيب في جبهة من أشراف الكوفة فامتنع منهم وأقبل يجاهر بشتهم ، فأرادوا أن يجيبوه بمثل ألفاظه القبيحة ، وسألوا ذلك أبا الطيب فتكلفه لهم على كراهة ، وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه .

وفي تقديم بعض نسخ الديوان لهذه القصيدة أن ضبة هذا كان يشتهم أقيح شتم ويسمى أبا الطيب باسمه ، ويقول ابن جني : « ورأيت (أي أبا الطيب) وقد قرئت عليه القصيدة وهو يتكره إنشادها » .
ذلك أنه أفحش في هجائه غاية الإفحاش ، وعدد أبياتها ٣٩ ذكر منها المؤلف ١١ بيتاً .
(٤) الطرطبة : المسترخية الثديين .

(٥) أي إنما قلت : ما أنصفوك رحمة بك لما أصابك من الذل والعار لا محبة لك وغيره عليك .
مثل هذا الشعر يأتي بعض الأدباء نشره ، لأنه يمس الأخلاق ، وبعضهم يرضى أمانة النقل ،
فيرويه وينشره ، ونأثرو ديوان المتنبي لم يروا بأساً في نشر هذه القصيدة كاملة ، ومن هذا الرأي الشيخ
يوسف البديعي الذي رضى أن يروي هذه الأبيات . وهذا هو الثعالبي صاحب اليتيمة يقول في ج ١ ص ٢٧٣
مناسبة ما رواه من شعره في مجون لأبي الرقعمق ، وكان بالشام يشبه ابن حجاج بالعراق : « أشار علينا بعض

فيقال إن فاتكا داخلته الحمية لما سمع ذكرها^(١) بالقبح في هذا الشعر ، وما للمنتبى أسخف من هذا الشعر ، ولا أوهى كلاماً^(٢) ، فكان مع^(٣) سخافته وركاكته سبب قتله ، وقتل ابنه وغلماؤه وذهاب ماله .

وأما شرح الخبر فإن فاتكا صديق لى ، وهو (كما سُمى) فاتك ، لسفكه الدماء ، وإقدامه على الأهوال في مواقف القتال . فلما سمع الشعر الذى هُجى به ضبة اشتد غضبه ، ورجع على ضبة باللوم ، وقال له : كان يجب ألا تجعل لشاعر عليك سيلاً ، وأضمر غير ما أظهر ، واتصل به انصراف المنتبى من بلاد فارس ، وتوجهه إلى العراق ، وعلم أن اجتيازه يجبل دبر العاقول ، فلم يكن ينزل عن فرسه ، ومعه جماعة من بني عمه رأيهم في المنتبى مثل رأيه ؛ من طلبه واستعلام خبره من كل صادر ووارد ، وكان فاتك خائفاً أن يفوته ، وكان كثيراً ما ينزل عندى ، فقلت له يوماً وقد جاءنى وهو يسأل^(٤) قومًا مجتازين عن المنتبى : قد أكثرت المسألة عن هذا الرجل . فأى شيء تريد منه إذا لقيتَه ؟ فقال ما أريد إلاّ الجميل ،

== الأدباء بتر أمثال هذه القطع التي يحى فيها فحش ومجون لأنه خروج عن الأدب ، ومفسدة للأخلاق . وقد اختلفت آراء العلماء في مثل هذا ، ولكننا نرى أن علم الأدب غير علم الأخلاق ، وأن الأدب يتناول العواطف الإنسانية عامة ، لا يفرق بين شريفها ونحسها ، فلا حرج عليه إذا عرض لهذه العاطفة يصورها ، ولا حرج على الثعالبي إذا رواها في كتابه الذى يصف أدباء عصره ، ولا حرج علينا إذا نحن نشرنا الكتاب على أصله ، وراعينا أمانة العلم وحرمة التاريخ معاً ، فلم ننقص من الكتاب شيئاً ، وإن كنا نوافق الأخلاقيين ، وننكر معهم هذا اللون من الأدب ، على أننا حين نبيح لأنفسنا إثبات هذا اللون لا نظننا خرجنا عن طريق السلف حين أثبتوا في كتبهم ومؤلفاتهم كل ما قاله الأدباء والشعراء في هذه الناحية ، وحسب الناقد نظرة في أمهات كتب العربية ، فليس الثعالبي وحده هو الذى تفرد بوضع المجون في كتابه ، بل ربما كان أبعد المؤلفين الإسلاميين عن الإسراف والغلو فيه .

(١) كذا في أ ، ب . ح : ذكر أخته ، على أن الضمير يعود على فاتك . د ، هـ : ذكر أمه على أن الضمير يعود على ضبة .

(٢) حقاً إن هذا الشعر ليس من طراز شعر المنتبى فعולה وجزالة ، ولعله لم ير المقام مقام جد يستحق ذلك كما هي عادته .

(٣) سائر النسخ : (من) مكان (مع) .

هـ . يجبل دبر العاقول : ربما كانت محرفة عن جهة أو حيال لأن دبر العاقول ليس به جبل (ذكرى المنتبى لعزام) .

(٤) ح ، د ، هـ : سائل .

وعذلة^(١) على هجاء ضبة، فقلت له : هذا لا يليق بأخلاقك ، فتضاحك ثم قال : يا أبا نصر والله لئن اكتحلْتُ عيني به أوجمعتني وإياه بقعة^(٢) لأسفكن دمه ، ولأمحقن^(٣) حياته إلا أن يحال بيني وبينه^(٤) ، قلت له كف^(٥) — عافاك الله — عن هذا القول ، وارجع إلى الله ، وأزل^(٦) هذا الرأي عن^(٧) قلبك ، فإن الرجل شهير الاسم ، بعيد الصيت ، ولا يحسن^(٨) منك قتله على شعر قاله ، وقد هجت الشعراء الملوك في الجاهلية ، والخلفاء في الإسلام ، فما سمعنا بشاعر قُتل بهجائه ، وقد قال الشاعر :

هجوتُ زهيراً ثم إنى مدحته وما زالت الأشراف تهجى وتمدحُ

ولم يبلغ من^(٩) جرمه ما يوجب قتله ، فقال : يفعل الله ما يشاء وانصرف ، ولم يمض لهذا القول غير ثلاثة أيام حتى وافاني المتنبي ، ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب ، والطيب ، والتجملات النفيسة ، والكتب الثمينة ، والآلات ، لأنه كان إذا سافر لم يخلف في منزله درهماً ، ولا شيئاً يساويه ، وكان أكثر إشفاقه على دفاتره ، لأنه كان قد انتخبها ، وأحكمها قراءةً وتصحيحاً ، قال أبو نصر : فنلقيته ، وأنزلته داري ، وسألته عن أخباره ، وعمن لقي ، فعرفني من ذلك ما سررت به^(١٠) له ، وأقبل يصف ابن العميد^(١١) وفضله ، وأدبه ، وعلمه ، وكرم عضد الدولة^(١٢) ورغبته في الأدب ، وميلته إلى أهله ، فلما أمسينا قلت له يا أبا الطيب : على أي شيء أنت مجمع ؟ قال : على أن أتخذ الليل مرسكباً ، فإن السير فيه يخف على^(١٣) . قلت : هذا هو الصواب رجاء أن يخفيه الليل ، ولا يصبح إلا وقد قطع بلداً بعيداً ، وقلت له : والرأي أن يكون معك من رجاله هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواضع الخيفة جماعة^(١٤) يمشون بين يديك إلى بغداد ، فقطب وجهه وقال : لم قلت هذا القول ؟ فقلت : لتستأنس بهم ، فقال أما

(١) د ، هـ : عدله عن . ج : عدله عن .

(٢-٢) هذه الجملة ساقطة من د ، د ، هـ .

(٣) د ، هـ : من .

(٤) ساقطة من سائر النسخ .

(٥) ساقطة من سائر النسخ .

(٦-٦) سائر النسخ : وفضله وعلمه وكرمه وكرم عضد الدولة .

والجزاز^(١) في عنقي فما بي حاجة إلى مؤنس غيره ، قلت الأمر كما تقول ، والرأي الذي أشرت به عليك^(٢) فقال تلويحك بني عن تعريض ، وتعريضك بني عن تصريح ، فعرفني الأمر ، وبين لي الخطب ، قلت : إن هذا الجاهل فاتكا الأسدى كان عندي منذ ثلاثة أيام ، وهو غير راض عنك ، لأنك هجوت ابن أخته ضبة ، وقد تكلم بأشياء توجب الاحتراز واليقظ ، ومعه أيضاً نحو العشرين من بني عمه ، قولهم مثل قوله ، فقال غلام أبي الطيب وكان عاقلاً : الصواب ما رآه أبو نصر ، خذ معك عشرين رجلاً يسرون بين يديك إلى بغداد ، فاغتنظ أبو الطيب من غلامه غيظاً شديداً ، وشمه شماً قبيحاً ، وقال والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأني سرت في خفارة أحد غير سيفي . قال أبو نصر فقلت يا هذا أنا أوجه قوماً من قبلي في حاجة يسرون بمسيرك وهم في خفارتك فقال : والله لا فعلت شيئاً من هذا ، ثم قال : يا أبا نصر : أبخراً^(٣) الطير تُخشيني ؟ ومن عبيد العصا تخاف علي ؟ والله لو أن ميخضرتي هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسد مُعطشون بِخِمس^(٤) وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيات ما جَسَرَ لهم خُفٌ ولا ظِلْفٌ^(٥) أن يَرِدْه . معاذ الله أن أشغل فِكْرى بهم لحظة عين . فقلت له قل إن شاء الله فقال : هي كلمة مقولة لا تدفع مقضياً ولا تستجلب آتياً ، ثم ركب ، فكان آخر العهد به . ولما صح عندي^(٦) خبر قتله وجهت من دفته ، ودفن ابنه ، وغلماناه ، وذهبت دماؤهم هدرأ . هذا هو الصحيح من خبره . وقيل سبب قتله أنه لما ورد على عضد الدولة وملحه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مُسرَّجة مُحلَّاة ثم دس له من يسأله : أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال : إن سيف الدولة كان يعطي طبعاً ، وعضد الدولة تطبعاً ، فغضب عضد الدولة ، فلما انصرف جهز إليه قوماً من

(١) الجزاز : كغراب السيف القاطع . ح ، د ، هـ : الجزاز تحريف .

(٢) ح ، د ، هـ : إليك .

(٣) سقطت همزة الكلمة في ح ، د ، هـ .

(٤) الخمس : من أظاء الإبل وهو أن ترد الإبل يوماً ثم ترعى ثلاثة أيام ثم ترد في اليوم الرابع .

(٥) يريد بالحنف الإبل وبالظلف ذا الحوافر كالبقير والغنم .

(٦) ساقطة من ح .

بنى ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالا شديداً ، ثم انهزم ، فقال له غلامه أين قولك :
 الخيل والليل والبيداء تعرفني والحرب والضرب والقرطاس والقلم
 فقال قتلتنى قتلك الله ، ثم قاتل حتى قتل . وقيل إن الخفراء جاءوه وطلبوا منه
 خمسين درهماً ليسيروا معه ، فتنعه البشع والكبر ، فتقدموه ، ووقع به ما وقع ،
 ولما قتل رثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطَّبَّسِيَّ (١) .

لا رعى الله سربَ هذا الزمان إذ دهانا بمثل ذاك اللسان
 ما رأى الناسُ ثانیَ المتنبي أيُّ ثان يرى ليكر الزمان
 كان من نفسه الكبيرة في جـ ش وفي الكبرياء ذا سلطان
 هو في شعره نبیٌّ ولكن ظهرت معجزاته في المعاني
 ورثاه أيضاً ثابت بن هارون الرقي النصراني بقصيدة يستثير فيها عضد الدولة
 على فاتك الأسدی وهی :

الدهر أحبُّ والليالي أنكدُ من أن تعيش لأهلها يا أحمدُ
 قصدتك لما أن رأيتك نفيسها بخلا بمثلك والنفائس تُقصدُ
 ذقت الكريهة بغتةً وفقدتها وكريه فقدك في الوري لا يفقدُ
 قل لي إن اسطعت الخطاب فإني صبُّ الفؤادِ إلى خطابك مُكمدُ
 أتركت بعدك شاعراً والله لا لم يبقَ بعدك في الزمان مُقصدُ
 أما العلومُ فأنها ياربها تبكي عليك بأدمع لاتجمدُ
 بأيها الملك المؤيدُ دعوةً مِمَّنْ حشاه بالأسى يتوقدُ
 هذى بنو أسدٍ بضيفك أوقعتْ وحوث عطاءك إذ حواه الفرقدُ
 وله عليك بقصده يا ذا العلا حقُّ التحرم والذمام الأوكدُ
 فارع الذمام وكن لضيفك طالباً إن الذمام على الكريم مؤيدُ

ورثاه أبو الفتح ابن جني (٢) بقصيدة أولها :
 غاض القريضُ وأودت نضرةُ الأدبِ وصوحت بعد رى دوحه الكتائبِ

(١) سائر النسخ : أبو القاسم مظفر بن المظفر بن الطَّبَّسِي . تحريف والصواب المظفر بن علي
 الطَّبَّسِي نسبة إلى طَبَّس بفتح الطاء والباء وهى مدينة في البرية بين نيسابور وأصبهان وكرمان .

(٢) أبو الفتح بن جني : كان من أئمة النحو والعربية ولد بالموصل وتوفى ببغداد سنة ٣٩٢ هـ .
 ومن مؤلفاته الخصائص في اللغة ، وكان المتنبي يقول : ابن جني أعرف بشعري مني فقد صحبه دهرًا طويلا وشرح
 شعره ونبه على معانيه وإعراجه .

منها :

سُلِبَتْ ثوب بهاء كنت تلبسه
مازلت تصحب في الجلي إذا نزلت
وقد حلبت لعمري الدهر أشطره
من للهوا جل يحيي ميتت أرسمها
قباء خوصاء محمود علالتها
أم من لسرحانها تقر به فضلتها
أم من لبيض الظبانوكا فهن^(٥) دم
أم للمعارك يذكي جمر جاحمها
أم للمحافل إذ تبدو لتعمرها
أم للمناهل والظلماء عاكفة
أم للملوك تحليها وتلبسها

كما تُخَطِّفُ^(١) بالخطية السَّلْبِ
قلبا جميعا وعزما غير منشعب
تمطو بهمة لا وان ولا نصيب^(٢)
بكل جائلة التصدير والحقب^(٣)
تنوعريكتها بالحلس والقنصب^(٤)
وقد تضرور بين الباس والسغب
أم من لسمر القناو والزغف واليلب
حتى يعريها عن ساطع الاله^(٦)
بالنظم والنثر والأمثال والخطب
يواصل الكرتين الورد والقرب^(٧)
حتى تُمَاسِ في أبرادها القشب

(١) ١ : تخطف . سائر النسخ : تحفظت ، الخطيئة تحريف . الخطية : الرماح منسوبة إلى الخط بلدة قرب البحرين . والسلب صفة للخطية ومعناها ما يسلب به .

(٢) ٢ : حلب الدهر أشطره : خبر الدهر ومارس الأيام . تمطو : من المطو وهو المد في السير .
(٣) ٣ : الهواجل : الصحراوات . التصدير : من صدر بعيره إذا شده بحبل من حزامه إلى كركرته .
الحقبة : الحزام يلي حقو البعير أو حبل يشد به الرجل في بطنه ، والمراد بكل ناقة هذه صفاتها . جميع النسخ : تحمي مكان يحيي . تحريف .

(٤) ٤ : الأقب من الخيل : الدقيق الخصر الضامر البطن والأنثى قباء . خوصاء : غائرة العينين .
الحلس : كساء تجلل به الدابة يوضع تحت البرذعة . القتب : الإكاف أو هو إكاف صغير على قدر سنام البعير . العلالة : بقية السير ، وتطلق أيضاً على الحلبة الوسطى للناقة . يريد أنها محمودة حتى فيما لا ينتظر فيه الحمد . جميع النسخ : فناء تحريف . حوصاء تحريف .

(٥) ٥ ، د ، هـ : أو مكان أم . جميع النسخ : يوما فهن بدل توكان فهن تحريف . الظبا : أطراف السيوف . التوكاف : مصدر وكف ويستعمل في الدمع والمطر إذا نزل . الزغف : الدروع .
اليلب : الترس أو الدروع البياضية من الجلود أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الروم خاصة الواحدة يلبة .

(٦) ٦ ، د ، هـ : المعارف مكان المعارك تحريف . جميع النسخ تدمي . تحريف . جاحم : من جحم النار إذا أوقدها والمعنى من للمعارك يذكي ناراها .

(٧) ٧ : القرب : طلب الماء ليلا ، وإذا كان بينك وبين الماء يوم فأول يوم تطلب فيه الماء القرب والثاني الطلق .

باتت وسادى أطراب^(١) تؤرقنى لما غدوت لَئَقَى في قبضة النوب^(١)
عُثِمَتْ حِدَنُ المَساعى غير مضطهد وميت كالنصل لم يدنس ولم يُعَبِّب
فاذهب عليك سلام المجد ما قلقت خوص الركائب بالأكوار والشُعَب^(٢)

وعلماء الأدب في شعره مختلفون : فمنهم من يرجحه على أبى تمام والبحترى ، ومنهم من يرجحهما عليه ، ومنهم من يرجح أبا تمام عليهما ، ومنهم من يرجح البحترى . والكلام في هذا المكان يحتاج إلى إرخاء العنان في حلبة البيان ، فنقول : قد أجمع أعلام العلم وفُرسان النثر والنظم على أن هؤلاء الثلاثة ذلُّوا^(٣) جَمُوح الآداب وشَمُوسها^(٤) . وأطلعوا أقمارها وشَمُوسها . وهم أصولُ الأدب وفروعه ، ومعدنُه وَيَسْبُوعُه ، وإلى كلامهم تَمِيلُ الطِبَاع ، وعلى أبياتهم تَقِفُ الخواطرُ والأَسْماع ، وثمراتُ البدائع منهم تُجَنِّى ، وذخائِرُ البراعة من غرائبهم تُقَنِّى .
قال ابن الأثير في المثل السائر^(٥) : « هؤلاء الثلاثة لَاتُ الشعر وعَزَّاه وَمَنَاتِه^(٦) » كلام ابن الأثير الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومُسْتَحْسَنَاتُه ، وجمعت بين الأمثال السائرة ، وحكمة الحكماء ، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء .

أما أبو تمام فإنه ربُّ معان ، وصَيِّقَلُ أَلْبَاب وأذهان ، وقد شُهِد له بكل معنى مُبْتَكِر لم يَمِشْ فيه على أثر ، فهو غير^(٧) مُدَافِع عن مقام الإغراب^(٨)

(١) اللق : الشيء الملق في الطريق ونحوه . أطراب : جمع طرب والمراد به الحزن . وسادى : مجرور بمضاف محذوف تقديره تحت .

(٢) الأكوار : الرحال جمع كور . الشعب : جمع شعبة وهى المزايدة ، يريد ما ارتحلت الإبل وكفى عن هذا بقلق الأكوار والشعب فإنها تضطرب إذا سارت الناقة .

(٣) جموح : من جمع الفرس : غلب فارسه .

(٤) شَمُوس : من شمس الفرس : منع ظهره أن يركب .

(٥) ساقطة من الأصل ، انظر المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٨ طبعة الحلبي ١٩٣٩ هـ وقد تصرف المؤلف فيما نقل عن ابن الأثير بعض التصرف .

(٦) اللات والعزى ومناة : أعظم أصنام كانت تعظم في الجاهلية .

(٧) ح ، د ، هـ : خير . تحريف .

(٨) الإغراب : الإبداع .

«الذئى برز فيه على الأضراب»^(١) ولقد مارستُ من الشعر كل أول وأخير، ولم أقل ما أقوله إلا عن تنقيب وتنقيح ، فمن حفِظ شعر الرجل ، وكشف عن غامضه ، وراض فكره برائفه^(٢) أطاعته أئنةُ الكلام، وكان قوله في البلاغة ما قالت حذام^(٣) وأما أبو عبادة البحرى فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر فغنى ، ولقد حاز طرفى الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينما يكون في شظف نجد إذ تشبث^(٤) بريف العراق، وسئل أبو الطيب عنه وعن أبى تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحرى . ولعمري لقد أنصف في حكمه وأعرب بقوله عن مثانة علمه ، فإن أبا عبادة أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بُعد المرام مع قربه إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بأخلاط الغالية^(٥) ، ورقى في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبى تمام فقصرته عنه خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، ولكنه حظى في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في مواضع القتال ، وأنا أقول فيه قولاً لست فيه مثمناً ، ولا منه متلماً ، وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى يظن أن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك يضل^(٦) بسالكة ، ويقوم بعذر تاركة ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة ، فيصف أمانه ما أداه عيانه ، ومع هذا فإن رأى الناس عادلين فيه عن التوسط ، فإما مفرط في وصفه ، وإما مفرط ، وهو وإن انفرد بطريق صار أبا عذرة^(٧) ، فإن سعادة

(١-١) ساقطة من سائر النسخ .

(٢) سائر النسخ : برائقة : الرائف : من يروض الفرس حتى يلس قياده .

(٣) حذام بالذال لا بالزاي امرأة من العرب عرفت بالصدق حتى ضرب بها المثل قال الشاعر :

إذا قالت حذام فصلقوها فإن القول ما قالت حذام

(٤) « إذا » كذا في جميع النسخ ، والتصحيح من ابن الأثير .

(٥) الغالية : الطيب .

(٦) جميع النسخ : يظل . تحريف .

(٧) أبا عذرة : السابق فيه .

الرجل كانت أكبر من شعره ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ، ومهما وصف به فهو فوق الوصف ، وفوق الإطراء ، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لا تطلبن كريمًا بعد رؤيته إن الكرام بأسخاهم يدًا ختموا
ولا تُبالِ بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم
ولقد وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها حتى لم يبق ديوان لشاعر مُفْلِق يَشَبُّت شعره على المِحْك إلا وعرضته على نظري ، فلم أجد أجمع من ديواني أبي تمام وأبي الطيب للمعاني الدقيقة ، ولا أكثر استخراجًا منهما للطيف الأغراض ، ولم أجد أحسن تهذيبًا للألفاظ من أبي عباد ، ولا أنفس ديباجة ، ولا أبهج سبكا .

وقال الشريف الرضى^(١) في هذا المقام ، وكلام الشريف شريف الكلام ، أما أبو تمام فخطيب منبر^(٢) ، وأما البُحْتَرى فواصف جُؤذر^(٣) ، وأما أبو الطيب المتنبي فقائد عسكر^(٤) . قال ابن الأثير : « الألفاظ تجرى من السمع مجرى الأشخاص من البصر ، فالألفاظُ الجَزلة تُتَخِيلُ كأشخاص عليها مهابة ووقار ، والألفاظ الرقيقة تُتَخِيلُ كأشخاص ذَوِي^(٥) دُمائة ولين أخلاق ، ولطافة مزاج ، ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها^(٦) رجال ، قد ركبوا خيولهم ، واستلأموا سلاحهم ، وتأهبوا للطراد ، وترى ألفاظ البُحْتَرى كأنها^(٧) نساء حسان ، عليهن غلائل مُصْبَغَات ، وقد تحليلن بأصناف الحلَى . »

(١) هو الحسن بن محمد بن الحسين الرضى الملقب بـ «أشرف بغداد» ، وأشعر بني هاشم توفي سنة ٤٠٦ هـ .

(٢) أراد بخطيب منبر : أنه مؤثر .

(٣) وبواصف جُؤذر : سلاوة كلامه .

(٤) وبقائد عسكر : وصفه للوقائع .

(٥) ابن الأثير : هو الوزير أبو الفتح نصر الله بن محمد الشيباني الملقب بـ «ضياء الدين المعروف بابن الأثير» صاحب المثل السائر ولد سنة ٥٥٨ هـ وتوفي سنة ٦٣٧ هـ ببغداد (ابن خلكان ٢ : ١٦١) طبعة الميمنية . وكلامه هنا منقول من المثل السائر ، راجع طبعة الحلبي ص ١٧٨ - ١ .

(٦) ب : ذى .

(٧ - ٧) ساقط من سائر النسخ ، استلأموا : لبسوا الألبسة وهي الدرع المحكمة المثلثة .

وقال ابنُ شرف القيرواني^(١) في مقامته التي ذكر فيها الشعراء : « وأما أبو تمام الطائي فتكلف ، إلا أنه يصيب : ومتعَب لکن له من الراحة نصيب ، وشغلُه المطابقة والتجنيس . «جيد» ذلك أو بئس^(٢) جزلُ المعاني . مرصوصُ المباني ، مدحه ورثاؤه . لا غزلُه وهجاؤه^(٣) . فهُما طرفا نقيض ، وسماءٌ وحَضِيضُ ، وفي شعره علمٌ جَمٌّ من النسب ، وجملَةٌ وافرةٌ من أيام العرب . وطارت له الأمثال ، وحفظت له الأقوال ، وديوانه مَقْرَوٌ ، وشعره متلوٌ . »

قال ابن بسام^(٤) : أما صفته هذه لأبي تمام فنَصَّةٌ لم يثن عطفها حَمِيَّةٌ ، ولا تعلَّقت بذيلها عصبيةٌ ، حتى لو سمعها حبيبٌ لاتخذها قبلةً ، واعتمدها ملةً . قال ابن شَرَف : وأما البحرى فلفظه ماءٌ ثجاج ، ودَرَجَراج ، ومعناه سِرَاجٌ وهَاجٌ ، على أهدى منهاج ، يسبقه شعرُه إلى ما يجيش به صدرُه ، بيسُرٍ^(٥) مراد ، ولين قياد ، إن شربته أرواك ، وإن قدحتَه أوارك ، طبعٌ لا تكلفَ يُعْنِيهِ ولا العنادُ يَشْنِيهِ ، لا يُملُ كثيرُه ، ولا يُستكره غزيره .

وأما المتنبي فقد شغلت به الألسن ، وسهرت في أشعاره الأعين ، وكثر الناسخ لشعره ، والغائصُ في بحره ، والمفتشُ عن جُمانه ودُرّه ، وقد طال فيه الخُلفُ وكثُر عنه الكشفُ ، وله شيعةٌ تغلو في مدحه ، وعليه خوارجُ تنعَبُ في جرّحه ، والذي أقول : إن له حسناتٍ وسيات ، وحسناتُه أكثرُ عدداً ، وأقوى مدداً ، وغرائبُه طائفةٌ ، وأمثاله سائرةٌ ،^(٦) وعلمُه فسيحٌ ، وميزه صحيحٌ ، يَرومُ فيقدِر ، ويدرى ما يُورد ويصُدِرُ^(٦) .

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر المؤلف نشأ بتونس ثم ارتحل إلى الأندلس زمن ملوك الطوائف ، ومات بها سنة ٤٦٠ هـ . وله شعر رقيق ، وهجاء مومج ، ومدح بليغ ، ووصف بديع ، ويشوب شعره مزاج من البديع وخاصة الجناس .

(٢-٢) ساقط من ، د ، هـ .

(٣) سائر النسخ : مدحه ورثاء لا غزله وهجاء .

(٤) هو أبو الحسن علي بن بسام من أهل الأندلس وصاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (يعني جزيرة الأندلس) في سبعة أسفار .

(٥) د ، هـ : بيسير .

(٦-٦) ساقط من هـ .

والذى يُشعر به كلام ابن شرف بتقديمُ البحترى ، كما أنه يُشعر كلامُ الشريف بتقديم أبى تمام .

وكان الشيخُ أبو سعد محمد بنُ أحمد العميدى عن أبى الطيب فى غاية تعصب العميدى الانحراف ، حائداً فى التمييز عن سَنَنِ الإنصاف ، ونحن نُوردُ كلامه ، ونرد على المتنّ فى نَحْرِهِ سِهَامَهُ ، فإنه تجاوز الحد ، وأكثر الرد .
(سَعَى جُهْدَهُ لَكِنَّهُ تَجَاوَزَ حَدَّهُ وَأَكْثَرَ فَارْتَابَتْ وَلَوْ شَاءَ قَلِيلًا وَبِرَاعَةِ كَلَامِهِ^(١) :

« إعجاب المرء بنفسه يَشْرَعُ لِيهِ أَسَنَةُ الطاعين ، وتطاوله على أبناء جنسه يَجْمَعُ عَلَيْهِ أَلْسَنَةُ الشائنين ، فلا نقيصةَ عندى أقبحُ سَمَةٍ من اغترارِ الإنسان بجهله ، ولا رذيلةَ أبلغُ وصمةً من إنكار فضيلةٍ مَنْ يَقَعُ الإجماعُ على فضله ، ولا مَسْنُوبَةٌ أَجْلَبُ للشرف من الاعتراف بالحق إذا وَضَحَتْ دلائله ، ومن الانحرافِ عن الباطل إذا استقبلتُ مجاهلته ، ولا دلالة على الحلم أبينُ من التوقف عند الشبهات ، حتى ينجلي ظلامها ، والتصرف على أحكام النَّصْفَةِ حتى تهديك أعلامها ، وما أحسنَ أثرَ الحاكم إذ عدل وأنصف ، وأقبحُ ذكره إذا مال عن الحق وجَنَفَ ، والظلم قبيح ، وهو من الحكام أقبحُ وأشنع ، وجُودُ الفضلِ سخيْفٌ ، وهو من الفضلاء أسخفُ وأفطع . ومن لم يتميز عن العوام بمزية تقديم وتخصيص ، سَلَقَ المحسنين بلسان ذم وتنقيص ، ومن عَدِمَ محاسنَ التمييز والتحصيل ، نظر إلى المميزين بعين التقصير والتجهيل ، وأكثرُ آفاتِ كُتُبِ زماننا وشعرائهم أنهم^(٢) ، لا يهتدون لتعليل الكلام وتشقيقه^(٣) ، ويتبعون الهوى فيضلهم عن منهج الحق وطريقه . فإذا سمعوا فصلاً من كتاب ، أو بيت شعر ممن لا يكاد يُجِيلُ فى الأدب قِدْحًا ، ولا يعرف هجاء ولا مدحا ، فهو^(٤) يحكم على قائله

(١ - ١) ساقط من سائر النسخ . وبراعة كلامه أى مستهل كلام العميدى فى مقدمة الإبانة . طبعة العباسية بمصر ، وهى التى أشرنا إليها أحياناً فيما ذكره العميدى من السرقات ، كما أشرنا أحياناً أخرى بالرمز ن . الجامعة ، وزيد به مصور نسخة منها بالجامعة العربية .

(٢) « أنهم » زيادة عن الإبانة للعميدى ص ٢ (٣) تشقيق الكلام : إخراج مخرجاً حسناً

(٤) « فهو » الضمير راجع إلى : من لا يكاد يجيل . . .

بالسُّبْقِ والتفخيم والإجلال والتعظيم ، ^(١) وليس يدري ما رواه : سليم اللفظ أو مختلفه ، صحيح المعنى أو منحلّه ^(٢) وهل ترتيبه مستحسن أو مستهجن ؟ وتقسيمه مطبوع أو مصنوع ، ونظامه مستعمل أو مسترذل ، وكلامه مستعذب أو مستصعب وهل سبقه إلى ذلك المعنى أحدٌ قبله أو هو مُبتدِع ؟ وأورد نظيره سواء أو هو مُخترِع ؟ استبدعوا ^(٣) كلامه ، واتبعوا أحكامه ، واعتمدوا على الاعتقاد دون الانتقاد ، وقبلوه بالتقليد لا بالاختيار ، وقابلوه بالامثال دون الاعتبار والاختبار ، ثم إن بينت لهم عوار ما رَوَوْه وزلله ، وخطأ ما حكَوْه وخطئه التزموا نصره خطئه واقفين مواقف الاعتذار ، ومائلين عن طريقة الإنصاف إلى الانتصار ، وليست هذه الخصلة من خصال الأدباء الذين هذبتهُم الآداب فصاروا قدوةً وأعلاماً ، ودرّبتهم العلوم فأصبحوا بين الناس قضاةً وحكاماً ، وإنما يذهب في مدح الكتاب والشعراء مذهب التقليد من يكون في علومه خفيف البضاعة ، قليل الصناعة ، صفر وطاب الأدب ، ضيق مجال الفضل ، قصير باع الفهم ، جدير رِباع العقل ، فأما من رُرق من المعرفة ما يستطيع أن يميز بين غث الكلام وسمينه ؛ ويفرق بين سخيئه ومثينه ، وأوى من الفضل ما يحسن أن يعدل به في القضية غير عادل عن الإنصاف ، ويحكم بالسوية غير مائل إلى الإسراف والإجحاف ، فالأولى به ألا ينظر إلى أحد إلا بعين الاستحقاق والاستيعاب ، ولا يحل أحدًا من رُتب الجلالة إلا بقدر تحلّه من الآداب ، ولا يعظم الجاهلية ^(٤) لتقدمهم إذا أخرتهم معائب ، أشعارهم ، ولا يستحقّر المحدثين لتأخرهم إذا قدمتهم محاسن آثارهم ، ويطرح الاحتجاج بالمحال طرحاً ، ويضرب عن استشعار الباطل صفحاً ، ويُجلّ من يشهد بفضائله شهود عدول ، ويُذل ^(٥) من كلامه عند التأمل منحول معلول. ولقد جرى يوماً حديث المتنبي في بعض مجالس أحد الرؤساء ، فقال أحد حاملي عرشه ^(٥) : سبحان من ختم بهذا الفاضل الفحول من

(١ - ١) كذا في ١ وقد وردت في ب ، د ، هـ محرفة. وفي ٢ : العبارة فاسدة لا تستحق التسجيل.

(٢) « استبدعوا » جواب لقوله : « فإذا سمعوا » .

(٣) سائر النسخ : من الجاهلية .

(٤) كذا في الأصول ، وفي مصورة مخطوط الإبانة بالجامعة العربية . وفي الإبانة : ينزل مكان يذل .

(٥) د ، هـ ، ز : شعره . ومعنى حاملي عرشه : أي معظييه .

الشعراء وأكرمهم ، وجمع له من المحاسن ما فَضَّلَ به كلٌّ من تقدّمه ، ولو أنصِفَ لَعُلِّقَ شعرُهُ كالسبعِ المعلقات من الكعبة ، ولتقدّم على جميع شعراء الجاهلية في الرتبة ، ولكن حِرَفة^(١) الأدب لحقته ، وقلة الإنصاف محت اسمه من جرّاء المتقدمين وبحقته ، وإلاّ فهاتوا لأى شاعر شتم جاهليّ أو إسلاميّ مثل قوله في صفة الفرس :

رجلاه في الركض رجلٌ واليدان يدٌ وفعله ما تريدُ الكفُّ والقدمُ^(٢)

ليس هذا أبلغ من قول القائل :

درير كخُذروفٍ الوليد أمره تتابعُ كفيه بخيط موصّل^(٣)

لقد أبدع المتنبي ما شاء وأغرب ، وأفصح عن الغرض وأعرب ، فقلت للأقيشر^(٤) ما يقارب هذا المعنى في نعت فرسه ، وهو قوله :

(١) حرفة الأدب : شؤمه . وهو يشير إلى قول علي بن محمد بن بسام يرضى ابن المعتز :

لله درك من ملك بمضيعة ناهيك في العقل والآداب والحسب
ما فيه لو ولا ليت فتتقصه وإنما أدركته حرفة الأدب

(٢) هذا البيت من قصيدة له في سيف الدولة يرد بها على المتشاعرين مطلعها :

« وأحر قلباه من قلبه شيم » وقد تقدم كلام عنها .

وقبل هذا البيت :

ومهجة مهجتي من هم صاحبها أدركتها بجواد ظهره حرم

ومعناه : رجلاه في الركض رجل ، أى أنه لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه في الركض كأن رجله رجل واحدة لأنه يرفعهما ويضعهما معاً وكذا يده ، وهو طوع لما يراود منه ففعله في السرعة ما تريد التقدم لأنه بها يستحث ، وفي المواثاة ما تريد الكف لأنه بها يعطف ويستوقف .

(٣) هذا البيت من معلقة امرئ القيس « قفانك » في وصف حصانه . درير : سريع أو مكنتز الخلق مقتدر . الخذروف : عود أو قصب مشقوق يفرض في وسطه ثم يشد بخيط فإذا أمر دار وسمع له حفيف ، يلعب به الصبيان ويوصف به الفرس لسرعته .
جميع النسخ : ذرى موضع درير ، تحريف .

(٤) « فقلت » : التفسير راجع إلى العميدى الذى افتتح هذا الكلام بقوله : إعجاب المرء . . . الخ . والأقيشر اسم المخيرة بن الأسود ينتهى نسبه إلى مدركة بن إلياس بن مضر ، ولد في الجاهلية ونشأ في أول الإسلام ، وكان كوفياً خليعاً ماجناً فاسقاً مدمن الخمر قبيح المنظر . له ترجمة في الإعلام للزركلي ص ١٠٦٢ وفي الأغاني ١٠٠ وفي معجم الشعراء في صفحتي ٥٦ ، ٣٦٩ .

يجرى كما أختاره فكأنه بجميع ما أبغيه منه عالمٌ
رجلاه رجلٌ واليدان يدٌ إذا أحضرته والمتن منه سالمٌ

فصاح، وقال: يا قوم أهذا شعر إنسان له مُسكةٌ من عقل؟ أو بُلغةٌ من فضل؟
والله إن للمتنبي غلماناً وأتباعاً أجلاً من هذا الوليد المجهول. من أى قبيلة هذا العاجز
الذى تكلم بمثل هذا الفضول؟ فقلت: عافاك الله، حديثنا فى الإبداع لا فى الاتباع،
وفى الآداب لا فى الأنساب ليس يغنى المتنبي جلالته نسبته، مع^(١) ضعف أدبه،
ولا يضره^(٢) خلافُ دهره، مع اشتهاه ذكره.

ولقد تأملتُ أشعاره كلّها فوجدتُ الأبياتَ التى يفتخرُ بها أصحابه،
وتعتبر فيها آدابه من أشعار المتقدمين منسوخة، ومعانيها من معانيهم منسوخة.
وإني لأعجب من جماعة يَغْدُونَ فى حديث المتنبي وأمره، ويدعون الإعجاز
شعره، ويزعمون أن الأبيات المعروفة له هو مبتدعها، ومخترعها، ومُحْدِثُهَا
ومُفْتَرِعُهَا، لم يسبق إلى معناها شاعر، ولم ينطق بأمثالها باد ولا حاضر.

وهؤلاء المتعصبون له المفتخرون بالثَمَعِ التى يزعمون أنه استنبطها وأثارها،
والمُتَعَدِّونَ بالفِقَرِ التى يدعون أنه اقتضى أبكارها، والمترنمون له بأبيات سائرة^(٣)
يذكرون أنه انفرد بألفاظها ومعانيها، وأغرب فى أمثلتها ومبانيها، والمتمثلون بها
فى مجالسهم ونواديهم والمستعملون لها فى خَلَاوَاتِهِمْ وأغانيهم^(٤)، كيف لا
يستحون أن يقولوا بعصمته؟ ويتهاكوا فى الدلالات على حكمته؟ وكيف يستجيزون
لنفوسهم ويستحسنون فى عقولهم، أن يشهدوا شهادةً قاطعة، ويحكموا حكماً
جَزَماً بأنها له غير مأخوذة ولا مسروقة، وأن طرائقها^(٥) هو الذى ابتدأ
توطئتها^(٦) غيرَ مسلوكة لغيره، ولا مطروقة؟ فليت شعري هل أحاطوا علماً
بنصف دواوين الشعراء للجاهلية والمخضرمين والمتقدمين والمُحْدِثِينَ فضلاً عن جميعها؟

(١) ب: من. سائر النسخ: عن.

(٢) سائر النسخ: يضرر تحريف.

(٣) جميع النسخ: صائرة تحريف.

(٤) ح، د، هـ: مغانيهم.

(٥) ب: طرائقها تحريف. ح، د، هـ: طرقها.

(٦) ح: بتوطئها تحريف. د: بتوطئها. هـ: بتوطئها. تحريف.

أم هل فيهم من يميز بين مستعملها وبديعها^(١) حتى يطلقوا القولَ غيرَ مُحْتَشِمِينَ أن المتنبي من بين أولئك الشعراء أبدعَ معاني لم يفظن لها سواه ولم يَعْتَرِبْهَا أَحَدٌ ممن يجرى مجراه ؟ ولقد قال المرزباني^(٢) فيما حكى عنه : أنه لما صنف كتابه على حروف المعجم بأسماء الشعراء ، جمع داوین ألفِ شاعر حتى اختار من عيونها ما أراد ، وامتار من مُتُونِها ما ارتاد .

وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني^(٣) أن البحري على ما بلغه أحرق خمس مئة ديوان للشعراء في أيامه حسداً لهم لثلاث تشتهر أشعارهم ، وتُنَشَّرُ محاسنُهم وأخبارُهم ؛ فمن أين هؤلاء المتعصبين للمتنبي أنه سبق جماعتهم في مِضْمَارِهِ ، ولم يقتبس من بعضها محاسنَ أشعاره ، وهل للذين يتدينون بشُصْرَتِهِ بصائرٌ بحُسنِ المأخذ ، ولطفِ المتناول ، وجودة السركة ، ووجوهِ النقل ، وإخفاء طُرُقِ السَلْبِ ، وتغميض مواضع القلب ، وتغيير الصنعة والترتيب ، وإبدال البعيد بالقريب ، وإتعاَبِ الخاطر في التثقيف والتهديب حتى يدعوا علمَ الغيب في تنزيهه عن السرقات التي لا تخفى صُورُها على ناقد ، وتبرئته عن المعاييب التي يشهد عليه بها ألفُ شاهد ؟ ولست - يعلم الله - أجحدُ فضل المتنبي ، وجودة شعره ، وصفاء طبعه ، وحلاوة كلامه ، وعذوبة ألفاظه ، ورشاقة نظمه ، ولا أنكر اهتدائه لاستكمال شروط الأخذ إذا لَحِظَ المعنى البعيدَ لِحَظاً ، واستيفاء حدود الحذق إذا سلخَ المعنى وكساه من عنده لفظاً ، ولا أشك في حسن معرفته بحفظِ التقسيم الذي يعلق بالقلب موقعه ، وإيراد التجنيس الذي يملك النفس مَسْمَعُهُ ، ولَحَاقِهِ في إحكام الصنعة ببعض من سبقه ، وغوصه على ما يُسْتَصْنَى ماؤه ورونقه ، وسلامة كثير من أشعاره من الخطل والخلل ، والزلل والدخَل ، والنظام الفاحش الفاسد ،

(١) يريد بالمستعمل الشائع على ألسنة الشعراء ، وبالبديع الطريف المخترع .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني البغدادي الكاتب ولد سنة ٢٩٧ في بيت رياة ونشأ فاضلاً ذكياً متمتعاً بالمخاضرة راوية للأدب مقدماً في الدولة وعند أهل العلم والفضل وكان منزله مجمعاً علمياً وله مؤلفات منها الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في أنواع من صناعة الشعر توفي سنة ٣٨٤ هـ ببغداد .

(٣) اقرأ هذا الخبر في الوساطة ص ١٣١ طبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٣١ هـ والجرجاني فقيه مفسر مؤرخ شاعر كاتب ناقد ومن أشهر آثاره الوساطة بين المتنبي وخصومه وله ديوان شعر يجمع بين العذوبة والجزالة توفي سنة ٣٦٦ هـ .

والكلام الجاحد البارد ، والزحاف القبيح المستبشع ، واللحن الظاهر المستشنع ؛
وأشهد أنه عن درجة أمثاله غير نازل ولا واقع ، وأعرف أنه مليح الشعر غير
مدافع ، غير أنى مع هذه الأوصاف الجميلة ، لا أبرئه من نهب وسرقة^(١) ولا أرى
أن أجعله وأباً تمام ربّ المعاني ، ومسلم بن الوليد وأشباههما في طبقة [واحدة]^(٢)
ولا ألحقه في عدوبة الألفاظ وسهولتها ، ورشاقة المعرض ، ومجانبة التصنع والتكلف
بالجبري ، ولا أقيسه في امتداد النفس وعلم اللغة والاقتدار على ضروب الكلام ،
وتصوير المعاني العجيبة ، والتشبيهات الغريبة ، والحكم البارة ، والآداب الواسعة
بابن الرومي ، ولا أتهالك في مدحه تهالك من يتعصب له تقليداً ، ويغلو فيجعل
بينه وبين هؤلاء الفضلاء أمداً بعيداً ، إلى أن قال : ولولا أنه كان يجحد فضائل
من تقدمه من الشعراء ، وينكر حتى أساميهم في محافل الرؤساء ، ويزعم أنه
لا يعرف الطائيين وهو على أشعارهما بغير ، ولم يسمع بابن الرومي وهو من أشعاره
يسمير ، ويسبهم إذا قيل في أشعارهم إبداع ، ويعيبهم متى أشد لهم مصراع ،
لكان الناس يَغضون عن معايبه ويغضون على مساويه ومثالبه ، ويعدون كسائر
الشعراء الذين لا يتنبش عظامهم لإنسان ، ولا يجري بدمهم لسان .

ولقد حدثني من أثق به : أنه لما قتل المتنبي وجد معه ديوانا^(٣) أبي تمام والبحتري
كيف وجد بخط المتنبي ديوانا أبي تمام والبحتري
بخطه وعلى حواشي الأوراق علامة كل بيت أخذ معناه وسلخه ، فهل يحل
له أن ينكر أسماء الشعراء وكُناهم ، ويجحد فضائل أولاهم وأخراهم إلى أن قال :
وأنا بمشيئة الله تعالى أورد ما عندي من أبيات أخذ ألفاظها ومعانيها ، وادّعى
الإعجاز لنفسه فيها ، ليشهد بلؤم طبعه في إنكار فضيلة السابقين ، ويسمّه
بما نهبه من أشعارهم بسمّة السارقين^(٤) .

قلت : ليعلم أنه لا بد من تقديم مقدمتين قبل إيراد ما سُرّق به أبو الطيب
المتنبي ، ليصير العاذل عاذراً والمحجوج مفاخرأ : المقدمة الأولى : من المقرر عند

(١) ح ، د ، هـ : سرق .

(٢) ساقطة من أ ، ب .

(٣) عبارة الإبانة في النسخة المطبوعة هي « لما قتل المتنبي في طريق الأهواز وجد في خرج كان معه ديوانا الطائيين بخطه » .

(٤) انتهى كلام العميد في مقدمة الإبانة وأوله إعجاب المرء ص ١٨١ .

المعاني التي
تساوى فيها
الناس

أرباب هذا الشأن ، وفُرسان هذا الميدان ، أن من المعاني ما يتساوى فيه الشعراء ، ويشترك فيه المُحدَثون والقدماء ، لأنه كضياء القمر لا يخفى على من أوقى فضيلة النظر ، كما إذا قلنا في مولانا نجل الحسام : له عزمة أمضى من الحسام ، وهو كالليث يوم جداله ، وكالغيث وقت نواله ، أو إذا قلنا : وجهه كالبدن الزاهر ، وكفه كالبحر الزاخر ، أو إذا قلنا : كلماته كبرد الشباب ، وألفاظه كبرد الشراب ، أو إذا قلنا : لا أشبه وجه مولانا إلا بالعيد المقبل لو كان العيد تبقى ميامنه ، وتدوم محاسنه ، أو إذا قلنا : مولانا كالبدن في ارتفاع قدره ، وكالبحر في اتساع صدره ، لو أن البحر لا يتغير ماؤه ، والبدن لا يتنقص ضيائه ، أو إذا قلنا : لمولانا خلق هو المسك لولا سواده ، وكف هو البحر لولا نفادُه ، ووجه هو الشمس لولا كسوفه^(١) ، والقمر لولا خسوفه ، أو إذا قلنا : مولانا كالدهر لولا صروفه ، والجبل لولا وقوفه ، وقد شاهدت من مساطر كلامه ، ومقاطر أقلامه ، وروضات حزن ، بل جنات عدن وكقولهم : عفت الديار وما عفت آثارها من القلوب ، وكقولهم : إن الطيف يجود بما يبخل به صاحبه ، وإن الواشي لو علم بمزار الطيف لساءه ، وأشبه ذلك ، وكقولهم في المراثي : إن هذا الرزء أول حادث ، وإنه استوى فيه الأبعد والأقرب ، وإن الذاهب لم يكن واحدا وإنما كان قبيلة ، ويجرى هذا الأمر في سائر أنواع الشعر ، فإن أمثال هذه المعاني الظواهر تتوارد عليها جميع الخواطر ، وتستوى في إيرادها ، ومثل ذلك لا يُطلق على المتأخر اسم السرقة ، وإنما يطلق اسمها في معنى مخصوص كقول أبي الطيب :

المعاني المخصوصة

بناها على والقنا يقصر القنا وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جث القتلى عليها تمام^(٢)
فإن هذا معنى مخصوص ابتدعه أبو الطيب . وكذلك قوله في عضد الدولة وولديه .
وكان ابنا عدو كائراه له ياءى حروف أنيسيان^(٣)

(١) كان الأولى أن يقول : لولا كسوفها إلا أن البديعي آثر السجع .

(٢) هذان البيتان من قصيدة أولها : « على قدر أهل العزم تأتي العزائم » في مدح سيف الدولة وذكر قلعة الحدث وقد تقدم الكلام عليها ، والمعنى المخصوص الذي يشير إليه هو معنى البيت الثاني .

(٣) هذا البيت من قصيدته التي أولها : « مغاني الشعب طيبا في المغاني » وقد مضى الكلام فيها .

وهذا المعنى لأبي الطيب ، وهو الذى ابتدعه ، فن أتى من بعده بهذا المعنى أو يجزء منه فإنه يكون سارقاً له ، وزعم بعض أهل الأدب أن ابن الرومى ابتدع قوله :

تشكو المحبة وتُلفَى الدهرَ شاكيةً كالقوس تُصمى الرمايا وهى مِرْنان^(١)

وليس الأمر كما زعم فإنه من المثل المضروب وهو (تلدغ ونصى) ويضرب^(٢) لمن يبدأ بالأذى ثم يشكو ، وزعم كثير أن ابن الخياط^(٣) ابتدع قوله :

أغارُ إذا آنستُ فى الحى أنه حذاراً عليه أن تكون لِحُبِّه
وهو مأخوذ من قول أبى الطيب :

لو قلتَ للدنفِ الحزينِ فديتهُ مما به لأغرتهُ بفدائه

وهو أدق معنى من قول ابن الخياط .

المقدمة الثانية : فى السرقات الشعرية . والمحمود منها والمذموم . وهى على
السرقات الشعرية وأنواعها
خمس عشرة ضرباً :

الضرب الأول : أن يأخذ الثانى من الأول المعنى واللفظ جميعاً ، كقول الفرزدق :

« أتعدل أحساباً لثاماً حُماتها بأحسابنا^(٤) ؟ إني إلى الله راجعُ

وكقول جرير :

أتعدل أحساباً كراماً حُماتها بأحسابكم ؟ إني إلى الله راجع

فتخالفهما فى لفظة واحدة . وهذا الضرب مذموم والمتأخر ملوم . ومن هذا

الضرب قول أبى نواس الحكيم :

(١) مرنان : مصوثة .

(٢) ب : وتضرب .

(٣) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن على بن يحيى بن صدقة التغلبى الشاعر الدمشقى الكاتب كان من الشعراء المحيدين طاف البلاد ، وامتدح الناس ودخل بلاد العجم وامتدح بها ولو لم يكن له إلا قصيدته البائية التى أولها :

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه فقد كاد رباها يطير بلبه

لكفاه توفى بدمشق سنة ٥١٧ هـ .

(٤) كذا فى ١ ، ب . سائر النسخ : بأجسامها فى النقائص (طبعة ليدن) :

أتعدل أحساباً لثاماً أدقة . . . وفيها أن البادئ جرير والفرزدق ناقض له .

دارت على فتية ذل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شاء وأخذ من متعبد :

« كَفَيْتِ عَلَى فَتِيَّةِ ذُلِّ الزَّمَانِ لَهُمْ فَمَا أَصَابَهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَأَ الضرب الثاني : أن يأخذ المعنى وأكثر اللفظ . وهذا الضرب ينقسم قسمين :

مذموم ومحمود ، فالأول كقول أبي تمام :

محاسنُ أصنافِ المغنينِ جَمَّةٌ وما قَصَبَاتُ السِّبْقِ إِلَّا لِمَعْبَدٍ ^(١)

أخذه من قول بعض المتقدمين يمدح معبداً صاحب المغنى ^(٢) :

« أَجَادَ طُورِيسُ ^(٣) وَالسُّرِّيحِيُّ بَعْدَهُ وَمَا قَصَبَاتُ السِّبْقِ إِلَّا لِمَعْبَدٍ ^(٣)

والثاني كقول أبي الشيص ^(٤) :

« أَجَدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةِ حَبِّاً لَذِكْرِكَ فَلْيُدْمِنْنِي الدُّوْمُ

أخذه أبو الطيب فقال :

أَحْبَبُهُ وَأَحَبُّ فِيهِ مَلَامَةٌ إِنْ الْمَلَامَةُ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ ^(٥)

وتسمية هذا مبتدعاً أولى من تسميته سرقة . وهذان الضربان يسميان نَسْخاً .

الضرب الثالث : أن يأخذ المعنى ، ويستخرج منه ما يشبهه . وهذا من أدقها

مذهباً ، وأحسنها صورةً فمن ذلك قول الحماسي ^(٦) :

(١) ويروى : محاسن أوصاف المغنين . . . وهو أجود ، والبيت من قصيدة أوف :

« غَدَتِ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ ذَوَى غَدِ » .

(٢) ح ، د ، هـ : الفناء .

(٣) طويس ويكنى بأبي عبد النعم أول من غنى في الإسلام ثم أخذ عنه معبد وفنقته وابن سريج

وأمثاله وما زالت صناعة الفناء تتدرج عند العرب إلى أن كللت أيام بني العباس عند إبراهيم بن المهدي والموصلي وابنه إسحق .

(٤) اسمه محمد بن رزين وهو عم دعل كان شاعراً عباسياً متوسط الحفل من شعراء عصره غير ذيه

الذكر لوقوعه بين مسلم وأشجع وأبي نواس ، وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم لملوك .

(٥) نقض المتنبي قول أبي الشيص ، وأصل هذا المعنى لأبي نواس في قوله :

إِذَا غَادَيْتَنِي بِصُبُوحِ عَذْلِ فَشَرِيبِهِ بِتَسْمِيَةِ الْخَبِيبِ

فإني لا أعد اللوم فيه عليك إذا فعلت من الذنوب

(٦) هو الطرماع بن حكيم الطائي الخارجي الشاعر وهو أحد شعراء حماسة أبي تمام ومن محول

الشعراء الإسلاميين وفصحائهم . ومنشؤه بالشام ، وانتقل إلى الكوفة واتصل بأحد الثراء من الخوارج .

واعتقد مذهبه ، ومات غارجياً سنة ١٠٠ هـ وكان يحيد العمى والمذبح .

• لقد زادني حباً لنفسى أننى بغيض إلى كل امرئ غير طائل^(١)
أخذه المتنبي ، واستخرج منه معنى شبيهاً به ، فقال :
وإذا أتتك مذمتى من ناقصٍ فهي الشهادة لى بأنى فاضل^(٢)

(١) كذا فى ا ، ب وديوان الحماسة ، وفى ح ، د ، هـ : بغيض إلى الجاهل المتعارف ، وبعده :

وأنى شقى بالكلام ولا ترى شقياً بهم إلا كريم الشائل
أخذه مروان بن أبى حفصة فقال :
ما ضرفى حسد اللثام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير
وأخذه أبو تمام فقال :
لقد آسف الأعداء فضل ابن يوسف وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع
وأخذه ابن المعتز فقال :

ما عابنى إلا الحسو د وتلك من إحدى المناقب

فأتى أبو الطيب بالمعنى فى لفظ مخالف للفظ مروان ، وأتى أبو تمام بالمعنى فى جزء من لفظ مروان
وتعنه بلفظ من عنده ، وأتى ابن المعتز بالمعنى فى لفظ سوى لفظهما ، وبالموازنة بين الطرمح وبين المتنبي
نجد من أدب العبارة فى قول الأول ما ليس فى قول الثانى حيث قال :

« بغيض إلى كل امرئ غير طائل » ولم يقل كل ضعيف أو وضعيف

أما المتنبي فقد سب خصمه بكلمة « ناقص » سباً واضحاً مؤلماً .

وشهرة بيت المتنبي إنما جاءت من إرساله الكلام إرسال القاعدة المطردة والمثل السائر .
وبيت المتنبي يذكرنا بطريقة هى أن أبا العلاء وهو ببغداد كان يوماً فى مجلس أبى القاسم المرتضى وكان
أبو العلاء يتمصب للمتنبي ويفضله ، والمرتضى يتمصب عليه ، فجرى ذكر المتنبي فتنقصه المرتضى ، فقال المعرى
لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله :

• لك يا منازل فى القلوب منازل •

لكفاه فضلاً فتنصب المرتضى وأمر به فسمح برجله وأخرج ، وقال : أتدرون ما قصد بهذه القصيدة فإن
للمتنبي ما هو أجود منها فقالوا : لا . قال : أراد قوله فيها :

وإذا أتتك مذمتى من ناقصٍ فهي الشهادة لى بأنى كامل

(٢) فى الديوان وسائر النسخ : كامل . ومعرفة أن بيت المتنبي أصله من معنى الجامى أمر عسير

غامض لا يتبين إلا لمن مارس الأشعار وغاص فى استخراج المعانى ؛ فالأول يقول : مما جمل نفسى فى عيى
وحسبنا عنى أن الجاهل المتعارف مبغض والمتنبي يقول : إن ذم الناقص إياى شاهد بفضل فذم الناقص
إياه كبغض الجاهل المتعارف ذلك الرجل ، وذم الناقص إياه شهادة بفضل كما أن بغض الجاهل المتعارف
ذلك الرجل تحسين لنفسه فى عينه .

ومن هذا الضرب قول أبي تمام ^(١) :

رَعَتْهُ الْفِيَّافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا ، وَمَاءُ الرُّوْضِ يَنْهَلُ سَاكِبَةً ^(٢)
أَخَذَهُ الْبَحْتَرَى ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ مَا يُشَابِهُهُ فَقَالَ :

شَيْخَانِ قَدْ ثَقُلَ السِّلَاحُ عَلَيْهِمَا وَعَدَاهُمَا رَأَى السَّمِيعُ الْمُبْصِرُ
رَكِبَا الْقَنَا مِنْ بَعْدِ مَا حَمَلَا الْقَنَا فِي عَسْكَرٍ مُتَحَامِلٍ فِي عَسْكَرٍ ^(٣)
ومن هذا الضرب قول أبي تمام أيضا :

• لَا أَظْلَمُ النَّأْيَ قَدْ كَانَتْ خِلَافَتُهَا مِنْ قَبْلِ وَشْكَ النُّوْيِ عِنْدِي زَوَى قَدْ ذَفَا ^(٤)
أَخَذَهُ الْبَحْتَرَى فَقَالَ :

أَعَانَتْكَ مَا كَانَ الشَّبَابُ مَقْرَبِي إِلَيْكَ فَمَا لَحَسَى الشَّيْبَ إِذْ هُوَ مُبْعَدِي ^(٥)

(١) سائر النسخ « أيضا » بعد كلمة : أبي تمام .

(٢) البيت من قصيدة يمدح بها أبو تمام عبد الله بن طاهر مظهرها :

أَهْنُ عَوَادِي يُوصِفُ وَصَوَاحِبِهِ فَعَزَمًا فَقَدْ مَا أَدْرَكَ النَّجِجُ طَالِبَهُ
وفى هذا المطلع كلام . والبيت الذى نحن بصدده فى وصف جبل ، ومعناه : أن الجبل رعى الأرض
ثم سار فيها فرعته أى أهزلته ، فكأنها فعلت به مثل ما فعل بها .

(٣) د : ركبنا القنا من بعد ما ركب القنا . تحريف . ه : ركب القنا من بعد ما ركب . . .

تحريف : ه : ساقط منها من قوله : ومن هذا الضرب قول أبي تمام . رعت . . . إلى « فى
عسكر متحامل فى عسكر » وهذان البيتان من قصيدة للبحتري فى رثاء قومه مظهرها :

أَقْصَرَ فَإِنَّ النُّهْرَ لَيْسَ بِمَقْصَرٍ حَتَّى يَلْفَ مُقَدَّمًا بِمُؤَخَّرٍ

والبحترى نقل معنى أبي تمام إلى وصف رجلين بعلو السن والحرم فقال :

إِنَّمَا كَانَا يَحْمِلَانِ الرِّمْحَ فِي الْقِتَالِ ثُمَّ صَارَا يَرْكَبَانِهِ أَيْ يَتَوَكَّانِ مِنْهُ عَلَى عَصَا كَمَا يَفْعَلُ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ

(٤) من قصيدة يمدح بها أبا دلف ومظهرها :

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرَ مَا سَلَفَا فَلَا تَكْفَنُ مِنْ شَأْنِكَ أَوْ تَكْفَا

وفى سائر النسخ : لَا أَظْلَمُ النَّاسَ . . . تحريف

النوى : البعد . نوى قذف : بعيدة جداً والمعنى فى تشبيه أخلاقها بالنوى أن فيها موارثها
وشذتها وصعوبة ما يجد المحب فيها .

(٥) البيت من قصيدة يمدح بها أحمد بن المدبر وأولها :

لَعَمْرُ الْمَغَانِي يَوْمَ صَهْرَاءَ أَرْتُدُّ لَقَدْ هِيجَتْ وَجِدًا عَلَى ذَى تَوَجِدُ

وبيت البحتري أنلف وأوضح من بيت أبي تمام .

الضرب الرابع : أن يأخذ المعنى مجرداً من اللفظ . وهذا لا يكاد يأتي إلا قليلاً ، ومنه قول جرير :

« ولا يمنعك من أرب لحاهم سواء ذو العمامة والخمار »
أخذه المتنبي فقال :

ومن في كفه منهم قنساء كمن في كفه منهم خضاب^(١)

الضرب الخامس : أن يأخذ المعنى ويسيراً من اللفظ ، وذلك من أقبح السرقات . وأظهرها شناعة على السارق ، فمن ذلك قول البحرى :

فوق ضَعَفِ الصغار إن وُكِّلَ الأم ر إليه ودون كيد الكبار^(٢)
أخذه من قول أبي نواس :

لم يُجَنَّفَ من كبر عما يُراد به من الأمور ولا أزرى به الصغر^(٣)
وكذلك قول البحرى أيضاً :

كلُّ عيد له انقضاء وكفى كلَّ يوم من جوده في عيد
أخذه من قول على بن جبلة^(٤) :

لِلْعِيدِ يومٌ من الأيام منتظرٌ والناسُ في كل يوم منك في عيدٍ

(١) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، وقد ظفر ببني كلاب مطلعها :

بنيرك راعيا عبث الذئاب وغيرك صارماً ثلم الضراب

(٢) هذا البيت في وصف غلام من قصيدة للبحرى يمدح بها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه إياه وما جاء فيها من وصفه :

لك من ثغره وبخديه ما شئت من الأقحوان والجلنار

أعجى إلا عجالة لفظ عربى تفتح السوار

وكان الذكاء يبعث منه في سواد الأمور شعلة نار

(٣) هذا البيت في وصف غلام أيضاً .

(٤) على بن جبلة هو الشاعر المشهور بالعكوك ، وكان ضريراً ، ومن مداح أبي دلف القاسم ابن عيسى وهو القائل فيه :

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره

فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وبيت ابن جبلة أجد للعموم المفهوم من قوله « والناس » .

وكذلك قول البحترى أيضاً :

جاد حتى أفنى السؤال فلما بادّ منا السؤالُ جاد ابتداءً (١)

أخذه من قول على بن جبّلة :

أعطيت حتى لم تدع لك سائلا وبدأت إذ قَطَعَ العُفَاةُ سؤالها

وكذلك قول أبي تمام :

قد قلّصت شفتاه من حفيظته فَحِيلَ من شدة التعيس مبتسماً (٢)

أخذه من ديك الجن (٣) :

وإذا شئت أن ترى الموت في صو رة ليث في لبدتي رثيال

فألقه غير أنما (٤) لبدتاه أبيض صارم وأسمر على

تلق ليثا قد قلّصت شفتاه فيرى ضاحكاً لِعَيْس الصيال

ومن هنا أخذ المتنبي قوله :

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث مَبْتَسِمُ

لكنه أبرزه في صورة حسنة ، فصار أولى به .

وكذلك قال (٥) أبو تمام :

ولم أمدحك تفخيماً بشعري ولكني مدحت بك المديحا

(١) البحترى في هذا وفي سابقه لم يأت بجديد على بسطة باعه في الشعر ، وما أغناه عن مثل هذه المأخذ .

(٢) قلّص وتقلص بمعنى انضم وانزوى . الحفيظة : الغضب .

خيل : ظن . والبيت من قصيدة له يمدح بها لإسحق بن إبراهيم المصعبى مطلعها :

أصغى إلى البين مغترا فلا جرما أن النوى أسارت في عقله لما

وأخذ أبي تمام من ديك الجن واضح .

(٣) هو عبد السلام بن رغبان كان يلقب بديك الجن ، ولد بحمص سنة ١٦١ هـ ومات سنة ٢٣٥ هـ .

(٤) كذا في ١ . ب : أن . تحريف . ح ، د ، هـ : أن ذا وهو حسن .

(٥) ح ، د ، هـ : قول .

أخذه من قول حسان في النبي صلى الله عليه وسلم :
 « ما إن مدحتُ محمداً بمقاتلي لكنْ مدحتُ مقاتلي بمحمد (١) »

وكذلك قول ابن الرومي :

وكلتُ مجدك في اقتضائك حاجتي وكفى به متقاضياً ووكيلاً

أخذه من قول أبي تمام :

وإذا المجد كان عروني على المرء تقاضيته بترك التقاضي

وكذلك قول ابن الرومي :

ومالي عزاء (٢) عن شباب علمته سوى أنني من بعده لا أخلد

أخذه من قول منصور النمرى (٣) :

قد كدت (٤) أقضي على قوت الشباب أسى لولا تعرّيتُ أن العيش منقطع (٥)

الضرب السادس : أن يأخذ المعنى فيقلبه ، وذلك محمود ، ويخرجه حسنه عن حد السرقة ، فما جاء منه قول أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا ما (٦) لمته لمته وحدى

أخذه من تأخر عنه فقال :

مدحتهم وحدى فلما هجوتهم هجوتهم والناس كلهم معى

الضرب السابع : أن يأخذ بعض المعنى ، وهذا الضرب محمود ، فمن ذلك

(١) لعل أبا بكر رضى الله تعالى عنه نظر إلى قول حسان هذا حين استخلف عمر رضى الله عنه

فقال له عمر : استخلف غيرى ، فقال أبو بكر : ما حبونك لها ، وإنما حبوناها بك . ومن معنى أبي تمام

قول المتنبي :

إذا خلعت على عرض له حللاً وجنتها منه في أبهى من الحلل

(٢) سائر النسخ : غواء ، تحريف .

(٣) سائر النسخ : النيمرى ، تحريف .

(٤) جميع النسخ : كنت ، والتصحيح من المثل السائر .

(٥) ب : لولا تعرّيتُ أن السيف ، تحريف . ج ، د ، هـ : لولا تعرّيتُ أن السيف ... تحريف .

(٦) ساقطة من أ ، ب .

قول أمية ابن أبى (١) الصلت :

عطاؤك زين لامرئ إن حبوته
وليس بشيئ لامرئ بذل وجهه
أخذه أبو تمام فقال :

تُدعى عطاياه وفرأ وهى إن شُهرت
ما زلتُ منتظراً أعجوبة زمنًا
ومن هذا الضرب قول على بن جبلة :

وأثُل ما لم يحوهِ متقدم
وإن نال منه آخر فهو تابع
أخذه المتنبي فقال :

ترفع عن عون (٢) المكارم قدره
والمتنبي وأبو تمام أبرزا ما أخذه ههنا في صورة حسنة . وكذلك قال أبو تمام :
كَلِيفُ بَرَبِ المَجْدِ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَبْتَدِى عُرْفُ إِذَا لَمْ يُتَمِّمْ (٥)

(١) ساقطة من جميع النسخ ، وأميه هذا شاعر مخضرم مجيد في أكثر شعره . أدرك الجاهلية والإسلام ، وهو من ثقيف ، واسمه عبد الله بن ربيعة بن عوف بن أمية مات بالطائف كافراً سنة ٩٩ هـ .
(٢) أتى أمية بمعنيين أحدهما أن عطائك زين ، والآخر أن عطاء غيرك شين . أما أبو تمام فقد أتى بالمعنى الأول لا غير .

(٣) سائر النسخ : كون ، وتحريف .

(٤) العون : جمع عون وهى خلاف البكر . عذارى : جمع عذراء وهى البكر . والبيت من قصيدة يمدح بها كافورا وأولها : كفى بك داء . . . وهو كقوله :

تمشى الكرام على آثار غيرهم وأنت تخلق ما تأقى وتبتدع

(٥) ب : لا يبتدى عرف إذا يتيم ، تحريف . ح ، د ، هـ : لا يبتدى عرفا إذا يتيم ، تحريف .
رب المجد : استدامه .
الديوان :

كلف برب الحمد يزعم أنه لم يبتدأ عرف إذا لم يتم
وبعده :

نظمت له خرز المديح مكارم ينفث في عقد اللسان المضم

وهو من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شابة مطلعها :

نثرت فريد مدامع لم تنظم والسمع يحمل بعض شجو المفرم

أخذه البحرى فقال :

ومثلك إن أبدى الفـعال أعـاده وإن صنع المعروف زاد وتما
الضرب الثامن : أن يأخذ المعنى فيزيد عليه معنى آخر ، وهذا الضرب
لا يكون إلا حسناً ، فمن ذلك قول جرير :

غرائبُ أُلّا ف إذا حان وردها أخذن طريقاً للقصائد معلّماً^(١)
أخذه أبو تمام فقال :

غرائبُ لاقتُ في فنائك أنسها من المجد فهي الآن غيرُ غرائب
فهذا أحسن من قول رير للزيادة^(٢) التي فيه . وهذا البيت من قصيدة يمدح
بها أبا دلف العجلي ، وهي من أمهات قصائده ، وأولها :

على مثلها من أربعٍ وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب
أقول لقُرْحان من البين لم يُصَبْ رسيسَ الهوى بين الحشا والترائب
أى أقول لرجل لم يقطعه أحبابه ، ولم تبعد عنه أصحابه ، وأصل القُرْحان :
الذى لم يخرج عليه الجدرى . ويروى : لقُرْحان بالفاء .

أعني أفرق شمل دمعى فإننى أرى الشمل منهم ليس بالمتقارب
يقول : قد اجتمع دمعى ، لأننى لم أبك رجاء أن يقرب الشمل ، والآن فقد
رأيت أنه ليس بالمتقارب ، فأعني بوقفه على منازلهم ، حتى أبكيهم فاستريح .

فما كان^(٣) فى ذا اليوم عذلك كله عدوى حتى صار مجهلك صاحبى
وما بك إركابى من الرشد متركبا ألا إنما حاولت رُشدَ الركائب
يخاطب الرجل القُرْحان الذى لم يُصَب بالمصائب ، وعذلكه على الرحيل ؛
يقول : ليس بك رشدى ، ولكنك تريد أن تريح الركائب ، وأريد أن أتعبها
بالمسير .

(١) يقصد بالغرائب القصائد التى يهجو بها خصومه فتسير فى الناس .
وقبل هذا البيت :

فإنى لهاجيكم بكل غريبة شرود إذا السارى بليل ترنما

(٢) الزيادة هى : لاقت فى فنائك أنسها .

(٣) الديوان : صار .

فكلنى إلى شوقٍ وسِرِّ بِسِيرِ الهوى ^(١) إلى حُرْفَاتِي بالسدموعِ السواربِ
يقول : أنا لا أطاوعك على ما تريده ، فَسِرِّ وَسَلِّمْنِي إلى شوقى ، فإن هوى
سبيعت دمعى ، ثم خاطب ديار أحبابه ، فقال :

أميدانَ لهوى من أتاح لكِ الردى ^(٢) فأصبحتِ ميدانَ الصَّبَا والجنائب ^(٣)
أصابتك أبكارُ الخطوبِ فَشَتَّتْ ^(٤) هوىَ بأبكارِ الطبَّاءِ الكواعبِ
وركبٍ يُسَاقُونَ الرِّكَابُ زُجَاجَةً من السير لم تقصد لها كفَّ قاطبِ
هذا مثل ، يقول : يسكرون ويُسْكَرون المطى من التعب فكأنهم سقوها زجاجة
ولم تقصد لها كف قاطب أى ليس هى على الحقيقة زجاجة فيها شرابٌ يناولها
الساقى .

فقد أكلوا منها الغواربَ بالسرى فصارت لها أشباحهم كالغواربِ
يقودُ نواصيها جُذَيْلٌ مُشَارِقٌ إذا آبهُ همٌ ^(٥) عَذِيقُ مَغَارِبِ
ويروى : يصرف مسراها ، يقول : يسير بهذه الإبل رجلٌ عالمٌ بالشرق
والغرب يريد نفسه وهذا من المثل الذى قاله أَلْجَبَابُ ^(٦) بن المنذر : أنا جديليها
المحكَّكُ وعَذِيقُهَا المَرْجَبُ ، ويضرب لمن يُسْتَشْفَى برأيه ، والجِذْلُ خشبةٌ تحتكُ
بها الإبلُ الجربى ، والعَذِيقُ النخلة والتصغير فيهما للتفخيم .
يرى بالكعابِ الرُّودِ طلعةً نائِرٍ وبالعِرْمِيسِ الوجناء غرةً آثِبَ ^(٧)

(١) « فكلنى إلى شوقٍ وسِرِّ بِسِيرِ الهوى » كذا فى ١ ، ب والديوان . ح ، د ، هـ

فكلنى إلى شوقٍ وسِرِّ حيث ترتجى

(٢) ح ، د ، هـ : الهوى . الديوان : البلى .

(٣) الصبا : ريح تهب من الشرق . الجنائب : جمع جنوب : ريح تهب من ناحية الجنوب .

(٤) كذا فى ١ ، الديوان . ب فشقت ، تحريف . ح ، د ، هـ : فشقت .

(٥) آبهُ هم : أتاه ليلا .

(٦) من قبيلة الخزرج شهد غزوة بدر وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما شهد المشاهد كلها مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم وتوفى فى خلافة عمر وكان أحد خطباء يوم السقيفة الذين لا يقتنعون إلا باشتراك
الأنصار مع المهاجرين فى ولاية الحكم .

(٧) الكعاب : البنت كعب ثديها أى ظهر . الرود : اللينة .

يقول: يصرف^(١) هذه الركاب رجل^(٢) محجب^(٣) إليه السفر في طلب العلا^(٤) ، فإذا رأى الكاعب من النساء ، رأى بها طلعة نائر دنا لينال منه ، ابغضه الكاعب ، وجبه السفر ، ليلبغ مراده ، وإذا رأى الناقة السريعة السير فكأنه رأى غرة إنسان مقبل عليه .

كأن به ضغننا على كل جانب من الأرض ، أو شوقا إلى كل جانب يقول: من جبه للسير في البلاد ، كأن به ضغننا على كل مكان ، حتى يفارقه ، أو شوقا إلى كل مكان ، حتى يبلغه ؛ وكل ما ذكره من جبه للسير ، حتى يقول : إذا العيس لاقى بي أبا دلف فقد تقطع ما بيني وبين النواذب وهذه الجملة معترضة^(٥) ، يجمع بها القلم في ميدانه ؛ ونعود إلى ما نحن بصدد بيانه .

ومن هذا الضرب قول مسلّم^(٦) بن عبد الملك :
أذلّ^(٧) الحياة وكرة الممات وكلا أراه طعاما وبيللا
فإن لم يكن غير إحداهما فسيروا إلى الموت سيرا جميلا
أخذه أبو تمام ، فقال :
مثل الموت بين عينيه والذلّ وكلا رآه خطباً عظيماً
ثم سارت به المنية قدماً فأمات العدا ومات كريماً
وقول أبي تمام أحسن^(٨) . وكذلك ورد قول الطغرائي^(٩) :

(١) ح ، د ، هـ : يعرف ، تحريف .

(٢) سائر النسخ : يحجب .

(٣) ساقطة من سائر النسخ . هـ يريد بهذه الجملة ما مضى من حديثه عن قصيدة أبي تمام .

(٤) أحد أبناء عبد الملك بن مروان وكان معروفاً بالتجربة والخلق وحسن البصر بالأمور ولما حضرت الوفاة عبد الملك أوصى بنيه بكلام منه : « أخوكم مسلمة نأبكم الذي تفرون عنه ، ومجنكم الذي تستجنون به ، اصدروا عن رأيي » .

(٥) جميع النسخ « ذل » من غير همزة الاستفهام والصواب بها ليستقيم وزن البيت .

(٦) زاد أبو تمام على مسلمة : « أمات العدا ومات كريماً » .

(٧) هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتاب وآخر فحول المشرق في الشعر ومن شعره لامية العجم المشهورة ، وله ديوان مطبوع ، قتل في فتنة سياسية سنة ٥١٣ هـ .

يا مَنْ إذا اجتمع الكتّاب كان له فضلُ الإمارة مقتداً اكتيبتها
 شكت إليك دواتي شيب لمتها وأنت أخلق من طرّى شبيبته^(١)
 وقال مولانا السيد الأجدد أحمد (أفندي) الشهير بابن النقيب ، دامت معاليه :
 لدواة داعيكم مدادٌ شاب من جِوَر اليراع ، وقد رُتّ لمصابه
 وأنت تؤمل فضلكم وتروم من إحسانكم تجديدَ شرخِ شبابه
 ففي قوله — أيده الله — زيادة حسنة ، وهي جِوَر اليراع ، وقد رُتّ لمصابه .
 وكذلك ورد قول أبي نواس :
 قل لمن يدعى سُلَيْمَى سفاها لستَ منها ولا قُلامَة ظفري
 إنما أنت مُلصَقٌ مثلُ^(٢) وأو^(٣) ألحقت في الهجاء ظلماً بعمرو
 أخذه البحرى فقال :
 نخلٌ عنا فإنما أنت فينا وأو عمرو أو كالحديث المعاد
 فالبحرَى زاد على أبي نواس : الحديث المعاد .

وأحسن من قولهما^(٣) قول ماجد الديار الشامية ، مولانا أحمد (أفندي)
 الشاهيني ، طال بقاءه^(٤) ، وهو :

إنما البهنسي أحمد بخطبٌ لا خطيب ولا جليل بقدر
 زيدت الباء فيه ظلماً وعدوا نأ كواو غدت بآخر عمرو

(١) سائر النسخ : طوى ، تحريف

(٢) كذا في ١ ، ب وهامش ح ، هـ . د ، هـ : إنما أنت في الحروف كواو .

(٣) ب ، د ، هـ : قولهما .

(٤) سائر النسخ : أطال الله بقاءه . وأحمد الشاهيني هو : الأديب أحمد بن شاهين القبرسي الأصل ،
 الدمشقي المولد ، الشاعر المنثي المشهور . ولد سنة ٩٩٥ وتوفي سنة ١٠٥٣ هـ بدمشق . كان أول أمره من
 الجنّة ، ثم اشتغل بالأدب والعلم فبرع فيهما وولى قضاء دمشق . وهو الذي استقبل أبا العباس أحمد المقرئ
 لما زار دمشق استقبالا حسنا ، واقترح عليه تأليف كتاب « نفع الطيب » من غصن الأندلس الرطيب ،
 وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب « فألفه وأهداه إليه . وكان للبديعي مؤلف « الصبح المنبي » بالشاهيني
 صلة وثيقة . ترجمه المولى الحجي في كتابه « خلاصة الأثر » ، في أعيان القرن الحادى عشر « (٢١٠ -
 ٢١٧) ، وذكر الأبيات الثلاثة التي ستأتى في ص ٢٠ ، وأوطأ « وقائلة والشمس أعنى » . . .

ووجه حسنه^(١) المناسبة فيه بين الحرفين . وكذلك ورد قول الشريف الرضى :
ولو أن لى يوماً على الدهر لمرّةً وكانت لى العدووى على الخلد ثان
خلعت على عطفك برد شيبتي جوادا بعمري واقتبال زمانى

فقال الشاهينى حرس الله ببقائه الفضل والكرم ؛ ولا برحت أياديه التأمم من
العدم : يخاطب شيخه أبا العباس أحمد بن محمد المقرئ^(٢) المغربى فى آخر
قصيدة ، وأرسل إليه هدية وخمسين غرشا ولا يخفى ما فى هذا البيت الثانى من
الحسن :

لو كان لى أمر الشباب خلعتة بُرداً على علكياك ذا أردان
لكن تعذر بعث أول غايى فبعثت نحوك غاية الإمكان
وكذلك ورد قول أبى تمام :
يصدّ عن الدنيا إذا عنّ سؤددٌ ولو برزّت فى زىّ عند راءناهد
أخذه من قول ابن المعتز^(٣)
ولست بنظار إلى مجانب الغنى إذا كانت العلكياء فى جانب الفقر
وكذلك ورد قول البحرى :
ركبوا الفرات إلى الفرات وأملوا جذلان يُبدع فى السماح ويُغرب

(١) سائر النسخ : حسن ، تحريف .

(٢) ولد بتلمسان ونشأ بها ورحل إلى فاس ثم إلى القاهرة وكان آية باهرة فى علم الكلام والتفسير
والحديث وممجزا فى الأدب والمحاضرات ولم ير نظيره فى جودة القرىحة وصفاء النهن وقوة البديهة وله
المؤلفات الشائعة ومنها نفح الطيب توفى سنة ١٠١٠ ودفن بالقاهرة .

(٣) يريد به عبد الصمد بن المعتز من شعراء الدولة العباسية ولد ونشأ فى البصرة وتوفى سنة ٢٤٠ هـ
وله قصيدة مشهورة فى وصف الحمى مظهرها :

وبنت المنية تنتابنى هدوا وتطرفنى سحره

ومنها :

لها قدرة فى جوم الأنام حباها بها الله ذو القدره
واليبت المنسوب إليه فى الأغاني (١٣ : ٢٢٧) وبعده :

وإنى لصبار على ما ينوبنى وحبك أن الله أثنى على الصبر

أخذه من قول مسلم بن الوليد^(١)
ركبت إليه البحر في مؤخراته^(٢) فأوفت بنا من بعد بحر إلى بحر
إلا أنه زاد عليه : جذلان يُبْدَع في السباح ويُغْرِب . وكذلك ورد قول
أبي نواس :

ليس^(٣) على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
أخذه من قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت^(٤) الناس كلهم غضابا
يحكى عن أبي تمام : أنه دخل على ابن أبي دُواد^(٥) فقال له : أحسبك عاتبا
يا أبا تمام فقال : إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعاً . قال^(٦) من أين هذه
يا أبا تمام ؟ فقال : من قول الحاذق أبي نواس وأنشده البيت السابق ، وفي بيت
أبي نواس زيادة حسنة قد ملكته رِق هذا المعنى ؛ وذلك أن جريراً جعل الناس
كلهم في بني تميم ، وأبا نواس جعل العالم كله في واحد وذلك أبلغ^(٧)

(١) كان يلقب بصريع الفواني لقوله :

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا صريع محيا الكأس والأعين النجل
وكان شاعراً متصرفاً في شعره ويقال إنه أول من تعمد البديع توفي سنة ٢٠٨ هـ .

(٢) مؤخراته : أواخر ركوبه .

(٣) جميع النسخ : وليس . وهو خطأ . (٤) ح ، د ، هـ : رأيت .

(٥) كان أكبر شخصية في عصر المأمون وكان قاضي القضاة للمعتصم اشتهر بإكرام أهل العلم
والأدب وكان إلى ذلك شاعراً مجيداً فصيحاً بليغاً قصده الشعراء بمدحهم كأبي تمام ، والمؤلفون بتأليفهم
كالجاحظ وهو من المعتزلة توفي سنة ٢٤٠ هـ .

(٦) هـ : فقل . (٧) كرر أبو نواس هذا المعنى فقال :

متى تحطى إليه الرجل سائمة تستجمعي الخلق في تمثال إنسان
ولأبي الطيب في هذا المعنى :

(١) هدية ما رأيت مهديها إلا رأيت العباد في رجل

(ب) « أم الخلق في شخص حتى أعيدا »

(ج) ومنزلك الدنيا وأنت الخلاق .

(د) ولقيت كل الفاضلين كأنما

(هـ) نسقوا لنا نسق الحساب مقدما

فعلل وشبه وأوضح المعنى بذكر الحساب واجتماع أعداده في الفذلكة وهذا قريب من قوله :

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم وألف إذا ما جمعت واحد فرد
فجعل الألف واحداً فرداً يجمع ما حته من الأعداد كجمع هذا فضائل آباءه وهو فرد .

الضرب التاسع : أن يأخذ المعنى فيكسيه عبارة أحسن من الأولى ، وهذا هو المحمود الذى يُخرجه حسنه عن باب (١) السرقة ، وعليه قول أبي نواس :

يبدل على ما فى الضمير من الهوى تقلب عينيه إلى شخص من يهوى
أخذه المتنبي فأجاد حيث قال :

وإذا خامر الهوى قلباً صبّ فعليه لكل عين دليل

الضرب العاشر : أن يأخذ المعنى ، ويسبكه سبكاً (٢) موجزاً ، وذلك من أحسن السرقات ، فمن ذلك قول بعض المتقدمين :

أمن خوف فقر تعجلته وأخرت إنفاق ما تجمع
فصرت الفقير وأنت الغنى وما كنت تعدو الذى تصنع

أخذه المتنبي فقال :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر
وكذلك ورد قول أبي تمام :

كانت مساءلة الركبان تُخبرنى عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذننى بأحسن مما قد رأى بصرى

أخذه أبو الطيب فقال :

وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر
وقال أبو تمام :

كم صارم غضب أناف على فتى (٣) منهم لأعباء الوغى حمال
سبق المشيب إليه حتى ابتزه وطن النهى (٤) من مفرق وقذال

(١) ح ، د ، هـ : حد .

(٢) ساقطة من سائر النسخ .

(٣) كذا فى الديوان . وفى جميع النسخ : قفا بهم .

(٤) وطن النهى : كناية عن الرأس . القذال : مؤخر الرأس ، والبيتان من قصيدة يملح بها المعتصم

ويذكر هزيمة بابك الخرى وأوطا :

آلت أمور الشرك شر مآل وأقر بعد تخمط وصيال

أخذه المتنبي فقال وأحسن :

يسابق القتلُ فيهم كلَّ حادثة فما يصيبهم موت ولا هرم
الضرب الحادى عشر : أن يكون المعنى عامًّا ، فيجعله خاصًّا ، أو بالعكس ،
وهذا من السرقات التي يُسامح^(١) فيها صاحبها ، ومنه قول الأخطل^(٢) :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم^(٣)
أخذه أبو تمام فقال :

ألوم من بخلت يده وأغتدى للبخل تريباً ؟ ساء ذاك صنيعا
وكذلك^(٤) قول أبي تمام :
ولو حاردت شمولٌ عذرتُ لِقاحِهَا ولكن منعت الدرَّ والضرعُ حافلُ^(٥)
أخذه المتنبي فقال :

وما يؤلم الحرمانُ من كف حارم كما يؤلم الحرمانُ من كف رازق
الضرب الثانى عشر : أن يزيد المعنى^(٦) بياناً مع المساواة فى أصله ؛ ومنه
قول أبى تمام :

هو الصُّنع إن يعجل فنفعٌ وإن يترث فلكلِّ ريثُ فى بعضِ المواطن أنفعُ

(١) ح ، د ، هـ : تسامح .

(٢) أحد الفحول الثلاثة الذين انتهى إليهم الشعر فى عصر بنى أمية أولم جرير وثانهم الفرزدق
توفى سنة ٩٥ هـ .

(٣) اختلف العلماء فى نسبة هذا البيت فنسبه بعضهم إلى الأخطل ، وبعضهم إلى أبى الأسود ، وبعضهم
إلى المتوكل الليثى الكنانى (انظر المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية للعينى على هامش خزانة
الأدب ص ٤٣٩٣ ، ٣٩٤) .

(٤) أى من قبيل الخاص الذى عم .

(٥) حاردت : مانعت . شول : جمع شائلة وهى ما أتى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف
لبنها . اللقاح : جمع لقوح وهى الناقة قد قبلت اللقاح . الدر : اللبن . الضرع : الثدي ، والبيت من
قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات .

(٦) ح ، د ، هـ : تأنيقاً وبياناً .

أخذه المتنبي فأوضحه بمثال فقال :

ومن الخير بطء سيبك عني أسرع السحب في المسير الجَهَامُ
الضرب الثالث عشر : وهو اتحاد الطريق ، واختلاف المقصد ، فمن ذلك
قول بعضهم :

كَأَنَّهُ غَنَى لَشَمْسِ الضَحَى فَنَقَطَتْهُ طَرَبًا بِالنَّجُومِ
أخذه مولانا^(١) الشاهينى أدام الله سودده ، فقال وأحسن غاية^(٢) الإحسان :
وقائلة والشمس أعنى وقد رأت قروحاً على خدٍّ يفوق على الورد
أما تغتدى تهدي لحبك عؤذةً فقلت وهل تغنى الرق من أخى الوجد
فجاءته ولتهى بالنجوم^(٣) تماماً فأدهشها حتى نُثِرْنَ على الخدِّ^(٤)
وعلماء الأدب يسمون هذا الضرب سلخاً .

الضرب الرابع عشر : قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة ؛ وهذا الضرب
يسمى مسخاً . فما ورد منه قولُ ديك الجن :

نحن نُعزِّيك ومنك الهدى مستخرجٌ والصبر مستقبل
نقول بالعقل وأنت الذى نأوى إليه وبه نعقل^(٥)
إذا عفا عنك وأودى بنا الدَّهرُ فذاك المحسنُ الجميلُ
أخذه المتنبي فقال^(٦) :

إن يكن صبر ذى الرزية فضلاً تكن الأفضل الأعزَّ الأجلأ
أنت يا فوق أن تعزى عن الأح باب فوق الذى يعزىك عقلا
وبألفاظك اهتدى فإذا عزَّ اك قال الذى له قلت قبلا^(٧)

(١) بقية النسخ : مولانا أحمد أفندى الشاهينى . له ترجمة فى ص ١٩٩ .

(٢) ح ، د ، هـ : كل الإحسان .

(٣) ح ، د ، هـ : والنجوم تماماً .

(٤) جاء هذا البيت ثانياً فى ح ، د ، هـ .

(٥) وردت الأفعال فى هذا البيت بالتاء فى جميع النسخ . والصواب أنها بالنون .

(٦-٦) كذا فى ح ، د ، هـ . وفى ا ، ب : قال المتنبي .

(٧) هذه الأبيات مطلع قصيدة يعزى بها سيف الدولة فى أخته الصغرى ، ويسليه بالكبرى .

الضرب الخامس عشر : قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة ، ولا يسمى هذا الضرب مسخاً وإن سموه ، لأنه محمود ، والمسخ مذموم ، فمن ذلك قول المتنبي :

إني على شغفى بما فى خُمُرِهَا لأعِفُّ عما فى سراويلاتها^(١)

أخذه الشريف الرضى فقال :

أَحِنُّ إِلَى مَا تَتَضَمَّنُ الْخُمُرُ وَالْحُلَى وَأَصْدِفُ عَمَّا فِي ضَمَانِ الْمَآزِرِ آخر ضروب وههنا ضرب آخر : وهو أن ينقل المعنى من غير اللغة العربية إليها ، وهذا السرقا الشعرية يجرى مجرى الابتداع كقول المرحوم البوريني^(٢) :

يقولون فى الصبح الدعاء مؤثّرٌ فقلتُ نعم لو كان ليلي له صبحٌ

وكذلك قوله :

وانظر إلى وَرَقِ الغصونِ فإنها مشحونةٌ بأدلةِ التوحيد

[فإنه نقلها من اللغة الفارسية]^(٣)

و^(٤) إذا كانت المقدمة الأولى على ذكر منك ، ولم تذهب ضروب الثانية عنك ، فيجب أن نورد عليك ما قاله العميدى وأبانه ، وما شنع على المتنبي فى

(١) بعض نسخ الديوان : سراويلاتها . والخمر : جمع خمار ، وهو ما تغطى به المرأة رأسها . ومعنى البيت : أنه يهوى وجوههن ، ويعف عن أبدانهن . وقد علق صاحب اليتيمة على البيت بقوله : « كثير من المهر أحسن من هذا العفاف » فإن الشعراء كانت تصف المآزر تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ذكره حتى تخلط المتنبي إلى التصريح الذى لم يمتد له غيره . ١٠ هـ - بتصرف .

(٢) فى بقية النسخ بياض فى موضع : « فى ضمان » .

(٣) البوريني : هو الشيخ حسن بن محمد البوريني الملقب بدر الدين . كان عالماً محققاً ، ذكى الطبع ، فصيح الدبارة ، طليق اللسان ، متين الحفظ حسن الفهم ، عذب المفاكهة ، حوى كثيراً من معارف عصره فى الآداب والعلوم . ولد بقرية صفورية سنة ٩٦٣ وتوفى سنة ١٠٢٤ هـ . وبورين من قرى نابلس . ذكره المولى الحنبلى فى خلاصة الأثر (٢ : ٥١ - ٦٢) . وذكره الشهاب الخفاجى فى « ريحانة الألبا ٢١ - ٢٧ » ، وذكر من شعره ما أورده المؤلف .

(٤) ما بين المعقوفين : ساقط من أ . والبيت الأول « يقولون فى الصبح . . . » من مقطوعة خمسة أبيات أولها بيت الشاهد ، ذكرها الشهاب فى الريحانة طبعة العثمانية « ثم قال : « وفى البيت الأول معنى حسن ، قال إنه ترجمه من الفارسي ، مع أنه مشهور فى كلام العرب قديماً وحديثاً » . وأورد عدة شواهد على ما يقول .

(٥) الواو ساقطة من ب . سائر النسخ : ثم مكان الواو .

الإبانة^(١) ومن أنصف بعد الوقوف عليهما ، وَرَدَّ ما أورده إليهما ، علم أن العميدى دعاه الحسدُ إلى أن جعل محاسنَ أبي الطيب عيوباً . وحسناته ذنوباً .
قال العميدى : قال ديك الجح :

دِعْصُ يُقْلُ قَضِيبَ بَانَ فَوْقَهُ شَمْسُ النَّهَارِ تُقْلُ لَيْلًا مَظْلَمًا^(٢)

قال المتنبي :

غَصْنُ عَلَى نَقَوَى فَلَاحَ نَابَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تُقْلُ لَيْلًا مَظْلَمًا^(٣)

قال العميدى مثل هذا البيت تسميه أصحابه التوارد ، وأخصامه النسخ ، وأنا أعرف أنه تعب في نظم هذا البيت فله فضيلة التعب . قلتُ كل من البيتين ليس فيه معنى مخصوص حتى يحكم بالسرقة ، وتشبيه القد بالقضيب وما تحويه المآزر بالكثيب ، والوجه بالشمس ، والشعر بالظلام ، مما تتوارد عليه الأفهام ، وبيت المتنبي وإن كان هو الأخير فإنه سالم من التكرير ، وقد قال أهل الفضل إنه من الوجوه المنقصة لقول العرب القتل أنقى للقتل ، فتنبه لأمثاله ، ولا تحفل بمقاله .
قال العميدى

قال العلوى الكوفى المعروف بالحِمَّانِ فى بَرِّيَّة^(٤) .

تيهائ^(٥) لا يتخطاها^(٦) الدليل بها إلا وناظره بالنجم معقود

(١) كتاب الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى ، ألفه الشيخ أبو سعيد محمد بن أحمد العميدى تولى ديوان الإنشاء بمصر ، وتوفى بها سنة ٤٣٣ هـ . وفى ترجمته فى معجم الأدباء (١٥ : ٢١٢) أنه أبو سعد ، لا أبو سعيد . وكذلك فى البغية . وقال : إنه أديب نحوى لغوى مصنف أ هـ . وكان فى شدة الانحراف عن المتنبي كما يقول البديعى ، وكما يعلم من مقدمة الإبانة .

(٢) الدعص : الكثيب من الرمل ، ويريد به هنا الردف على التشبيه .

(٣) نقوان : تشنية فقا وهو الكثيب من الرمل . والبيت من قصيدة فى المدح أولها :

« كفى أرائى ويك لومك ألوما » .

(٤) « فى بَرِّيَّة » : ساقطة من : د ، د ، هـ . والعلوى الكوفى المعروف بالحِمَّانِ : هو على بن محمد ، ذكره صاحب الموشح فى موضعين (٣٤٦ ، ٣٥٦) وقال عنه : كان شعر على بن محمد أكبر من علمه . وروى المرزبانى عن جبلة بن محمد الكوفى بالبصرة سنة ٧٤ هـ ، قال : قال لى على بن محمد الكوفى : ربما جاءنى المعنى المليلج فى اللفظ الحسن ، فأشك فى لغته وفى إعرابه ، فأعدل عنه ، ولا أسأل عن ذلك من يعلمه ، كراهة أن أسأل بعد ما كبرت ، وتركى لعلم ذلك حدثا . وله شعر ذكر فيه (« حمان » . ولعلها خطة لبني حمان بالكوفة .)

(٥) د ، د ، هـ : فى رتبة ، تحريف .

(٦) د ، د ، هـ : لا يتخطاها ، تحريف .

قال المتنبي :

عقدتُ بالنجم طرفي في مفاوزه وحرَّ وجهي بحر الشمس إذ أفتلا (١)

قلت : بيت المتنبي أحسن لما فيه من التجنيس والزيادة في المعنى .

قال العميدى : ذكر ابن قتيبة (٢) في كتاب عيون الأخبار لبعض الأعراب :

لى هممة فوق السما ء وباب رزقى الدهر مغلق
هل ينفع الحرصُ الكثي رُ لصاحب الرزق المضيق
إن امرأ آمن الزما ن لمستغفر العقل أحمق

قال المتنبي :

فالموت أت والنفس نفائس والمستغفر بما لديه الأحمق

قلت : الفرق بينهما كما بين السراب والشراب لمن يهتدى مناهج الصواب .

قال العميدى : قال ابن الرومى :

شكوى لو أنا أشكوها إلى جبَلٍ أصمٍّ ممتنع الأركان لا نفلقا

قال المتنبي :

ولو حُمِلْتُ صُمُّ الجبال الذى بنا غداةً افترقنا أو شكتُ تَتَصَدَّعُ (٣)

قلت : لو لم يكن في بيت المتنبي إلا ما تراه من الرقة والإنسجام لكفاه العدولُ

عن الانفلاق إلى التصدع في هذا المقام .

(١) البيت في وصف مهمه ، وقبله :

كم مهمه قذوف قلب الدليل به قلب الحب قضانى بعد ما مطلا

حر الوجه : أشرف شيء فيه يريد أنه كان ينظر إلى النجم نظراً متصلاً خوفاً من الضلال ، وإذا غاب النجم عقد حروجه بحر الشمس والمراد أنه سافر فيه ليلاً ونهاراً حتى بلغ ما أراد. وهذا من قصيدة يمدح بها سعيد بن عبد الله أولها :

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا والبين جار على ضغني وما عدلا

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي أحد علماء اللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه كثير التصنيف والتأليف ومن كتبه : الشعر والشعراء وعيون الأخبار وغيرهما عاش من ٢١٣ - ٢٧٦ هـ .

(٣) هذا البيت من قصيدة أولها :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا فلم أدر أى الظاعنين أشيع

وهو مأخوذ من قول البحترى :

وأكم ما بي من هواك ولو يرى على جبل صلد إذن لتقطعا

قال العميدى : قال أبو تمام :

له منظر فى العين أبيضٌ ناصعٌ ولكنه فى القلب أسودٌ أسْفَعُ^(١)
وقال العَطَوِيُّ^(٢) :

أبعدك الله من بياض بيَّضتَ مِنْ عَيْنِي السَّوَادَا

قال المتنبي :

أبعدَ بَعِدَتَ بياضاً لا بياض له لأنَّ أسودُ فى عيني من الظلم

قال العميدى : قوله أسود فى النحو ركيك^(٣) لم يسمع إلا فى أبيات شواذ نواذر . قلت لنا مندوحه عن الوجه الذى يرد عليه الاعتراض بأن يكون من التبعض^(٤)
قال العميدى :

قال نصر الخبزأرزى :

وأسقمنى حتى كأنى جفونهُ وأثقلنى حتى كأنى روادفهُ

وقال محمد بن أبى زُرعة^(٥) الدمشقى :

أسقمنى طرفهُ وحَمَلَنى هَواه ثِقْلاً كأنى كَفَلَهُ

(١) البيت فى وصف الشيب .

(٢) العطوى : هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطيه مولى كنانة بصرى شاعر وهو أحد المتكلمين الخذاق (عن معجم الشعراء للمرزبانى) .

(٣) لأن أفل التفضيل لا يصاغ من الألوان هكذا فهو شاذ لورود الوصف على أفل وإن أجازوا ذلك فى السواد والبياض دون غيرها من سائر الألوان ، والبيت من قصيدة أوطا :

ضيف ألم برأسى غير محتشم والسيف أحسن فعلامنه باللم

(٤) ويمكن أن يكون : « لأنَّ أسود فى عيني » كلاماً تاماً ثم ابتدأ « من الظلم » كما تقول هو كريم من أحرار ، وسرى من أشراف فن فى هذين المثالين ليست داخل على المفضل عليه . على أن الكوفيين يصوغون أفل التفضيل من الأفعال التى الوصف منها على أفل مطلقاً وعليه جاء بيت المتنبي هذا وهو كوفى .

(٥) هو أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقى من قضاة مصر فى عهد هرون بن خارويه حتى سقوط الدولة الطولونية (من ٢٨٤ - ٢٩٢ هـ وقد اشتهر بالشفقة ورقة القلب .

قال المتنبي :

أعازني سقم جفنيهِ^(١) وحملني من الهوى ثقل ما تحوى مآزره

قلت : لو سمع هذا أبو الطيب لأنشد قول البحرى :

إذا محاسنى اللاتى أتيتُ بها كانت ذنوبى فقل لى كف أعتذر

قال العميدى : قال البحرى :

جلّ عن مذهب المديح فقدكا د يكون المديحُ فيه هجاء^(٢)

وقال نصر الخيز أرزى :

ومن قِلّة ما أُننى عليه صرت كالهاجى

قال المتنبي

وعُظُمُ قدرِكَ فى الآفاق أوهمنى أنى بقلّة ما أثّنتُ أهجوكا^(٣)

قلت حسن بيت المتنبي لا يخفى على ذى مُسكة . قال العميدى : قال ابن

الرومى :

أقسمتُ بالله ما استيقظتمُ لِحَسَنًا ولا وُجِدْتُمُ عن العليا بنوَام

وقال بشار بن برد :

وسهرتُمُ فى المكرمات وكسبها سَهَرًا بغير هوى وغير سَقَام

(١) الديوان ، ، د ، ه : عينيه . والبيت من قصيدة فى جعفر بن كيخلخ أولها :

حاشى الرقيب فخانته ضائره وغيض الدمع فانهلت بوادره

(٢) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف أولها :

يا أبا الأزد ما حفظت الوداداً لمحِب ولا ذكرت الوفاء

(٣) من قصيدة يمدح بها عبد الله بن يحيى البحرى مطلعها :

بكيت ياربى حتى كدت أبكيكاً وجدت بى وبدمعى فى مغانيكاً

وله فى هذا المعنى :

تجاوز قدر المدح حتى كأنه بأحسن ما يثنى عليه يعاب

وقوله :

وكان من عدد إحسانه . كأنه أسرف فى سبه

قال المتنبي :

كثيرٌ سُهَّادِ العين من غيرِ علةٍ يُؤرِّقه فيها يُشرفه الذكر^(١)
قلت : بيت المتنبي أشرف لشرف الذكر .

قال العميدى : قال ابن الرومى :

وقد سار^(٢) شعري الأرض شرقاً ومغرباً وغنى به الخضرُ المقيمون والسفرُ
قال المتنبي :

هم الناس إلا أنهم من مكارم يُغنى بهم حضرٌ ويحدو بهم سفر^(٣)
قلت : أصاب شاكلة الصواب بقوله : ويحدو .

قال العميدى : أنشد ابن قتيبة لبعض الأعراب :

بصيرٌ بأعقاب الأمور برأيه كأن له فى اليوم عيناً على غدٍ
قال المتنبي :

ماضى الجحنان يُريه الحزمُ قبل غدٍ بقلبه ما ترى عيناه بعد غد^(٤)

(١) البيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن يحيى البحتري مطلعها :

أريقك أم ماء الغمامة أم خر بن برود وهو فى كبدي جمر

ورواية نسخ الديوان : « يؤرِّقه فيها يشرفه الفكر » وهى الصحيحة لأن البيت الذى قبله :

ترى القمر الأرضى والملك الذى له الملك بعد الله والمجد والذكر

فحكم المصنف على بيت المتنبي إذن فيه نظر .

(٢) ح : صار . تحريف . (٣) من القصيدة السابقة .

(٤) البيت من قصيدة يمدح بها أبا عباد بن يحيى البحتري ومطلعها :

ما الشوق مقتنما منى هذا الكد حتى أكون بلا قلب ولا كبد

وهذا المعنى قد أكثر فيه الشعراء وكرره المتنبي فقال :

ذكى ، تظنيه طليعة عينه يرى قلبه فى يومه ما يرى غدا

وقال :

ويعرف الأمر قبل موقمه فاله بعد قلبه ندم

وقال :

مستببط من علمه ما فى غد فكأن ما سيكون فيه دوناً

ومن قول أوس بن حجر فى ذلك :

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

وقال أبو تمام :

ولذلك قيل من الظنون جلية علم وفى بعض القلوب عيون

قال المقبول^(١) الجزري :

يجود مالا على العافى سحابهم^١ وتمطر الدم أسيافاً لهم قُضِبُ^(٢)

وقال أبو الحسن النحاس :

إذا أروت الأرض أسيافهم^١ من الدم خلت سحابا هم

^(٣) وقال ابن الرومي :

سماء أظلت كل شيء وأعملت^١ سحاب شتى صوبها المال والدم

قال المتنبي :

قوم إذا أمطرت موتا سيوفهم^١ حسبتها سحبا جادت على بلد^(٣)

قال ابن الرومي :

يغدو فتكثر باللحاظ جراحنا^١ في وجنتيه وفي القلوب جراحه

قال المتنبي :

ما باله لاحظته فتضربت^١ وجناته وفؤادى المجروح^(٤)

(١) المقبول الزيادي الجزري : شاعر ذكره أبو هلال العسكري في ديوان المعاني ص ٢٧٣ ،

وذكره العميد في الإبانة ص ١٥ محرفا ، وفي بعض الأصول : المتبول ، وفي بعضها الآخر : المتبول .

(٢) ح ، د ، هـ : ماء . تحريف . هـ : سحابهم .

(٣-٣) ساقط من سائر النسخ .

(٤) من قصيدة يمدح بها مساور بن محمد الرومي أولها :

جللا كما في فليك التبريح أغذاء ذا الرشا الأغنى الشيخ ؟

وهو من قول كشاجم :

أراه فيدى غده وهو جارحى بعينه والمجروح أول بأن يدى

قال أبو القوافي (١) :

ردت صنائعها عليه حياته فكأنه من نشرها منشور

وقال مؤنس بن عمران البصري :

طوته المنايا والثناء كفيله برد حياة ليس يُخلقها الدهر

قال المتنبي :

كفل الثناء له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور (٢)

قال بشار بن برد :

وإذا أقلّ ليّ البخيلُ عذرتَه إن القليل من البخيل كثير

وقال بعض المتقدمين :

قليلٌ منك يكفيّ ولكن قليلك لا يقال له قليل

(١) البيت منسوب في ديوان الحماسة للشمسي في منصور بن زياد وقد عرف به فقال : هو عبد الله بن أيوب ويكنى أبا محمد كان من أهل اليمامة شاعر مولد فصيح عربي عالم متكلم ، مدح الفضل بن يحيى . وكأنه كان بعد مسلم بن الوليد بقليل .

والبيت من قصيدة أوطا :

لهفا عليك للهفة من خائف يبغي جوارك حين ليس مجير

ونسب البيت في التبيان إلى منصور النمرى .

أما أبو القوافي الذي نسب إليه البيت فأعرابي أسدى غلبت كنيته على اسمه فلم يعرف ذكره المرزباني في معجم الشعراء تحت عنوان : من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين والأعراب المغمورين .

(٢) من قصيدة يرثي بها محمد بن إسحق التنوخي مطلعها :

إني لأعلم والبيب خبير أن الحياة وإن حرصت غرور

وهو من قول الحادرة :

فأثروا علينا - لا أبا لأبيكم - بأحساننا إن الثناء هو الخلد

ومثله لأبي تمام :

سلفوا يرون الذكر عيشا ثانيا ومضوا يعدون الثناء خلودا

قال المتنبي :

وقنعت باللقب وأول نظرة إن القليل من الحبيب كثير ^(١)

قال ابن الرومي :

وأعوام كأن العام يوم وقال أبو تمام :

أعوام وصل كاد ينسى طولها
ثم انبرت أيام هجر أعقت ^(٢)
ثم انقضت تلك السنون وأهلها
فكأنها وكأنهم أحلام
قال المتنبي :

إن أيامنا دهورٌ إذا غب
قال أبو تمام :

فما تترك الأيام من أنت آخذ ولا تأخذ الأيام من أنت تارك

(١) من قصيدة يرقى بها محمد بن إسحق التتويحي مطلعها :

غاضت أنامله وهن بحور
ونجت مكايده وهن سمير
وهذا من قول الموصلي :

إن ما قل منك يكثر عندي
ومثله لجميل :

وإن ليرضى قليل نوالكم
وإن كنت لا أرضى لكم بقليل
ومثله لتوبة الخفاجي :

وأقنع من ليلى بما لا أنا له
ولا آخر :

جودوا على بمنطق أحيا به
إن القليل من المحب كثير
(٢) الديوان : أردفت .

(٣) نص بيت المتنبي :

تدنى خدودهم الدموع وتنفضى
ساعات إيلهم وهن دهور
أما هذا البيت فنسب لأبي المعتصم وقد رواه التتويحي هكذا :

إن أيامنا دهور طوال
ولساعاتنا القصار شهور
وقد روى :

إن أيامنا دهور إذا غب
كما في ن . الجامعة لوجه ٢٣ ١ ونبته للمتنبي ولم نجده في ديوانه وأصل هذا المعنى بيت الحماسة :
يطول اليوم لا ألقاك فيه وعام نلتق فيه قصير

وقال معوج الرقي (١) :

ما يفسد الدهر شيئاً أنت تصلحه وليس يصلح شيئاً أنت تفسده
قال المتنبي :

ولا تفتق الأيام ما أنت راتق ولا ترتق الأيام ما أنت فاتق (٢)
قال أبو العتاهية :

قد كنت صنت دموعي (٣) قبل فرقتي فاليوم كل مصون فيه مبتذل
وقال معوج الرقي :

هان من بعد بُعدك الدمع والصب رُ وكانا أعزّ خلق مصون
قال المتنبي :

قد كنت أشفق من دمعي على بصرى فاليوم كل عزيز بعدكم هانا (٤)
قال معقل العجلي (٥) :

ما في الملابس مفخرٌ لذوى النهى إن لم يزنّها الجود والإحسان
ليس اللثيم تزينه أثوابه كالميت ليس تزينه الأكفان

(١) معوج الرقي : ذكره العميد في الإبانة في أحد عشر موضعاً واستشهد بأبيات له منها هذا البيت ، وذكره ياقوت في المعجم في ترجمة أحمد بن كليب النحوي على لسان صديقه أبي بكر الصنوبري الشاعر في موضعين ص ١١٧ ، ١١٩ وقال : ومعنا أبو بكر المعوج الرقي الشاعر الشامي .

(٢) من قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحق التنوخي مطلعها :

* هو البين حتى ما تأتي الحزائق *

وقد تناهب الشعراء هذا المعنى وأصله من قول العباس بن مرداس السلمى للثبي صلى الله عليه وسلم :

وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لم يرفع

(٣) د ، د ، هـ : دموعا .

(٤) من قصيدة يمدح بها أبا سهل سعيد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكي مطلعها :

قد علم البين منا البين أجفانا تدمي وألف في ذا القلب أحزانا

وهذا من قول أبي نواس في الأمين :

وكننت عليه أحذر الموت وحده فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

وأخذه أبو نواس من قول امرأة من العرب :

كنت السواد لناظري فعليك يبكي الناظر

من شاء بمدك فليمت فعليك كنت أحاذر

(٥) معقل العجلي : هو أخو أبي دلف العجلي ذكره العميد في موضعين من الإبانة هذا أحدهما .

قال المتنبي :

لا يُعجبني مَضِيماً حسنٌ بِزِرتِه وهل يَرُوق دفيناً جودة الكفن^(١)

قال جابر السننسي^(٢) :

خيل شواذب^(٣) أمثال الصقور لها فوارس لا يخافون الردى بُسْلُ
كأنهم خلقوا والخيل تحتهم^٤ وهم أسود وفي أنيابها الأجل

قال المتنبي :

وكأنها نُتجت قياماً تحتهم وكأنهم خلقوا على صهواتها^(٥)

وقال السيد الحميري^(٥) :

قوم نباهم^٦ ليست بطائشة وفيهم^٧ لفساد الدين إصلاح
ويفصحون عن المعنى باللسنة كأنما هي أسياف وأرماح

وقال البحري :

وإذا تألّق في الندى كلامه المص قول خلت لسانه من عَضْبِه

(١) من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الحنصلي وهو يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية ومطلعها :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من لهم أخلاهم من الفطن

(٢) جابر السنبي : شاعر جاهلي قديم من سنبل وهي حي من طيء وقد ذكره العميد في الإبانة في موضعه هذا أحدهما .

(٣) الشواذب : جمع شوزب وهو الطويل الحسن الخلق أو الضامر .

(٤) من قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران ومطلعها :

سرب محاسنه حرمت ذواتها دافى الصفات بعيد موصفاتِها

وهو من قول أبي نواس في أرجوزة يصف فيها اللعب بالكرة والصولجان .

جن هل جن وإن كانوا بشر كأنما خيطوا عليها بالإبر

وبين القولين تفاوت واضح فبقدر ما في قول أبي نواس من النزول والضعف بقدر ما في قول أبي الطيب من العلو والقدرة .

(٥) السيد الحميري : هو إسماعيل بن محمد . التميمي علوى المذهب مخلص له غال فيه ظل حياته يمدح عليها وآله ويسب الصحابة حتى توفي سنة ١٧٣ هـ انظر فوات الوفيات لابن شاعر ص ٢٣ وما بعدها .

قال المتنبي :

كأن ألسنهم في النطق قد جعلت على رماحهم في الطعن خُرصانا ^(١)
قال امرؤ القيس ^(٢) :

ألم ترياى كلما جئت طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيبِ
وقال الخليل ^(٣) الأول :

وزائرة ما ضمتْ قطْ ثوبَهَا بمسك ومن أثوابها المسكُ يسطع
ينمّ عليها ريقُها وحليّها وغرْتُها في الليل والليل أدرع ^(٤)
وقال بشار بن برد :

وزائرة ما مسها الطيبُ برهة من الدهر لكن طيبُها الدهر فائح
قال المتنبي :

أت زائراً ما خامر الطيبُ ثوبَهَا وكالمسك من أردانها يتضوع ^(٥)
قال ابن الرومي :

لو أبى الراغبون يوماً نداءه لدعاهم إليه بالترغيب ^(٦)

(١) من القصيدة السابقة : قد علم البين . . .

والخرصان : جمع خرص بضم الخاء وكسرها وهو السنان .

(٢) رأس شعراء الجاهلية وقائدهم إلى الافتنان في الشعر وتقصيد القصائد وهو صاحب المعلقة المشهورة : قفانك من ذكرى حبيب ومزمل .

(٣) الخليل الأول : كذا ذكره العميد والمراد به الخليل الأصغر كما في معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٥٢ وهو محمد بن أحمد من ولد عبيد الله بن قيس الرقيات مات بعد سنة ثمانين ومائتين أوفيا ، وقد ذكره العميد مرة واحدة في صفحة ٢٠ وذكر له البيتين اللذين ذكرهما المؤلف .

(٤) أدرع : أسود يقال ليلة درعاء إذا كان قمرها يطلع عند الصبح .

(٥) من القصيدة التي مطلعها : حشاشة نفس . . . وقد سبقت الإشارة إليها .

(٦) في : ن . الجامعة : بالترهيب .

قال المتنبي :

وعطاء مال لو عباده طالب أنفقته في أن تلاقى طالبا^(١)

قال التنوخي^(٢) الكاتب :

أنت في الدهر كالطرى من الور د وفي الشعر كالبديع الغريب
فيك بشر يُدنى النجاح من الرا جى ويقضى بالنيل للمطلوب

قال المتنبي :

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد من أياتها^(٣)

قال العوني^(٤) :

مضى الربيع وجاء الصيف يقدمه جيش من الحرّ يرمى الأرض بالشرر
كأن بالجو ما بي من جوى وهوى ومن شحوب فلا يخلو من الكدر

قال المتنبي :

كأن الجوى قاسى ما أقاسى فصار سواده فيه شحوبا^(٥)

(١) من قصيدة في مدح علي بن منصور الحاجب وهو أفضل من قول أبي تمام :

تكاد عطاياه يبحن جنونها إذا لم يعوذها بنعمة طالب

فقد قالوا : ما بالها يحويها إلى الجنون ويلتمس لها العوذ والرقى هلا فك أسرها وقدم خلاصها ولم ينتظر لها نعمة طالب ففعل ما قال أبو الطيب .

وقد تداول الناس هذا المعنى فقال مسلم :

أخ لي يعطيني إذا ما سأله ولو لم أعرض بالسؤال ابتدانيا

وقال أبو العتاهية :

وإنا إذا ما تركنا السؤال فلم نبغ نائله يبتغيينا

وإن نحن لم نبغ معروفه فعروفه أبداً يبتغيينا

وقال أبو تمام أيضاً :

فأضحت عطاياه نوازع شرذا تسائل في الآفاق عن كل سائل

(٢) البيتان ذكرهما العميدى في الإبانة ص ٢٢ ونسبهما للتنوخي أيضاً . وفي الشطر الثاني من

البيت الأول « كالبديع القريب » في موضع « كالبديع الغريب » ورواية المؤلف أجود .

(٣) من القصيدة التي مطلعها : « سرب محاسنه حرمت ذواتها » .

(٤) العوني : ذكره العميدى في الإبانة في ص ٢٢ - ٣٣ - ٦٤ - ٦٥ .

(٥) من قصيدة يمدح بها علي بن محمد بن سيار مطلعها :

« ضروب الناس عشاق ضروباً »

قال بعض المتقدمين : « هو ^(١) جميل بن معمر » :

ونقص دهرُ الشيب عيشي ولم يكن يُنقصه إذ كنت والرأس أسود
نخص زمان الشيب بالدم وحده وأي زمان يا بثينةُ يُحمد

قال المتنبي :

من خص بالدم الفراق فلأنني من لا يرى في الدهر شيئاً يُحمد ^(٢)

قال محمد بن كناسة الأسدي ^(٣) :

تري خيلهم مربوطة بقبابهم وفي كل قلب من سناكبها وقعُ

قال المتنبي :

قيامُ بابواب القباب جيادهمُ وأشخاصها في قلب خائفهم تعدو ^(٤)

قال ديك الجن :

أخا الرأي والتدبير لا تتركب الهوى فإن الهوى يُرديك من حيث لا تدري
ولا تثقن بالغانيات وإن وقت وفاء الغواني بالعهود من الغدر

قال المتنبي :

إذا غدرت حسناء أوفت بعهدها ومن عهدها ألا يدوم لها عهد ^(٥)

(١) كذا في الأصل، وهو ساقط من ب. ح. د. هـ. وهامش الكبير ج ١ ص ٣٣١ : وهو .

وقد رجعنا إلى ديوان جميل - مكتبة صادر - بيروت فلم نجد هذين البيتين .

(٢) من قصيدة يودع فيها صديقاً له أولها : أما الفراق فإنه ما أعهد

(٣) (الأسدي) ساقطة من ح. د. هـ. ومحمد بن كناسة : شاعر كوفي من بني أسد نقل عنه المرزباني في الموشح أخباراً لبعض الشعراء ، وترجمه محمد بن داود بن الجراح في كتاب الورقة بقوله : محمد بن عبد الله بن كناسة الأسدي يكنى أبا يحيى كوفي شاعر راوية للكبت وغيره . ولد سنة ١٢٣ هـ وتوفي بالكوفة سنة ٢٠٧ هـ وله من الكتب : كتاب الأنواء وكتاب معاني الشعر وكتاب سرقات الكبت من القرآن وغيره (ترجم له صاحب الفهرست ص ١٠٥ طبعة مصر) . وترجم له الأغاني (١٣ : ٣٢٧) .

(٤) (الديوان : صيام ، والبيت من قصيدة يمدح بها الحسين بن علي الهمداني أولها :

لقد حازني وجد بمن حازه بعد

(٥) من القصيدة السابقة .

قال علي بن يحيى المنجم^(١) من أبيات يُغنى بها :

وجهه كأن البدر ليلة تمه منه استعار النور والإشراقا
وأرى عليه حديقة أضحى لها حدائق وأحداق الأنام نطاقا

قال المتنبي :

ونحضر تثبت الأبصار فيه كان عليه من حدائق نطاقا^(٢)

قال بشار بن برد :

إذا ابتسمت جادت دموعي^(٣) بوابل من الغيث أجثرته بروق المباسم

وقال الخبز أرزى :

فواعجبا حام يطر ناظري إذا هو أبدى من ثنياه لى برقا

قال المتنبي :

تبلى خدى كلما ابتسمت من مطر برقه ثنياهها^(٤)

قال عبد الصمد بن المعذل^(٥)

يعطيك فوق المني من فضل نائله وليس يعطيك إلا وهو يعتذر

قال المتنبي :

يعطيك مبتدئا فإن أعجلته أعطاك معتذرا كمن قد أجزما^(٦)

(١) علي بن يحيى المنجم : هو أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم البغدادي ، كان شاعرا راوية أخباريا مات سنة ٢٧٥ هـ بسر من رأى في آخر أيام المعتمد وله تصانيف (راجع ابن خلكان ص ٤٩٥ ومعجم الأدباء ١٥ : ١٤٤ - ١٧٥ ، وسمط اللال ٥٢٥) .

(٢) سبق الحديث عن هذا البيت وعن بيت السرى :

أحاطت عيون العاشقين بنحصره فهن له دون النطاق نطاق

في حديث المؤلف نفسه حين قال : وحكى أن السرى الرفاء . . . ص ٧٩

(٣) كذا في ١ ، ٢ ، وفي ب ، د ، هـ : جفوني .

(٤) معناه : كلما ابتسمت فلمعت ثنياهها كالبرق بكيت فجري دمي كالمنطق فكان هذا المطر من ذلك البرق والبيت من قصيدة يمدح بها عضد الدولة .

(٥) عبد الصمد بن المعذل : هو أبو القاسم عبد الصمد بن المعذل ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار شاعر قصيب من شعراء الدولة العباسية بمصرى المولد والمنشأ كان هجاء وكان أبوه وجده شاعرين .

(٦) لم يسعف المتنبي تعبيره حين قال : إن أعجلته ، كمن قد أجزما .

قال صالح بن حيان الطائي^(١) :

صبرت ومن يصبر يجد غيباً صبره
ألذَّ وأحلى من جنى النحل في الفم

قال المتنبي :

فشب واثقاً بالله وثبة ماجد
تري الموت في الهيجا جنى النحل في الفم^(٢)

قال أبو تمام :

لو حار مرتاد المنية لم يجد
إلا الفراق على النفوس دليلاً

قال المتنبي :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت
لها المنايا إلى أرواحنا سبلاً^(٣)

قال أبو مسلم محمد بن صبيح^(٤) :

فعبش ذى الهم^(٥) في هم وفي نكد
وذو الجهالة في خصب وفي فرح

وقال أبو الفتح الإسكندري^(٦) :

اختر من الكسب دونا
زج الزمان بحمق
فإن دهرك دون
إن الزمان زبون

(١) وصفه الصولي في أخبار أبي تمام بأنه غلام أبي تمام والمنشد لشعره و يروى عنه أحاديث عن أبي تمام (اقرأ أخبار أبي تمام ص ٢١٠ ، ٢٦٩) .

(٢) هذا البيت ساقط من سائر النسخ .

(٣) جاء في التبيان : قال ابن القطاع قال لي شيخى محمد بن على التميمي قال لي أبوعلى بن رشد بن قلت للمتنبي عند قراءتي عليه هذا البيت : أضمرت قبل الذكر قال ليس كذلك وليست المنايا فاعلة وإنما هي في موضع خفض (أى بالإضافة والمضاف لها جمع لهاة) وقال الشريف هبة الله بن محمد في أماليه : « لها » من الحشو لأن المعنى غير مقتدر إليها . والبيت من القصيدة التي منها : « عقدت بالنجم طرفي في مقاوزه » وقد تقدم الكلام عنها في هذا الباب .

(٤) أبو مسلم محمد بن صبيح ذكره العميدى في الإبانة ص ٢٦ وقال في نته : صديق الخمار وفى ن . الجامعة لوحة ١٦٢ : الجمار .

(٥) الهم : الهممة .

(٦) أبو الفتح الإسكندري هو اسم نخله بديع الزمان الهمداني في مقاماته الرجل الذى نسب إليه الحوادث التي رواها .

لا تُكْذِبَنَّ بعقل ما العقل إلا جنون^(١)

ولمحمد البجلي^(٢) الكوفي :

هذا زمان مشوم كما تراه غشوم
الجهل فيه جميل والعقل عيب ولوم
والمال طيف ولكن على اللثام يحوم

قال المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم^(٣)
وقال محمد البيدق الشيباني^(٤) :

(١) لا تكذب بالبناء للمجهول وروى لا تكدين : بالبناء للمجهول أيضاً من كذا كرماء إذا حبه أى لا تكن ممنوعاً بعقلك عما فيه صلاح عيشك . أقرأ مقامات بديع الزمان ص ٨١ المطبعة الكاثوليكية
(٢) محمد البجلي الكوفي : في معجم الشعراء (٤٢١) محمد البجلي الكوفي مأموفى ، وكان هجاء للحن بن رجاء بن أبي الضحاك ، والأبيات المنسوبة إليه جاءت في مقامات بديع الزمان في المقامة الساسانية :

الحق فيه مليح ، بدل : الجهل فيه جميل ،
حول اللثام يحوم ، بدل : على اللثام يحوم
انظر المقامات طبعة السعادة ص ٦٧ .

(٣) بيت المتنبي يفوق ما تقدم بحث لا يحتاج إلى بيان ، وهو من القصيدة التي هجا بها إسحق ابن كينغ ومظلمها : لهوى النفوس سريرة لا تعلم
وقد تداول الشعراء هذا المعنى
قال البحتري :

أرى الحلم يؤماً في المعيشة للفتى ولا عيش إلا ما حباك به الجهل
ولآخر :
من لى يعيش الأغبياء فإنه لا عيش إلا عيش من لم يفهم
ولا بن المعتز :

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا

ولآخر :

وأخو الدراية والنباهة متعب والعيش عيش الجاهل المجهول

(٤) محمد البيدق الشيباني : ذكره العميد في الإبانة ص ٢٧ وهو راوية أخبارى كان ينشد هارون الرشيد أشعار المحدثين ، وكان أحسن الناس إنشاداً . وهو شاعر من أهل نصيبين ملقب بالبيدق لقصره « انظر الأغاني ١٣ : ١٤٦)

إني لأُتُصَف في إخطائك دائماً حاشاك من ظلم فلُكِّمٌ لا تُنصف
الظلم طبعك والعفاف تكلف والطبع أقوى والتكلف أضعف

قال المتنبي :

والظلم من (خُلِق) النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم ^(١)

قال أبو الحسن علي بن مهدي الكسروي ^(٢) :

لم أنس يوم تعانقنا وعللي من ريقه صافيا ماشابه كدر
أبصرته فرأيت الشمس طالعة تغشى العيون فيعشى دونها البصر
هذا على أن حول الشمس من شعر ليل يقال له الأصداع والطرر
أنا القاتل وطرفي قاتلي ودمي ما بين قلبي ومن علقت هدر

وقال دعبيل :

لا تأخذوا بظلامتي أحداً طرفي وقلبي في دمي اشركا

قال المتنبي :

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقاتل ^(٣)

قال العتكي ^(٤) :

هدانا الله بالقتلى نراها مُصلِّبة بأفواه الشعاب

(١) هذا البيت من القصيدة التي أشرنا إليها قريباً (في هجاء ابن كنفلج)

(٢) أحد الرواة العلماء النحويين ، كان أديباً ظريفاً شاعراً ، أدب هارون بن علي المتعجم ، ومات في خلافة المعتضد العباسي : ترجم له معجم الشعراء ص ٢٩٢

(٣) هو من القصيدة التي يمدح بها أحمد بن عبد الله الأنطاكي ومطلعها :

« لك يا منازل في القلوب منازل »

والبيت منقول من قول قيس بن ذريح :

وما كنت أخشى أن تكون مني بكى إلا أن ما حان حائن

(٤) هو ثابت قطنة العتكي : من شعراء خراسان وفسانهم أصابه سهم في عينه فكان يحشوها بقطنة فلُقب بها ، وكان من أصحاب يزيد بن المهلب وله أخبار طريفة في الخزائن ج ٤ ص ١٨٤ - ١٨٧ وله ترجمة في الشعر والشعراء ج ٢ .

قال المتنبي :

إذا سلك السماءَ غيرُ هاديٍ فقتلهمْ لِعَيْنِيهِ مَنَارُ^(١)

قال أبو تمام :

ولطالما أمسى فؤادُك منزلاً ومِحْلَةً لظباء ذاك المنزَل

وقال أيضاً :

وقفت وأحشائي منازل للآسى بها وهي قفر قد تعفت منازلُـه

وقال معوج الرقي :

كم وقفنا على الطلول وجئنا بسحاب من الدموع يسهلُ
يا محل الآرام والعيين أهلاً لك في القلب منزل ومحل^(٢)

قال المتنبي :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنتِ وهن منك أو اهل^(٣)

قال أبو تمام :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعِه لم يضق عن أهله بلد

قال المتنبي :

تضييق عن^(٤) جيشه الدنيا ولو رحبت كصدره لم يضق فيها عساكره

قال الناشي^(٥) :

لما عطفن رءوسهنَّ (م) إلى الظعائن في الكليل

(١) من قصيدة يصف فيه إيقاع سيف الدولة ببعض قبائل العرب مطلعها :

طوال قنا تطاعنها قصار وقطرك في ندى وري بحار

(٢) الآرام : الظباء مفردة رُم . العين : جمع عيناء أو أعين وهي بقر الوحش .

(٣) مطلع قصيدة يمدح بها أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي ولهذا المطلع قصة مرت .

(٤) كذا في الديوان . جميع النسخ : في .

(٥) هو أبو الحسين الناشي الأصغر من مداح سيف الدولة ذكره صاحب اليتيمة في ج ١

ص ١٩٧ (مطبعة الصاوي) .

قد رتھن لعشقهن (م) طلبن منهن القبل

قال المتنبي :

ويغيرني جذبُ الزمام لقلبها فها إليك كطالب تقبيلاً^(١)

قال البحرى :

تلقاه يقطر سيفه وسنائه وبنانُ راحته ندى ونجيعاً^(٢)

قال المتنبي :

ملك سينان قناته وبنائه يتباريان دماً وعرفاً ساكبا

قال أبو العتاهية :

وإذا الجبان رأى الأسنة شرعاً عاف الثبات فإن تفرد أقدماً

قال المتنبي :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والتزلاً

قال مسلم^(٣) بن عياش العامري :

وخيل مؤدبة لا تزال قوائمها عالكات اللحم^(٤)

تحن إلى الحرب من غير أن تقادَ وما أفلقتها الحزمُ

وقد ستر النقعُ أعرافها فأذانهما كرهوس القلم

قال المتنبي :

قاد الجياد إلى الطعان ولم يقدُ إلا إلى العادات والأوطان

(١) يقول محبوبته يحملنى على الغيرة جذبك زمام الناقة إليك لأن الناقة تقلب فيها إليك كأنها تطلب

قبلة .

(٢) جميع النسخ : دما . والصواب : ندى كما فى الديوان . النجيع : من الدماء ما كان إلى السواد ،

والغرض هنا الدم مطلقاً

(٣) مسلم بن عياش العامري : ذكره العميدى فى الإبانة ص ٣٦

١ : لا تزال : مصارع رال يزال كخاف يخاف بمعنى ثبت ولم يتحول . عالكات : من علك

الدم .

إن خُلِّيتُ^(٢) ربطت بآداب الوغى فدعاؤها يغنى عن الأرسان
في جحفل ستر العيون غبارُهُ فكأنما يبصرن بالآذان

قال محمد بن مسلم المعروف بابن المولى^(٢) :

ما زلتَ تفرعهم في كل مُعترك ضرباً يحل محل الشيب باللمم
ترى الجماجم منه غير آمنة وسائر الجسم منها^(٣) صار في حرم

قال المتنبي :

خص الجماجم والوجوه كأنما جاءت إليك جسومهم بأمان^(٤)

قال علي بن هارون المنجم^(٥) :

كريم نهته النفس عن شهواتها ووافته^(٦) أقساط المعالي بلا بخس
إذا لم تكن نفس ابن آدم حرة تحن إلى العليا فلا خير في النفس

قال المتنبي :

تلك النفوس الغالبات على العلا والمجد يغلبها على شهواتها

قال أبو تمام :

فلن لم يتقيد يوماً لإيهن طالب وفدن إلى كل امرئ غير وافد^(٧)

(١) كذا في ب والديوان ، وفي سائر النسخ : خيلت وهو تحريف . وهذه الأبيات من قصيدة في مدح سيف الدولة مطلعها : الرأي قبل شجاعة الشجعان .

(٢) محمد بن مسلم المعروف بابن المولى : قال صاحب الأغاني (٣ : ٢٨٦) هو محمد بن عبد الله ابن مسلم بن المولى مولى الأنصار من بني عمرو بن عوف شاعر متقدم مجيد من مخضرمي الدولتين ومداحي أهلها ، قدم على المهدي وامتدحه وكان ظريفاً عفيفاً نظيف الثياب حسن الهيئة .

(٣) كذا في جميع النسخ ، والصواب : « منه » لأن الضمير عائد على « ضرباً » التي في البيت الأول .

(٤) الضمير في « خص » يعود على الضرب في البيت السابق :

ما زلت تضربهم دراكا في الذرا ضرباً كأن السيف فيه اثنان
والبيتان من القصيدة السابقة .

(٥) هو أحد بني المنجم الذين يقول فيهم صاحب اليتمة : وما منهم إلا أغر نجيب ولهم وراثة
قديمة في منادمة الملوك والرؤساء واختصاص شديد بالصاحب .

(٦) ووافته : كذا في ج ، د ، هـ . وفي ب : ووفته - بتشديد الفاء (انظر الفهرست لأبن النديم)

(٧) في المدح بالكرم والضمير في (إيهن) يعود على العطايا .

وقال أيضاً :

وفدتُ إلى الآفاق من نفحاته نِعَمٌ تُسائل عن ذوى الإقتار

قال المتنبي :

وأنفسهم مبدولةٌ لوفودهم وأموالهم في دار من لم يفد وفدُ

قال أبو (١) عمران الضرير الكوفي :

لست أدرى كيف ابتليتُ بقوم لا يخافون ربهم حسادى
حسدوني على الحياة ومن لى بحياة أنال فيها مرادى

قال المتنبي :

ولكنى حسدتُ على حياتى وما خير الحياة بلا سرور

قال أبو أحمد الخراساني (٢) :

وكم مهمه قد جتته بعد مهمه وكم مسلك وعثر وكم منهل قفر
يلين بعزى كل صعب أرومه وهل خطب دهر لا يهونه صبرى

قال المتنبي :

قد هون الصبرُ عندى كل نازلة ولين الغزم حدَّ المركب الحشن

قال بشر بن هُدبة الفزاري :

أرى الحرب في عيني مثل عقيلة فَيؤنسني غشيانُها وعناقُها
ومن لؤم طبع الجاهلين اجتنابُهم ورود المنايا وهي أرى (٣) مذاقها

قال المتنبي :

يرى الجبناء حبَّ الموت جهلاً وتلك خديعة الطبع اللثيم (٤)

(١) في سائر النسخ : قال عمران

(٢) سائر النسخ : أبو محمد وفي الإبانة أبو أحمد بن محمد الخراساني ص ٤١ ، ٥٥ .

(٣) الأرى : العسل .

(٤) روى هذا البيت في نسخ الديوان هكذا : يرى الجبناء أن العجز عقل

قال معوج الرقي :

يُنْفِي المواهب كي تبقى محامدُه
تلقاه إن وهب الدنيا يجملتها
ويُخلص الجودَ من مَنٍّ ومن كدر
لسائل^(١) خَسِجِلًا في زِيٍّ معتر^(١)

قال المتنبي :

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى
فلا الحمدُ مكسوبا ولا المال - باقيا^(٢)

قال الناشئ :

ومن علت في اكتساب المجد همته
ولم يساعده جدُّ بات في تعب

قال المتنبي :

وأُتعب خلق الله من زاد همُّه
وقصّر عما تشتهي النفسُ وجُدُّه^(٣)

قال البحري :

وقد هذبتك الحادثاتُ وإنما
صفا الذهب الإبريزُ قبلك بالسبك

قال المتنبي :

لعل عتبك محمودٌ عواقبه
وربما صحت الأجسامُ بالعلل^(٤)

(١) سائر النسخ « كسائل »

(٢) هذا من أحسن الكلام وقد نظر فيه الشاعر إلى قول الله تعالى :

« لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » وهو من قول الحكيم : إذا لم تتجرد الأفعال من الأذى كان الإحسان إساءة .

(٣) هذا البيت يضربه مثلاً لنفسه ، كأنه يقول أنا أُتعب خلق الله لزيادة همي وقصور طاقتي

عن بلوغ ما أهم به وهو مأخوذ مما في الحديث : إن بعض العقلاء سئل عن أسوأ الناس حالاً ، فقال : من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضائقته ، وقد قال الخليل بن أحمد :

رزقت لباً ولم أرزق مروته وما المروءة إلا كثرة المال
إذا أردت مسامة تقاعدني عما ينوء باسمي رقة الحال

وأصل هذا كله من قول الحكيم : أتعب النامس من قصرت مقدرة واتسعت مروته .

(٤) هذا من كلام الحكيم : قد يفسد العضو لصالح الأعضاء كالكي والفصد اللذين يفسدان

الأعضاء لصالح غيرهما وقد نقله من قول الآخر :

لعل سباً يفيد حباً فالشر للخير قد يحمر

وقريب منه قول ابن الرومي :

قال عبد الله بن طاهر (١) :

إذا كرمْتُ نفسَ الفقيِّ عَفَّ (٢) قلبُه وساعده عيناه واليَدُ والقمُ
وغير جميل أن يُرى المرءَ مطرَقاً وفي قلبه نار من الشوق تُضرمُ

قال المتنبي :

وإطراق طرفِ العين ليس بنافع إذا كان طرفُ القلبِ ليس بمطرق (٣)

قال أبو العتاهية :

بدني ناحِل وصبري بدينُ واعتزائي ماضٍ وجسمي حسير
ومن الموت قد سلمتُ ولكن بعد هذا إلى الممات أصير

= أحمد الله إذ رزقت هجاء هو بعد الحمول فوه باسمك
قد تذكرت موبقات ذنوبي فرجوت الخلاص منها بشتك

(١) عبد الله بن طاهر : أحد قواد المأمون وكان سيداً نبيلاً على الهمة ، ألف له أبو تمام كتاب الحماسة ، وكان أديباً ظريفاً جيد الفناء وله شعر مليح ورسائل طريفة (ابن خلكان ١ : ٣٢٧ - ٣٢٩) دار الطباعة بصرف . وله ابن يسمى عبيد الله وإليه نسب البيتاني في الإبانة . طبع دار المعارف .

(٢) سائر النسخ : عز .

(٣) الإطراق : أن تضرب ببصرك إلى الأرض أي أن إغضاء عينه عن مثل هؤلاء لا ينفعهم إذا كان يلحظهم بنظر قلبه فلا يخفى عليه ما هم فيه ويتضح هذا المعنى بالبيت الذي قبله وهو قوله :
ويمتحن الناس الأمير برأيه ويقضى على علم بكل مخرق
(والممخرق صاحب العيب وهي كلمة مولدة مأخوذة من المخراق وهو منديل يلف ويتضارب به الصبيان) وهذا المعنى الذي شرحناه فيه نظر إلى قول ابن الرومي :
والفؤاد الذكي للناظر المط رق عين يرى بها من وراء
ولا بن دريد :

ولم ير قبل مغضيا وهو ناظر ولم ير قبل ساكتاً يتكلم
وبيت المتنبي من قصيدة في مدح سيف الدولة أوطا :

لعمريك ما يلقى الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقى
وهذا المطلع يذكر بطريفة هي أن الخالدين أبا بكر وأخاه عثمان (وقد تقدمت ترجمتهما) قالا لسيف الدولة : إنك لتخالي في شعر المتنبي : اقترح علينا ما شئت من قصائده حتى نعمل أجود منها فدافعهما زماناً ثم كررا عليه فأعطاهما هذه القصيدة ، فلما أخذها قال عثمان لأخيه أبي بكر : ما هذه من قصائده الطنانات فلا شيء أعطاناها ثم فكرا فقال أحدهما لصاحبه : والله ما أراد إلا قوله :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحسن أراه غباري ثم قال له الحق
(الضمير في « شاء » لسيف الدولة) فتركها القصيدة ولم يعاوداه ولم يعمل شيئاً .

يا خليلي كيف يخدعني الدهر
اسقياني من قبل أن يتقضى
ر ولإني به بصير خبير
أمل^(١) أرتجى^(٢) وعمر قصير

قال المتنبي :

فإن أمرض فما مرض اصطباري
وإن أسلم فما أبقي ولكن
تمتع من سهاد أو رقاد
فإن لثالث الحالين معنى
وقال زريق^(٥) البصري :

فلا تحسبوا الإفتار عاراً عليكم
كذا عادة الدهر الخئون ولم يزل
رأيت الغني عند الأراذل محنة^(٦)
وأعداؤكم مشرؤون بين المحافل
يُخلط في الأحكام حقاً بباطل
على الناس مثل الفقر عند الأفاضل

قال المتنبي :

والغنى في يد اللئيم قبيح
مثل^(٦) قبيح الكريم في الإملاق

(١) سائر النسخ : يرتجى

(٢) هو كقول طرفة :

لمعرك إن الموت ما أخطأ الفتى
وكقول الآخر :

إذا بل من داء به خال أنه نجاء ، وبه الداء الذي هو قاتله

(٣) الرجام : القبور ، واحدها رجم (كجبل) ، يقول : تمتع ما دمت حيا من حالتي النوم
والسهاد فإني لا تنام في القبر . وفيه نظر إلى قول الآخر :

تمتع بالرقاد على شمال فندومك قد يطول على اليمين

(٤) يريد بثالث الحالين : الموت . يقول : إن الموت غير اليقظة والرقاد فلا تظن الموت نوماً .

(٥) زريق البصري : هو أبو جعفر محمد بن بشير البصري المعروف بزريق - كما في : ن . الجامعة

لوحه ٣٤ ب .

(٦) في نسخ الديوان : قدر . والبيت يشبه قول أبي تمام :

كم نعمة الله كانت عنده فكأنها في غربة وإسار
وما أحسن قول العطوى :

نعمة الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على أقوام

قال الناشئ :

يا أكرم الناس أخلاقاً وأوفرهم
أصبحت أفضل من يمشى على قدم
لئن ضَعُفَتْ وأضناك السقام فلم
لو كان أفضل ما في الخلق بطشهم
وإنما العقل شيء لا يجود به
عقلاً وأسبقهم فيه إلى الأمد
بالرأى والعقل لا بالبطش والجلد^(١)
يضعف قوى عقلك الصافي ولم يمد
دون العقول لكان الفضل للأسد
للناس غير الجواد الواحد الصمد

قال المتنبي :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
قال إدريس^(٢) الأعور يرثى عبد الله بن طاهر :

أجبل طرفي فما ألقى سوى جدث
وتربة ما رأيتها عين غانية
وسودتها ينقُس بعد غالية
وارى محاسن ذاك المنظر البهيج
إلا سخت بدم بالدمع ممتزج
وبدلت حمرة التفاح بالسج^(٣)

قال المتنبي :

وأبرزت الخدور مخبات
قال أبو تمام :

تعود بسط الكف حتى لو أنه
أراد انقباضاً لم تطعه أنامله^(٥)

(١) والجلد : معطوف على العقل .

(٢) إدريس الأعور : وفي ن . الجامعة : أبو سليمان الأعور وهو إدريس من أولاد مروان بن أبي حفصة مولى بني أمية يرثى عبد الله بن طاهر لوصة ٤٠ ب

(٣) النقس : المداود الأسود . السج : خرز أسود . والمراد به هنا السواد . الغالية : نوع من الطيب .

(٤) البيت من قصيدة يرثى بها والده سيف الدولة ومطلعها :

نعد المشرفة والعوالى •

وأراد بمخبات : جوارى الفقيده .

ومن خير أبيات هذه القصيدة قوله :

ولو كان النساء كن فقدنا لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للرجال

(٥) وروى : ثناها لقبض .

وقال ابن الرومي :

تَعَوَّدَتِ المَوَاهِبَ والعَطَايا أَنَامِلُ فيضِ رَاحَتِهَا^(١) انْسِجَامُ
فليس لها عن الحمد انفراج وليس لها على المال انضمام

قال المتنبي :

عَجِبًا لَهُ حَفِظَ العَيْنَانِ بِأَمَلٍ مَا حَفِظَهَا الأشياءُ من عَادَاتِهَا

قال العكوك^(٢) :

عَجِبْتُ لَحَرَاقَةِ^(٣) ابنِ الحُسَيْنِ كَيْفَ تَعُومُ وَلَا تَغْرُقُ
وَيَجْرَانِ مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ وَآخِرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجَبَ مِنْ ذَاكَ عِيدَانُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ

وقال أبو البيداء^(٤) :

هُوَ الْمُشْتَرَى الحَمْدَ الكَثِيرَ بِمَالِهِ وَفِي يَدِهِ لِلسَّائِلِينَ سَحَابُ
وَلَوْ مَطَرَتْ كَفَاهُ أَرْضًا لَأَخْصَبَتْ وَأُورِقُ صَفْوَانٌ عَلَيْهِ تُرَابُ

قال المتنبي :

وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابٌ أَكْفَهُمْ مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ^(٥)

(١) جميع النسخ : فيض راحته .

(٢) العكوك : هو علي بن جبلة . في ١ ، ب : أبو العكوك . سائر النسخ : ابن العكوك .
والصواب حذف المضاف من كل

(٣) الحراقات : سفن فيها مراى نيران ، يرى بها العدو .

(٤) أبو البيداء : هو أبو البيداء الرياحي ويسمى أسعد بن عصمة أعرابي نزل البصرة ، وكان يعلم الصبيان بأجرة أقام بها أيام عمره يؤخذ عنه العلم وكان شاعراً (الفهرست لابن النديم ص ٦٦) .

(٥) وفي هذا المعنى يقول مسلم بن الوليد :

لَوْ أَنَّ كَفَا أَعْشَبَتْ لِمَا حَتَا لَبَدَا بِرَاحَتِهِ النِّبَاتُ الْأَخْضَرُ
ولبعض الأعراب :

لَوْ أَنَّ رَاحَتَهُ مَرَّتْ عَلَى حَجَرٍ صَلَدَ لِأُورُقِ مِنْهَا ذَلِكَ الْحَجَرُ
وبيت الأعرابي أجود خيالاً من بيت مسلم فإن صورة الكف وقد أعشوبت وبدا عليها النبات صورة غير مقبولة .

قال أبو تمام :

ومن خدم الأقوام يرجو نوالهم
فلئن لم أخدمك إلا لأخدما^(١)

قال المتنبي :

وما رغبتى فى عسجد أستفيده
ولكنها فى مفخر أستجدّه^(٢)

قال ابن المعتز :

وأرى الثريا فى السماء كأنها
قدمٌ تبدت فى ثياب حداد

وقال معوج الرقى :

كأن بنات^(٣) نعش حين لاحت
نوائح واقفات فى حداد^(٤)

قال المتنبي :

كأن بنات نعش فى دجاها
خرائد سافرات فى حداد

قال بشار :

وظن وهو مُجدٌ فى هزيمته
ما لاح قدومه شخصاً يسابقه

قال أبو نواس :

فكل كف رآها ظنّها قدحاً
وكل شيء رآه ظنه الساق

قال المتنبي :

وضاقت الأرض حتى كاد هاربهم
إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً^(٥)

(١) وله أيضاً فى هذا المعنى :

يا ربما رفعة قد كنت آملها
لديك لا فضة أبنى ولا ذهباً

(٢) وكرره فقال :

وسرث إليك فى طلب المعالى
وسار سوارى فى طلب المعاش

(٣) بنات نعش : مجموعة من سبعة نجوم تسمى الدب الأكبر .

(٤) لابن المعتز فى هذا المعنى :

كان نجوم الليل والليل مظلم
وجوه عذارى فى ملاحف سود

(٥) فى شرح هذا البيت كلام طويل من ذلك قولهم كيف يرى غير شيء وغير شيء . معدوم

والمعدوم لا يرى . وليس الأمر كذلك بل أراد غير شيء . يعبأ به أو أن شيئاً فى البيت يراد به الإنسان خاصة

قال أبو (١) المتورد :

حلّ المشيب بمفرق
أقبّح بضيف قال لي
فكأنه سيف صقيل
لما أتى قرب الرحيل

وقال البحترى :

وددت بياض السيف يوم لقينى
مكان بياض الشيب حل بمفرق

قال المتنبي :

ضيف ألم برأسى غير محتشم
والسيف أحسن فعلا منه باللم

قال الخليل الأكبر :

وخير بلاد الله عندى بلدة
أنال بها عزاً وأحوى بها حمدا

وقال البحترى :

وأحب أقطار البلاد إلى الفتى
أرض ينال بها كريم المطلب

قال المتنبي :

وكل امرئ يولى الجميل محبب
وكل مكان ينبت العز طيب

قال النابغة (٢) :

وتنكر يوم الروع ألوان خيلنا
من الطعن حتى تحسب الجون أشقرا

فالغنى إذا رأى غير إنسان ظنه رجلا يطلبه لأن خوفه من الإنسان

ومثله قول جرير :

ما زال يحب كل شيء بعدهم
خيلا تكرر عليهم ورجالا

وقول جرير يشير إلى قوله تعالى : « يحسبون كل صيحة عليهم » على أن الخوف وحده قد يصور للإنسان أنه يرى أشياء لا وجود لها وهذا معنى غير شىء .

(١) أبو المتورد : كذا فى سائر النسخ والإبانة للعميدى ص ٤٩ وفى ن . الجامعة : أبو المتورد

لوحه ١٥٩ .

(٢) المراد النابغة الجعدي لا النابغة الذبياني وهو شاعر مخضرم عمر طويلا عاش إلى أيام

عبد الملك بن مروان والبيت من قصيدة يمدح بها النبي عليه الصلاة والسلام أولها :

خليلي عوجاً ساعة وتهجراً
ولوياً على ما أحدث الدهر أو ذرا

الجون : الأبيض والأسود ضد والمراد هنا الأول . الأشقر : الأبيض المشرب حمرة .

وقال أبو المهاجر البجلي (١) :

وخاضت عتاقُ الخيل في حومة الوغى دماء فصارت شهبُ ألوانها دُهما

قال المتنبي :

جفتني كَأَنِّي لست أنطقَ قومِها وأطعنهم والشهبُ في صورة الدُّهم (٢)

قال قدامة بن موسى الجمحي (٣) :

شجاع يرى الإحجام كفرأ فيتنى وسمح يرى الإفضال فرضاً فيُفْضِل
وما يتناهى القول في وصف مدحه ولكنني أبغى اختصاراً فأجمل

قال المتنبي :

هو الشجاع يعدُّ البخل من جُبُن وهو الجواد بعد الجبن من بَخَل (٤)

قال إبراهيم البُندَليجي الكاتب (٥) :

أحاول أمراً والقضاء يعوقه فبينى وبين الدهر فيه طراد
ولولا الذى حاولت صعباً مرامه لساعدنى فيه عليه شداد

(١) أبو المهاجر البجلي : أعراي شاعر ينسب إلى الكوفة ذكره العميدى في الإبانة ص ٥١ .

(٢) الشهب من الخيل : ما يخالط ألوانها بياض . والدهم : السود

(٣) قدامة بن موسى : ذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء بقوله : « وكان قدامة بن موسى عالماً

بالشعر ، وكان يقدم زهيراً ويستجيد قوله « الشعر والشعراء طبعة ليدن ١٩٠٢ ص ٥٧ وفي خلاصة أسماء الرجال للخزرجي « قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة الجمحي المكي إمام حرم المدينة مات ١٥٣ هـ .

(٤) مأخوذ من قول الآخر :

إلى جواد يعد الجبن من بخل وباسل بخله يعتده جبناً

يلقى العفاة بما يرجون من أمل قبل السؤال ولا يبغى له ثمناً

وقد بين مسلم بن الوليد أن الشجاعة جود بالنفس في قوله :

يجود بالنفس إذ ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(٥) كذا في ج وهو الصواب وهو منسوب إلى بندليج بلدة مشهورة في طرف النهران من ناحية

الجيل من أعمال بغداد . وعنه حديث في أخبار أبي تمام للصولي ص ٦٧ وما بعدها . بقية الأصول بها تحريف لهذا الاسم ، والبندليجي هذا شاعر معاصر للبحرئى وابن الرومى وكان يشهد مجلسهما كما ذكر الصولي في أخبار أبي تمام ص ٦٧ ، ٦٨ .

قال المتنبي :

أهمّ بشيء والليالي كأنها
وحيدا^(١) من الخُلالن في كل بلدة
تطاردن عن كونه وأطارِد
إذا عظم المطلوب قل المساعد

قال الناشئ :

إليكم بنى العباس عنى فإننى
تركتم طريق الرشد^(٢) بعد اتضاحه
سيظفر^(٣) أهل الحق بالحق عاجلا
أترضون أن تطوى صحائف عصبه
ألم تعلموا أن التراث تراثهم
فلا تذكروا منهم مثالبَ إنما
إلى الله من ميل إليكم لثائب
وأقصتكم عنه ظنون كواذب
وتبعدكم سمرُ القنا والقواضب
كرام لهم في السابقين مراتب
وهم أظهروا الإسلام والكفر غالب
مثالب قوم عند قوم مناقب

قال المتنبي :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها
قال أبو راسب البجلي^(٥) :
ولولا انتقاد الدهر لم يكسُ قاسما
بجلا لا ولم يسلب سواه المعاليا

قال المتنبي :

ولما رأيت الناس دون محله
تيقنت أن الدهر للناس ناقد^(٦)

(١) الديوان : وحيد .

(٢) ١ : المجذ .

(٣) ١ : سيطعن . وقد أثبتنا ما في مصورة ن . الجامعة .

(٤) مأخوذ من قول الحارث بن حلزة :

ربما قرت عيون بشجا مريض قد سخنت منه عيون

وقول الطائي :

ما إن أرى شيئا لشيء يحيا حتى تلاقيه لآخر قاتلا
ولكن المتنبي سبكه في نصف بيت وأحسن فيه .

(٥) أبو راسب البجلي : ذكره المرزباني في معجم الشعراء ضمن الشعراء المجهولين والأعراب

المغمورين من لم يقع إليه أسماؤهم (ص ١٢ طبعة القدسي) .

وذكره العميد في الإبانة ص ٥٨ ، ٥٩ وقال عنه : ودعبل يروى شعره .

(٦) يقول : لما رأيت الناس كلهم دونه في المحل والرتبة والقدرة ، علمت أن الدهر ناقد للناس

وقال أبو راسب أيضاً :

ولو كنت تحوى عمر من قد نهيته بسيفك فى الدنيا لكنت مُخلّداً

قال المتنبى :

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنت الدنيا بأنك خالد^(١)

قال أبو العتاهية :

شيم فتحت من المجد ما قد كان مستغلقاً على المداح

قال المتنبى :

وعلموا الناس منك المجد واقتدروا على دقيق المعانى من معانيكا^(٢)

قال أبو العالية • :

أنارت بك الأوقات حتى تبسمت ورقت حواشيها وطاب نسيمها
فخذ ما صفا منها وعش فى سعادة فليس يباق لهوها ونعيمها

قال المتنبى :

إنعمٌ ولَدٌ فلأُمور أوآخر أبداً إذا كانت لهن أوائل^(٣)

يعطى كل واحد منهم على قدر محله واستحقاقه . وقد ينقد هذا المعنى بأن الدهر يرفع الخامل أحياناً، ويضع النابه .

(١) وقد نقل هذا المعنى المرحوم على الجارم بك إلى ناحية أخرى فقال فى رثاء على إبراهيم باشا

الطيب :

لو حزت كل حياة صنت مهجتها خلدت كالشمس إشراقاً وإصباحاً
(٢) هذا البيت من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى البحرى وفيها :

أحييت للشعراء الشعر فامتدحوا جميع من مدحوه بالذى فيكا

وبيت المتنبى : وعلموا الناس . . . منقول من قول أبى فن

يعلمنا الفتح المديح بمجوده ويحمن حتى يحمن القول قائله

• أبو العالية : - أعرابى راوية فى الدولة العباسية له رواية عن أبى عمران الخزوى فى الشعر والشعراء لابن قتيبة طبع ليدن ١٩٠٢ م ص ٢٦ وفى : ن . الجامعة : أذ. مؤدب المباس بن المأمود .

(٣) منقول من الحكمة : كل ما كان له أول تدعو الضرورة إلى أن له آخر .

قال السيد الحميرى^(١) :

تخفّسى على أغبياء الناس منزلى
إنى^(٢) النهارُ وهم فيه الخفافيشُ

قال المتنبي :

وإذا خفيتُ على الغبيّ فعاذرُ
ألاّ ترانى مقلةً عيماءُ^(٣)

قال العونى^(٤) :

يا صاحبيّ بعدتما فتركتما
أبكى وفاء كما وعهد كما كما
قلبي رهينَ صباة وتصابى
أبكى المحبَّ معاهد الأحباب

قال المتنبي :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه
بأن تُسعدا والدمعُ أشفاه ساجمه^(٥)

قال العونى :

أحب ابن بنت المصطفى وأزوره
وما قدمى فى سعيه نحو قبره
زيارة مهجورٍ يحنّ إلى الوصل
بأفضل منه رتبةً مركزُ العقل

قال المتنبي :

خير أعضائنا الرؤوس ولكن
ففضّلتُها بقصدك الأقدام^(٦)

قال البحترى :

اغتنم فرصة من الدهر واطرب
ليس شئ من الحديدين باقى

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) ه ، هاشم د : أنا

(٣) مأخوذ من قول الشاعر :

وقد بهرت فإأخنى على أحد إلا على أكه لا يعرف القمر

(٤) العونى : ذكره العميدى فى الإبانة فى الصفحات ٢٢ ، ٣٣ ، ٦٤ ، ٦٥ واستشهد بما ذكره المؤلف .

(٥) تقدم الكلام على هذا البيت .

(٦) وهذا كقوله أيضاً :

وإن الفقام التى حوله لتحد أرجلها الأروس

وزمان السرور يمضى سريعاً مثل طيب العِناق عند الفراق
قال المتنبي :

للهو آونة تمر كأنها قبّل يزودّها حبيب راحل
قال منصور النّمّرى :

رضيت بأيام المشيب وإن مضى شبّاني حميداً والكريم أوف
قال المتنبي :

خلقت أوفاً لو رجعت إلى الصبا لفارقت شبي موجّع القلب باكياً
قال البحترى :

تعنوا له وزراءُ الملك خاضعة^(١) وعادةُ السيف أن يستخدم القلماً^(٢)
وقال ابن الرومي :

كذا قضى الله للأقلام مذخّلقت أن السيوف لها مذ أرهفت خدم
قال المتنبي :

حتى رجعت وأقلامي قوائلُ لي المجد لل سيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا ابدأ بعد الكتاب به فإنما نحن للأسياف كالخدم^(٣)

قال البحترى :
أضرت بضوء البدر والبدر طالع
وقامت مقام البدر لما تغيبا

(١) الديوان : رغبة .

(٢) الضمير في « له » يعود على المدوح وهو رافع بن هرثة وأول القصيدة :
بالله آلى يميناً برة قسا ما كان ما زعم الواشي كما زعم
وقبل هذا البيت :

إذا صدعنا الدجى عنا بفرته خلنا بها قسا تجلوه أو ضربا
ما قال معتمداً إن الغمام حكى نداء إلا غي الظن أو وهما
تعنوا له وزراء الملك رغبة وعادة السيف أن يستخدم القلماً

(٣) هذا البيت من قول الأعلام أيضاً وجعل الضرب بالسيف كتابة ، والمعنى : اقتل بالسيف ثم
اكتب بنا ما تقول من شعر في هزيمة الأعداء .

وقال نصر الخبز أرزى :

وما حاجة الركب السُّرّة إذا بدا لهم وجهه ليلاً إلى طلعة البدرِ

قال المتنبي :

وما حاجةُ الأظعانِ حولكِ في الدجى إلى قمرٍ ما واجدٌ لكِ عادمه

قال علي بن جبلة :

قمرٌ نَمَّ عليه نوره كيف يُخفّي الليلُ بدرًا طالعًا

وقال الشعباني (١) :

فإذا جزعت من الرقيب فلا تزرُ فالبدر يفصح كلَّ ليلٍ مظلم

قال المتنبي :

أمنَ ازدياركِ في الدجاء الرقباءُ إذ حيث كنتِ من الظلام ضياءُ (٢)

قال أبو تمام :

مقيم الظن عندك والأمانى وإن قلقك ركابى في البلاد

قال المتنبي :

وإني عنك بعد غد لغاد وقلبي عن فنائك غيرُ غاد

قال أبو تمام :

وما سافرت في الآفاق إلا ومن جدواك راحلتى وزادى

قال المتنبي :

محبك حيث ما اتجهتُ ركابى وضيفك حيث كنتُ من البلاد

(١) الشعباني : هو جابر بن أحمد الشعباني شاعر كان في أيام المعتصم جاء ذكره في الإبانة للعميدى ص ٦٥ ، ٦٩ وذكر بيت الشاهد : فإذا جزعت . . .

(٢) من قول أبي نواس :

ترى حيثما كانت من البيت مشرقاً وما لم تكن فيه من البيت مغرباً

قال البحرى :

ولم أر فى رنق الصرى لى مَوْرِدًا^(١) فحاولتُ ورد النيل عند احتفاله

وقال الكسروى :

وما أنا تارك بحرًا نميرًا وأطمع فى الجداول والسواق
(إذا لَجَّحتُ ما أوليتنيه من النعمى وميت من النفاق)

وقال العطوى :

أأمتاح من بر قليل معينها وأقعد عن بحر زلال مشاربه

قال المتنبي :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

قال إبراهيم بن عيسى فى معرض العتاب :

يا وارث المجد التليد	د وبانى الكرم الأصيل
مالى أراك قبلت أقد	وال الوشاة بلا دليل
قد كنت أحسب أننى	أحظى بنائك الخزيل
حتى رأيت وسائلى	خلقت وضاعت فى السبيل
فعلمت أنى قد غلط	ت وتنت فى خطب طويل
ولقد أتيتك آنفًا	أرجوك فى أمر قليل
أنصف فإنك منصف	إلا لحادمك الدليل
إما إزاحة علة	فيها الشفاء من الغليل
إما فقوت ما أعيد	ش يصون وجهى عن بخيل ^(٢)
إما فإذن استقل	ل به على وجه جميل

(١) كذا فى ١ . وفى الديوان :

ولم أرض فى رنق الصرى لى موردا . . .

الرنق : الكدر . الصرى : الماء يطول مكثه .

وقد جاء هذا الشطر فى نسخ الصبح محرفاً تحريفاً لم تر فائدة فى إثباته .

(٢) « ما » فى قوله « ما أعيش » مصدرة ظرفية أى مدة عيشى .

من لم يعنك على المقام فقد أعان على الرحيل

قال العميدى لمح المتنبي جميع هذه الأبيات وسلخ البيت الأخير في قوله :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالسراحلون هم^(١)

قال أبو هفان المهزومي^(٢) :

جلست فقام الدهر فيما تريده ونمت عن الأشغال والجد ساهر
وأنت لأرباب المكارم كلهم إمام وإن غابوا فإنتك حاضر

قال المتنبي :

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا وأيامه فيما يريد قيام
وكل أناس يتبعون إمامهم وأنت لأهل المكرمات إمام

قال العميدى: أترى يخفى على النساء دون الرجال هذا وما يجرى مجراه أنه سرقة ؟ قال عبد الله بن محمد الرق المكنى بابن^(٣) عمران :

صينت ظهور مطاياتنا لغيبته فليس يركبها من بعده أحد
من يصحب الدهر لم يأمن قلبه يعيش حيران حتى ينفذ الأبد

قال المتنبي :

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنا أن نلّم به ركبنا
ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذبا^(٤)

(١) من قول أبي تمام .

وما القفر بالبيد القواء بل التي نبت في وفيها ساكنوها هي القفر

(٢) أبو هفان المهزومي : في الأصول : ابن هفان المهزومي وهو تحريف والصواب ما أثبتناه .
وأبو هفان هو : عبد الله بن أحمد بن حرب أبو هفان المهزومي العبدي الشاعر كان من أهل البصرة وسكن
بغداد وله محل كبير في الأدب حدث عن الأصمعي . انظر تاريخ بغداد (٩ : ٣٧٠) هفان بفتح
الهاء وكسرهما (عن التاج) والمهزومي نسبة إلى مهزم بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الزاي

(٣) عبد الله بن محمد الرق المكنى بابن عمران : في الإبانة للعميدى ص ٧٦ أنه عبد الله بن محمد
الرق المكنى بابن حمدان يعزى صديقاً له وذكر البيهقي وفي ن . الجامعة لوجه ٩ ب عبيد الله بن محمد الرق
المكنى بابن حمدان وحرف الدال يقرب من الراء .

(٤) فيه نظر إلى قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عذو في ثياب صديق

قال إسماعيل بن محمد الراداني^(١) يمدح الحسن بن وهب :

كأنما الناس مخلوقون من ظلمهم وأنت وحدك مخلوق من النور
تهتز كالغصن عند الجود من طرب^(٢) وتستعين^(٣) بقلب غير مذخور

قال المتنبي :

فلو خلق الناس من دهرهم لكانوا الظلام وكنت النهار
أشدُّهم في الندى هزةً وأبعدهم في عدو مغارا

قال الهرمزي^(٤) :

سقيم المجد مذسقت ، ويبرا حين تبرا ، وبالأعدى السقام
وإذا ما سلمت فالناس طرا سلموا مثلما سلمت وقاموا

قال المتنبي :

المجد عوفي مذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك الألم

قال سعيد الخطيب^(٥) :

وما كنت أدري أن في كفك الغنى وأنت قد أصبحت للمجد عنصرا
وقد كنت في ليل من الشك مظلم إلى أن بدا صبح اليقين فأسفرا
تبرعت بالأموال من غير كلفة وحزت بها عنى الثناء المحبرا

قال المتنبي :

وعادى محبيه بقول عُداته وأصبح في ليل من الشك مظلم^(٦)

(١) إسماعيل بن محمد الراداني : شاعر من أهل جرجان ذكره العميد في الإبانة ص ٧٧ .
وفي الجامعة : إسماعيل بن محمد الباذاني من أهل جرجان وعقبت على بيتيه بقولها : وأبيات الجرجاني
مع بساطتها أسلم من أبيات المتنبي لتركه الإطباق فيها . لوة ٢٤ ب .

(٢) ح ، د ه : كرم .

(٣) تستعين : كذا في الإبانة للعميد ص ٧٧ وهي محرفة في جميع النسخ .

(٤) الهرمزي : هو الحسن بن مخلد من وزراء المعتد ، وكان شاعرا روى له خبرا صاحب
الموشع مع البحري الشاعر ص ٣٤٠ ، وذكر له العميد في الإبانة ص ٧٩ ما أورده مؤلف الصبح
(٥) سعيد الخطيب : شاعر مطبوع الشعر كان في أيام المعتصم ذكره العميد في الإبانة في

موضعين ص ٦٣ ، ٨٠ .

(٦) قبل هذا البيت :

إذا ساء فقل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

قال المستهل بن الكميت :

وإني وإن أُلبستُ ثوب خصاصة ومن رام مدح الباخرين فإنه
فلمستُ لعمري للبخيل بمادح نصحتك : لا تكرم عدوًّا ولا تُنهن
ضعيفُ أساس العقل بادی القبائح ^(١) وما أربى في العيش لولا محبتي
صديقًا لك الخيرات فاقبل نصائحي
لنفعُ محب أو مضرّة كاشح

قال المتنبي :

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو إساءة مُجرم ^(٢)

قال البحرى :

إذا ما الجرح رُم ^(٣) على فساد تبين فيه تفريط الطبيب

قال المتنبي :

فإن الجرح ينغر ^(٤) بعد حين إذا كان البناء على فساد

قال أبو العتاهية :

يا جامعَ المال والآمال تخذعه خوفًا من الفقر هذا الفقر والعَدَمُ
أسأت ظنك بالله الذى خضعت له الرقاب فشابت قلبك الظلم

ومعنى : وعادى محبيه . . . إلخ أنه لسوء ظنه ، وإسراعه إلى تصديق ما يتوهمه يصدق ما يسمعه من التهم في حق من يصادقه ، ولو كان ذلك القول من عدوه فيعادى من يحبونه بوشاية أعدائه ، ويشك في كل أحد فلا يتبين له الصديق من غيره .

(١) ح ، د ، هـ : المقاضح .

(٢) المقابلة في البيت ليست دقيقة

(٣) رم الشيء : أصلحه .

(٤) نغر الجرح : إذا هاج وورم بعد الجهر . الديوان ب : ينغر بالفاء .

والبيت مثل : أى أنهم يطوون لك العداوة في أنفسهم إلى أن تمكنهم الفرصة فلا تبتهم . يدل على ذلك ما قبله :

فلا تفرك السنة موال تقلبن أفدة أعادى
وكن كالموت لا يرثى لباك بكى منه وروى وهو صادى

قال ابن الرومي :

ومن راح ذا فقر وبخل فإنه فقير أتاه البخل من كل جانب^(١)

قال المتنبي :

ومن يتفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر^(٢)

قال أحمد بن مهران الكاتب^(٣) :

أتانى كتاب منك فيه بلاغة^١ يعظمها عجباً به كل كاتب
معان كأخلاق الكرام حميدة^٢ صحاح^٣ بألفاظ كزهر الكواكب

قال المتنبي :

كأن المعاني في فصاحة لفظها نجوم الثريا أو خلائقك الزهر^١

قال أبو أحمد الخراساني^(٤) :

وليس يضرني ضعف^١ وفقر^٢ إذا أنفقت مالى في المعالى
رأيت العار في بخل وكبر^٣ ولست أراه في فقر الرجال

قال المتنبي :

غشاة عيشي أن تغث كرامتي^١ وليس بغث أن تغث المآكل^(٥)

(١) الديوان : ومن راح ذا حرص وجبن
ون . الجامعة : ومن راح ذا فقر وبخل .
(٢) من قول الآخر :

أمن خوف فقر تعجلته تؤخر إنفاق ما تجمع
فصرت الفقير وأنت الغنى وما كنت تعدو الذى تصنع

ومثله :

يخوفني بالفقر قومي وسا دروا بأن الذى فيه أفاضوا هو العسر
فقلت لهم لما لحوني وأكثروا ألا إن خوف الفقر عندي هو الفقر

(٣) أحمد بن مهران الكاتب ذكره العميد في الإبانة ص ٨٣ وأورد له البيتين وفي ن . الجامعة : محمد .

(٤) كذا ورد اسمه في « ١ » والعميد في الإبانة ص ٤١ ، ٥٥ وفي سائر النسخ « أبو محمد »
وفي ن . الجامعة لوجه ٥٠ : أبو محمد الحسين بن تختاخ الخراساني وهو كثير المدح للرشيد ولغيره .
(٥) الغشاة : الهزال ، وهو من قول الحكيم : فقر النفس أشد من فقر الملك والمال .

قال العميدى لقد صار هذا غثًا لاجتماع الغثايات فيه .

قال ابن وهب الفزاري وهو جاهلي^(١) :

أرى الموت في الحرب مثل الحياة لتبليغي النفس فيها الأمل
وأعلم أني امرؤ لا أذو ق طعم الممات بغير الأجل
قال المتنبي :

فوق في الوغى عيشى لأنى رأيت الموت في أرب النفوس
قال تميم بن خزيمة^(٢) :

وليس يضرني قوى إذا ما غزاهم في ديارهم كلاب
زنادى غير مُصلدة وسيفي عليه من دمائهم قِراب
فلا تستحقروني لانفرادي فإن التبر معدنه التراب
قال المتنبي :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام
قال بشار بن برد :

إذا اعتذر الجاني إلى عذرتي ولا سيما إن لم يكن قد تعمد
فن عاتب الجاهل أنعب نفسه ومن لام من لا يعرف اللوم أفسد
قال المتنبي .

وما كل بمعدور بيخل ولا كل على بخل يُلام^(٣)

(١) ابن وهب الفزاري : زادت النسخة « ب » وهو جاهلي ، وفي الإبانة أنه كان يسمى الحبيس ، وهو جاهلي حضر حرب داحس والغبراء . وفي ن. الجامعة لوجية ٢٩ ب : حش بن وهب . . . ثم قالت بعد بيتيه بيت المتنبي : وبين هذا البيت والأبيات التي تقدمت دون بعيد .
(٢) تميم بن خزيمة : ذكره العميدى في الإبانة ص ٨٦ ونعته بقوله : وهو مطبوع الشعر وأورد له هذه الأبيات .

(٣) في هذا البيت تفسيران : أحدهما ليس كل أحد يعدر إذا بخل لأن الغنى لا عذر له في المنع والبخل ، وليس كل أحد يلام على البخل فالمعسر المحتاج إلى ما في يده لا يلام على بخله ، والوجه الآخر أن الذي لا يعدر في بخله من ولده الكرام ، والذي لا يلام في بخله من ولده الثام ويكون على هذا من قول الطائي :

لكل من بنى حواء عذر ولا عذر لطاق لثيم

قال العميدى متهمكاً : هذه الألفاظ إذا سمعها الصوفية تواجدوا عليها لمجانستها كلامهم قال أبو سعيد^(١) الخزوى :

لم يترك الجود فيه غير عاداته ولم يشين وعده كذب ولا حلف^(٢)
فلا يلام على إتلافه كرماً أمواله والذي لم يعطه تكلف
حفظ المروءة يؤذى قلب صاحبها والحب مغرئ به المستهتر الككلف

قال المتنبي :

تلد له المروءة وهى تؤذى ومن يعشق يلد له الغرام
قلت بيت المتنبي أشرف^(٣) من بيت أبي سعيد الخزوى لمن تأملتهما إلا أن لفظه تؤذى آذت بيت المتنبي للضعف تركيبها فيه .

وبيان^(٤) ذلك : أن هذه اللفظة إذا أُوردت في كلام ، فينبغى أن تكون مندرجة مع ما يأتى بعدها ليحسن موقعها ، كما وردت في قوله تعالى : (إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيي منكم) ، وجاءت في بيت المتنبي منقطعة ، وقد جاءت هذه اللفظة بعينها في الحديث النبوى ، وأضيف لها كاف الخطاب ، فأزال ما بها من الضعف والركة ، وذلك أنه اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل عليه السلام فقال : (باسم الله أريقك من كل داء يؤذيك) ، فإنه لما زيد فيها أصلحها وحسنها ؛ ولهذا تزداد الهاء في بعض المواضع كقوله تعالى : (ما أغنى عنى ماله هلك عنى سلطانيته) ، وهذا الموضع غامض يحتاج إلى إمعان نظر ، وربما يُنكير هذا من لم يذق طعم الفصاحة ، ولا عرف أسرار الألفاظ في تركيبها وانفرادها فكم من لفظة واحدة وردت في موضعين زانت أحدهما ، وشانت الآخر ، وذلك من خاصة التركيب ، كما ورد في القرآن الكريم : (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) فلفظه (لى) مثل (تؤذى) ، وقد جاءت في الآية مندرجة

(١) ، ١ ، ب : أبو سعيد

(٢) ، ١ ، ح : خلف .

(٣) هامش ب : أسرف بالسين المهملة

(٤) الكلام من هنا إلى قوله : «رجع إلى ما قاله العميدى» متقول بتصرف كثير عن المثل السائر

لأبن الأثير ، طبعة الحلبي الجزء الأول ص ١٤٢ - ١٤٨ .

متعلقة بما بعدها ، وإذا جاءت منقطة لا تجيء لاثقة ، كقول أبي الطيب المتنبي :

”تمسى الأمانى صرعى دون مبلغه فما يقول لشيء ليت ذلك لي

فهذه اللفظة وقعت في الآية في غاية الحسن ، بخلاف وقوعها في البيت ، ونظير ذلك أنك ترى لفظتين يدلان على معنى واحد إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في موضع تستعمل فيه هذه ، بل يفرق بينهما ، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه ، فن ذلك قوله تعالى : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ، وقوله تعالى : (رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً) ، فاستعمل الجوف في الأولى ، والبطن في الثانية ، ولم يستعمل إحداهما مكان الأخرى ، وكذلك قوله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى) ، وقوله : (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ، والقلب والفؤاد سواء ، ولم يستعمل أحدهما في مكان الآخر ، وعلى هذا ورد قول الحماسي ^(١) :

نحن بنو الموت إذا الموت نزل لا عار بالموت إذا حم الأجل
والموت أحلى عندنا من العسل

وقال أبو الطيب :

إذا شئت حَفَّتْ بي على كل سابع رجال كأن الموت في فيها شهد
فلفظة الشهيد في بيت أبي الطيب أحلى من العسل ، وقد وردت لفظة العسل في القرآن الكريم دون لفظة الشهيد ف وقعت أحسن من الشهيد ، وكثيراً ما تجد ذلك في أقوال الشعراء المفلّحين ، وبلغاء الكتاب ، ومصاقع الخطباء ، وتحتته ^(٢) دقائق ورموز .

رجع إلى ما قاله العميدى ، قال : قال ضمضم الكلابي ^(٣) :

ومُعْتَرَكُ ضَنْكَ الْحِجَالِ شَهِدَتَهُ ولم أخش أسباب المنايا هنالك

(١) هذه ثلاثة أبيات من مشطور الرجز اختارها أبو تمام في الحماسة ونسبها إلى الأعرج المعنى (نسبة إلى من) الطائي أو إلى عمرو بن يثرب . شرح التبريزي على الحماسة ج ١ ص ٢٨٠ .

(٢) كذا في ب . وفي سائر النسخ : ماتحتته .

(٣) ضمضم بن الصلت بن المثنى أبو مهدى الكلابي شاعر وحفيده محمد بن سعيد بن ضمضم

شفيتُ جَوَىٰ صدرى وصُنْتُ عَشِيرَتِي وغادرتُ وجهَ المجد أبيض ضاحكا
فمن شاء أن يبقَىٰ له العزُّ خالداً نني الضميرَ واستسقى السيوفَ البواتكا
إذا لم يكن عن قبضة الموتِ مخلصٌ فعجزٌ وجبنٌ أن تخافَ المهالكَا

قال المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بُدٌّ فمن العجز أن تكون جباناً^(١)

قال أبو العتاهية :

إني أكاشر أعدائي مغالطة وفي الحشا لبَّ من غيظهم ضرمُ
ولج في العذل أقوام مقتهمُ وكان^(٢) في أذني عن عذلهم صممُ

قال المتنبي :

كأن رقيباً منك سدّ مسامعي عن العذل حتى ليس يدخلها عدلُ^(٣)

قال بشار بن برد :

كأن جفوني كانت العيسُ فوقها فسارتُ وسالتُ بعدهن المدامعُ

قال المتنبي :

كأن العيسَ كانت فوق جفني مُناخات فلما تُرن سالا^(٤)

= شاعر فصيح أعرابي مدح محمد بن عبدالله بن طاهر ورثاه بعد وفاته وبقى محمد هذا إلى قبيل الثمانين والمائتين . (معجم الشعراء ٤٥٨) .

(١) هو من قول خالد بن الوليد لما حضره الموت : في جسدَي مائة طعنة وضربة وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البير فلا نامت أعين الجبناء .

(٢) جميع النسخ : كأن . وقد زدنا « واوا » قبلها بعد حذف الهمزة ليستقيم الوزن والإعراب .

(٣) من قول العباس بن الأحنف :

أقامت على قلبي رقيباً وناظري فليس يؤدي عن سواها إلى قلبي
ولحمد بن داود :

كأن رقيباً منك يرعى خواطري وآخر يرعى ناظري ولساني
(٤) ح : سرن . ومعنى ثرن : نهضن للمسير وهذا البيت مبني على ما قبله وهو :

تولوا بغتة فكان بيناً تهيئى ففاجأني اغتيالاً

فكان مسير عيسهم ذميلاً وسير الدمع إثرهم انهمالاً

يقول : كنت لا أبكي قبل فراقهم ، فكان مطاياهم كانت باركة فوق جفني تمسك الدمع عن =

قال هرون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم^(١)

أرى الصبح فيها منذ فارقتَ مظلمًا فان أبتَ صار الليل أبيضَ ناصعًا
قال المتنبي :

فالليل حين قدمتَ فيها أبيضُ والصبح منذُ رحلتَ عنها أسودُ^(٢)

قال العوفي :

إن دهرًا سخا بمثلك سمحٌ ولقد كان قيل هذا بخيلا^(٣)

قال المتنبي :

أعدى الزمانَ سخاؤه فسخا به ولقد يكون به الزمانُ بخيلا^(٤)

قال الخطيب^(٥) في تلخيص المفتاح ، وإن كان الثاني^(٦) دون الأول فالثاني مذموم كقول أبي تمام :

هيهات لا يأتى الزمانُ بمثله إن الزمانَ بمثله لبخيل

= السيل ، فلما رحلوا سال دمعى ، فكأنها ثارت من فوق جفنى .

قال ابن جنى : لم يقل فى سبب بكاء أظرف من هذا البيت ، وإن كنا لا نستطيع هذا الخيال ، ودور بروك الإبل فوق جفنه .

(١) هرون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم : أديب قليل الشعر من أهل بيت الفضل والأدب ولد فى سنة ٢٥١ هـ وتوفى سنة ٢٨٩ هـ وقد تقدم ذكر بعض بنى المنجم فى هامش رقم (١) ص ٢١٩ : هامش (٥) ص ٢٢٥ .

(٢) الضمير فى « فيها » يعود على منبج بلد المدوح : شجاع بن محمد الطائى المنبجى ، والبيت منقول من قول الطائى :

وكافت وليس الصبح فيها بأبيض وأضحت وليس الليل فيها بأسود
(٣) ح ، د ، هـ : ذاك .

(٤) يعنى سخابه على وكان بخيلا به ، فلما أعداه سخاؤه أسعدنى الزمان بضمى إليه وهدايتى نحوه ، وهذا المعنى كثير كقول أبي تمام :

علمنى جودك السباح فإ أبقيت شيئاً لدى من صلتك
وقول ابن الخياط :

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعدانى فأثقلت ما عتدى

(٥) الخطيب : هو سعيد الخطيب وقد ترجمناه فيما سبق . والمفتاح : كتاب فى البلاغة .

(٦) الثانى أى الآخذ والناقل .

وقول أبي الطيب : ولقد يكون به الزمان بخيلا .

وميز الشارح بيت أبي تمام بعدة وجوه :

منها أن قول المتنبي : « ولقد يكون » لم يصب مَحَزَّةً ^(١) ، إذ المعنى على الماضي ، ومنها أن المضارع ^(٢) إذا كان على ^(٣) معناه أى يكون الزمان بهلاكه بخيلا ، لعلمه بأنه سبب لصلاح الدنيا ، ونظام العالم ، فَيَتَرَد : أنه إذا سخا به فقد بذله ، فلم يبق له في تصرفه حتى يسمح بهلاكه أو يبخل ، ومنها أنه على تقدير تصحيح ذلك الوجه يكون فيه مضاف ، ولا قرينة تدل عليه .

ونقل عن أبي على الفارسي أن في بيت أبي تمام تقصيرا ، لأن الغرض في هذا النحو نفي المثل ، وأن يقال : إنه يعزُّ وإنه لا يكون ، فإذا جعل سبب فَقْدِ مثله بُخْلُ الزمان به ، فقد أخلَّ بالغرض ، وجوّز وجود المثل ، ولم يمنعه من حيث هو ، بل من ^(٣) حيث بخل الزمان بأن يوجد بمثله . قال أبو الشمقمق ^(٤) :

المرء ليس بمدرّك من دهره ما يبتغيه
يسقى العليل من الدوا ء خلاف ما هو يشتهي

قال المتنبي :

ما كل ما يتمنى المرءُ يدركه
تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن

قال محمود بن الحسن الوراق ^(٥) :

لا تَلَحْ شَيْبِي وما شاهدت من كبري
ما دمتُ أغدو صحيح العقل والبصر ^(٦)

(١) ح ، د : محله

(٢-٢) « إذا كان على » ساقط من ب ، ح ، د .

(٣) ساقطة من ح ، د .

(٤) أبو الشمقمق : اسمه مروان بن محمد والشمقمق الطويل وهو مولى بني أمية وكان عظيم الأنف أهرت الشدقين وكان غير جيد الشعر على إكثاره وفيه هجاء كثير وقد هاجى بشار بن برد وأبا العتاهية ومروان بن أبي حفصة وأبا نواس وبكر بن النطاح .

(٥) محمود بن الحسن الوراق : كذا في ١ ، تاريخ الخطيب البغدادي (١٣ : ٨٧) . وفي سائر النسخ : محمود بن الحسين . وفي فوات الوفيات (٢ : ٢٨٥) محمود بن حسن الوراق ، ويقول عنه : إنه شاعر أكثر شعره في المواعظ والحكم ، روى عنه ابن أبي الدنيا وتوفى في خلافة المعتصم في حدود الثلاثين والمائتين .

(٦) لا تلح من لاه إذا عابه وقبحه .

قالوا : أبوك تميمي وهمته
وما تميم إذا عدت أولى كرم
شم القنثار وأكل الشحم بالوضر^(١)
فقلت في النار معنى ليس في الحجر

قال المتنبي :

فإن تكن تغلب الغلباءُ عنصرها
فإن في الخمر معنى ليس في العنب^(٢)

قال العميدى هذا لفظ غَثَّ عَمِيَّ ، وذلك منطقي .

قلت بلغ منه تعصُّبه أنه ذم كلاماً أجمع أهل الأدب على حسنه .

قال مروان بن سعيد البصري^(٣) :

أغيتني عن سؤال الباخرين فلا
وصنت عرضي عن كنت أقصدُه
مالي وما لي شماد المال أقربُه
أنت الذي فيك مجد الناس كلهم
أحتاج ما أنت تبقي لي إلى رجل
فلم أنل منه غير المنع والبخل
في لجة البحر ما يغني عن الوشك^(٤)
لولاك أصبحت الدنيا بلا رجل

قال المتنبي :

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به
في طلعة البدر ما يغنيك عن زُحَل^(٥)

(١) القنثار : رائحة البخور والقدر . الوضر . وسخ الدسم واللبن .

(٢) البيت في رثاء أخت سيف الدولة يقول : إن فيها من الكال معاني ليست في تغلب وهو كقوله

فإن تفق الأنام وأنت منهم
فإن المسك بعض دم الغزال
وكقوله :

فإن يك سيار بن مكرم انفضى
فإنك ماء الورد إن ذهب الورد
وهو تفضيل لها على قومها . الغلباء : الغلاظ الرقاب وصفهم بذلك لأنهم لا يخضعون لأحد، وعجز
البيت من جيد الكلام .

(٣) مروان بن سعيد البصري : هو مروان بن سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن
أبي صفرة بصرى من أصحاب الخليل ومن الخذاق بالنحو وكان شاعراً هاجى ابن عمه عبد الله بن محمد
ابن أبي عيينة وله معه مناقضات (معجم الشعراء ٣٩٩) وبغية الوعاة للسيوطي .

(٤) التماذ : الماء القليل .

(٥) زحل : أعلى الكواكب السيارة ويسمى « كيوان » .

قال كعب بن معّدان الأشقري^(١) :

كأن الرماح السمهرات بينهم همومٌ فما يطرقن غير الحشا طرّفا
حُماةٌ كُماةٌ لم يُزْتُوا^(٢) بريية ولا غدرُوا يوما ولا ضيَعُوا حقّا

قال المتنبي :

وقد صُغتَ الأسنّة من همومٍ فما يخطرُن إلا في فؤاد^(٣)

(١) كعب بن معّدان الأشقري : شاعر أزدى سكن خراسان واستفرغ شعره في مدح المهلب وولده « معجم الشعراء للمرزباني ٣٤٦ »

(٢) لم يزّنوا : لم يتهموا .

(٣) قبله : كأن الهام في الهيجايعون وقد طبعت سيفوك من رقاد

وقال هذا المعنى جماعة منهم منصور النمرى قال :

وكان موقعه بمجمعة الفتي سكر المدامة أو نعاس الهاجع

وبيت المتنبي من قول دعلج في على كرم الله وجهه :

كأن سنانهُ أبدا ضمير فليس له عن القلب انقلاب

وصارمه كبيعته بخم فموضعها من الناس الرقاب

« خم » بضم الخاء وتشديد الميم : مكان .

جاء في معجم الأدياء في ترجمة الناشي : حدث الناشي قال : كنت بالكوفة سنة ٣٢٥ هـ وأنا أمل شمري في المسجد الجامع بها والناس يكتبون عني وكان المتنبي إذ ذاك يحضر معهم وهو بعد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبي فأملت القصيدة التي أولها :

بآل محمد عرف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتاب

وقلت فيها :

كأن سنان ذابله ضمير فليس عن القلوب له ذهاب

وصارمه كبيعته بخم مقاصدها من الخلق الرقاب

فلمحتة يكتب هذين البيتين ، ومنها أخذ ما أنشدتموني الآن من قوله :

كأن الهام في الهيجايعون وقد طبعت سيفوك من رقاد

وقد صغت الأسنّة من همومٍ فما يخطرُن إلا في فؤاد

قال الخالغ : وأصل هذا لأبي تمام :

من كل أزرق نظار بلا فطر إلى المقاتل ما في منته أود

كأنه كان ترب الحب مذ زمن فليس يعجزه قلب ولا كب

وعليه وقع المتنبي ، وسبق إلى ذلك ديك الجن أيضاً في قوله :

قنا تنصب في ثغر التراقي كما ينصب في المقل الرقاد

وأبيات المتنبي أمثل الجميع إذا تركت العصية .

قال محمد بن العباس :

أما ترى الزعفران الغضَّ تحسبه مسكٌ ووردٌ وزندٌ طيبٌ رائحة
وقت الصباح إذا أبصرتَه عنما^(١) في^(٢) حالة وكذلك المسك كان دما

قال المتنبي :

وإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

قال علي بن الجهم :

فدارى ومالى والضياع وكلُّ ما تملكته من بعض ما هو باذله^(٣)

قال المتنبي :

أسيرٌ إلى إقطاعه في ثيابه على طريفه من داره بحسامه^(٤)

قال البحرى :

ملوك يعمدون الرماح مخاصرا إذا زعزعوها والدروع غلائلا^(٥)

قال المتنبي :

متعوداً لبس الدروع يخالها في البرد خزاً والهواجر لاذا^(٦)

قال الخبزأرزي :

وشادن زرتُه فرحب بى ترحيب جان على مواليه

جنيتُ ورداً من خدّه بفمى فعشتُ لا عاش من يعاديه

تُحيى رفاتَ العظام^(٧) قبلته لأن ماء الحياة من فيه

(١) العنم : أطراف الخروب الشامى الذى ينبت أخضر ثم تبيدو الحمرة في أطرافه قبل أن ينعقد فإذا عقد تفشته الحمرة كله وظهرت عقده ، وبه تشبه بنان الجوارى .

(٢) في حالة : أى في آن واحد .

(٣) هذا البيت : ساقط من هـ .

(٤) د ، هـ : في حسامه . الإقطاع : جمع قطع وهو ما يقطع . الطرف : الجواد .

(٥) د ، هـ : غلائل .

(٦) في مدح مساور بن محمد الروى : الخبز : ثوب غليظ . اللاذ : ثوب رقيق من الكتان

أو من الحرير .

(٧) د ، هـ ، هـ : العظام الرفات . الرفات : الحطام .

قال المتنبي :

فَذُقْتُ ماءَ حَيَاةٍ مِنْ مَقْبَلِهَا لَوْ صَاحَبْتُ رَبًّا لِأَحْيَا سَالِفَ الْأَمِّ

قال أبو نواس :

يَبْكِي فَيُنْذِرِي الدَّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطِمُ السُّورِدَ بِعُنَابِ

وقال ابن الرومي :

كَأَنَّ تِلْكَ الدَّمُوعَ قَطَرُ نَدَى تَقَطَّرَ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدٍ

قال المتنبي :

تَرْنُو لِيَّ بِعَيْنِ الظُّبَى مُجْهِشَةً^(١) وَتَمْسَحُ الظِّلَّ فَوْقَ السُّورِدِ بِالْغَمِّ

قال مَعْقِلُ الْعِجْلِيِّ :

كَمْ كَتَمْتُ الْهَوَى حَيَاءً مِنَ النَّاسِ أَعْلَنْتُ عِبْرَتِي سَرَائِرَ حَبِي

قال المتنبي :

وَكَاتَمَ الْحُبُّ يَوْمَ الْبَيْنِ مِنْهَتَكَ^{*} وَصَاحِبُ الدَّمْعِ لَا تَخْفَى سَرَائِرُهُ

قال العَوْنِيُّ :

تَحَارَ خَوَاطِرُ الْمُدَّاحِ فِيهِ وَيَعْجِزُ عَنْ فَضَائِلِهِ اللِّسَانُ

وقال أَيْضًا :

تُضِلُّ عَقُولُ النَّاسِ فِي نَعْتِ فَضْلِهِ وَيَغْرَقُ فِي أَمْوَاجِ أَفْضَالِهِ الْفِكْرُ

قال المتنبي :

إِذَا تَغْلَغَلَ فِكْرُ الْمَرْءِ فِي طَرَفٍ مِنْ مَجْدِهِ غَرَقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ

(١) المجيشة : المتهينة للبكاء .

قال البحرى :

وبلوتُ منك خلائقا محمودة لو كن فى فلك لكن نجوما^(١)

قال المتنى :

أقلب منك طرفى فى سماء وإن طلعت كواكبها خصالا

قال العونى :

وإنى ليسرى بى أغرُ^١ محجل
ويصحبني من نسل أعوج ضمّر^٢
عليها كهول^٣ دارعون تلثموا
سُرّى لا يبالي فيه بالنحس والسعد
عتاق^٤ هداة لا تجور عن القصد^(٢)
حياء^٥ فهم بالبعد فى صورة المرء

قال المتنى :

تُبدل أياى وعيشى ومترى
وأوجه^٦ فتيان حياء تلثموا
وقال فى موضع آخر :
نجائب لا يُفكرن فى النحس والسعد
عليهن لا خوفا من الحر والبرد
كأنهم^٧ من طول ما التثموا مرء^(٣)

• • •

قال السيد الحميرى :

وإن مسيرى من ذراك ضرورة^٨
وما رحلتى إلا تبشر عاجلا
ولولا اضطرارى ما رضيتُ بذلكا
بأنى أقسم الدهر تحت ظلالكا

قال بعض المتقدمين :

سنرجع إن عشنا ونقضى أذمة فكم من فراق كان داعية الوصل

(١) فى الأصل المخطوط « ا » وبلون بنون النسوة ولا مرجع لهذا الضمير فى القصيدة وقد ورد البيت فى الديوان :

وشكرت منك مواهب محمودة لو سرن فى فلك لكن نجوما
ولذلك رأينا أن تكون : بلوت بالناء لا بالنون .

والبيت من قصيدة فى مدح إبراهيم بن الحسن بن سهل .

(٢) أعوج : فرس شهير عند العرب . ضمّر : جمع ضامر . العتاق : الكرام .

(٣) صدر هذا البيت : « سأطلب حقّ بالقنا ومشايخ »

وقال أبو تمام :

أَلْقَى النّحِيبَ كَمِ افْتِرَاقِ أَظْلَ فَكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعِ

قال المتنبي :

لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلًا يُعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذَرَاكََا (١)

قال ابن الرومي :

يَرَى الصَّعْبَ سَهْلًا إِنْ تَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَغُرَّةَ وَجْهِهِ يَهْزِمُ النَّحْسَ سَعْدُهُ
بِعِزِّ صَقِيلٍ لَا تُفْلُ مُضَارِبُهُ وَتَطْلُعُ فِي أَفْقِ السَّعُودِ كَوَاكِبُهُ

قال المتنبي :

فَإِنَّكَ مَا مَرَّ النَّحُوسُ بِكَوْكَبِ وَقَابَلْتَهُ إِلَّا وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ (٢)

قال المهيم بن الأسود التَّخَعَّى :

إِذَا نَالَ بِالسَّيْفِ الْفَتَى سَوْءَ نَفْسِهِ وَمَنْ لَمْ يَصْنِ فِي حَاجَةِ مَاءٍ وَجْهَهُ
تَرْفَعُ عَنْ تَدْنِيسِهَا بِسْؤَالِ عَنْ النَّاسِ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابَ جَلَالِ

قال المتنبي :

مَنْ أَطَاقَ التَّمَّاسَ شَيْءٌ غَلَابًا وَاجْتِصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سَوْأَلًا

وقال موسى بن عمران :

أَصْبَحْتُ مِنْ مَعْشَرٍ مَا فِي قُلُوبِهِمْ يَسْتَسْهَلُونَ صَعَابَ الْحَادِثَاتِ فَهَمَّ
مِنْ السَّيُوفِ وَمِنْ خَوْضِ الرَّدَى فَرَّقُ يَلْقَوْنَهَا بِنَفُوسٍ مَا بِهَا قَلْقُ

قال المتنبي :

وَإِنَّا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسٍ كَثِيرُ الرِّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ

(١) الذرا : الكنف والناحية

(٢) البيت من قصيدة في مدح كافور أولها :

أود من الأيام ما لا تنوده وأشكو إليها بيننا وهي جنده

لَمَنْ هَوْنُ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً وَلِلْبَيْضِ فِي هَامِ الْكِمَاةِ صَلِيلٌ^(١)
وقال البحرى :

كسّتك يدُ الأيّامِ ثوبَ جلاله فغابت عواذِها وزالتْ خطوبُها
إذا اعتلّ ذو فقر فأنت شفاؤه وإن شكتِ الدنيا فأنت طيبُها
قال المتنبي :

وكيف تُعلِّك الدنيا بشيء وأنت لعلّة الدنيا طيب ؟
قال ابن الرومي :

إن اقبلتْ فالبدر لاح وإن مشت فالملك فاح وإن رنت فالريمُ^٢
قال المتنبي :

بدت قمرًا ومالتْ خُوطُ^(٢) بان وفاحتْ غبراً ورنت غزالاً^(٣)
قال مَخْلَدُ بْنُ بَكَارِ الْمَوْصِلِيِّ^(٤) :

لا عدمناه من همام كريم السَّعْدِ غمرِ الندى حميدِ الحِصَالِ
يُحسنُ الكَرَّ في الكلام وفي الإقْدَامِ يومِ الوغى وعند النّوَالِ^(٥)
قال المتنبي :

هم المحسنون الكَرَّ في حومةِ الوغى وأحسن منه كَرُّهم في المكارم

(١) بين البيتين خمسة أبيات والبيت الثاني من هذين لا يتضح معناه إلا بذكر سابقه وهو :
فإن تكن الدُّلُوات قسماً فإنها لمن ورد الموت الزوام تدول
لمن هون الدنيا ...

والقصيدة في مدح سيف الدولة ومطلعها

ليالي بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل
(٢) الخوط : الغصن الناعم .

(٣) ما بين القوسين وأولهما في ص ٢٥٥ ساقط من سائر النسخ . وهي : ب ، ح ، د ، هـ .

(٤) مخلد بن بكار الموصلي : شاعر معاصر لأبي تمام أقام بالموصل وأصله من الرجة كان بينه وبين أبي تمام الشاعر أهاج ، وقد عقد الصولي في كتاب أخبار أبي تمام فصلاً في أخبار مخلد مع أبي تمام ص ٢٤٣ وما بعدها وضبط في الأغاني وسمط اللالي مخلد بوزن جعفر . هامش أخبار أبي تمام ص ٢٣١
(٥) ح ، د ، هـ : الزوال .

قال أبو العتاهية :

أجدادُهُ علَّموه في طفولته قتل العدا واكتسابَ الحمدِ بالجوْدِ
فاجتثَّ دابر أعداء ذوى حسد وفي السَّاحة أفى كلِّ موجودِ

قال المتنبي :

ففى علمته نفسه وجدوده قراع الأعداى وابتدار^(١) الرغائب
ألا أيها المالُ الذى قد أباده تعرَّضَ فهذا فعله فى الكتائبِ

قال بشار بن بُرد :

لعمرى لقد هذبتُ قولى ولم أدع مقالات لغتاب ودعوى لمن لَحَا
ومن كان ذا فهم بليد وعقله به عِلَّةٌ عاب الكلام المنقحا

قال المتنبي :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
قال عبد الرحمن بن دارة^(٢) :

فإن أنتم لم تقتلوا بأخيكم فكونوا بقايا للخلوق^(٣) وللكُحل
ويبيعوا الردينيات بالخمرواقعدوا على العار وابتاعوا المغازل بالنَّبلِ

قال الناشئ الأكبر :

إن كنت بالذل راضياً فأرح فى الجفنِ حدَّ المهند الخندِ^(٤)
فالمرءُ بالجود والشجاعة والـ همة يحوى محاسن الكرمِ

(١) فى الديوان : ابتذال وهو قريب من البذل والبيتان غير متتالين وهما من قصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوى أوطا :

أعيذوا صباحى فهو عند الكواعب وردوا رقادى فهو لحظ الحباب

(٢) عبد الرحمن بن دارة : ترجم له ولأخيه سالم معجم الشعراء ، وهما من بنى عبد الله بن غطفان وقال عنهما : شاعران محسمان ، قد كتبت أشعارهما وأخبارهما فيما تنخلته من أشعار بنى عبد الله بن غطفان ، ودارة أمهما وهى امرأة من بنى أسد ، سميت بذلك لأنها كانت جميلة شبت بدارة القمر .

(٣) الخلق : الطيب .

(٤) الخند : القاطع .

قال المتنبي :

إذا كنتَ ترضى أن تعيشَ بذلةً فلا تستعِدَنَّ الحسامَ اليائِسا
ولا تستطيلنَ الرماحَ لغارةٍ ولا تستجيدنَ العِناقَ المَدَاكيا^(١)

قال بشار بن بُرْد :

والجِدَ ليسَ بزائدٍ في رزقِ مَنْ يسعى وليسَ بناثِمٌ عنِ ناثِمٍ
ويموتُ راعى الضأن عند تمامه موتَ الطيبِ الفيلسوفِ العالمِ

قال المتنبي :

يموتُ راعى الضأن في جهله ميتة جالينوس في طبيه^(٢)

وقال الخبزأرزي :

إن نفسى تذوبُ في كل حينٍ حشراتٍ ومن جفونى تسيلُ

وقال الجَهْمِيّ^(٣) :

وليس الذى يجرى من العين ماؤها ولكنها روحٌ تذوبُ فتقطُرُ

وقال الواسطى^(٤) :

وقائلة : أئىُّ الدماء التى غدتُ تجود بها عند الوداعِ المحاجرُ
فقلتُ لها : نار الحشا صعدتُ بها فهن على خدىَّ بيض بواذر
ألم ترَ حسنَ الوردِ يبيضُ ماؤه فيقطرُ من نار تُجِنُ الضمائرُ

وقال الجُعْفَى الكوفى :

دمعى جرى من جفونى يوم بينهمُ فلستُ أعلمُ دمعى كان أم روحى ؟

(١) استعد الحسام : أعده واتخذة عدة . المذاكى : الخيل التى اكتملت قوتها .

(٢) جالينوس : طبيب يونانى قديم .

(٣) الجهمي : هـ ، د ، هـ : على الجهمي .

(٤) الواسطى هو محمد بن يعقوب المكنى بأبى جعفر ويعرف بمشقال ، نزل بغداد وغلب على شعره

مع قلته الهجاء والرفث وكان من أصحاب ابن الرومى أول أمره ينحله أشعاره فى هجاء القحطبي وغيره (معجم

الشعراء ص ٤٤٨)

وقال بشار :

حشاشتي^(١) ودعتني يومَ بينهم
وقد أشاروا بتسليم على حذر
وشيعتهم* وخلتني وأحزاني
من الرقيب بأطراف وأجفان

قال المتنبي :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا
أشاروا بتسليم فجئنا بأنفس
فلم أدر أيّ الظاعين أشيع ؟
تسيل من الآماق والسّم^(٢) أدمع

قال أبو العتاهية :

قد صار يحسدني من كان يعذرني
والسقم لازمني حتى أنست به
فيه ، ويعذرني رهطى وأضدادى
وفرّ منى أطبائى وعوآدى

قال المتنبي :

عواذل ذات الحال في حواسد
ألح على السقم حتى ألفتّه
وإن ضجيع الخوّد منى لماجد^(٣)
وملّ طبيبي جانبي والعوائد

قال أبو الشيص^(٤) :

دعتني جفونك حتى عشقت
فدمعي يسيل^(٥) وصبري يزول
ولم أك من قبلها أعشق
وجسمي في عبرتي يغرق

(١) ح ، د ، هـ : حشاشة : بالتثنية

(٢) السّم : مخففة لغة في الاسم أي أن نفسي تسيل من عيني حين أشار أحبي للتسليم والوداع واسمها دموع ، ومن أبدع ما جاء في هذا المعنى قول ديك الجن :

ليس ذا الدمع دمع عيني ولكن هي نفسي تذيبها أنفاسي

(٣) العواذل : اللوائيم . الخوّد : المرأة الناعمة .

والمعنى أن اللوائيم يعدلن هذه المرأة في محبتها لي هن حاسدات لها عل لأنها ظفرت مني بضجيع ما جد ويجده في عفته عنها مع اقتداره على ألا يعف وقد بين ذلك فيما يلي هذا البيت :

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر ويعصى الهوى في طيفها وهو راقد

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) ح ، د ، هـ : يسير وهو غير مناسب

قال المتنبي :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق

قال السيد الحميري :

همة تنطح الثريا وعز
سائلوه اقتضاهم استعجالا

قال المتنبي :

شرف ينطح النجوم بروقية ه وعز يقلقل الأجبالا^(١)

قال صاحب نصر بن سيار :

طال عتب الزمان ظلماً علينا وجفانا فما له إعتاب
فأجرنا من عتبه وأذاه أنت ترجى لمثله وتهاج
ما لنا منصف سواك فيشككي^(٢) أنت كالنصل والملوك قِراب

قال المتنبي :

لنا عند هذا الدهر حق يَلطّه وقد قل إعتاب وطال عتاب^(٤)
ولا ملُكَ إلا أنت والملُكُ فضلة كأنك سيف فيه وهو قِراب^(٥)

قال إبراهيم بن متمم بن نويرة :

والخيل قد نسجت على صهواتها أيدى الرياح براقعا وجبالا^(٦)
ضاقت عليهن الفلاة فلا ترى من كثرة القتلى لهن مجالا

(١) ح ، د ، ه : يقلقل .

(٢) الروق : القرن . وهذا خيال غير مستساغ لأن إثبات قرنين للشرف مما ينفر منه .

(٣) كذا في أ ، ب ، والمعنى : يشكى إليه . وشكيت لغة في شكوت . ح ، د ، ه : فشككي .

(٤) أعتبه : أزال عتبه أي أرضاه . يلطه : يمحده .

(٥) معنى البيت أنت المالك حقاً لَمَا أنت فيه من سؤدد لأنك أنت الذي حصلت به بعلو هتك .

(٦) جلالا ، بكسر الجيم : جمع « جل » وهو ما يوضع على ظهر الفرس .

قال المتنبي :

صافيات^(١) الألوان قد نسج النع
ولتتمضين^(٢) حيث لا يجد الره
سُح عليها بَرّاقعا وجلالا
ح مداراً ولا الحصان مجالا^(٣)

قال بشار بن بُرْد :

حظي من الخير منحوس^(١) وأعجب ما
أغدو وأمسى وآمالى قطعتُ بها
وأكرمُ الناس من تأتى مواهبه
أراه أنى على الحرمان محسود^(٢)
عمرى تخيب وأموالى المواعيد
من غير وعد وفيه الخير موجود^(٣)

قال المتنبي :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها
أُسميت أرواحَ مُشرّ خازنا ويذا
جود الرجال من الأيدى وجودهم^(١)
أنى بما أنا باك منه محسود
أنا الغنى وأموالى المواعيد
من اللسان فلا كانوا ولا الجود

قال العميدى : من قال إن هذا غير مأخوذ من كلام بشار فقد عدم الفطنة
والتمييز ، وجميع الرشاد والتوفيق ، وجهل مواقع الأخذ ، واحتاج أن يُسقى شربة^(١)
تشحذ فهمه ، وتجلو طبعه ، وتزيل العي عنه .

قال محمد بن أبى عيينة المهلبى^(٥) :

إنى لأختار الحما م على مصاحبة اللثام

(١) الديوان : خافيات .

(٢) قبل هذا البيت :

حالفته صدورها والعوالى لتخوضن دونه الأهوالا

فالضمير فى « لتضن » لصدور الخيل وعوالى الرماح وكان الوجه أن يقول : لتضن وحكى الكوفيون
حذف الياء مع تسكينها والمعنى أنها حالفت على أن تفعل ما يعجز عنه غيرها من الخيل والرماح .

(٣) جميع النسخ : وأعجب ما أنى أراه والوزن مستقيم ولكن الأسلوب غير مستقيم .

(٤) نسب هذا البيت فى سائر النسخ للمتنبي والصواب أنه لبشار

(٥) محمد بن أبى عيينة : من آل المهلب الشعراء الذين ذكرهم ابن النديم فى الفهرست ص ٢٣٣

وهو والد عبد الله بن محمد بن أبى عيينة الذى سبق التعريف به وذكره محمد بن يحيى الصولى فى أخبار
أبى تمام ص ١١٨ طبع القاهرة ووازن بينه وبين أبى تمام فى الشعر إذ وصفه بأنه شاعر مطبوع يتكلم
بطبعه ولا يكدر فكره ، ويخرج أفعاله مخرج نفسه ، وأبو تمام يتمتع نفسه ، ويكد طبعه ويطيل فكره ،
ويعمل المعانى ويستنبطها .

وأفر منهم ما حيي
نفسى الكريمة لا تنقر
والموت أطيب فى فنى
عند الهوان من المدام

قال المتنبي :

وعندها لندّ طعم الموت شاربهُ
إن المنية عند الذلّ قنديد^(١)

قال أبو العتاهية :

أزف أبكار أشعارى إليك فما
فاقبل هدية من تصفو مودته
عندى سوى الشكر لا خيل ولا مال
إن لم تساعده فيما رامه الحال

قال المتنبي :

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق إن لم يسعد الحال^(٢)

قال على بن الجهم :

ولا خير فى عيش امرئ وهو خامل
فنبه عن النوم الحسام ولا تم
وذكر الفتي بالخير عمر مجدد
لتبقى فما فى الأرض شيء مخلد

قال المتنبي :

ذكر الفتي عمره الثانى وحاجته
ما قاته^(٣) وفضول العيش أشغال

(١) وعندها : أى وعند الحال التى يشير إليها بقوله :

جوعان يأكل من زادى ويمسكى
ويلمها خطّة ويلم قائلها
لكى يقال عظيم القدر مقصود
لمثلها خلق المهرية القود
القنديد : عمل قصب السكر، والخمر .

سائر النسخ : قنديل مكان قنديد، تحريف .

(٢) هو مطلع قصيدة فى مدح أبى شجاع فاتك المعروف بالمجنون ، وقد أخذ على الشاعر قبح المطلع ، لأن السامع يكره هذا .

(٣) جميع النسخ : قاته بإلفاء، تحريف . والبيت كقول سالم بن واپصة :
غنى النفس ما يكفيك من سد خلة فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

قال سليمان الخزاعي :

فَطْتُ بِالذِي أُرِيدُ فَقُولِ لَيْسَ يَغْنَى وَلَا سَكُونُ يَضُرُّ
يَسْبِقُ الْبَذْلُ وَعَدَهُ فَتَنَدَاهُ لَيْسَ يَغْنَى وَسُحْبُهُ مَا تَغُرُّ

وقال بعض المتقدمين

أَرْوَحُ بِلا شُغْلٍ وَأَغْدُو بِمِثْلِهِ وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا
وقال العِرْزَمِيُّ* :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً صَاوَهُ يُغْنِيكَ وَالتَّسْلِيمُ^(١)

قال المتنبي :

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فُطَانَةٌ سَكُونِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخَطَابٌ

ومما يتنظم في هذا السلك قول بعض خدام واحد الدنيا ونَسِيرٍ فَلكَ العُلَيَا،
من زينت بمدائحهم غررُ الآداب ، المولى المخدوم^(٢) بهذا الكتاب، من قصيدة
يمدحه بها ويهنته بعيد الأضحى من ستة خمسين وألف :

يَابْنَ مَنْ مَالَهُ إِذَا كَانَ قَدْ عُدَّ مَ أَوَّلُو الْفَضْلِ فِي الْفَضَائِلِ ثَانِي
وَهَمَا النَّيْرَانِ فِي كُلِّ مَجْدٍ دُونَهُ فِي عُلُوِّهِ النَّيْرَانِ
أَنْتَ أَذْكِي الْأَنَامِ طُرّاً وَقَدْ جَاءَتْ تُوْحَالِي تُغْنِي عَنِ التَّرْجُمَانِ
وَإِذَا مَا أَعْرَتْنِي وَحَى لِحَظٍ كُنْتُ أَدْرِي مِنِّي بِمَا فِي جَنَّتَانِي

قال العميدى : قال سليمان بن^(٣) مهاجر البسجلى الكوفي :

دَقَّتْ * مِضَارِبُ سَيْفِهِ فَكَأَنَّهُ صَبَّ وَأَعْنَقَ الرِّجَالُ حَبَائِبُ

مرما أورده
العميدى

* المرزى : هو أبو بكر المرزى محمد بن عبيد الله من حضرموت ، كوفي أدرك الدولة العباسية
وجل شعره آداب وأمثال ، وقد ذكر له معجم الشعراء ص ٤١٧ شيئاً من شعره .

(١) ورد هذا البيت في التبيان منسوباً إلى أبي بكر الخوارزمي ، وفي شرح الواحدي ص ٦٨٦
والوساطة (٢٨٢) أبو بكر المرزى بكسر العين وسكون الراء وكسر الزاى . وفي جميع النسخ العروضية
وهو مأخوذ من قول أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جلعان :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِئْتُمْكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَنْتَ عَلَيَّ الْمَرَّةَ يَوْمًا كَفَاءُ مِنْ تَعْرِضُهُ الثَّنَاءُ

(٢) يريد بالمخدوم : المولى عبد الرحمن نجلى الحسام ، كما صرح به في مقدمة الكتاب ، وقد عرفنا
به في المقدمة .

(٣) ساقطة من الأصل . هـ ب : رقت جأ ، وهي رد .

وأَسْنَةُ الأَرَامِحَ يَحْكِي ضَوْءُهَا شَمْسًا وَأَحْشَاءَ الرِّجَالِ مَغَارِبَ
قال المتنبي :

رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَهِنْ كَأَنَّمَا يُبْدِينَ مِنْ عَشَقِ الرِّقَابِ نُحُولًا
والمتنبي وإن أخذ بعضَ معاني الأبيات التي أوردتها العميدى فقد زاد من
الفاظه ما يحلو سماعه ، وتعذب أنوعه ، ويلطف موقعه ، ويخف على القلوب
موضعها ، ويصل إلى النفوس بلا تكلف ، ويمتزج بالأرواح بلا تعسف ، وكساها
من عنده متلاحة ، فاستوفى شروط الكمال كلها ، وأذهب كلها ، ونظم
محاسنها المتفرقة بحسن صنعته ، وأزال الكرازة عنها بحذقه وبراعته ، فصار
أولى بها من مُبْدِ عَها ، وأحق بأن يشهد له الفضلاء بانفراده بها ، بلحالة موقعها .
قال علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح^(١) : كان أبو محمد^(٢) بن
وكيع متأديباً ظريفاً ، ويقول الشعر ، وعمل كتاباً في سرقات المتنبي ، وحاف
عليه كثيراً ، وسألني يوماً أن أخرج معه ، واستصحب مغنياً وأمره ألا يغني إلا
بشعره فغنتي :

لو كان كلُّ عليلٍ يزداد مثلكَ حُسناً
لكان كلُّ صحيحٍ يودُّ لو كان مُضني
يا أكلَ الناس حُسناً صِلِ أكلَ الناس حُزناً
غَنيت عني ومالي وجه به عنك أغني

فقلت له : هل تثقل عليك المؤاخذه ؟ قال : لا . فقلت : إن أبياتك مسروقة :
الأول من قول بعضهم :

(١) علي بن منصور الحلبي : هو علي بن منصور بن طالب الحلبي الملقب دوحلة ، يعرف بابن
القارح ، وهو الذي كتب إلى أبي العلاء رسالة مشهورة تعرف برسالة ابن القارح ، وأجابه عنها
أبو العلاء برسالة الغفران . يكنى أبا الحسن ، وهو شيخ من شيوخ أهل الأدب ، كان ببغداد راوية للأخبار ،
وحافظاً للغة والأشعار ، وكان تلميذاً لأبي علي الفارسي ، ومولده بحلب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة
(١٥ : ٨٣ وما بعدها) معجم الأدباء .

(٢) جميع الأصول : محمد بن وكيع ، والصواب : أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد
ابن خلف الشاعر المصري التنيسي المولود بجزيرة تنيس المتوفى بها سنة ٣٩٣ هـ ، وهو شاعر بارع ، وعالم
جامع ، يدل شعره على أنه كان على حظ كبير من الظرف ، وخفة الروح ، وأولع بوصف الزهر
والخمر ، وله كتاب المنصف في سرقات المتنبي ، ولم يطبع بعد .

فلو كان المريضُ يزيدُ حسناً كما تزدادُ أنت على السقام
لما عيّدَ المريضُ إذنَ وعدّتْ شكايتُهُ من النعمِ الجسام
والثاني من قول رؤية (١) :

سَلِمُ ما أَنسَاكَ مَاحِيَتِ لو أَشْرَبَ السَّلْوانَ ما سَلَّيْتُ
مالي غنى عنك ولو غَنَّيْتُ

فقال : والله ما سمعت بهذا . فقلت : إذا كان الأمرُ على هذا فاعذرِ المتنبي
على مثله ، ولا تبادر إلى الخط عليه ، ولا المؤاخذه له ، والمعاني يستدعى
بعضها بعضاً .

قال ياقوت : كان المتنبي يوماً جالساً بواسط فدخل عليه بعض الناس ،
فقال أريد أن تُجيز لنا هذا البيت ، وهو (٢) :
كيف أمر المتنبي
ابنه إجازة البيت
بالإشارة

زارنا في الظلام يطلبُ سِتراً فافتضحنا بنوره في الظلام
فرفع رأسه ، وكان ابنه المُحَسَّد واقفاً بين يديه ، وقال له : يا محمد : قد
جاءك بالشمال ، فأته باليمين ، فقال ارتجالاً :

فالتجأنا إلى حنادس شعر سَتَرَتنا عن أعين اللوام
ومعنى قول المتنبي لولده جاءك بالشمال فأته باليمين ، أى أن اليسرى لا يتم
بها عمل ، وباليمين تم الأعمال . ومراده : أن المعنى يحتمل الزيادة ، فأوردّها ،
وقد لطف في (٣) الإشارة .

وعقد الشعالي لذكره باباً مستقلاً في يتيّمته فقال (٣) :
الباب الخامس في ذكر أبي الطيب المتنبي وما له وعليه .
ابتداء ترجمته
في اليتيمة

هو وإن كان كوفي المولد شامي المنشأ ، وبها تخرج ، ومنها خرج نادرة
الفلك ، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف الدولة ،

(١) هو ابن العجاج ، اشتهر هو وأبوه بالرجز في عصر بني أمية .

(٢) ساقط من - ، د ، ه .

(٣-٣) ساقط من سائر النسخ .

المنسوب إليه المشهور به^(١) ، إذ هو الذى جذب^(٢) بِضْبَعِهِ^(٣) ، ورفع قدره ،
ونَفَقَ سعر شعره ، وألقى عليه شعاع سعادته حتى^(٤) سار ذكره مسير الشمس
والقمر ، وسافر كلامه فى البدو والحضر ، وكادت الليالى تنشده ، والأيام تحفظه ،
كما قال :

وما الدهر إلا من رُؤاة قصائدى إذا قلتُ شعراً أصبح الدهرُ منشدًا
فسار به من لا يسير مشمراً وغننى به من لا يغنى مغمراً

وكما قال :

ولى فيك ما لم يقل قائلٌ وما لم يسِرْ قمر حيث سارا
وعندى لك الشُّردُ السائر ت لا يختصن من الأرض دارا
قواف إذا سِرْنَ عن مِقْوَلِي^(٥) وتَبَنَّ الجبالَ وخُصْنَ البحارا

وهذا من أحسن ما قيل فى وصف الشعر السائر ، وأبلغ منه قول على بن الجهم ،
وهو^(٥) :

ولكن إحسان الخليفة جَعَفَر دعانى إلى ما قلت فيه من الشعر
فسار مسير الشمس فى كل بلدة وهبَّ هبوب الريح فى البر والبحر

فليس اليومَ مجالسُ الدرسِ أَمَرُ بشعر أبى الطيب من مجالس الأنس ،
ولا أقلام كتّاب الرسائل أجرى به من ألسنُ الخطباءِ فى المحافل ، ولا لحُونُ
القوالين والمُغنين أشغل من كتب المؤلفين والمصنفين ، فقد ألقت الكتبُ فى تفسيره ،
وحل مشكله وعويصه ، وكُسِّرَت^(٦) الدفاترُ على ذكر جيده ورديته ، وتكلم
الأفاضل فى الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه ،

(١) ساقطة من سائر النسخ .

(٢ - ٢) ساقط من نسخ الأصل .

(٣) الضبع : العضد كلها

(٤) كذا فى الديوان . والأصول : إذا سرن من مقول .

(٥) ساقطة من سائر النسخ .

(٦) كذا فى ب ، من كسر الكتاب إذا قسمه أبواباً وفصولاً . سائر النسخ : كثرت تحريف .

وتفرقوا فِرَاقاً في مدحه وذمه ، والقدح فيه ، والنضح عنه ، والتعصب له وعليه ، وذلك أدل دليل على وفور فضله ، وتقديم قدمه ، وتفردته عن أهل زمانه بمثلك رقاب القوافي ، وريق المعاني ، فالكمال من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته .

ذكر شروح
ديوان المتنبي

وقد انتدب العلماء لديوانه ، وشرحوه شروحاً كثيرة : فمنهم من تكلم على ديوانه أجمع ، ومنهم من تكلم على بعضه ؛ فمن شرحه كتاب ابن جني ، وهو أول من شرحه ، وكتاب اللامع العريزي^(١) لأبي العلاء المعري ، وكتاب معجز أحمد لأبي العلاء أيضاً ، وكتاب أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، وكتاب الموضح لأبي زكريا التبريزي ، وكتاب عبد القاهر الجرجاني ، وكتاب أبي منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني^(٢) ، وكتاب أبي القاسم إبراهيم بن محمد الإفليلي^(٣) ، وكتاب أبي الحجاج يوسف بن سليمان الأعمش^(٤) ، وكتاب عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، وكتاب في سركات المتنبي للحسن بن محمد بن وكيع^(٥) ، وسماء المنصف ، وكتاب أبي البقاء عبد الله العكبري ، وكتاب أبي اليمن يزيد بن الحسين الكندي^(٦) ، وكتاب عبد الواحد بن محمد بن علي بن زكريا ، وكتاب محمد ابن علي بن إبراهيم الهراسي الكافي^(٧) ، وكتاب أبي الحسن محمد بن عبد الله الدُّلُعي عشر مجلدات ، وكتاب كمال الدين بن القاسم الواسطي ، وكتاب الوساطة للقاضي

(١) في سائر النسخ « اللامع العريزي » وفي (١) اللع ، وهو غير صحيح . والعريزي نسبة إلى الأمير عزيز الدولة حاكم حلب من قبل الفاطميين من ٤٠٧ - ٤١٣ هـ

(٢) وكذلك ورد الاسم في الأعلام للزركلبي ص ٩١٣ ،

(٣) في النسخ « لإقليد » بالقاف ، وصوابه بالقاء ، وهو نحوي عالم في فروع الأدب أندلسي عاش في قرطبة ، ومات بها سنة ٤٤١ هـ .

• في الأعلام ص ١١٨٠ : يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري أبو الحجاج المعروف بالأعمش ... إلخ
(٤) شاعر مصري عالم ولد ، ومات في تنيس بالقرب من دمياط سنة ٣٩٣ هـ ، انظر هامش ص ٢٦٥
(٥) ولد ببغداد سنة ٥٢٠ هـ ، وكان تلميذ ابن الشجري في هذه المدينة ، ثم انتقل إلى حلب ، ثم إلى دمشق ، ومات سنة ٦١٣ هـ راجع ابن خلكان ج ١ ص ١٩٦ . وكذلك جاء اسمه في بغية الوعاة أبو الهيثم ص ٢٤٩ .

(٦) في الأعلام ص ٩٤٥ الهراشي بدل الهراسي مات سنة ٤٢٥ هـ

على بن عبد العزيز الجرجاني ، وكتاب أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي ،
 وكتاب عبد الرحمن بن دُوسْت النيسابوري ، وكتاب أبي الفضل أحمد بن محمد
 العروضي ، وكتاب التجني على ابن جني لابن فورجة ، وكتاب الفتح على
 أبي الفتح لابن فورجة أيضاً ، وكتاب معاني أبياته لابن جني ، وكتاب التنبيه
 لأبي الحسن على بن عيسى الربيعي ، وقد رد فيه على ابن جني أيضاً ، وكتاب أبي القاسم
 عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني^(١) ، وكتاب الحسين بن محمد بن طاهر
 الشاعر ، وكتاب أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز القميرواني ، وكتاب علي بن
 جعفر بن القطاع ، وكتاب الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد ، وكتاب
 أبي الحسن عبد الرحمن الصقلي ، وكتاب قصائد الصبا للأعلم^(٢) ، وكتاب نزهة الأديب
 في سرقات المتنبي من حبيب لابن حسن بن المصري ، وكتاب الانتصار
 لأبي الحسن أحمد بن أحمد المغربي ، وكتاب التنبيه^(٣) عن رذائل المتنبي لأحمد المغربي
 أيضاً ، وكتاب بقية الانتصار ، المكثّر من الاختصار لأحمد المغربي أيضاً ،
 وكتاب الرسالة الحاتمية لأبي الحسن محمد بن المظفر الحاتمي* وكتاب جبهة الأدب
 للحاتمي أيضاً ، وكتاب المآخذ الكنديّة من المعاني الطائية ، وكتاب الاستدراك
 على ابن الدهان للوزير ضياء الدين ابن الأثير الجزري ، وكتاب الإبانة للصاحب
 العميدى . سوى الشروح التي لم نسمع بذكرها .

ولم يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الإسلام شرح هكذا مثل هذه
 الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان ، ولا تداول على ألسنة الأدباء في نظم ونثر
 أكثر من شعر المتنبي .

(١) في النسخ عبد الرحيم بدل عبد الرحمن ، وهو غير صحيح انظر خزافه الأدب ج ١ ص ٣٨٢
 واسم كتابه « إيضاح المشكل لشعر المتنبي » وأهداه إلى السلطان البويهي بهاء الدولة .

(٢) ذكر المؤلف للأعلم قبل ذلك كتاباً لم يسمه وذكر هنا اسم « قصائد الصبا »

* انظر صفحة ١٢٨

(٣) في ديوان المتنبي للمستشرق « بلاشير » « التنبيه المنبي عن رذائل المتنبي » وقد ورد اسم المؤلف
 في معجم الأدباء ج ١٧ ص ١٢٧ : محمد بن أحمد بن محمد المغربي أبو الحسن ، وعلى هذا الاسم هامش
 يقول : لم نعر له على ترجمة سوى ترجمته في ياقوت ، وفي هذه الترجمة أنه راوية المتنبي وأحد الأئمة الأدباء
 والأعيان الشعراء . . . إلخ ثم يقول : ومن تصانيفه التي شاهدها : كتاب الانتصار المنبي عن فضائل
 المتنبي ، وكتاب التنبيه المنبي عن رذائل المتنبي . . . وكتاب بقية الانتصار المكثّر للاختصار وغيرها
 ص ١٢٨ من نفس الجزء .

ما أخذه صاحب من المتنبي في محاضراته ومكاتباته . هذا صاحب مع بُغْضِهِ له ، وتعصبه عليه ، أكثر الناس استعمالاً لكلماته ،

فن ذلك فصل له من رسالة في وصف قلعة افتتحها عضد الدولة :

« وأما قلعة كذا ، فقد كانت بقية الدهر المديد ، والأمد البعيد ، تَعَطِّس بأنف شامخ من المننعة ، وتنبو بعِطْف جامع على الحِطْبَةِ ، وترى أن الأيام قد صالحتها على الإغفاء من القوارع ، وعاهدتها على التسليم من الحوادث ، فلما أتاح الله للدنيا ابن يَجِدُّها وأبا بأسها ونَجَّدتها ، جهلوا بون ما بين البحور والأنهار ، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار ، فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين ، ومثاهم القديم ، نُهْزَةَ الحوادث ، وفرصة البوائق ، ومَجَرَّ العوالى ومجرى السوابق .

وإنما ألم بالفاظ بيتين لأبى الطيب أحدهما :

حتى أتى الدنيا ابنٌ بَجَّدَها^(٢) فشكى إليه السهل والجبلُ

والآخر :

تذكرتُ ما بين العُذَيْبِ وبارق مَجَرَّ عوالينا ومجرى السوابق^(٣)

ومن ذلك فصل آخر له أيضاً .

« لئن كان الفتح جليلَ الخطر ، حميد الأثر فإن سعادة مولانا لتبشر بشوافع له ، يُعْلَمُ معها أن الله أسراراً في علاه لا يزال يُبْديها ، ويَصِلُ أوائلها بتواليها » .

وهو من قول أبى الطيب :

ولله سرٌّ في عُلَاك وإنما كلام العِدا ضرب من الهَدْيَان

(١) صاحب : يريد صاحب إسماعيل بن عباد الطالقاني ، وزير بنى بويه ، وأكبر أصحاب الأستاذ أبى الفضل بن العميد ، وبه تخرج في الكتابة . لقب بالصاحب لطول صحبته ابن العميد ، وكان مولده سنة ٣٢٦ هـ ، وتوفى ٣٨٥ هـ بالرى . وفيات الأعيان (١ : ٧٥ ، ٧٦)

(٢) ابن بجدة : يقال للعالم بالأمر هو ابن بجدة ، والبيت من قصيدة في مدح عضد الدولة .

(٣) العذيب وبارق : موضعان بظاهر الكوفة . العوالى : الرماح . السوابق : الخيل . ما : مفعول تذكر . ومجر : بدل اشتمال من ما . والبيت مطلع قصيدة مدح في سيف الدولة .

ومن ذلك « ولو كان ما أحسنه شَطِيَّة من قلم كاتب لما غَيَّرَ خَطُّهُ ، أو قَدَى في عين نائم لما انتبه جَفْنُهُ » .

وهو من قول أبي الطيب :

ولو قلم أَلْقَيْتُ في شق رأسه من السقم ما غيرتُ من خط كاتِب^(١)

وقول نصر :

ضَنَيْتُ^(٢) حتى صرت لوزجَّ بي في ناظر النائم لم يتنبه

ومنه أخذ ابن العميد قولَه :

فلو أن ما أبقيت من جسدي قدَى في العين لم يمنع من الإغفاء

ومن ذلك في التعزية .

« إذا كان الشيخ القدوة في العلم وما يقتضيه ، والأسوة في الدين وما يجب فيه ، لزم أن يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ، ويؤخذ في ثارات الأسى بمذهبه ، فكيف لنا بتعزيته عند حادث رزيته ، إلا إذا رددنا له بعض ما أخذناه عنه ، وأعدنا إليه طائفة مما استفدناه منه » وإنما هو حلٌّ من قول أبي الطيب :

أنت يا فوقَ أن تُعزِّيَ عن الأحـ باب فوق الذي يعزبك عقلا
وبألفاظك اهتدى فاذا عَزَّ اك قال الذي له قلت قبلا^(٣)

ومن ذلك : وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر على راحة المطر^(٤) ، وهو من قول أبي الطيب :

(١) أكثر الشعراء من القول في هذا المعنى ومن أحسن ما ورد فيه :

فاستبق ما أبقيت لي فلعلني يوماً أفيك به من الأعداء
من مهجة ذابت أسمى فلو أنها في العين لم تمنع من الإغفاء
(٢) ح ، د ، هـ : حنيت ، تحريف

(٣) هذان البيتان من قصيدة يعزى بها سيف الدولة بأخته الصغرى ويسليه بالكبرى ؛ وسيأتى بعد قليل تعزيته لإياه بأخته الكبرى .

(٤) جميع النسخ : وقد أثنى عليه لسان الدهر وهو غير واضح ، والتصحيح من اليتيمة في ترجمة الصاحب .

وذكرى رائحة الرياض كلامها تبغى الثناء على الحيا فتفوح

والأصل فيه قول ابن الرومي :

شكرتُ نعمة الوليِّ على الوسى حتىّ ثمّ العِهاد بعد العهاد^(١)
فهى تشنى على السماء ثناء طيب النَّشر شائعاً في البلاد
من نسيم كأن مسراه في الأر واح مسرى الأرواح في الأجساد

ومما أورده من أبيات أبي الطيب كما هي قوله في كتاب أجاب به ابن العميد عن كتابه الصادر إليه عن شاطيٍ بحر في وصف مراكبه وعجائبه :

وقد علمت أن سيدنا كتب وما أخطر بفكره سعة صدره ، ولو فعل ذلك
لرأى البحر وشكلاً ، لا يفضل عن التبرض ، وثمدا^(٢) لا يكثر عن الترشف .
وكم من جبال جُبت تشهّد أنك الـ جبالٌ وبحرٌ شاهد أنك البحر^(٣) .
وله من رسالة في التهئة بينت ، أولها : « أهلاً بعقيلة النساء ، وكريمة الآباء ،
وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار » ثم يقول فيها :

ولو كان النساء كمثل هذى لفضلت النساءُ على الرجال^(٤)
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهلال

وله من كتاب تعزية : « وقتلنا قد أخذ الزمان من أخذ ، وترك من ترك ، فهو
لا شك يعفو عن القمر ، وقد أسلم الشمس للطفّل ، ولا يصلُ الصُروف
بالصروف ، ولا يجمع الكسوف إلى الخسوف ، فأبى حكمُ الملتوين^(٥) . وقد غبنك
إذ قاسمك الأخوين^(٦) ، فأبى إلا أن يعود فيُلحق الباقي بالفاني ، والغابر بالماضي .

(١) الولي : المطر بعد المطر . الوسى : مطر الربيع الأول . العهاد : أول مطره .

(٢) التبرض : التبليغ بالقليل . الثمدا : الماء القليل .

(٣) فص بيت المتنبي :

وكم من جبال جبت تشهد أني الـ سجالٌ وبحرٌ شاهد أني البحر

(٤) بيت المتنبي :

ولو كان النساء كن فقدنا لفضلت النساء على الرجال

(٥) الملوان : الليل والنهار .

(٦) (الأخوين) : زيادة عن يتيمة الدهر .

وعاد في طلب المتروك تاركه إنا لنغفل والأيام في الطلب
 ما كان أقصر وقتا كان بينهما كأنه الوقت بين الورد والقرب^(١)
 أقول هذا كمادة المصدر في النَّفْث ، وشكوى الحزن والبث ، وإلا فما
 يعجبُ السَّفَرُ من تَقَدُّمِ بعض ، وكلٌّ بين الراحلة والرحل ؛ لا يترك الموت
 ساعياً على وجه الأرض حتى ينقله إلى بطن التراب .

نحن بنوالموتى فما بالناس نعا ف ما لا بد من شربه
 تبخل أيدينا بأرواحنا على زمان هي من كسبه
 فهذه الأرواح من جوه وهذه الأجسام من تربه^(٢)
 وهذا غيظ من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبي ، وتمثل به من شعره
 وكان مثله معه كما قال الشاعر :

شتمت من تيمنى مغالطا لأصرف العاذل عن لجاجته
 فقال لما وقع البزاز في الك م وب^(٣) علمنا أنه من حاجته
 وكما قال الآخر :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها ولم أر كالدنيا تُذم وتُحلب
 وكما قال الآخر :

نبئت أنى إذا ما غيبتُ تشتمنى قل ما بدا لك فالحبوب مسبوب

(١) هذان البيتان من قصيدة يرثى بها أخت سيف الدولة وقد توفيت بميفارقين مطلقاً :
 يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب
 وقبلهما :

قد كان قاسمك الشخصين دهرها وعاش دهرها المفدى بالذهب
 فقد أخذ الموت الصغير وأبى الكبرى ثم عاد بعد قليل وأخذها وهذا المعنى مأخوذ من قول الأعرابي
 وقاسمى دهرى بنى مشاطرا فلما تقضى شطره عاد في شطرى
 ومعنى البيت الثانى : ما كان أقصر . . . أنه يتمتع من قصر ما كان بينهما من الزمان فكأنه لقصر
 الوقت ما بين القرب إلى الورد وهو ليلة . القرب : سير الليل لورد الغد وذلك أن القوم يرعون الإبل وهم
 في ذلك يسرون نحو الماء فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجلوا نحوه فتلك الليلة ليلة القرب .

(٢) هذه الأبيات في رثاء عمه عضد الدولة .

(٣) وقع البزاز في الثوب : أى ذمه

وليس الصاحب بأوحد في الاقتباس من كلام المتنبي ؛ وهذا أبو إسحاق الصابي له من ذلك غير فصل (١).

ما أخذه الصابي
من المتنبي

فمن ذلك ما كتب في تقييد (٢) شاب مقتبل الشيبة ، مكتهل الفضيلة :
« ولقد آتاه الله في اقتبال العمر نجامع الفضل ، وسوّغه في عنفوان الشباب محامد
الاستكمال ، فلا تجد الكهولة خلّة تلافها بتطاول المدة ، وثلمة تسدها بمزايا
الحنكة » .

وهذا من قول أبي الطيب :

لا تجدُ الخمرُ في مكارمه إذا انتشى خلّة تلافها (٣)

وأخذه من قول البحري :

تكرمت من قبل الكئوس عليهم فما اسطعن أن يحدثن فيك تكرّماً

ومن ذلك ما كتب إلى ابن (٤) معروف تهنئة بقضاء القضاة :

منزلة قاضي القضاة (٥) تجلّ عن التهئة بالولاية لأن ما تكتسبه الولاية بها من
الصيت والذكر ويدّرعونه فيها من الجمال والفخر ، سابق له عنده ، وحاصل
قبلها له ، وإذا مدّ أحدهم إليها يدا تجذبها إلى سقال (٦) . جذبتها يده إلى
الحل العالي ، فكأن أبا الطيب عناه ، أو حكاه بقوله :

(١) « له من ذلك غير فصل » كذا في ١ ، ب . ح ، د ، هـ : « قد اقتبس منه أيضاً » .

(٢) كذا في ١ . ب ، ح : تقييد وهي بمعناها

(٣) في مدح عضد الدولة وخير منه بيت البحري وأول هذا المعنى لعنترة :

وإذا صحوت فا أقصر عن ندى وكسا علمت شمائل وتكرى
ولأبي نواس فيه أيضاً :

فقي لا يذيب الخمر شمة ماله ولكن أياد عود وبسوادى
ولا يزال البحري أجود من عنترة وأبي نواس .

(٤) ساقطة من الأصل .

(٥) « منزلة قاضي القضاة » ساقط من جميع النسخ ، والتصحيح من اليتيمة .

(٦) كذا في ١ ، ب . والسقال بالفتح : ضد العلو

فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غايةً نَزَلُوا^(١)

ومن ذلك ما كتب :

« وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود التحلّي إلى العاطل ، والغيث إلى الروض

الماحل » وهذا من قول أبي الطيب :

وعُدّت إلى حَلَب ظافراً كعود الحُلّى إلى العاطل

وإذا كان هذان الصدران المقدّمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب

في رسائلهما ، فما الظن بغيرهما ؟ وما أحسن قول الشاعر :

ألا إن حلّ الشعر زينة كاتب ولكن منهم من يحلّ فيعقّد

ومن يخذو خذوهما الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي^(٢) . وما

أظرف ما قاله في كتابه إلى أبي سعيد الشبيبي^(٣) :

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين . فكان في الحسن روضة حزن ، بل جنة عدن ،

وفي شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف في

أجفان يعقوب . وهو من قول أبي الطيب :

كأن كل سؤال في مسامعه قميص يوسف في أجفان يعقوب

ومن ذلك فصل لأبي بكر الخوارزمي :

« وكيف أمدح الأمير بخلق ضنّ به الهواء ، وامتلاّت من ذكره الأرض

والسما ، وأبصره الأعشى بلا عين ، وسمعه الأصم بلا أذن وهو من قول أبي الطيب :

تُنشد أثوابنا مدائحهم بألسن ما لهن أفواه

(١) البيت في مدح عضد الدولة .

(٢) أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي هو أكبر تلاميذ الصاحب إسماعيل بن عباد تخرج به في البلاغة ثراً ونظماً وولى الوزارة بعده ، وكان خلفاً للصاحب في حمل أعباء الوزارة وتصريف شؤونها خير تصريف ، وقد قال عنه الثعالبي في اليتيمة ج ٣ ص ١٨ طبع دمشق : هو جذوة من نار الصاحب أبي القاسم ، ونهر من بحر ، وخليفته النائب منا به في حياته ، القائم مقامه بعد وفاته .

(٣) كذا في ب وهو الصواب . وهو أبو سعيد أحمد بن شبيب قال عنه الثعالبي في اليتيمة : فرد خوارزم ومفخرتها وكان جامعاً بين أدب القلم والسيوف وفروسة اللسان والسنان صاحب كتب وكتائب وفضائل ومناقب ولما اختص بالدولة السامانية والدولة البويهية سمي صاحب الجيشين وشيخ الدولتين ج ٤ ص ٢٤٢ مطبعة حجازي .

إذا مررنا على الأصم بها أغنته عن مِسمِيعه عيناهُ
ولأبي بكر الخوارزمي من رسالة :
« ولقد تساوت الألسن حتى حُسِدَ الأبكم ، وأُفسدَ الشعرُ حتى أُحمدَ الصم » .

وهو من قول أبي الطيب :
ولا تبالِ بشعرٍ بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمَد الصم^(١)

قال أبو الطيب :
وقد أخذ التمامَ البدرُ فيهمُ وأعطاني من السَّقمِ المحاقا^(٢)
أخذه أبو الفرج^(٣) البيغاء فلطفه ، وقال :
أو ليس من إحدى العجائب أني فارقته وحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدرَ عند تمامه أرحم فتى يحكيه عند محاقه
وقال أبو الطيب :
قد علمَ البينُ منا البينَ أجفانا تَدُمَيَّ وألَّفَ في ذا القلبِ أحزانا^(٤)

أمثلة لسرقات
الشعراء من المتنبي

(١) في ملح سيف الدولة وقصد بشاعره نفسه .
(٢) المحاق : نقصان القمر في آخر الشهر . بدر التمام : القمر إذا امتلأ فظهر ، والمعنى أن الحبيب الذي هو كالبدرة أخذ التمام لنفسه وأعطاني المحاق فهو لا يزال تام الجمال مشرق النور وأنا لا أزال سقيم الأعضاء فأحل الجسم .
(٣) أبو الفرج البيغاء هو عبد الواحد بن نصر الخزومي من أهل نصيبين شاعر متصرف في فنون الشعر كان معاصراً لسيف الدولة وبيئهما رسائل مودة والبيتان اللذان أوردتهما المؤلف في يتيمة الدهر (١٦٤ - ١)

(٤) البين : البعد . منا : حال من الأجفان مقدمة . البين مفعول به ثان مقدم لعلم أجفانا مفعول أول . تدمي : تسيل . بها : نعت للأجفان . يقول : إن بعد الأحبة علم أجفانا الدامية من طول البكاء أن يعتمد بعضها عن بعض كناية عن إدانة السهر وكان باعثاً على الجمع بين أحزان القلب فتألفت ؛ وتقديم الحال على صاحبها وتقديم المفعول الثاني جعل البيت يبدو غريباً في . السمع وخير منه بيت المهلب وخير منه أيضاً بيت المتنبي الآتي في هذا المعنى :

كان الجفون على مقلتي ثياب شققن على ثاقل

أخذه المهليّ ، فقال :

تصارمت^(١) الأجفان منذ صرمتي فما تلتقي إلا على عبّرة تجرى
وقال أبو الطيب :

وكنْتُ إذا يَمُتُ أرضاً بعيدة سريتُ فكنْتُ السرَّ والليل كاتمهُ^(٢)
أخذه الصاحب ، فقال :

تجشمتها والليل وَحَفُ جناحهُ كأني سرٌّ والظلامُ ضميرُ^(٣)
وقال أبو الطيب :

لبسَنَ الوشي لا متجملات ولكن كي يصُنَّ به الجمالا
أغار عليه الصاحب ، فقال :

لبسَنَ برودَ الوشي لا لتجمل ولكن لصون الحسن بين برودُ^(٤)
وقال أبو الطيب :

سَقَاكَ وحيانا بك اللهُ إنما على العيس نَوْرُ والخدور كاتمهُ
أخذه السريّ ، فقال :

حيا به اللهُ عاشقيه فقد أصبح ريحانةً لمن عشقا

(١) كذا في ١ ، ب . سائر النسخ : تصرمت .

(٢) كذا في ١ ، الديوان . سائر النسخ كاتم .

والبيت من قول البحتري :

وطيك سرّاً لو تكلف طيه دجى الليل عنا لم تسمه ضمائرهُ
وبيت البحتري من قول قعنّب :

سرينا به والليل داج ظلامه فكان لنا قلباً وكنا له سرا

(٣) الوحف : الشعر الكثير الأسود . ومعنى : الليل وحف جناحه أنه شديد الظلام

(٤) قيل للصاحب أغرت على أبي الطيب في قولك : لبسَنَ برودَ الوشي . . . فقال نعم كما
أغار هو في قوله :

مابال هذى النجوم حائرة كأنها المعى ما لها قائدُ
على بشار في قوله :

والشمس في كبد السماء كأنها أعى تحير ما لديه قائد

وقال أبو الطيب :

يَخْدِنُ بنا في جَوَزهِ وكأنا
على كُرّةٍ أو أرضه معنا سَفَرٌ^(١)
أخذه السرى ، فقال :

وخرق طال فيه السير حتى
حسبناه يسير مع الركاب
قال أبو الطيب :

هام الفؤاد بأعرابية سكنت
بيتا من القلب لم تمدد له طُنبا^(٢)
أخذه السرى ، فقال :
وأحلّها من قلب عاشقها الهوى
بيتا بلا عمد ولا أطناب
قال أبو الطيب :

ليت الغمام الذي عندي صواقه
يُزيلهن إلى من عنده الديم^(٣)
أخذه السرى ، فقال :
وأنا الفداء لمن مخيلة برقه
عندي ، وعند سواي من أنوائه^(٤)

= وفي اليتيمية أن البيت المنسوب لبشار منسوب إلى العباس بن الأحنف ثم يقول : وهذه مصالته لا سرقة وهي مذمومة عند النقاد .

(١) يخدن : من الوند وهو ضرب من السير سريع . الجوز : الوسط والضمير في « جوزه » يعود على خرق في البيت السابق لهذا وهو :

وخرق مكان العيس فيه مكاننا من العيس فيه واسط الكور والظهر
والخرق : الفلاة الواسعة . والمعنى : كانت إبلا تسرع بنا في وسط هذه الفلاة ولا تبلغ آخرها فكأننا نسير على كرة لا يبلغ لها طرف . أو أن الأرض مسافرة معنا فلا نجتازها وقول المتنبي هذا من قول أبي النجم :
فكان أرض الله سائرة معنا إذا سارت كتابه

(٢) الهيام : أن يذهب الرجل على وجهه لغلبة الهوى عليه . الطنب : جبل الخباء

(٣) هذا البيت والذي قبله ساقطان من سائر النسخ . الديم : الأمطار . يشبه سيف الدولة بالغمام وسخطه بالصواعق وبره بالمطر . يقول : أنا لني سخطه وأذاه وأنال غيري رضاه وبره ، فليته يحيل هذا الأذى إلى من عنده ذلك البر فينتصف الفريقان .

(٤) الأنواء : الأمطار وروى البيت في العكبري :

وأنا الفداء لمن مخيلة برقه حظي وحظ سواي من أنوائه
وبيت السرى أحسن سبكا وأكثر معنى من بيت المتنبي فسرقتها محمودة .

وقال أبو الطيب :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وقال أيضا :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

أخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيتين فقال :

فديتُك ما بدا لي قصدُ حُرٍّ سواك من الوري إلاّ بدّا لي (١)
وأنتك منهم وكذلك أيضا من الماء الفرائد والآلي
وتسكن دارهم وكذلك سكني الـ حجارة والزمرّد في الجبال
وهذا معنى قد اخترعه المتنبي ، وكرره في تفضيل البعض على الكل ،

فأحسن غاية الإحسان حيث قال :

فإن يكُ سيارُ بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن (٢) ذهب الورد (٣)

وقال أيضا :

فإن تكن تغلبُ الغلباءُ عنصُرُها فإن في الخمر معنّى ليس في العنب

ألم به أبو الفتح (٤) البُستى ، فقال :

أبولك حوى العليا وأنت مبرز عليه إذا نازعته قصب الجبد

(١) « إلا بدا لي » : إلا غيرت رأيي وعدلت عنه وفاعل (بدا) ضمير يعود على البداء المفهوم من الكلام وهو بمعنى العدول عن الشيء .

(٢) كذا في الديوان . وفي الأصول إذ مكان إن .

(٣) يمدح على بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي وبعد هذا البيت

مضى وبنيه وانفردت بفضلهم وألف إذا ما جمعت واحد فرد ومطلع القصيدة :

أقل فعالي بله أكثره مجد وإذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد

(٤) أبو الفتح البستي : هو على بن محمد الكاتب البستي صاحب الطريقة الأنيفة في التجنيس والبديع والبيتان اللذان ذكرهما المؤلف له في اليتمية للثعلبي (٤ - ٢١٩)

وفي الخمر معنى ليس في الكرم مثله
وخير من القول المقدّم فاعترف
وقال أيضاً :

أبوك كريم غير أنك سابق
فلا يعجبني الناس مما أقوله
وقال أبو الطيب :

وصرت أشك فيمن أصطفيه
أخذه أبو بكر الخوارزمي ، فقال :
قد ظلمناك بحسن الظن
وقال أبو الطيب :

أتى الزمان بنوه في شبيبته
أخذه أبو الفتح ، وحسنه ، فقال :
لا غرو أن لم نجد في الدهر مخترقاً
وقال أبو الطيب :

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى
وبشرت آمالي يملكك هو الورى
ومثله السّلامى (٣) ، فقال :

(١) كذا في ١ ، ب . ج : بلا إثم عليه ولا ضم . د : بلا ذم عليه ولا ضم .
(٢) كذا في ١ . المحترف : المجتني أى لا عجب أن لم نجد في الدهر ما نجنيه ونقطقه من متع الحياة
فقد أتيناها بعد أن شاب وفسد .

(٣) هو أبو الحسن محمد بن عبد الله الخزومي السّلامى الشاعر المشهور والسّلامى نسبة إلى دار
السلام (بغداد) لنشأته بها ولد ٣٣٦هـ وتوفى ٣٩٣هـ وهو أشهر شعراء بغداد بعد ابن نباتة . . والبيت من
قصيدة له في مدح عضد الدولة وقد أوصله إليه الصاحب بن عباد . انظر ترجمته في ابن خلكان طبع
الميمية (١ - ٥٢٤ - ٢٦) .

وقال أبو الطيب :

لم تزل تسمع المديح ولكنّ م صُهلَ الجياد غيرُ النهاق^(١)

أخذه الزعفراني^(٢) ، ولطفه ، فقال :

وتغنيك في التديّ طيور أنا وحدي ما بينهن الهزار^(٣)

قال مَخلد الموصلي^(٤) :

نبذة من سرقاته
التي ذكرت في
اليتيمة سوى ما
أوردناه أولاً

يا منزلاً ضنّ بالسلام سقيت ريباً من الغمام
لم يترك الدهر منك إلا ما ترك الشوق من عظامي

أخذه أبو الطيب ، فجوده حيث قال :

ما زال كلُّ هزيمٍ الودقِ ينحلها والشوق ينحلني حتى حكّت جسدي^(٥)

قال عمرو بن كلثوم :

فأبوا بالنهب والسبايا وأبنا بالملك مُصَفِّدنا

أخذه أبو تمام ، فأحسن إذ قال :

إن الأسودَ أسودَ ألغاب همتها يومَ الكريهة في المسلوب لا السلب
أخذه أبو الطيب ، فلم يحسن في تكرير النهب ، وذكر القماش إذ هو من

(١) الصبال كالصهيل صوت الخيل . الديوان : صهيل ، والبيت من قصيدة في مدح أبي العشائر أولها :

أترأها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقه في المآق ؟

(٢) الزعفراني هو عمر بن إبراهيم من أهل العراق ، وشيخ شعراء عصره كان من ندماء الصاحب ابن عباد والبيت من مقطوعة نيروزية في اليتيمة ~ ٣ ص ١٦٨ ، ٦٩ .

(٣) الهزار : العنديل . الندي : النادي .

(٤) مخلد الموصلي : سبق التعريف به .

(٥) هزيم الودق : صوت السحاب ، والبيت من قصيدة في مدح أبي عباد بن يحيى البحتري مطلعها : « ما الشوق مقتنماً مني بهذا الكمد » والضمير في « ينحلها » يعود على الديار في بيت سابق .

ألفاظ العامة والسوقة ، حيث قال :

ونهبُ نفوسِ أهلِ النهبِ أولى بأهلِ المجد من نهبِ القماش^(١)

وقال بشارُ بن بُرد :

كأنْ مُثارَ النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

أخذه أبو الطيب ، وذكر الرماح مكان الأسياف ، فقال :

وكأنما كُسيَ النهارُ بها دُجى ليل وأطلعتِ الرماحُ كواكباً^(٢)

وقال مسلم بن الوليد :

أرادوا ليُسخفوا^(٣) قبرَه من عدوه فطِيبُ ترابِ القبرِ دلَّ على القبر

ألم به أبو الطيب ، فقال :

وما ريجُ الرياض لها ولكن كساها دفنهم في الترابِ طيباً^(٤)

قال الفرزدق :

وكنْتُ فيهم كمنطور^(٥) يبلدته يُسرُّ أنْ جمع الأوطانَ والمَطرَا

(١) النهب : الغارة أو هوما ينهبه الإنسان . أهل النهب : الجيش . القماش : متاع البيت ومتاع الإنسان لسفره وإقامته يقول : نهب نفوس أهل الغارة أولى من نهب الأقمشة . والبيت من قصيدة يمدح بها أبا العتاش مطلقها :

مبيتى من دمشق على فراش حشاه لى بحر حشائى حاش

(٢) الضمير فى « بها » يعود على عجاجة فى بيت سابق . أطلعت : روى بالبناء للمجهول . كواكب على الأول مفعول به وعلى التلغى حال أى منيرة كالنواكب والبيت من قصيدة يمدح بها على بن منصور الخاضع مطلقها :

بأبى الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلابيا

(٣) فى ١ ، د : ليخنى . سائر النسخ : ليخفوا

(٤) من قصيدة يمدح بها على بن محمد بن سيار بن مكرم التميمى أوطا :

ضروب الناس عشاق ضروبا فأعذرهم أشفهم حبيباً

(٥) ه ، د ، ه : كمنطور ، تحريف .

أخذه المتنبي ، فقال :

وليس الذى يتَّبَعُ الوبل رائدا
كمن جاءه فى داره رائدُ الوبل^(١)
وفى قوله فى هذه القصيدة :

وخيل إذا مرت بوحش وروضة
أبت رعيها إلا ومِرْجلنا يغلى^(٢)
رائحة من قول امرئ القيس :

إذا ما ركبنا قال ولد انْ أهلنا
تعالوا إلى أن ياتنا الصيدُ نَحْطِبِ
قال أبو نواس :

وكلتَ بالدهر عيناً غيرَ غافلة
يجود كفيك تأسو كل ما جرحا
ويقال إنه أمدح بيت للمحدثين ، أخذه أبو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه ،
فقال :

تَتَبَّعَ آثارَ الرزايا يجوده
تتبع آثار الأَسنة بالقتلِ^(٣)

قال أبو نواس فى وصف الخمر ، وهو من قلاتده :

إذا ما أتت دون اللِّهَاءِ من الفتى
دعا همُّه من صدره برحيل

أخذه أبو الطيب ، ونقله إلى معنى آخر ، فقال :

وما هى إلا لحظة بعد لحظة
إذا نزلت فى قلبه رحل العقل^(٤)

(١) من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس دليز بن لشكروز أولها :

كدعواك كل يدعى صحة العقل ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

(٢) وخيل معطوفة على أنفُس فى البيت الذى قبله وهو :

ولولم تَسِرْ سرنا إليك بأنفس غرائب يؤثرن الجياد على الأهل

ومعنى البيتين كنا نقصدك بأنفس كرام وخيل كرام لا ينكرسبها إذا ظهرت لها سوانح الوحش وأحاطت بها خمائل الروض أبت أن تطمئن وتستقر حتى تدرك ما تحاول صيده من الوحش .

(٣) القتل : جمع فتيلة وهى التى يجعل فيها الطبيب المهرم ليوصله للجرح ، والبيت من القصيدة السابقة فى مدح أبي الفوارس .

(٤) البيت من قصيدة يمدح بها شجاع بن محمد الطائى أولها :

قال ابن أبي عيِّنة ، ويروى للخليل :

زُرُّ وادى القصرِ نعيم القصرِ والوادي في منزل حاضر إن شئت أوبادى
تَلَقَّى به السفنَ والظُّلَمَانِ حاضرةً والضَّبَّ والنونَ والملاحَ والحادي^(١)

وهذا أحسن ما قيل فى وصف مكان يجمع بين أوصاف البر والبحر والحاضر والبادية .

ألم به أبو الطيب فى وصف مُتَصَيِّدٍ عضدِ الدولة بناحية سهلية جبلية تجمع الأضداد :

سقيًّا لدَشْتِ الأَرْزَنِ الطوالِ
بين المروج الفيح والأغبال مُجَاوِرُ الخَنْزِيرِ للرِّبَالِ
دانى الخنانيص من الأشبالِ مُشْتَرِفُ الدُّبِّ على الغزالِ
مُجْتَمِعِ الأضدادِ والأشكالِ^(٢)

قال بعضُ العرب وهو من الأمثال السائرة :

إذا بَلََّ من داء به ظَنٌّ أَنَّهُ نجا ، وبه الداءُ الذى هو قَاتِلُهُ^(٣)

أخذه أبو الطيب ، فقال ، وأحسن :

وإن أسلم فما أبى ولكن سلمتُ من الحمام إلى الحمامِ
قال بعض الرُّجَّاز :

هل يَغْلِبُنِي واحدٌ أَقَاتِلُهُ
ريمٌ على لَبَاتِهِ سلاسُلُهُ .

عزيز أساً من داؤه الخدق النجل عياء به مات المحبون من قبل

والبيت فى الغزل . اللحظة : النظرة من الحبيب

(١) الظلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام . الذون : الحوت . الملاح : سائق السفينة . الحادي

سائق الإبل .

(٢) الأبيات من قصيدة من مشطور السريع . الناحية السهلية الجبلية تعرف بدشت الأرز . الدشت :

الصحراء . الأزرن : شجر صلب تتخذ منه العصي . الطوال بكسر الطاء جمع طويل وهو نعت الأرز .

الخنانيص : أولاد الخنازير المفرد خنوص بكسر الأول وتشديد الثانى . مشترف : مشرف .

(٣) بل : شئ . يريد بالداء القاتل : الموت الذى يكن له حتى يمىء أجله .

سلاحه يوم الوغى مَسْكَاحِلُهُ

أخذه أبو الطيب ، فأكل الوصف ، وأظهر الغرض حيث قال :

مِنْ طاعني تُغَمَّرُ الرجال جَا ذَرٌّ ومن الرماح دمالج وخَلَاخِيلٌ^(١)

ولذا اسم أغطية العيون جفونُها من أنها عمل السيفِ عواملٌ^(٢)

قال أبو تمام :

غُرِبَتْ سَلَائِقُهُ وَأَغْرَبَ شاعرٌ فيه فأبدع مُغْرِبٌ في مُغْرِبٍ^(٣)

أخذه أبو الطيب ، فقال :

شاعر المجد خِدْنُهُ شاعر الله ظ كلانا رب المعاني الدقاق^(٤)

قال أبو تمام :

يمدون بالبيض القواطع أيدياً فهن سواءٌ والسيفُ القواطعُ

أخذه أبو الطيب ، فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال :

همامٌ إذا ما فارق الغمدَ سيفُهُ وعائنته^(٥) لم تدْرِ أيُّهما النصل؟

قال ابن الرومي :

لا قُدْسَتْ نُعْمَى تسر بلتها كم حجة فيها لَزِنْدِيقٍ^(٦)

(١) ثغر : جمع ثغرة وهي فقرة النحر . الدمالج : جمع دملج وهو حلى يلبس في العضد . الخلاخيل : جمع خلخل لغة في الخللخال . يقول : الحسان يفعلن بالعشاق فعل الأبطال المقاتلين فهن من جملة الطاعنين ورياحهن الحلى الذي عليهن .

(٢) إنما سميت أغطية العيون جفوناً لأنها ضمننت أحداً ففعل فعل السيف فسمى غطاؤها باسم غمد السيف وهو الجفن .

(٣) غربت : من الغرابة والندرة . أغرب شاعر فيه : أى أتى بالغريب المبدع في وصفه .

(٤) البيت من قصيدة في مدح أبي العشائر مطلعها :

أتراها لكثرة المشاق تحسب الدمع خلقة في المآق

فهو شاعر المجد والمتنبى شاعر اللفظ .

(٥) هـ ، د ، ح : وفارقه تحريف .

(٦) يلزم من لا يستحق ما هو فيه من نعمة ، ويقول : إن في غنى مثل هذا حبجبا للزنادقة الملحدتين

وهو كقول القائل :

أخذه أبو الطيب ، فقال :

فإنه حجةٌ يؤذى القلوب بها مَن دينه الدهرُ والتعطيلُ والقِدَمُ^(١)

وقال ابن الرومي :

وأحسن من عقد العقيلةٍ جيدُها وأحسن مِن سربالها المتجرّدُ^(٢)

أخذه أبو الطيب ، فقال :

ورب قبح وحلّى ثقالٍ أحسن منها الحسنُ في المعطال^(٣)

قال عبيد^(٤) الله بن عبد الله بن طاهر :

وجرت حتى ما أرى الدهر مغرباً على بشيء لم يكن في تجاربي

أخذه أبو الطيب ، فقال :

قد بلوت الخطوب مرّاً وحلواً وسلكت الأنام حزننا وسهلاً
وقلت الزمان علماً فما يُغرب قولاً ولا يُجدد فعلاً^(٥)

وكرر هذا المعنى ، فقال :

عرفت الليالي قبل ما صنعتُ بنا فلما دهنتي^(٦) لم تزدني بها علماً

= كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقاً
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم التحرير زنديقاً

(١) البيت في هجاء كافور ، والمعنى أن تملكه حجة للدهري أن يقول لو كان للناس مدبر وكانت الأمور جارية على تدبير حكيم لما ملك هذا العبد الدهريون : من لا يؤمنون بدين ولا إله « وما يهلكنا إلا الدهر »
التعطيل : تعطيل الناس عن أن يعتقدوا بآله يدرهم . . . القدم قدم الدهر ، وأنه مخلوق بنفسه .

(٢) المتجرّد : جسمها .

(٣) المعطال : التي لا حل لها .

(٤) : « عبد » بدل عبيد ، كان عبيد الله ذا محل من الأدب والتصرف في فنونه ورواية الشعر وقوله
والعلم باللغة وأيد الناس وعلوم الأوائل (الأغاني ٩ : ٤٠)

(٥) : لخطاب في هذين البيتين لسيف الدولة وهما من قصيدة يعزبه فيها بأخته الصغرى ويسلية بقاء
الكبرى ، وما أجمع قول بعض العرب وقد مات ولده فحسن عزاءه فقليل له في ذلك فقال : أمركتنا نتوقعه فلما
وقع لم نذكره ، وأهل هذا أصل هذا المعنى .

(٦) كذا في ديوان . جميع النسخ : دهنتا ، والبيت من قصيدة يرثي بها جدته : أولها : =

وكتب ابن المعتز لعبيد الله بن سليمان^(١) يعزیه عن ابنه أبي محمد ، ویُسلیه ببقاء أبي الحسين القاسم أیاتاً منها :

ولقد غَبَسَتْ الدهرَ إذ شاطرته بأبي الحسين وقد ربحَتْ عليه
وأبو محمد الجليل مصابهُ لكنَّ يَمْنِي المرءُ خیرُ يديه

فأخذ أبو الطيب هذا المعنى ، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزیه بها عن أخته الصغرى ، ویُسلیه ببقاء الكبرى حيث قال :

قاسمتك المنونُ شخصين جوراً جعل القسمُ نفسه فيك عدلاً^(٢)
فإذا قست ما أخذن بما غا درن سرى عن الفؤاد سلمى^(٣)
وتيقنت أن حظك أوفى وتبينت أن جدك أعلى

وكان أبو الطيب كثير الأخذ من ابن المعتز ، على تركه الإقرار بالنظر في شعر المحدثين ، فَمَا أَخَذَهُ مِنْهُ قَوْلُهُ :

تَكَسَّبُ الشَّمْسُ مِنْكَ النُّورَ طَالَعَةً كَمَا تَكَسَّبَ مِنْهَا نُورُهَا الْقَمَرُ

وهو معنى قول ابن المعتز :

البدر مِن شمس الضحى نورُهُ والشمسُ من نوركَ تستملى

وأخذ قوله ، وهو من قلائده ، قيل ولعله أميرُ شعره :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأثنى وبياض الصبح يُذِرِ بى^(٤)

= ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولا ذمّاً فإبطشها جهلاً ولا كنفها حلماً

(١) « بن سليمان » : ساقطة من سائر النسخ . وهو عبيد الله بن سليمان بن وهب من كتاب العصر العباسي الأول .

(٢) المنون : المنية وقد يراد بها الجمع كما في البيت الثاني والمعنى أن المنايا قاسمتك أختيك جوراً وظلماً منها وهذه المقاسة على جورها عادلة إذ أخذت الصغرى وأبقت لك الكبرى لأنك أشرف المتقاسمين

(٣) ورد هذا البيت في سائر النسخ محرفاً .

(٤) قال صاحب اليتيمة : « هذا البيت أمير شعره ، وفيه تطبيق بديع ، ولفظ حسن ، ومعنى

بديع جيد ، وهذا البيت قد جمع بين الزيارة والافتناء ، وبين السواد والبياض ، والليل والصبح ، والشفاعة والإغراء ، وبين لى وبنى ، وقد أجمع الحذاق بمعرفة الشعر والنقاد أن لأبي الطيب نوادر لم تأت في شعر =

من مصراع لابن المعتز .

ذكر ابن جني ، قال حدثني المتنبي وقت القراءة عليه قال : قال لي ابن حنّابة وزير كافر : أعلمت أنّي أحضرت كتبتي كلّها وجماعة من أهل الأدب يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى ، فلم يظفروا بذلك ، وكان أكثر من رأيت كتباً . قال ابن جني : ثم إنني عثرت بالموضع الذي أخذه منه إذ وجدت لابن المعتز مصراعاً بلفظ لين صغير جداً فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالة لفظه وحسن تقسيمه ، وهو قوله : « فالشمس نمامة والليل قوادٍ »^(١) . ولن يخلو المتنبي من إحدى ثلاث إما أن يكون ألم بهذا المصراع فحسّنه ، وزينه ، وصار أولى به . وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذي عثر ابن المعتز به ، فأراني عليه في جودة الأخذ . وإما أن يكون قد اخترع المعنى ، وابتدعه ، وتفرد به ، والله دره . وناهيك بشرف لفظه ، وبراعة نسجه . وما أحسن ما جمع أربع مطابقات في بيت واحد ، وما أراه سبق إلى مثلها ، وما زال الناس يتعجبون من جمع البحري ثلاث مطابقات في قوله :

وأمة كان قبجُ الجور يُسخطها دهرأ فأصبح حسن العدل يُرضيها
حتى جاء أبو الطيب ، فزاد عليه ، مع عدوبة اللفظ ، ورشاقة الصنعة .

قال ابن الرومي :

أرى فضل مال المرء داءٌ لعرضه كما أن فضل الزاد داءٌ للجسمه
فليس لداء العرض شيءٌ كبدله وليس لداء الجسم شيءٌ كحسمه

غيره ، وهي مما تخرق العقول ، منها هذا البيت « . ونحن بعد أن أسمعتك رأي القدامى في هذا البيت نجب أن تسمع رأي محدثين فيه ، وما هو بنصه للدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي ج ٢ ص ٥٦٦ - ٥٦٨ « ولقدما يعجبون أشد الإعجاب بهذا البيت من هذه القصيدة ، وهو أزورهم . . . إلخ وربما كنت رديء سوق ، ولكنني أحب أن أعجب بهذا البيت ، فلا أظفر بما أريد من الإعجاب الخالص الذي لا يشوبه ذم ولا سب . هـ انتهى يعجب في هذا البيت ؟ هو هذا الطباق الكثير المتتابع الذي يحدث موسيقى طاهرة تثير في النفس ، فالشاعر يطابق بين الزيارة . . . إلخ »

(١) صدر البيت : لا تلق إلا بليل من توأصله

ومعه . كم عاشق وظلام الليل يستره لاقى أحبته والناس رقاد

ألم به أبو الطيب ، فقال :

يتداوى من كثرة المال بالإقلاق جودا كأنّ مالا سقام^(١)

قال :

وأنت المرء تمرّضه الحشايا لهتمته وتشفّيه الحروب^(٢)

وقال :

وما في طبّبه أنى جواد أضر بجسمه طول الجحام^(٣)

(١) جودا مفعول له عامله الإقلاق أو القفل قبله يقول : كأنه يحسب المال سقاما فيتداوى ببذله ليقل عذبه فيشقى ، والبيت من قصيدة مدح بها أبا الحسين على بن أحمد المرى الخراساني مطلعها : لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينال ومن روائع هذه القصيدة :

ذل من يغبط الدليل بعيش رب عيش أخف منه الجمام
كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجئ إليها اللثام
من يهن يسهل الهوان عليه ما لخرج بميت إيلام

تنبيه : بعد كل ما تقدم من سرقات المتنبي من الشعراء أو سرقاتهم منه نستطيع أن نقول إن الحكم على السرقات الأدبية في الألفاظ أمرها واضح ، لأن أخذ اللفظ كله أو بعضه ليس الحكم عليه عسيرا ؛ أما السرقات في المعاني فأمرها عسير ؛ لأن المعاني بحر لا ساحل له ، وفقدتها ومعرفة المسروق منها من أدق الأمور ، ولا يتيسر ذلك إلا لمن حفظ كثيرا ، وكان ذا ذوق سليم ، وملاحظة دقيقة وفكر نفاذ ، وعلم بتاريخ الشعراء ، فليس كل ما تسمعه منها مسروقا ، إذ منها الشائع ، الذي يخطر على بال كل شاعر ، ومنها المبتدع الطريف ، وهو نادر لا يقع عليه إلا عباقرة الشعراء ومن السرقات ما يدق حتى على الأديب اللبيب ، فليتأمل هذا عند الموازنات .

وبعد فقد عارضنا بعض الحالات في باب السرقات في هذا الكتاب زيادة على مخطوطات الصبح بالإبانة (الطبعة القديمة) وبمصورة مخطوطة الإبانة بمكتبة الجامعة العربية وقد أشرنا إلى ذلك في كل موضع رجعنا إليهما أو إلى أحدهما كما سبق التنبيه عليه .

(٢) البيت من قصيدة في مدح سيف الدولة وقد عاده من دمل كان به ، ومطلع القصيدة :

أيدري ما أراك من يريب وهل ترقى إلى الفلك الخطوب

(٣) هذا البيت من القصيدة التي وصف فيها الحمى التي غشيتها وهو في مصر ، والضمير في : طبه

يعود على الطبيب الذي عاده . الجمام : الراحة . وأوها :

ملوكنا يحس من الملام ووقع فعالة فوق الكلام

ومن روائع هذه القصيدة في وصف الحمى قوله :

وزرق كأن بها حياء فليس تزور إلا في الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا فعاتها وباتت في غفلى

يضيق الجلد عن نفسى وعنها فتوسعه بأنواع السقام =

ذكر بعض ما
تكرر من معاني
أبي الطيب

وقال :

ليت الحبيب الهاجرى هَجَرَ الكرى من غير جُرْمٍ واصلى صِلَةَ الضَّئى^(١) .

وقال :

فيا ليت ما بينى وبين أحبى من البُعد ما بينى وبين المصائب

وقال :

إذا بدا حجب عينيكَ هيئته وليس يحجبه سِتْرٌ إذا احتجبا

وقال :

أصبحتَ تأمر بالحِجابِ لخلوة هيهات لست على الحِجابِ بقادر
من كان ضوءُ جبينه ونواله لم يُحجبا لم يُحتجب عن ناظر
فإذا احتجبت فأنت غير محجب وإذا بَطُنْتَ فأنت عينُ الظاهر^(٢)

وقال :

أميرُ أميرٍ عليه الندى جواد بخيل بألا يحودا

وقال :

ألا إن الندى أضحى أميرا على مال الأمير أبى الحسين^(٣)

كان الصبح يطردها فتجرى
أراقب وقتها من غير شوق
ويصدق وعدا والصدق شر
أبنت الدهر عندى كل بنت
(١) الضئى : الهزال والسقم .
(٢) هذه الأبيات فى بدر بن عمار وقد دخل عليه يوماً فوجده خالياً ، وقد أمر الغلمان أن يحجبوا النائم عنه ، ليخلو للشرب ، فقالها ارتجالاً .
(٣) جاء فى العرف الطيب هامش ص ٦٣ ما يأتى :

روى له الثعالبي فى يتيمة الدهر بيتين فذین أوردهما فى تكرار من معانيه أحدهما قوله :
ألا إن الندى

والآخر قوله (ورواه له مرة أخرى فى أمثال فيه ألفاظ المتصوفة) :
أفيكم فتى حى يخبرنى عنى بما شربت مشروبة الراح من ذهنى =

وقال :

وما ل وهبتَ بلا^(١) موعِد وقرنَ سبقتَ إليه الوعيدا

وقال :

لقد حال بالسيف دون الوعيد وحالت عطاياهُ دون الوعود

وقال :

وما رغبتى فى عسجد أستفيده ولكنّها فى متفخر أستجده^٢

وقال :

فسرت إليك فى طلب المعالى وسار سواى فى طلب المعاش

وقال :

قد علم البين منا البين أجفانا تدمى وألف فى ذا القلب أحزانا

وقال :

كأن الجفون على مقلتى ثياب شققن على ثاكل

وقال :

كأنك بالفقر تبغى الغنى وبالموت فى الحرب تبغى الخلودا

وقال :

كأنك فى الإعطاء للمال مبغض^٣ وفى كل حرب للمنية عاشق

= وما بموضع من الغرابة، لبعدهما عن مشابهة شعر المتنبي، وقد أخطأتني فى استنباطهما ميطان الطلب حتى رأيتهما بعد ذلك لأبى تمام والأول من قصيدة له مطلعها :

خشنت عليه أخت بنى خشين وأنجح فيك قول العاذلين
والثانى مطلع قصيدة كتب بها إلى الحسن بن وهب والقصيدتان مشبتان فى ديوانه وهذا من مثل الثعالبي فى حد العجب .

(١) كذا فى ا ، ب والديوان . ح ، د ، هـ : على .

والبيت فى مدح أبى الحسين بدر بن عمار وهو يومئذ يتولى حرب طبرية من قبل أبى بكر محمد بن واثق سنة ٣٢٨ هـ وأولها :

أحلمأ نرى أم زمانا جديدا أم الخلق فى شخص حى أعيدا

وقال :

الذى زُلْتُ عنه شرقاً وغرباً ونداه مقابلي ما يزول

وقال :

ومن فرّ من إحسانه حسداً له تلقاه منه حينما سار نائل

وقال :

فكأنما نَتِجْتُ قِياماً تحتهم وكأنما وُلِدُوا على صَهَوَاتِها

وقال :

وَطَعْنَ غَطَارِيفٍ كَأَن أَكْفَهُم عَرَفْنَ الرُّدَّيْنِياتِ قَبْلَ المعاصمِ

وقال :

جَرَحَتْ^(١) مُجْرَحاً لم يبق فيه مكانٌ للسيوف وللسهام

وقال :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فَوَّادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ
فَصُرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ

وقال :

وَشَكَيْتِي فَقَدْتُ السَّقَامَ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ

وقال :

لَمْ يَتْرِكْ الْحُبُّ^(٢) مِنْ قَلْبِي وَمِنْ كَبْدِي شَيْئاً تُنَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدٌ

وقال :

تَصَدُّ^(٣) الرِّيحُ الْهَوُجُ عَنْهَا مَخَافَةٌ وَتَفْزَعُ فِيهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقَطَ الْحَبَا^(٤)

(١) الخطاب الحمى من القصيدة التي أشرنا إليها قبلاً .

(٢) الديوان : الدهر .

(٣) هـ ، د ، هـ : تصيد - تحريف .

(٤) كذا في الديوان : جميع النسخ : ويفزع فيها الطير أن يلقط الحبا ، والبيت في وصف مدينة =

وقال :

إذا أتنها الرياحُ النكبُ من بلد فما تَهَبُ بها ^(١) إلا بترتيب ^(٢)

وقال :

إذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة تدور فوق البيض مثل الدراهم ^(٣)

وقال :

وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيرا تفر من البنان ^(٤)

وقال :

ولقد بكيت على الشباب ولتي مسودة ولماء وجهي رَوْنَق
حذرا عليه قبل يوم ^(٥) فراقه حتى لكدت بماء جفنيَ أشرق ^(٦)

= مرعش من قصيدة يمدح بها سيف الدولة أوطا :

فدينك من ربيع وإن زدتنا كربا فإنك كنت الشرق للشمس والغربا
(١) ح ، ٥ ، ٤ ، ٥ : لها

(٢) الضمير في « أتنها » يعود على الملك في بيت قبله هو :

يدبر الملك من مصر إلى عدن إلى العراق فأرض الروم فالنوب
والملك يذكر ويؤنث والبيت في مدح كافور من قصيدة مطلق :

من الجآذر في زى الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب
(٣) الضمير في : ضوؤها للشمس . البيض : جمع بيضه بفتح أوله وهي الخوذة من الحديد
والبيت من جملة أبيات يصف فيها جيش أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج والى الرملة منها :
وذى لجب لاذو الجناح أمامه بناج ولا الوحش المثار بسالم
تمر عليه الشمس وهي ضعيفة تطاله من بين ريش القشاع
إذا ضووها . . .

وفي البيت السابق :

وطمن غطاريف كأن أكفهم عرفن الردينيات قبل المعاصم
ومطلع القصيدة :

أنا لأمي إن كنت وقت اللوائم علمت بما في بين تلك المعالم
(٤) من قصيدة في وصف شعب بوان مطلق :

مفاني الشعب طيبا في المغاني بمزلة الربيع من الزمان
(٥) جميع النسخ : حين .

(٦) لم تجد في الأصول ولا في اليتيمة مثالا آخر له في هذا المعنى .

وقال :

هَسَدِيَّةٌ ما رأيت مهديها إلا رأيت العباد في رجل

وقال : أم الخلق في شخص حتى أعيدا^(١)

وقال : ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق^(٢)

ثم كرره ، وزاد فيه ، فقال :

ولقيتُ كل الفاضلين كأنما رد الإلهُ نفوسهم والأعصرا

نُسقوا لنا نسق الحساب مقدما وأتى « فذلك » إذ أتيت مؤخرا

والأصل فيه قول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وقوله^(٣) وقد كرره :

مَتَى تَحْطِيْ إِلَيْهِ الرَّحْلُ سَالِمَةً تستجمعي^(٤) الخلق في مثال إنسان

وقال أبو الطيب :

هو الشجاع يَعْدُ البخل من جُبْنٍ وهو الجوادُ يَعْدُ الجبن من بَخْلٍ

وقال :

فقلت إن الفتي شجاعته تربه في الشح صورة الفترق

والأصل فيه قول أبي تمام :

أيقنت أن من السماح شجاعةٌ تُدْمِي وأن من الشجاعة جودا^(٥)

(١) صدره : أحلما نرى أم زمانا جديدا ، وقد تقدم الكلام على هذا .

(٢) صدره : هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى .

(٣) أي قول أبي نواس

(٤) الخطاب لناقته

(٥) قبل هذا البيت :

فإذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغى ومبدي غارة ومعيدا

وقال أبو الطيب :

ومن أعتاض منك إذا افترقنا وكل الناس زور ما خلاكا ؟

وقال في مثله فتبرد وبالع :

إنما الناس حيث أنت وما لنا س بناس في موضع منك خالي

وقال :

إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض ومَن فوقها والبأس والكرم المحضُ

وقال :

وما أخصك في براء بتهنئة إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال :

تجاوز قدر المدح حتى كأنه بأحسن ما يثنى عليه يُعاب

وقال :

وعُظُمُ قدرك في الآفاق أوهمني أنى بقلة ما أثنت أهجوكا

وقال :

وكان مَن عُدَّ إحسانه كأنما أسرف في سبه

والأصل فيه قول البحري :

جلَّ عن مذهب المديح فقد كا د يكون المديح فيه هجاء^(١)

وقال :

نال الذي نلتُ منه مني لله ما تصنع الخمور^(٢)

(١) عندنا أن خيرا من قول المتنبي والبحري قول القائل :

ويصدق فيه المدح حتى كأنما يسبح من صدق المقالة شاعره
إذ لم يسلم بيت من هذه الأبيات من كلمة لا تناسب المقام في الأول : يعاب وفي الثاني : أهجوكا
وفي الثالث : « في سبه » وفي الرابع : هجاء .

(٢) يقول : إن الشراب الذي نلت حصة منه قد نال حصة مني لأنه أخذ شيئا من عقل رقيب

وقال :

أفيكم فتى حى فيخبرنى عنى بما شربت مشروبة^(١) الراح من ذهنى؟^(١)

وقال :

علم بأسرار الديانات واللغى له خطرات تفضح الناس والكتبنا

وقال :

كأنك ناظر فى كل قلب فإ يخنى عليك محل غاش

وقال :

وَوَكَلَّ الظن بالأسرار فأنكشفت له سرائر أهل السهل والجبل

وقال :

فاغفر فدى لك واحببى^(٢) من بعدها^(٣) لتخصنى بعطية منها أنا

وقال :

له أياد إلى سالفه^(٤) أعدّ منها ولا أعددها

وقال ، وهو من قلائده :

خير أعضائنا العروس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

وقال :

وإن الفِثام^(٥) التى حوله اتحسد أقدامها الأروُس

= ثم تعجب من فعل الخمر وهو مأخوذ من قول الطامى :

وكأس كعمول الأماني شربها ولكنها أجلت وقد شربت عقلى
إذا اليد فالتها بوتر توقرت على ضغها ثم استقادت من الرجل
وفى الشطر الأول من بيت المتنبي ثقل .

(١) انظر ما كتب عنه برقم ٣ من هوامش ص ٢٩٠ ورواية الديوان حرّ

(٢) هذه الكلمة محرفة فى سائر النسخ .

(٣) الضمير فى : « بعدها » يعود على كلمة : عقوبة فى بيت سابق هو :

أضحى فراقك لى عليه عقوبة ليس الذى قاسيت منه هينا
(٤) الديوان : سابقة .

(٥) الديوان : الفِثام ومعناها الجماعات وهى فى النسخ مصحفة « القيام » ولا تصح إلا إذا قلنا

القيام (القائمون) الذين ... انظر العكبرى قافية السين .

وقال :

وما الحسن في وجه الفتى شرف^(١) له ولكنه في فعله والحلائق

وقال في وصف الخيل :

إذا لم تشاهد غير^(٢) حسن شيئاتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقريب منه قوله :

يجب العاقلون على التصافي وحب الجاهلين على الوسام

وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء :

ذل من يغبط الذليل بعيش رُبَّ عيش أخفُّ منه الحمامُ

وقال :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البُود

وقال :

إذا ما لم تُسير جيشاً إليهم أسرّت إلى قلوبهم المهلوعا^(٣)

(١) الديوان : شرفاً . وقد تداول معنى هذا البيت جماعة الشعراء من سابق ولاحق :

قال الفرزدق :

ولا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم تزن حسن الجسوم عقول
وقال العباس بن مرداس :

وما عظم الرجال لم بفخر ولكن فخرهم كرم وخير
وقال أبو العتاهية :

وإذا الجميل الوجه لم يأت الجميل فما جماله ؟
وقال دعبل :

وما حسن الوجوه لم بزين إذا كانت خلثهم قباحا
(٢) ساقطة من سائر النسخ . الشية : اللون وقبل هذا البيت قوله :

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يحرب
وهي من أجود ما قيل في الخيل .

(٣) المهلوع : الجزع . وهذا المعنى قريب من قول الطائي :

لم يسر يوماً ولم يهد إلى بلد إلا تقدمه جيش من الرعب

وقال :

بعثوا الرعبَ في قلوب الأعدى فكأن القتال قبل التلاقى^(١)

وقال :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا يصنع البهائم^(٢)

وقال :

أبصروا الطعن في القلوب دراكا قبل أن يبصروا الرماح خيالا

وقال :

صيام بأبواب القباب جيادهم وأشخاصهم في قلب خائفهم تعدو^(٣)

وقال :

تغير عنه على الغارات هيئته وماله بأقاصى البر أهمال^(٤)
والأصل فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم (نصرت بالرعب) ثم أكثر الناس^(٥)
منه ، ومن أوجز ما قالوا : قول على بن جبلة العكوك :

غدا مجتميع العزم له جند من الرعب

وقال :

وأتعب خلق الله من زاد همته وقصر عما تشتهي النفس وجده^(٦)

وقال :

لحى الله ذى الدنيا منأخا لراكب فكل بعيد الهم فيها معذب

(١) هو من قول حبيب :

لو لم يراخفهم لزاخفهم له ما في قلوبهم من الأوجال
(٢) البهم : الأبطال مفردة بهمة كغرفة وهو الشجاع الذى لا يدرى كيف يؤتى له فشه بالباب المجهم الذى لا يدرى كيف يفتح فيقال مبهم .

(٣) صيام : قيام يقال صام الفرس إذا وقف ويروى قيام ، أشخاصا .

(٤) أهمال : جمع هل يفتحتين والهمل : الإبل بلا راع .

(٥) ساقطة من سائر النسخ .

(٦) الوجد : السعة .

وقال :

ومسّالٍ إذا ادّعاها سواهم لزمته جناية السراقِ

وقال :

مِسْكِيَّةُ النَّفَحَاتِ إِلَّا أَنَهَا وَحْشِيَّةٌ بِسَوَاهِمُ لَا تَعْبَقُ^(١)

ذكر ما ينمى على أبي الطيب من معائب شعره ومقايحه .

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تُعَدَّ معاييه

ثم نقى^(٢) على آثارها بذكر محاسنه ، وسياق بدائعه وفرائده .

فحسن درارى الكواكب أن ترى طوالع في داج من الليل غيب

فإنها قبح المطالع ، وحققها الحسن والعذوبة لفظاً ، والبراعة والجلودة معنى ،

لأنها أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن ،^(٣) فإذا كانت حاله على الضد^(٤) ، مجه

السمع ، وزجه القلب ، ونبت^(٥) عنه النفس ، وجرى أمره على ما تقول العامة :

أول الدن دُرْدَى^(٥) .

ولأبى الطيب ابتداءات ليست لعمري من أحرار الكلام وغرره ، بل هى

كما نعاها عليه العائبون مستشعّة مستبشعّة ، لا يرفع السمع لها حجابيه ، ولا يفتح

القلب لها بابيه ، كقوله :

(١) يقول : روائح ثنائهم كالمسك إلا أنها نافرة لا تألف غيرهم ولا تفوح إلا منهم أى أنه

لا يثنى على غيرهم بما يثنى به عليهم ويوضح هذا المعنى البيت السابق لهذا وهو قوله :

وتفوح من طيب الشناء روائح لهم بكل مكانة تستشق

والبيتان من قصيدة في مدح أبي المنتصر شجاع بن محمد بن أوس بن معن بن الرضى الأزدي أوطا :

أرق على أرق ومثل يأرق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

وفى القصيدة عيون منها :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشمسوس وليس فيها المشرق

وعجبت من أرض سحاب أكفهم من فوقها وصخورها لا تورق . . .

(٢) جميع النسخ : نقى على . والمعروف . أن هذا الفعل يتعدى بنفسه .

(٣-٣) كذا في ١ ، ب . ح ، د ، هـ : فإن كانت على الضد

(٤) ح : نأت .

(٥) الدن : وعاء الخمر . الدردى : ما يبق بأسفله

ذكر ما ينمى
على أبى الطيب

بعض ابتداءات
أبى الطيب القبيحة

هذى برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شفتيت نسيسا^(١)
 فإنه لم يرض بحذف علامة النداء من هذى ، وهو غير جائز عند النحويين
 حتى ذكر الرئيس والنسيس ، فأخذ بطرفى الثقل والبرد ، كقوله :

(أوه بديل من قولتى واه)^(٢) وهو برقية العقر أشبه منه بافتتاح كلام فى
 مخاطبة ملك ، وكقوله وهو مما تكلف له للفظ المتعقد ، والترتيب المتعسف لغير
 معنى بديع ، لا ينى شرفه وغرابته بالتعب فى استخراجيه ، ولا تقوم فائدة الارتفاع
 به بإزاء التأذى باستماعه :

وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه
 وكقوله فى افتتاح قصيدة فى مدح ملك^(٣) يريد أن يلقاه بها أول لقيه :
 كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا^(٤)
 وفى الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة التى تنفّر منها السوق
 فضلا عن الملوك .

ذكر بعض
 ابتداءات تطير
 منها

حكى صاحب قال : ذكر الأستاذ الرئيس^(٥) يوما الشعر فقال : إن أول
 ما يحتاج فيه إليه حسن المطلع ، فإن ابن أبي الثياب^(٦) أنشدنى فى يوم نؤروز
 قصيدة ابتداؤها :

(أقبر وما طلكت ثراك يد الطل) . فتطيرت من افتتاحه بالقبر ،
 وتنصت باليوم والشعر ، فقلت له : كذاك كانت حال أبى^(٧) مقاتل الضرير ،

(١) حذف حرف النداء مع اسم الإشارة ممنوع عند البصريين جائز عند الكوفيين .

الرئيس : ابتداء الحب . النسيس : بقية الروح . الديوان : انشئت بدل انصرفت .

(٢) تمامه « لمن نأت والبديل ذكرها » . أوه : كلمة توجع . واه : كلمة تعجب واستطابة .

(٣) هو كافور .

(٤) سبق القول فى هذا والذي قبله .

(٥) حكى صاحب : أى إسماعيل بن عباد صاحب ابن العميد وقد مرت ترجمته والأستاذ الرئيس
 هو ابن العميد وقد مر ذكره أيضاً .

(٦) ابن أبي الثياب : أحد الشعراء المقيمين بحضرة ابن العميد ومن مداحه (اليتيمة ج ٤

دمشق

(٧) جمع الأصول والصناعتين : أبى مقاتل ، واليتيمة (١ : ١٠٦) ابن مقاتل .

لما أنشد مخدومه الداعي إلى الحق العلوي الثائر بطبرستان،^(١) وهو الحسن بن زيد بن محمد ، من أولاد زيد بن عليّ ، واستولى على طبرستان^(٢) وما يليها ، في خلافة المستعين ، ويسمى بالداعي الأكبر ، وقد وليّ الأمر بعده أخوه محمد بن زيد ، إلى أن قتل بجرّجان (موعداً أحبابك بالفرقة غدً) أغضبه التفاؤل بهذا الافتتاح ، وقال له : بل موعداً أحبابك يا أعمى ولك المثلُ السوء .

ودخل أيضاً على الداعي يوم المِهْرْجان ، وأنشده :
لا تَنْقَلُ بشري ولكن بشريان غُرَّةُ الداعي ويومُ المِهْرْجانُ
فإنه نفر من قوله : « لا تقل بشري » أشد نِفار ، وتطير ، وقال : أعمى
ويبتدئ بهذا في يوم مِهْرْجان ، وأمر بضربه خمسين سوطاً ، وقال : إصلاح
أدبه أبلغ من ثوابه^(٣) ، ولما أنشد أبو نُوَاس الفضل بن يحيى البرمكي قصيدته
التي مدحه بها ، وأولها :

أَرْبَعُ البَيْلَى إن الخشوعَ لِبَادِي عليك ، وإني لم أخنك ودادي
تطير الفضل من هذا الابتداء ، فلما انتهى إلى قوله :
سلام على الدنيا إذا ما فُقِدْتُمْ بَنِي بَرْمَكٍ من رائحين وغادي
استَحْكَمَ تطيرُهُ ، ولم يمض أسبوع حتى نزلت بهم النازلة^(٣) .
ولما فرغ المعتصم من بناء قصره بالمَيْدَان ، جلس فيه ، وجمع أهله وأصحابه

(١ - ١) ساقط من سائر النسخ .

(٢) وقال هلا قلت : إن تقل بشري فعندى بشريان ، وقد يحمل بعض الممدوحين مثل هذا الخطأ من مادحهم إذا نظروا إلى حسن مقصدهم وإن خانهم التعبير وما أجمل ما وقع من السيدة زبيدة أم الأئمين فقد روي أن أحد الشعراء أنشدها مدحاً وهي تستمع :

أزبيدة بنة جعفر طوي لزارك المشاب

تعتين من رجلك ما تغطي الأكف من الرغاب

فوثب إليه الخدم يضربونه فعنتهم وقالت : أراد خيراً فأخطأ : ومن أراد خيراً فأخطأ أحب إلينا ممن أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم : شمالك أئدى من يمين غيرك ، وحقك أحسن من وجه غيرك ، وظن أنه إذا قال هذا كان أبلغ في المديح ، أعطوه ما أمل ، وعرفوه ما جهل .

(٣) النازلة : فتك الرشيد بهم .

وأمرهم أن يخرجوا في زينتهم ، فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم ، فاستأذنه
إسحاق بن إبراهيم الموصلي في الإنشاد فأذن له ، فأنشده شعراً حسناً ، إلا أنه
استفتحه بذكر الديار وعفائها ، وقال :

يا دارُ غَيْرِكَ البليِّ وَحَماكَ بِاليتِ شِعْرى ما الذى أبْكاكَ؟^(١)

فتطير المعتصم من ذلك ، وتغامز الناس على إسحاق بن إبراهيم ، كيف ذهب
إلى^(٢) مثل ذلك ، مع معرفته وعلمه ، وطول خدمته للملوك ، ثم أقاموا يومهم ،
وانصرفوا ، فما عاد منهم اثنان إلى ذلك المجلس ، وخرج المعتصم إلى (سُرَّ مَنْ
رَأَى) وخَرِبَ القصر .

وينبغي للشاعر إذا أراد ذكر دار في مديحه ، فليذكر كما^(٣) ذكر أشجع
السلمي حيث قال :

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامٌ خلعت عليه جمالها الأيامُ

وما أجدر هذا البيت بمفتتح شعر إسحاق بن إبراهيم الذى أنشده للمعتصم .
وقصيدة أبى نواس التى أولها :

يا دارُ ما فعلت بك الأيام لم يبق فيك لذاذةٌ تُستامُ

من أشرف شعره ، وأعلاه منزلة ، وهى مستنكرة الابتداء ، لأنها فى مدح
الخليفة الأمين ، هلا قال كما قال العُماني^(٤) :

على منبر العلكياء جَدُّكَ يخطُبُ وللبلدة العَدِّراء سيفك يخطِبُ

وافتح المديح بمثل^(٥) ذكر الديار ودورها يتطير منه ولا سباً فى مشافهة

(١) كذا فى ١ . سائر النسخ والمثل السائر أهلك

(٢) « ذهب إلى » كذا فى ٢ ، د ، هـ ، ١ : ذهب عليه : ب . : ذهب مثل .

(٣) ساقطة من ٢ ، د ، هـ .

(٤) العُماني : هو محمد بن ذؤيب الفقيمي كان يجيد وصف الفرس وقد عمر فندح الخلائف من
مروان إلى الرشيد وأخذ جوائزهم ولم يكن من أهل عمان (وهى كورة على ساحل بحر الهين والهند قريبة
من البحرين) وإنما قيل له عُماني لأن دكينا الراجز نظر إليه وهو يمشى إليه فرآه عليها مصفر الوجه ضرباً
مطحولاً (عظيم الطحال) فقال : من هذا العُماني ؟ فلزمه الاسم ، وأهل عمان مصابون بصفرة الألوان
مطحولون لأنها وبية .

(٥) كذا فى ١ ، ب . سائر النسخ : يذكر .

الخلفاء والملوك والوزراء ، ولا حترار عن التطير ، تأبى أهل الظرف إهداء السفرجل إلى الأحباب ، لاشتمال اسمه على «سَقَرٍ جَلٍّ» ، فكيف لا يلومون مهيارا الديلمي^(١) على قوله :

ولئنك مدخور لإحياء دولةٍ إذا هي ماتت كان في يدك النشر

وهل خلع هارون على كاتبه إذا سأل عن شيء ، فقال : لا و^(٢) أيد الله أمير المؤمنين ، إلا لأنه لم يسمع ما عليه الأغبياءُ فيما بينهم من ترك الواو في مثل هذا الجواب .

قال الصاحب بن عباد : هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ في خلود المُرْد الملاح . وسأل هارونُ المأمونَ عن جمع^(٣) المسواك فقال : ضد^(٤) محاسنك يا أمير المؤمنين ؛ فأعجب به غاية الإعجاب . وسأل بعض الملوك كاتبه عن شجرة تراءت له ، فقال : شجرة الوفاق ، تفاديا من^(٥) شجرة الخلاف ، ولما دخل ذو الرمة^(٦) على عبد الملك^(٧) ، وأنشده قصيدته التي أولها : ما بال عينيك منها الماءُ ينسكب^(٨) وكانت عين عبد الملك تدمع ، فتوهم أنه خاطبه ، فقال له^(٩) : ما سؤالك عن هذا يابن الفاعلة^(١٠) ؟ ومقته ، وأمر بإخراجه ، وكذلك قول البحترى وقد

(١) مهيار الديلمي : هو أبو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور ، أسلم على يد الشريف الرضي ، وعليه تخرج في نظم الشعر ، توفي سنة ٤٢٨ هـ .
(٢) هذا الواو واو وصل لو حذفت لتسلط النون على ما بعدها ودل الكلام على الدعاء على المخاطب لا له كما هو المقصود .

(٣) ج : جميع السواك ، وجميع بمعنى جمع .

(٤) ساقطة من سائر النسخ .

(٥) كذا في سائر النسخ . ا : عن .

(٦) اسمه غيلان ، ويكنى أبا الحارث ، شاعر أموي ، يجيد وصف الإبل وبكاء الديار ، وكثيراً ما تغنى في شعره بصاحبته مية ، وبناقته صيلح .

(٧) عبد الملك بن مروان : أعظم خلفاء بني أمية ، وأبصرهم بالأدب وفقد الشعر ، وكانت مجالسه حافلة بالهزار والشعراء والمناقضات الأدبية ، توفي في آخر القرن الأول .

(٨) ا ، ج : عينك . وتماه : كأنه من كل مفرية سرب .

(٩) [له] : ساقطة من ح ، د ، هـ .

(١٠) ح : الخاطلة

أنشد يوسف بن محمد^(١) قصيدته التي أولها :

لك الويل من ليل تقاصر آخره^(٢)

فقال له : لك الويل والحرب^(٣)

وكفوله أيضاً :

(فؤاد ملأه الحزن حتى تصدعا)^(٤) فإن ابتداء المديح بمثل هذا طيِّرة

ينبو عنها السمع ، ولو كانت في المرأى لحسن موقعها ، وكذلك قول أبي تمام :

تجرَّعُ أسىً قد أقفر الجرعُ الفرد^(٥)

والذى ألقاه في هذه الورطة ، التجنيس بين تَجَرَّعَ والجَرَّعَ . ولما أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قصيدته التي أولها (خفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا) ، قال له عبد الملك : لا ، بل منك ، وتطير من قوله . ولما دخل أبو النجيم^(٦) على هشام بن عبد الملك^(٧) ، وأنشده أرجوزة ؛ منها في وصف الشمس : كأنها في الأفق عين الأحول^(٨) .

(١) كان البحترى يمدح محمد بن يوسف المشهور بأبي سعيد الثغرى . ولما مات الثغرى ولّى المتوكل ابنه هذا ما كان لأبيه ، ومدحه البحترى كما مدح أباه .

(٢) الديوان :

له الويل من ليل بطاء أو أخسره ووشك فوى حى تزم أبا عره
يقال : إن البحترى لما سمع النقد غير المطلع من الخطاب إلى الغيبة .

(٣) الحرب : السلب : حربه حرباً : سلبه ماله .

(٤) لم نجد قصيدة هذا المطلع في ديوان البحترى طبعة هندية بمصر ولعلها من القصائد التي لم تنشر بعد .

(٥) هذا صدر مطلع قصيدة يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة ، وعجزه :

• ودع حسى عين يحتلب ماءه الوجد • والجرع : أرض رملية .

(٦) أبو النجم : هو الفضل بن قدامة ، من عجل ، كان ينزل بسواد الكوفة ، وقد اشتهر بالرجز ، وله مع العجاج مواقف . ومطلع أرجوزته التي منها هذا البيت : الحمد لله الوهوب المجزل أنشدها هشاماً ، وكان يصفق بيديه استحساناً ، فلما بلغ هذا البيت أمر يوج • رقبته وإخراجه . وكان أبو النجم وصافاً للفرس .

(٧) وهشام أحد خلفاء بني أمية ، وأعقل بنى عبد الملك وأحزمهم .

(٨) وقبله :

حتى إذا الشمس جلاها المجتل بين سماطى شفق مرعبل =

وكان هشام أحول فأمر بإخراجه .

واعلم أن شروط الابتداء ألا يكون يُتَطَيَّر منه كما مر ، ولا يمجّه السمع ،
كقول أبي تمام :

قَدْ كُنتَ أَتَيْتَ أَسْرَفْتَ فِي الْغُلُوِّ كَمْ تَعْدُلُونَ وَأَنْتُمْ سُجَّيْرَاتِي^(١)

وكقوله :

تَقِيَّ جَمَّةَ حَاقٍ لَسْتُ طَوْعَ مُؤْتِيٍ وَلَيْسَ جَنْبِي إِنْ عَذَلْتُ بِمَصْحَبِي^(٢)

وكقول المتنبي :

أَقْلُ فَعَالَى بَلَّغَهُ أَكْثَرُهُ مَجْدُ وَذَا الْجِدِّ فِيهِ نَلْتُ أَوْلَمُ أَنْلَ جَدِّ

أَيُّ أَقْلُ فَعَالَى جِدِّ ، دَعَّ أَكْثَرُهُ ، وَهَذَا الْجِدِّ فِي الْمَجْدِ جَدِّ ، نَلْتُ أَوْلَمُ أَنْلُ .

وكقوله :

كُفِّتْ أَرَانِي وَيَكْ لَوْمَكَ الْيَوْمَ هَمْ أَقَامَ عَلَى فُؤَادِ أَنْجَمَا

ومعنى هذا البيت هو ما قاله ابن جني لا غير . يقول للعاذلة كُفِّ واتركي
عَذْلِي ، فقد أَرَانِي هذا الهم لَوْمَكَ إِيَّاي أَحَقَّ بِأَنْ يُلَامَ مِنِّي .

قال الصاحب : ومن عنوان قصائده التي تُحِيرُ الْأَفْهَامَ ، وَتَفُوتُ الْأَوْهَامَ ،
وتتجمع من الحساب ما لا يُدْرِكُ (بِالْإِتْمَاعِ طَيْقَتِي) ، وبالأعداد الموضوعة للموسيقا .

أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لِيُيَلِّتُنَا الْمَنْوُطَةَ بِالتَّنَادِ^(٣)

وهذا كلامُ الْحَكْلِ^(٤) وَرَطَانَةُ الزَّطِ^(٥) ، وما ظنك بممدوح قد تشر

= صفواه قد كادت ولما تفعل ففى على الأفق كعين الأحول

صفواه : مائلة للغروب . مرعيل : مقطع

(١) في الديوان : أَرَيْتَ بَدَلَ : أَسْرَفْتَ . هـ : كَتَبَ الْبَيْتَ مَحْرَفًا قَدْ كَ : يَكْفِيكَ . الْإِتْنَابُ
الاستحياء . الْغُلُوُّ : مَنْ غَلَا يَغْلُو إِذَا زَادَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ . السَّجَرَاءُ : الْأَحْبَابُ .

(٢) تَقِيَّ : أَحْذَرِي لَفَةً فِي « أَتَقِيَّ » جَمْعُ حَاقٍ : عَصِيَانِي .

(٣) التَّنَادَى : يَوْمُ الْقِيَامَةِ .

(٤) الْحَكْلُ : مَا لَا يَسْمَعُ صَوْتَهُ كَالذَّرِّ وَالْعَجْمَةِ فِي الْكَلَامِ .

(٥) الزَّطُ : جَبَلٌ مِنَ الْهِنْدُ يُقِيمُ فِي الْبَنْجَابِ .

للسماع من مادِّحه ، فصكَّ سمعه بهذه الألفاظ الملقوطة^(١) ، والمعاني المنبوذة ، فأى هِزَّة تبقى هناك ؟ وأى أريحية تثبت هنا ؟ وهذا البيت مدخول من وجوه : الأول : أن هذا البناء لا يتجاوز رُبَاعَ إلا نادرا . الثاني^(٢) : أن أحاد لا تستعمل في موضع الواحد ، وكذلك سداس . الثالث : حذف الهزمة من أحاد . قال الواحدى : وأكثروا في معنى هذا البيت ، ثم لم يأتوا ببيان مفيد موافق للفظ وإن حكيت ما قالوا فيه طال الكلام ، واكنى أذكر ما وافق اللفظ من المعنى ، وهو أنه أراد : واحدة أوست في واحدة ، إذا جعلتها فيها كالشيء في الظرف ، ولم يرد الضرب الحسابى بسبع^(٣) وخص هذا العدد ، لأنه أراد ليالى الأسبوع ، وجعله اسما لليالى الدهر كلها^(٤) لأن كل أسبوع بعده أسبوع آخر ، إلى آخر الدهر . يقول هذه الليلة واحدة ، أم ليالى الدهر كلها^(٥) جمعت في هذه الواحدة ، حتى طال وامتدت إلى يوم القيامة ؟ وهو قوله • لييلتنا المنوطة بالتناد • هذا كلام فيه ما فيه لمن تأمله .

ومن ابتداءاته البشعة التى تنكرها بديهة السماع قوله :

مُلِثَ القَطْرِ أعطِشُها رُبوعًا وإلا فاسقِها السَّمَّ النقيعًا^(٥)

وقوله :

اِثْلِثُ^(٦) فلانا أيُّها الطَّلَلُ نبكى وترزِمُ تحتنا الإبلُ

وقوله :

بقائى شاء ليس هم ارتحالا وحسن الصبر زَمُوا لا الجمالا^(٧)

(١) الملقوطة : المطروحة المهملة .

(٢) ح ، د ، هـ : والثانى .

(٣) كذا في جميع النسخ .

(٤ - ٤) ساقط من سائر النسخ .

(٥) مضى الكلام في هذا البيت

(٦) اثلث : كن ثالثاً . ترزم : تحن . يقول : كن ثالثاً في البكاء أيُّها الطلل لأننا نبكى عندك والإبل تحن كأنها تبكى أيضاً . ثلثهم من باب ضرب إذا كان ثالثهم أو كلهم ثلاثة بنفسه .

(٧) زَمُوا : من زم البعير إذا خطمه بالزمام . يقول لما رحلوا ارتحل بقائى ، وهو الذى أراد الارتحال لا هم ، وكأنهم زَمُوا صبرى للسير لأجسامهم ، لأنى فقدت الصبر لما ارتحلوا .

قال صاحب : ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة في التسلية عن المصيبة :
لا يحزنُ اللهُ الأميرَ فإنني لأخذُ من حالاته بنصيب^(١)

قال صاحب : لا أدرى لم لا يحزن سيفُ الدولة إذا أخذ المتنبى بنصيب من حالاته ؟ قلت : بلغ بغضُ صاحب أبا الطيب إلى أن حَرَفَ بيته ، واعترض ، وإلا فالصاحب أجل من أن يشبهه عليه مثلُ هذا ، والمعنى لا أحزنه الله ، فإنه إذا حزن حزنْتُ ولقد أبدع في التلويح بالحزن ، والنون في لا يحزن مكسورة ، وهو دعاء . ومن هذه القصيدة البيت الذي أفسده حشوه وهو :

ولا فضلَ فيها للشجاعةِ والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب^(٢)
وأجاب عنه بعض الشراح جواباً غير مَرْضَى .

ومنها إتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء ، والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب . وتنافر الأطراف ، وتخالف الأبيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر ، والضعيف الساقط ؛ فبينما^(٣) هو يصوغ أفخر حلي ، وينظم أحسن عقيد ، وينسج أنفس وشئ ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به قدرى بالبيت والبيتين في أبعاد الاستعارة ، وتعويس اللفظ ، وتعقيد المعنى إلى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج إلى الإفراط والإحالة ، أو السفسفة والركاكة ، أو التبرد^(٤) والتوحش ،

(١) القصيدة في مدح سيف الدولة - وتعزيتته عن غلامه يماك .

(٢) يريد بالحشو المفسد لفظ : والندى . لأن المعنى أن الدنيا لا فضل فيها للشجاعة والكرم والصبر على الشدائد على تقدير عدم الموت وهذا إنما يصح في الشجاعة والصبر دون العطاء فإن الشجاع إذا تيقن الخلود هان عليه الاقتحام في الحروب لمدم خوفه من الهلاك فلم يكن في ذلك فضل وكذلك الصابر إذا تيقن زوال الشدائد وبقاء العمر هان عليه صبره على المكارة لو وثقه بالخلاص منها بخلاف الباذل ماله فإنه إذا تيقن الخلود شق عليه بذل المال لاحتياجه إليه فيكون بذله حينئذ أفضل أما إذا تيقن الموت ، فقد هان عليه بذله ولهذا قال طرفة :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي
(معاهد التنصيص ج ١ ص ٣٢٣)

(٣) ١ : فيبيناه واستعماله في النشر شاذ . ب : فيبيناهو . سائر النسخ : فيبيناهو .

(٤) ه : والتبرد .

باستعمال الكلمات الشاذة ، فحيا تلك المحاسن ، وكدر صفوها ، وأعقب حلاوتها مرارة لا مَسَاغَ^(١) لها ، واستهدف لِسِيْهَامِ العائنين ، وتحكك بأسنة الطاعنين ، فن متمثل^(٢) بقول الشاعر :

أنت العروسُ لها جمالٌ رائعٌ لكنها في كل يوم تُصرع

ومن مُشَبَّهٍ إياه بمن يُقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات ، وبدائع الطيبات ، ثم يتبعها بطعام وَصِر ، وشراب عَكِر ، أو من يتبخر بالندّ المعُشَّب ، المثلث المركب من العود الهندي ، والمسك الأصهب^(٣) ، والعنبر الأشهب^(٤) ، ثم يرنِّقُه بإرسال الريح الخبيثة ، ويُفسده بالرائحة الرديّة ، أو بالواحد من عقلاء المخانين ، ينطق بنوادر الكلم ، وطرائف^(٥) الحكم ، ثم تعتريه سكرةُ الجنون فيكون أصلح أحواله ، وأمثلة أقواله أن يقول : اعذروني فإن العذرة^(٦) متعذرة . فما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله :

أتراها لكثرة العُشَّاق تحسب الدمعَ خِلْقَةً في المآقي؟

وهذا ابتداء ما سمع بمثله ، ومعنى تفرد بابتداعه ، لولا ما كدر صفوه ، وقبح حسنه ، وشفعه بما لا يبالي العاقل أن يُسقطه من شعره ، وهو قوله :

كيف تَرَى التي ترى كل جفن راءها غيرَ جفنها غيرَ راقٍ^(٧)

فبينما الذوق يستلذ حلاوة البيت الأول ، إذ^(٨) شرق بمرارة^(٩) البيت الثاني ،

وقوله :

(١) جميع النسخ : لا يساغ ، تحريف .

(٢) كذا في ب . والكلمة محرفة في غيرها .

(٣) الأصهب : الأحمر مأخوذ من الصبغة وهي احمرار الشعر .

(٤) الأشهب : ما يغلب البياض فيه السواد

(٥) ح ، د ، هـ : طرائف .

(٦) العذرة : بكسر أوله العذر .

(٧) قد مضى الكلام في هذا البيت .

(٨ - ٩) هذه العبارة مضطربة في الأصول وأوضح صورها ما أثبتناه عن (ح) وفيها : إذا

شرق . . .

ليالىَ بعد الظاعنين شُكُولُ طِوالٍ وليلُ العاشقين طویلُ
يُسَبِّحُ لى البدرَ الذى لا أريده ويخفينَ بدرًا ما إليه سبيلُ
وما عشت من بعد الأحبّة سَكُوةً ولكننى للناثبات حَمُولُ
وما شرقى بالماء إلا تذكرى لماءٍ به أهلُ الحبيب نَزُولُ

إلى أن قال :

يُحَرِّمُهُ لِمَعُ الْأَسِنَّةِ فَوْقَهُ فليس لظمآنٍ إليه سبيلُ
من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وتسهل في ألفاظها ، فجاءت مطبوعة
مصنوعة ، ثم اعترضته تلك العادة المذمومة فقال :

أغرکم طول الجيوش وعرضُها على شَرُوبٍ للجيوش أَكُولُ
إذا لم تكن لليث إلا فريسةً غَنَدَاهُ ولم يمنعك أنك فيل^(١)
ثم أتى بما هو أظمُّ منه ، فقال — وذكر الصاحبُ أنه من أوأبده^(٢) التى
لا يسمع طول الأبد بمثلها :

إذا كان بعض الناس سيفًا للدولة ففى الناس بُوقاتٌ لها وطُبولُ
فإن تكن الدَّوَلاتُ قسما فلمنها لمن ورد الموتُ الزَّوَامَ تَدُولُ
قال الصاحب قوله : الدَّوَلاتُ وتَدُولُ من الألفاظ التى لورزق فضل السكوت
عنها لحاز^(٣) . وقال من قصيدة جمع فيها بن السَّدْرَةِ والبَعْرَةِ والدَّرَةِ والآجِرَةِ :
لك يا منازلُ فى القلوبِ منازلُ أقفرت أنتِ وهن منك أو أهلُ

وهذا ابتداء حسن ، ومعنى لطيف ، ثم قال :

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه فَمَسَّ الْمُطالِبُ والقَتيلُ القاتِلُ

(١) ب ، ح ، هـ : إذا لم يكن للجيش غداة

وقد عيب عليه الاستعارة في البيت السابق في : علي شروب للجيوش أكل ، وتصور سيف الدولة يأكل
الجيوش ويشرها وفيها ناس ودواب وحديد ، كما عيب عليه في هذا البيت التشبيه في قوله : أنك فيل .

(٢) الأوابد : الدواهي يبقى ذكرها على الأبد .

(٣) في اليتيمة : لكان سعيدا

وهو وإن كان مأخوذاً من قول دعبل :

لا تطلباً بظلامتي أحداً طرفى وقلبي في دمي اشتركا

فإنه أخذ بأطراف الرشاقة والملاحة . ثم استمر في القصيدة فجاء بالتوسط

المقارب ، والبديع النادر ، والردىء النافر ، حيث قال :

ولذا اسم أغطية العيون جفونُها من أنها غمَلَت السيوفِ عواملُ^(١)

وهو معنى في نهاية الحسن واللفظ لو ساعده اللفظ .

كم وقفة سجرتك شوقاً بعدما غرى الرقيبُ بنا ولجَّ العاذلُ

فلم يحسن موقعُ سجرتك^(٢) ، أى ملأتك ، هكذا الرواية بالجيم ولو كانت
بالحاء من السحر ، لم يكن بأس ، ثم قال وسَلَّحَ :

دون التعانق ناحليْن كشكَلَيْتى نصب أدقهما وضمَّ الشاكلُ

أى قريب بعضنا من بعض ، ولم نتعانق خوف الرقيب ، ثم قال وأحسن غاية
الإحسان :

للهو آونةٌ تمرُّ كأنها قبَّلٌ يزودها حبيبٌ راحل
جمع الزمانُ فما لذيذٌ خالص مما يشوب ولا سرورٌ كامل
حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤيته المنى وهو^(٣) المقام الهائل

قال ابن جني : وهذا خروج غريب ظريف حسن ، ما أعرفه لغيره ، يقول :

إن المنى رؤيته إلا أن هيئته تهول^(٤) ، ثم قال فجمع أوصافاً في بيت واحد :

للشمس فيه وللرياح وللسحاب وللبحار وللأسود شمائلُ

(١) مضى الكلام عنه

(٢) ويروى : شجرتك أيضاً أى حبستك عن الكلام من : شجر الدابة إذا جذب لجامها ليكفها .

(٣) الديوان : وهي .

(٤) هـ ، د ، ح : تهوله .

ثم قال وتحذلق وتبرد :

ولديه ملعقيان والأدب المفاد ^(١) دِ وملحياة وملهمات مناهل ^(٢)

وإنما ألم في صدر هذا البيت بقول أبي تمام: (نأخذ من ماله ومن أدبه) ^(٣)
ثم قال :

علامة العلماء واللج الذي لا ينتهى ولكل لُج ساحلُ

ثم قال فأحال ^(٤) :

لو طاب مولد كل حي مثله ^(٥) وللد النساء وما لهن قوابل

قال القاضي أبو الحسن : إن طيب المولد لا يستغنى به عن القابلة ، وإن
استغنى عنها كان ماذا ؟ وأي فخر فيه ؟ وأي شرف ينال به ^(٦) ؟ ثم توسط
وقارب ، فقال :

ليزد بنو الحسن الشراف تواضعا هيهات تكتم في الظلام مساعيلُ
ستروا الندى ستر الغراب سفاده فبدا وهل يخفى الرباب الهاطل ^(٧)

ثم قال ، وتوحش ، وتبغض ما شاء الحاسد :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الأغردلائلُ

ولفظه الجفخ مرة الطعم إذا مرت على السمع اقشعر منها ، ويا لله العجب
أليس أنها بمعنى فخرت ، وهى لفظه حسنة رائقة ، ولو وضعت في هذا البيت موضع

(١) من العقيان ومن الحياة ومن الممات ، والمعنى أن لهذه الأشياء عنده موارد يردّها الناس منه كما
يردون مناهل الماء.

(٢) صدره : • ترى بأشباحنا إلى ملك • وهو من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن
صالح الهاشمي .

(٣) كذا في ١ ، ب . ومعناها : أتى بالبحال . سائر النسخ : وأجاد .

(٤) نعمت لمصدر محذوف أى طيباً مثل طيب مولده .

(٥) لا نوافق القاضي أبا الحسن على نقده هذا .

(٦) النقد في قوله : ستر الغراب سفاده .

جفخت لما اختل شيء من وزنه ، فأبو الطيب ملوم من وجهين : أحدهما أنه استعمل القبيح ، والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنه ، ومثل بيت أبي الطيب ما ورد في الحماسة لتأبط شراً^(١) حيث قال :

يَظَل بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغِيرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظَهْرَ الْمَهَالِكِ^(٢)

فلفظ جحيش من الألفاظ المنكرة ، وهي بمعنى فريد ، فعليه من اللوم ما على أبي الطيب ، وكذلك ورد قول أبي تمام :

قد قلت لما اطلختم الأمرُ وانبعثت عشاءُ تاليةٌ غُبْسًا دهاريسا^(٣)

فلفظه اطلختم من الألفاظ المنكرة ، وهي مع غرابتها غليظة في السمع كريهة على الذوق ، وكذلك لفظة دهاريس ، ثم قال :

يا افخرُ فإن الناسَ فيك ثلاثة مستعظمٌ أو حاسدٌ أو جاهلٌ

أى يا هذا افخر ، فحذف المنادى ، وتباغض ، وتبادى^(٤) ثم قال^(٥) :

لا تجسرُ الفصحاءُ تُشْدِهنا بيتاً ولكنى الهزبرُ الباسلُ
ما نال أهلُ الجاهلية كلهم شعري ولا سمعتُ بسحري بابلُ

ثم قال ، وأرسله مثلاً سائراً ، وأحسن جداً :

وإذا أتتكَ مَدَمَّتِي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لى بأنى فاضلٍ^(٦)

(١) تأبط شراً : هو ثابت بن جابر من فهم ، وكان شاعراً بشياً يغزو على رجله وحده ، خرج ذات مرة وقد تأبط سيفاً ، وسلت أمه عنه فقالت تأبط شراً وخرج وهو من عدائي العرب وقتلها ، كان إذا جاع نظر إلى الظباء فينتق أسنمها ثم يجرى خلفه فلا يفوته !

(٢) المومة : المفازة : يعرورى يركب . والمعنى أنه كثير الجولان في الأرض مستأنس بنفسه يركب المهالك لشدة حماسته وجراته . وفي الأصول التي بأيدينا المسالك وفي ديوان الحماسة المهالك كما أثبتنا لأن البيت الذي قبله ينتهي بكلمة المسالك وهو :

قليل التشكى للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

(٣) عشاء : ضعفة البصر . غبس : جمع غباء وهي المظلمة . الدهاريس : الدواهي .

(٤) ساقط من سائر النسخ .

(٥) رواية البيتة فقال وهي تدل على أن التباغض والتبادى مقصود بهما البيتان : لا تجسر

إلخ . . .

(٦) كذا في ١ ، ب . الديوان وسائر النسخ : كامل .

ثم قال ، وتعسف في اللفظ :

وأما وحقك وهو غاية مُقسم
الطيب أنت إذا أصابك طيبه
للتحق أنت وما سواك الباطل
والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل

وتقدير الكلام : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت غاسله إذا اغتسلت به ، وإنما ألم فيه بقول القائل :

وتزيدني طيب الطيب طيباً إن تمسّيه أين مثلك أيننا ؟^(١)

تذكرت بقول المتنبي : إذا أتتك الخ . ما يحكى أن أبا العلاء المعري : كان في بعض الأيام حاضراً في مجلس الشريف المرتضى^(٢) ، فجرى ذكر المتنبي ، فهضم المرتضى من جانبه ، فقال المعري : لو لم يكن له من الشعر إلا قوله (لك يا منازل في القلوب منازل) لكفاه ، فغضب المرتضى ، وأمر بإخراجه ، وقال أتدرون ما عسى ؟ فقالوا : لا . قال : عني به قول المتنبي : وإذا أتتك البيت .

ومن التلميح بهذا البيت ماحكاه صاحب الحقائق^(٣) أن الفتح بن خاقان ذكر ابن الصائغ في قلائد العقيان ، فقال فيه : رمّد عين الدين ، وكمّد نفوس المهتدين ، لا يتطهر من جنابة ، ولا يظهر مخايل إنابة . فبلغ ذلك ابن الصائغ ، فر يوماً على الفتح بن خاقان ، وهو جالس في جماعة ، فسلم على القوم ، وضرب على كتف الفتح ، وقال له : إنها شهادة يافتح ، ومضى . فلم يدّر أحد ما قال

(١) هو من قول ابن الجويرية :

ترين الخلى إن لبست سليمي وتحن حين تلبسها الثياب
وقبله :

وإذا الدرزان حسن وجوه كان للدر حمن وجهك زيناً

(٢) أخو الشريف الرضي الشاعر العلوي المشهور .

(٣) صاحب الحقائق هو أبو عمر أحمد بن فرج وهو اختيار لمحسن أشعار أهل الأندلس عارض به كتاب الزهرة لمحمد بن داود الأصفهاني الظاهري وقد ترجم له الفتح بن خاقان في قلائد العقيان ص ٧٩ وترجم له ابن سعيد في المغرب للمجلد الخامس (الورقة ١٧٣) توفي سنة ٤٠٠ هـ والفتح بن خاقان أديب أندلسي مشهور صاحب كتابي : قلائد العقيان ، ومطمح الأنفس في ملح أهل الأندلس واسمه الفتح ابن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الإشبيلي ، توفي قتيلاً سنة ٥٣٥ هـ بمراكش .

وابن الصائغ هو أبو بكر محمد بن باجة التجيبي الأندلسي السرقسطي الفيلسوف الشاعر توفي سنة ٥٣٢ هـ أو ٥٢٥ هـ بمدينة فاس .

إلا الفتح ، فتغير لونه ، ف قيل له ما قال لك ؟ فقال : إني وصفته كما تعلمون في قلائد العقيان ، فما بلغت بذلك عشر ما بلغ هو مني بهذه الكلمة ، فإنه أشار بها إلى قول المتنبي : وإذا أتتكم إلخ . ومن التلميح ما قيل : إنه دخل على سيف الدولة بعض الشعراء^(١) فقال أيها الأمير : بماذا تفضل على ابن عيّدان^(٢) السقا ؟ قال لحسن شعره ، فقال أيها الأمير : اختتر أي قصيدة له حتى أعارضها ، بأحسن منها ، فقال سيف الدولة : عليك بقصيدته التي أولها :

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي

فلم يرها من مختاراته ، فأمعن^(٣) النظر ، فرأى في أثنائها :
بلغت بسيف الدولة النور رتبة أنرت بها ما بين غرب ومشرق
إذا شاء أن يلهو بلحية أحرق أراه غباري ثم قال له : الحق
فامتنع عن معارضتها ، وعلم قصد سيف الدولة .

« قال ابن بسّام^(٤) في الذخيرة . إن أبا عبد الله بن شرف^(٥) قال يوماً للمأمون ابن ذى النون^(٦) أيام خدمته إياه ، واستشفاه^(٧) صبابة عمره في ذراه^(٨) وقد أجروا ذكر أبي الطيب ، فذهبوا في وصفه^(٩) كل مذهب : إن رأى المأمون (لا فارق العزة والعلاء) أن يشير إلى أي قصيدة شاء من شعر أبي الطيب حتى أعارضه بقصيدة

(١) هما الخالديان أبو بكر وأخوه عثمان وقد تقدم التعريف بهما وحديثهما مع سيف الدولة في هذا .

(٢) كذا في ١ ، ب . سائر النسخ : عيّدان بالباء وتقدم صواب ذلك .

(٣) أمعن النظر : الأفصح أمعن في النظر .

(٤) ابن بسّام : اسمه أبو الحسن علي بن بسّام صاحب كتاب الذخيرة وهو كتاب جامع لأدب أهل الأندلس حتى منتصف القرن السادس ألفه صاحبه مساماة لأبي الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني الذي هو أكبر مجموعة في أدب العرب بالشرق حتى منتصف القرن الرابع . عاش ابن بسّام في إشبيلية كما يقول ابن سيدي ومات سنة ٥٤٢ هـ .

(٥) من أشهر شعراء المغرب وكان معاصراً لابن رشيق الشاعر القيرواني وكلاهما من مداح المعز ابن باديس أحد ملوك المغرب مات ابن شرف سنة ٤٦٠ هـ وابن رشيق سنة ٤٦٣ هـ .

(٦) أحد ملوك الطوائف بالأندلس .

(٧) في الأصل : استشفاه ، تحريف ، والصواب استشفاه ، والتصحيح من الذخيرة .

(٨) الأصل : داره تحريف .

(٩) الذخيرة : تأنيبه .

تُنسَى اسمه، وتُعَفِّي رَسْمَهُ، فتناقل ابنُ ذى النون عن جوابه عِلْماً بضيق جنباه ، وإشفاقاً من فضيحتة وانتشابه ، وألحَّ أبو عبد الله حتى أخرج ابنَ ذى النون ، وأغراه ، فقال له : دونك قوله : (لعينيك ما يليق الفؤاد وما لتي)

فخلا بها ابن شرف أياماً فوجد مركبها وعراً ومريرتها شَزْراً ^(١) ، ولكنه أبلَى عذراً ، وأرهم نفسه من أمرها عسراً ، فما قام ولا قعد ، ولا حل ولا عقد . وسئل ابن ذى النون بعدُ . أى شىء أقصده إلى تلك القصيدة ؟ فقال : لأن أبا الطيب ، يقول فيها : بلغت بسيف الدولة النور رتبة ، وأنشد البيتين ^(٢) . قال ابن بسام وقد حدثتُ أيضاً أن أبا علي بن شقيق ناجى نفسه بمعارضة أبا الطيب فى بعض أشعاره ، وراطن شيطانه بالدخول فى مضماره ، فأطال الفكرة ، وأعمل النظرة بعد النظرة ، فاختر من شعره ما لم يطر ذكره ، ولا انحط قدره ، فأداه جهده ، وذهب به نقده ، إلى معارضة قوله (أمينَ ازديارك فى الدجى الرقباءُ) فبث عيونه ، واستمد شياطينه ، فلم يدع ثنية إلا طلعها ^(٣) ، ولا دوية ^(٤) إلا اتسع لها ، فوسعها ، ثم صنع قصيدة ^(٥) رأى أنها مادة طبعه ، ومنتهى طاقة فنه ووسعه ، ثم حكّم نقده ، ورضى ما عنده ، فرأى أن ^(٦) قد قصرت يداه ، وقصر مداه ، وعلم أن الإحسان كثر لا يوجد بالطلب ^(٧) .

تلميح لبعض
علماء العصر

ومن التلميح ما كتبه العلامة عمادُ الفضائل والآداب سَمِيَّ مَنْ أَلَفَ بِرِسْمِهِ

(١) المريرة : طاقة الحبل . الشزر : المحكم القتل .

(٢) وتام الخبر كما فى الذخيرة : وهذه غريبة ولو صدرت عن أبى العباس المأمون فضلاً عن منزع لقبه يحى بن ذى النون ، وقد ما كبا الجموح وذهبت بالباطل الريح ولم يندم من بنى على أمه ولاهلك من عرف قدر نفسه .

(٣) فى الذخيرة بعد هذه الجملة « ولا خبيثة إلا أطلعها » .

(٤) فى الذخيرة : « ولا زوية » وهو تصغير زاوية

(٥) فى الذخيرة بعد (قصيدة) فيما بلغنى

(٦) (أن) زيادة عن الذخيرة .

(٧) ما بين القوسين ساقط من سائر النسخ وقد استأنسنا فى تصحيحه بالذخيرة فى ترجمة صاعد بن الحسن اللئوى بالقسم الرابع من المجلد الأول طبعة جامعة القاهرة ص ١٤ ، ١٥ وتام الخبر فيها : وميدان لا يستولى عليه التعصب ، وصان نفسه عن أن يتحدث عنه بأن تكون الهرة أحزم منه .

هذا الكتاب إلى مضاهيه ومثليه ، ورسيّله في الفضل وزميله ، شيخنا النجم^(١) الذي بنوره تُشرق الدجّة ، وأرسله من دمشق إلى حلب مع هدية ، من جملتها أديبٌ عليه سيماءُ أهل الجنة :

أنجمَ الدين مَنْ مَلَكَ القلوبا فقلبي في حِمَاه لن يثوبا
أخي فكأنَّ أُمَّاً أرضعتنا معا في الشام أو (حَلَبَ) الحليبا
وَمَنْ^(٢) لى من بَعَادى عنه همٌ عسى ألقى له فرجا قريبا
لقد أهديتُ قاضيتنا إليكُم لينشدكم من الشعر الغريبا
ولطفك ليس يُنكر في الهدايا على من زاركُم فيها أديبا
فلا زالت ديارك مشرقا ولا دانت يا نجم الغروبا

والتلميح إلى الأديب الذي ذكره أبو الطيب المتنبي في قصيدته التي يمدح بها على بن^(٣) سيار بن مكرم التميمي ، وأولها :

ضروب الناس عشاق ضروبا فأعذرهم أشفهم^(٤) حبيبا
ومنها :

أعزى طال هذا الليلُ فانظرُ أمّنكَ الصبحُ يَفَرِّقُ أن يثوبا
كأنَ الفجرَ حبٌ مُستزَارُ يُراعى من دُجنته رقيبا
كأنَ نجومه حُلَى عليه وقد حذيت قوائمه الجُبوبا^(٥)
كأنَ الجوَّ قاسى ما أقاسى فصار سوادهُ فيه شُحوبا^(٦)
كأنَ دجَاه يجذبها سُهادى فليس تَغيبُ إلا أن يَغيبا

(١) نجم الدين أفندي الأنصارى عالم حلب وسياق ذكره في الابتداءات الحسنة .

(٢) كذا في (١) ومن اسم موصول . ب : ومالى .

(٣) يقال : كان لا بن سيار هذا وكيل يتعرض للشعر فدح أبا الطيب فبعث به ابن سيار إلى المتنبي فأثدّه فسار أبو الطيب إلى ابن سيار ومدحه بهذه القصيدة .

(٤) أشفهم : أفضلهم يعنى أن كل صنف من الناس يمشق صنفا مما يجب فأحقهم بالعذر من كان محبوبه أفضل .

(٥) الجبوب : وجه الأرض . حذيت الجبوب أى جعل حذاء لها يقول كأن النجوم حلى قد علقت على الليل فلا تفارقه وكأن الأرض قد جعلت حذاء له فلا يستطيع أن يمشى لثقلها .

(٦) الشحوب : تغير اللون (هامش في الأصل) .

الضمير في : « ليس تغيب » يعود إلى دُجَاه ، وهي جمع دُجْية ، وفي :
« إلا أن يغيبا » يعود إلى سهادى . ومنها :

أَقْلَبْتُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعُدَّةً بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا
وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ يَظُلُّ بِلَحْظِ حُسَادَى مَشُوبَا

مأخوذ من قول امرئ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلْكَلٍ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي بِصَبْحٍ ، وَمَا إِلَّا صَبَاحُ مَنْكَ بِأَمَثِلٍ^(١)
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِأَبْنَى الطَّيِّبِ إِلَّا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ ، لَاسْتَحَقَّ أَنْ يَتَقَدَّمَ بِهَا عَلَى كُلِّ
مَنْ تَكَلَّمَ بِقَافِيَةٍ ، وَمِنْهَا^(٢) :

(١) تناول الشعراء وصف الليل بالطول ، وذهوا بتزايد الموم في فقال امرؤ القيس :
وليل كعوج البحر أرخى سدوله على بأنواع الموم ليلتي
فقلت له . . .

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ . . .

وقال النابغة الذبياني :

كَلَيْتَ لِمَ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٌ وَلَيْلٌ أَقَاسِيَهُ بَطِيءُ الْكَوَكِبِ
تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَى النُّجُومَ بَأَثَبِ
وَصَدَرَ أَرَاكِ اللَّيْلَ عَازِبٌ هَهُ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحَزَنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وقال المجنون :

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حَبِيبِكُمْ كَمَا ضَمَّ أَزْرَارَ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقِ
وقال ابن الدميني :

أَظَلَّ نَهَارِي فَيَكُمُ مُتَعَلِّلًا وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
فالشعراء على هذا المعنى متفقون ، والمبتدئ بالإحسان فيه هو امرؤ القيس فإنه كره أن يقول إن
الهم في حبه يخف عنه في نهاره ويزيد في ليله فجعل الليل والنهار سواء عليه في قلقه وهمه وجزعه وغمه ، فأحسن
في هذا المعنى الذي ذهب إليه وإن كان الواقع يخالفه وقد فطن إلى تدارك هذا بعض من جاء بعده فقال :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الَّذِي طَالَ أَصْبَحُ بِهِ وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكُ بِأَرْوَحِ
بَلَى إِنَّ لِلْعَيْنَيْنِ فِي الصَّبْحِ رَاحَةً لَطَرَحَهُمَا طَرَفَهُمَا كُلُّ مَطَرِحِ
فكان في استدراكه بالبيت الثاني ما فات امرأ القيس محسناً مبيناً عن الفرق بين ليله ونهاره بياناً يطابق
الحقيقة والواقع .

والمتنبى في رأينا زاد في المبالغة على امرئ القيس لأنه جعل نهاره أطول من ليله .

(٢) ساقطة من سائر النسخ .

أيا من عاد روحُ المجدِ فيه وعاد زمانه^(١) البالي قشيبا
تيمممتي وكيلك مادحا لي وأنشدني من الشعر الغريبا

الأديب الذي
مدح المتنبي

قال أبو الحسن علي بن أحمد : سمعت الشيخ أبا المجد كريم بن الفضل قال :
سمعت والدي أبا بشر قاضي القضاة قال : أنشدني أبو الحسن الشامي الملقب بالمشوف
المعلم قال : كنت عند المتنبي^(٢) فجاء هذا الوكيل^(٣) ، فأنشده^(٤) هذه لأبيات
وهي :

فؤادي قد انصدع وعقلي ليلى ليلتي
قد انهوى وما رجع كالبدر لما أن طلع
رأيتَه في بيته فقلت ته ته وته
من كوة قد اطلع فقال لي مر يا لكع
هات قطع ثم قطع ثم قطع
وضع بكفي ففى حتى أدعكك يضع فضع^(٥)

فهذا الذي عناه بقوله ، وأنشدني من الشعر الغريبا ، ثم قال المتنبي :

فأجرك الإله على عليل بعثت إلى المسيح به طيبا
ولست بمنكر منك الهدايا ولكن زدتنى فيها أديبا
فلا زالت ديارك مشرقا ولا دانيت يا شمس الغروبا

وما يندرج في هذا الباب . ما ذكر في بعض كتب الآداب ، وملخصه أن

تلخيص آخر

(١) الضمير في « زمانه » يعود إلى المجد .

(٢-٢) ساقط من ج ، د ، هـ .

(٣) سائر النسخ : فأنشد .

(٤) رواية هذا الشعر الضعيف عن الواحدى في شرح ديوان المتنبي ٣٩٦ طبعة برلين وهو في الأصول وفي المراجع مضطرب أشد اضطراب . وقد أصلحنا بعض مواضعه ليستقيم وزنه وقد وردت الكلمة الأخيرة فيه في الواحدى (بضعضع) متصلة الحروف .

ومعنى التلميح أن يشير الشاعر في فحوى كلامه إلى قصة أو شعر أو مثل سائر المؤلف يشير بالشعر الذى رواه عن بعض معاصريه إلى شعر المتنبي في وكيل ابن سيار في قصيدته التى مطلعها
• ضروب الناس عشاق ضروبا •

بعض الشعراء أبلجته الضرورة ، فقصده نادى بعض الوزراء ، وحملتة دقة حاله على أن تقاضاه في الطلب ، واشتكى في زمانه كساد سوق العلم والأدب ، وأنشده لأبي تمام :

أكابرنا عطفنا علينا فإننا بنا ظمأ برح وأنتم مناهل

فأعرض عنه ، ولم تجده الوسائل ، ثم قال له من القائل ؟
الحب ما منع الكلام الألسنا وألذ شكوى عاشق ما أعلننا

فقال : هو للذي يقول :

بنّا فلو حلتيتنّا لم تدّر ما ألواننا مما امتقعن تلونا^(١)

والبيت الذى أنشده الوزير مطلع قصيدة لأبي الطيب المتنبي^(٢) ، ومراده التلميح إلى قوله في أثناء هذه القصيدة :

وانّه المشير عليك في بضلة فالحر ممتحن بأولاد الزنا
فلما علم ما قصده الوزير ذلك الشاعر^(٣) أجابه بالبيت الثالث من القصيدة ،

ومراده التلميح إلى بيت ثالث من مقصده ، وهو :

ومكايد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بشس المقتنى
وكان الوزير مغرما بابنة السلطان ، وقد بدا من شأنهما ما نقلته الرُكبان ،
فتوسل ذلك الشاعر إلى أن أوقف^(٤) أباهما على جليلة الخبر واستفهم عنه ، فإذا
هو أظهر من القمر ، وكان أجمل ذلك الوزير قد دنا ، فقتل ،
« وعداوة الشعراء بشس المقتنى » .

(١) بنا : افترقنا . حلية الشخص : هيئته وما يتميز به ، أى لو أردت أن تبين هيئتنا وصفتنا لم
تعرف ما هى لتغير ألواننا من الحزن .

(٢) في مدح بدر بن عمار .

(٣) كذا في جميع النسخ وكان الأوضح أن يقول : فلما علم ذلك الشاعر ما قصده الوزير .

(٤) كذا في الأصل والصواب إسقاط الهزمة والفعل ثلاثى أو رباعى بتشديد العين فقط كما في
التاج واللسان .

ومن التلميحات الخفية ما يحكى عن رجل من المناقذة^(١) أصحاب حصن شيزر ، وهو أولم الذى استنقذهم ، وكان قبل ملكه إياه فى خدمة محمود بن صالح صاحب حلب ، وكان إذ ذاك يلقب سديد الملك ، فبينا هو فى^(٢) مكانه إذ حدث له حادثة أوجبت أن هرب ، ومضى إلى مدينة طرابلس فى زمن بنى عماد أصحاب البلد ، فأرسل إليه ابن صالح ، واستعطفه ليعود إليه ، فخافه ، ولم يعد^(٣) ، فأحضر ابن صالح رجلاً من أهل البلد صديقاً لابن منقذ وبينهما لحة مودة أكيدة ، فأجلسه بين يديه ، وأمره أن يكتب إليه كتاباً عن نفسه يؤثقه من جهة ابن صالح ، ليعود ، فواسعه إلا أن يكتب^(٤) ، وهو يعلم أن باطن الأمر خلاف ظاهره ، وأنه متى عاد ابن منقذ إلى حلب ، هلك ، فأفكر وهو يكتب الكتاب فى إشارة عمية لا تفهم ، ليضعها فيه ، يحذر^(٥) بها ابن منقذ ، فأدار فكره إلى أن كتب فى آخر الكتاب عند انتهائه ، إن شاء الله تعالى ، وشدد إن وكسرها ، وضبطها ، ليعلم منه الفطن الذكى أنه ليس عن سهو ، ثم سلم الكتاب إلى ابن صالح ، فوقف عليه ، وأرسله إلى ابن منقذ ، فلما صار فى يده ، وعلم ما فيه ، قال : هذا كتاب صديقى ، وما يخشنى ، ولولا أنه علم صفاء قلب ابن صالح ما كتب إلى ، ولا غرتنى ، ثم عزم على العود ، وكان عنده ولده ، فأخذ الكتاب ، وكرّر نظره فيه ، ثم قال : مكانك ، فإن صديقك قد حذرك ، وقال : لا تعد ، فقال : وكيف ذاك ؟ قال : إنه كتب إن شاء الله تعالى فى آخر الكتاب ، وشدد إن ، وكسرها وضبطها ضبطاً صحيحاً لا يصدر مثله عن سهو ، ومعنى ذلك أنه يقول : إلف الملاء يأترون بك ليقتلوك ، وإن شككت فى ذلك فأرسل إلى صديقك فاسأله ، فأرسل إليه ، وسأله ، فقال :

(١) مر الحديث عن أحدهم وهو أسامة بن منقذ أما أول من ملك قلعة شيزر فهو أبو الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكتانى الملقب سديد الملك ، وله ترجمة فى وفيات الأعيان فى حرف العين ذكرت فيها قصته مع محمود بن صالح بن مرداس .

(٢) « فبينا هو فى » كذا فى مطبوعه دمشق وجميع النسخ محرفة .

(٣) ساقطة من سائر النسخ .

(٤) جميع النسخ : أن لا يكتب والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٥) سائر النسخ : فيها .

هو ما قال ولدك ، فأقام ، ولم يَعدْ إلى حلب . وهذه الحكايةُ ينسبها من لا اطلاع له على الأخبار إلى أبي الطيب المتنبي ، ويقول : إنه أرسل إلى صاحب حَلَب كتاباً يقول فيه : إنه يعود إليه ، وكتب في آخره إن شاء الله تعالى ، وشدد إن وزاد نونها ألفاً صغيرة ، فلما ورد الكتاب ، وسمع به صديقه ، توهم أنه ما فهم إشارته ، فسأه ذلك ، ثم تأمل الكتاب ، فرأى في آخره إنا^(١) شاء الله تعالى بزيادة ألف في نونها ، فعلم أنه فهم ، وأنه يقول : إنا لن ندخلها ، وهذه موضوعة^(٢) .
ومما اشتهر بين الطغام^(٣) الذين هم كالأنعام أن أبا الطيب يَمِّمُ المغربَ بجماعة كثيرة ، وآلات خطيرة ، ونُصبتْ خيامه على باب مدينة حاكمها ، فارتجت له دعائم معالمها ، واستكشف خبره ، فإذا هو شاعر أताه ، وعلم أنه يتعجز عن رضاه ، فقال شاعره وهو ابن هاني الأندلسي : على رُدُّه^(٤) قبل أن تراه ، ثم تزيّاً بزى غث ، وتجلبب بجلباب رث ، وعمد إلى شيء من الحنطة والشعير ، ووضعهما على أحد^(٥) الحمير ، ثم مر بالمتنبي ، وهو ينظر إلى الماء وتجعيده بيد الهواء وهو يكرر هذ الشطر (نَسَجَ الرِّيحُ عَلَى الْمَاءِ زَرَدَ) .

فقال ابن هاني : [ياله درع منيع^(٦) لوجمده] ، فسأله أبو الطيب عن خبره ، فأخبره أنه شاعر تلك البقاع ، فاستنشدته ، فأُنشدته من مدائح في مخدمه ما تسكر منه الأسماع .

لما فتحت بسيف عزمك قابسا	ضحك الزمان وكان ^(٦) قد ما عابسا
إلا قنّا وقواضباً وفوارسا	أنكحتها بكرراً وما أمهرتها
جلبت له بيض الحصون عرائسا	من كانت البيض الصوارم مهره
إلا وكان أبوك قبلك غارساً ^(٧)	الله أكبر ما اجتنيت ثمارها

(١) سائر النسخ : إن بدون ألف .

(٢) لأن ابن صالح كان معاصراً لأبي العلاء وأبو العلاء متأخر عن المتنبي بقرن من الزمان تقريباً .

(٣) الطغام : كسحاب أو غاد الناس .

(٤) ب : على برده .

(٥) ح ، د ، هـ : بعض .

(٦) في أ : فكان ولم نزوجها للفاء .

(٧) هذه الأبيات ساقطة من سائر النسخ :

فقال : ما حباك على هذه القوافي الجلييلة ؟ فأشار إلى ما على حمارة ، وقال هذه الجائزة الجزيلة ، فقوض عن المغرب خيامه ، وجعل المشرق أمامه ، وبعد برهة من الزمان قصد ابن هاني سيف الدولة بن حمدان ، والمتنبى إذ ذاك شاعره ، ونديمه ، وصاحبه ، وحميمه ، وكان اطلع على تلك المكيدة ، وصمم على أن يكيدته ، فلتقاه تلقى كُشَيْرَ لَعَزَةٍ ، وأحله داره وأعزه ، واستطلع رأيه في مدح سيف الدولة ، وسأله عن أسلوبه ، ليتبع قوله ، فأرشده ، فنظم على ذلك الأسلوب ما تسجد له جباه الأفهام ، ولما مشكل^(١) لينشده^(٢) ، رآه مبائنا لذلك المقام :

سارت مشرقة^(٣) وسرت^(٤) مغربا شتان بين مشرق ومغرب

ولما أنشده^(٥) ما أبدعه فلم يطرب ، علم أن واحدةً بواحدة جزاء ، فعدل عن ذلك الأسلوب ، وأعمل قريحته ، وشحذ فكرته ، ونظم قصيدته التي أولها : «فُتِّقَتْ لَكُمْ رِيحُ الْجِلَادِ بَعَثِيرٌ» ، وأنشدها على ريق لم يسبلعه ، ونفَسَ لم يقطعْه ، فأعجب به سيف الدولة إعجاب ابن المعتصم بحبيب^(٦) ، وحظي في ذلك الوقت من الجوائز بأوفر نصيب ، فحسده الشعراء ، وغبَطَتُهُ الأدباء ، فقال المتنبى : لا يُحْسَدُ المِيتُ عَلَى التَّرَاعِ ، ولا يُغْبَطُ من عَدَمِ بَحِيَّاتِهِ الانْتِفَاعِ ، وسئل عن معنى ذلك فقال : رأيتُهُ^(٧) قد صَوَّحَ تحت أقدامه أخضر النبات ، وحُمِّ ذلك المسكين لوقته ، ثم مات . وهذه الحكاية الموضوعة والغريبة المصنوعة^(٨) ، تُروى على وجوه مختلفة ، وأنحاء غير مؤتلفة ، وهي مأخوذة من خبرين لأبي تمام : أحدهما

(١) جميع النسخ : تمثل ولم تر لها وجهاً في كتب اللغة التي بأيدينا .

(٢) كذا في أ ، ب . سائر النسخ : لينشد .

(٣) ح ، د ، هـ : صارت مشرقة وصرت . . .

(٤) « ولما أنشده ما أبدعه . . . » هذه العبارة جاءت محرفة في أ ، ب تحريفاً لا يستحق الذكر

(٥) ابن المعتصم : أحمد بن المعتصم . حبيب : أبو تمام ويشير بذلك إلى مدح أبي تمام أحمد ابن المعتصم بسينيته التي مطلعها :

« ما في وقوفك ساعة من بامس » وأمر هذا الموقف مشهور .

(٦) « رأيت » كذا في الأصول ولعل الصواب « رأيت »

(٧) وجه الصنعة أن المتنبى وابن هاني وإن كانا معاصرين إلا أنه لم يعرف أن الأول زار المغرب وأن الثاني زار المشرق .

أنه قصد البصرة ، وبها عبد الصمد بن المعدّل^(١) الشاعر ، فلما سمع بوصوله ،
خاف أن يميل الناس إليه ، ويعرضوا عنه^(٢) ، فكتب إليه^(٣) قبل وصوله البلد :
أنت بين اثنتين تبرز لنا س وتلقاهم بوجه مذل^(٤)
لست تنفك راجيا لوصال من حبيب أو راغباً في نوال
أى ماء يبقى لوجهك هذا^(٥) بين ذل الهوى وذل السؤال
فلما وقف على الأبيات أضرب عن مقصده ، ورجع ، وقال : قد شغل هذا
ما يليه ، فلا حاجة لنا فيه ، والثانية ما قيل إن أبا تمام امتدح أحمد بن المعتصم
بقصيدته التي أولها :

ما في وقوفك ساعة من باس نقضى ذمام الأربع الأدراس^(٦)
فلعل عينك أن تعين بمائها والدمع منه خاذل ومواسي
لا يسعد المشتاق وسنان الهوى يبتس المدامع بارد الأنفاس^(٧)
إن المنازل ساورتها فرقة أخلت من الآرام كل كناس^(٨)
من كل ضاحكة الشائل أرهفت لإرهاف خوط البانة الميأس^(٩)
بدر أطاعت فيك بادرة النوى ولعاً^(١٠) وشمس أولعت بشماس
وإذا مشت تركت بقلبك ضعف ما بحليها من كثرة الوسواس
قالت وقد حمّ الفراق فكأسه قد خولط الساقى بها والحاسي

- (١) عبد الصمد بن المعدّل من شعراء العصر العباسي ولد ونشأ بالبصرة وتوفي سنة ٢٤٠ هـ وله قصيدة في وصف الحمى قد أحسن فيها وأجاد « اقرأ الوساطة ص ١١٧ ، ١١٨ طبعة عيسى الحلبي » .
(٢) ويعرضوا عنه : ساقطة من سائر النسخ .
(٣) سائر النسخ : فقبل دخول البلد كتب إليه .
(٤) مذل : مهان .
(٥) كذا في أ ، ب . سائر النسخ : أى ماء لحر وجهك يبقى . . .
(٦) اللزام : العهد . الأربع الأدراس : الديار المحبوبة .
(٧) ساقط من سائر النسخ .
(٨) ساورتها : واثبتها . . . الآرام : الغزلان . الكناس : بيت الغزال .
(٩) من كل ضاحكة الشائل . . . كذا في جميع النسخ
وفي هامش ١ عن نسخة : من كل واضحة الترائب والترائب : عظام الصدر .
الإرهاف : الدقة والرقّة . الخوط : الغصن .
(١٠) كذا في جميع النسخ . وفي الديوان : خطأ وفي بعض نسخه : ولعاً . كما أثبتنا .

لا تنسين تلك العهود فلما
 إن الذي خلق الخلائق قاتها
 فالأرضُ معروف^(١) السماء قري لها
 والحمد بُردُ جمال اختالت به
 نور العرارة نوره ونسيمه
 سُميت إنسانا لأنك ناسي
 أقواتها لتصرف الأحراس
 وبنو الرجاء لهم بنو العباس
 غررُ الفعّال وليس بُرد لباس
 نشر الخُزّامي في اخضرار الآس^(٢)
 فلما انتهى إلى قوله :

إقدام عمرو^(٣) في سماحة حاتم
 قال الكندي يعقوبُ الفيلسوف^(٤) وكان حاضراً : الأمير فوق من وصفت ،
 فأتى قليلاً ، ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تنكروا ضربى له من دونه
 فأنه قد ضرب الأقل لنوره
 مثلاً شروداً في الندى واللباس
 مثلاً من المشكاة والنبراس^(٥)
 فعجبوا من سرعتة وفطنته .

وما ذكر من أنه أنشد القصيدة للخليفة وأن الوزير قال^(٦) : أى شىء طلبه
 فأعطه ، فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً ، لأنه قد ظهر في عينيه الدم من
 شدة الفكرة^(٧) ، وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا المقدار . فقال له الخليفة :
 ما تشتهى ؟ فقال : أريد الموصل ، [فولاه إياها^(٨)] ، وتوجه إليها ، وبقي هذه
 المدة ، ومات ، فشىء لاصتحة له أصلاً . والصحيح^(٩) ما نقله ابن بسّام في الذخيرة ،

(١) معروف السماء : المطر .

(٢) النور : الزهر . العرارة : واحدة العرار من نبات البادية ذو رائحة طيبة ويسمى البهار أيضاً

(٣) عمرو : هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي . حاتم : الطائي المشهور بالكرم . الأخنف بن
 قيس سيد بني تميم . إياس بن معاوية : كان قاضياً بالبصرة .

(٤) الكندي يعقوب : هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي أول فيلسوف في الإسلام ولد في
 أواخر القرن الثاني للهجرة .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : مثل نوره كشكاة فيها مصباح .

(٦) ح ، د ، هـ : قال له .

(٧) سائر النسخ : الفكر .

(٨) زيادة عن مطبوعة دمشق .

(٩ - ٩) (ساقط من سائر النسخ ففيها : والصحيح أن الحسن بن وهب . . .)

قال : وقد قيل إن الكندي لما خرج ، قال هذا الفتى يموت شابا ، لأن ذكاهه ينحت عمره كما يأكل السيفُ الصقيلُ غمده ، فكان كذلك^(١) ، فإن الحسن ابن وهب اعتنى به ، وولاه برّيد الموصل ، فأقام بها أقل من سنتين ، وتوفى ، وتمام القصيدة :

إن تحو فضل سبق^(١) في أنف الصبا يا بن الخليفة يا أبا العباس
فلرب نار منكم قد أنتجت^(٢) بالليل من قبس من الأقباس
غلب السرور على هموى بالذى أظهرت من برى ومن إيناسي^(٣)
أثر المطالب في الفؤاد وإنما أثر السنين ووسمها في الراس
فالآن حين غرست في كرم الثرى تلك المنى وبنت فوق أساس^(٤)

قصيدة ابن هاني
المشهورة

وهذه قصيدة أبي القاسم محمد بن هاني الأندلسي ، المزعوم أنها في سيف الدولة بن حمدان ، وهي في أبي الفرج الشيباني^(٥) :

فُتِّمْتُ لَكُمْ رِيحُ الْجِلَادِ بَعْبَرٍ وَأَمْدَكُمْ فَلَمَقُ الصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ^(٦)
وَجَنِيْتُمْ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَانَعَا بِالنَّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ^(٧) الْأَخْضَرِ

(١) سائر النسخ : خصل سبق . الديوان : خصل المجد . وخصل بفتح أوله وسكون ثانيه . وحوى خصل المجد : أي غلب .

(٢) ب : أنجمت . غيرها : أنجحت . الديوان كما أثبتنا .

(٣) ساقط من سائر النسخ .

(٤) ما أورده البيهقي من أبيات هذه القصيدة على الاختيار لا على الاستقصاء كما يعلم من

الاطلاع على الديوان طبع بيروت سنة ١٨٨٩ م .

(٥) الصواب أن هذه القصيدة لم يمدح بها الشيباني المذكور وإن كان ابن هاني قد مدحه بقصيدتين أخريين مذكورتين في ديوانه وإنما الممدوح بها جعفر بن علي بن حمدون عقد له المنصور بالله ثالث خلفاء للفاطميين على المسيلة والزراب من بلاد المغرب وكان جعفر سمحا كثير العطاء مؤثرا لأهل العلم ، ولأبي القاسم محمد بن هاني فيه من المدائح الفائقة ما يجاوز حسنها حد الوصف وهو القائل فيه :

المسدنفان من البرية كلها جسمي وطرف بابلي أحور
والمشركات النيرات ثلاثة الشمس والقمر الخير وجعفر

وقد رجعتنا في ضبط هذه القصيدة إلى ديوان ابن هاني : تبين المعاني .

(٦) فتق المسك بغيره : استخرج رائحته بشيء يدخله عليه . الريح : الرائحة . الجلال : الحرب

الفلق : الصبح . والبيت كناية عن شجاعتهم وجهم للحرب واهتمامهم فيها .

(٧) ورق الحديد : يريد به السيوف .

- وضربتم هام الكُماة ورُعتمُ
أبني العوالي السَّهريَّةَ والسيو
مَنْ مِنْكُمْ الملكُ المطاعُ كأنه
القائدُ الخيلِ العتاق شوازيًا
شعثَ النواصي حَشْرَةً آذانها
تنبؤ سناكبهُنَّ عن عَقَرِ الثَّرى
جيش تَقَدَّمَهُ اللبؤُ وفوقها
فكأنما سكب القشاعم ريشها
وكأنما اشتملت قَنَاه ببارق
تمتد ألسنة الصواعق فوقه
ويقوده الليثُ الغضنفرُ مُعلَمًا
نحرَ القبول من الدُّبور وسار في
- بيضَ الحذورِ بكل ليث مُخَدِّرٍ^(١)
فِ الْمَشْرِفِيَّةِ والعديد الأَكْثَرِ
تحت السوايغِ تُبَعِّعُ في حَمِيرٍ^(٢)
خُزُرًا إلى لَحْظِ السنان الأَخْزَرِ^(٣)
قُبَّ الأياطلِ ظامياتِ الأَنْسَرِ^(٤)
فيطأْنَ في خدِّ العزيز الأصعرِ
كالغيل من قصب الوشيجِ الأَسْمَرِ^(٥)
مما يَشْتَقُّ من العَجاج الأَكْدَرِ^(٦)
مُتَمَلِّقٍ أوعارضِ مُشْعَنْجَرٍ^(٧)
عن ظِلَّتَيْ مُزْنٍ عليه كَسَنُهُورٍ^(٨)
في كل شثنٍ اللَّبْدَيْنِ غَضَنْفَرٍ^(٩)
جمع الهِرْقَلِ وعزْمَةِ الإسْكَندَرِ^(١٠)

(١) بيض الحذور: النساء وتزويف النساء كناية عن قتل أزواجهن وأقاربهن. المخدر من الأسود الذي اتخذ الأجمة خدرا .

(٢) بعده في الديوان :

كل الملوك من السروج سواقط إلا الملك فوق ظهر الأشقر
(٣) شوازي : ضواير . خزرا : جمع خزراء وأخزروا من الخزر ، وهو أن ينظر الإنسان بمؤخر عينه تحديدا للحظ .

(٤) جميع النسخ : داميات . الحشر : ما لطف من الآذان ويطلق على الواحد والاثنين والجمع .
القب جمع أقب وهو الدقيق الخصر الضامر البطن . الأياطل : جمع أياطل وهو الخاصرة . ظاميات : صلاب لا رهل فيها . الأنسر : جمع نسر وهو لحمه صلبة في باطن حافر الفرس من أعلاه كأنها حصاة أو ذواة .
(٥) الغيل : الأجمة . القصب : كل نبات ذى أنابيب وكعوب . الوشيج : اسم للرمح لتداخل بعضها في بعض يقال تفاعنوا بالوشيج - جميع النسخ : وفوقه .
(٦) الديوان : وكأنما . . . المعنى : يصف ارتفاع الغبار في الحرب حتى منع النور من الطيران فكان الجيش سلبها ريشها .

(٧) العارض : السحاب . مشعنجر : سائل من ماء أودم . ح ، د ، هـ : متفجر .
(٨) الظلة : كل ما أظلك من شجر أو غيره . الكههور : من السحاب المتراكم الثقيل ، شبه ألسنة الرماح بألسنة الصواعق والجيش الكثيف بالسحاب المتراكم .
(٩) الشثن : الغليظ (١٠) القبول : ريح الصبا (الشرقية) والدبور : الريح الغربية .
نحر فلانا : إذا قابله ومنه قولهم : ديارهم تنحر الطريق : أى تقابلها يقول : إن الممدوح يقابل الصعب من الأمور غير عابئ به كما يقابل الريح الشرقية من جهة الغرب على صعوبة هذا .

- في فتية صدأ الدروع عبيرهم
لا يأكل السرحان شلو طعينهم
أنسوا بهجران الأنيس كأنهم
يغشون بالبيد القفار وإنما
فرواية الصنديد تحبر عنهم
قد جاوروا أجتم الضواري حولهم
ومشوا على قطع النفوس كأنما
قوم يبيت على الحشايا غيرهم
وتظل تسبح في الدماء قبايهم
فحياضهم من كل مهجة خالغ
من كل أهت كالح ذى لبدة
حى من الأعراب إلا أنهم
راحوا إلى أم الرئال عشيّة
- وخلقوهم علق النجيع الأحمر^(١)
مما عليه من القنا المتكسر^(٢)
في عبقرى البيد جنّة عبقر^(٣)
تكبد السبتي في اليباب المتقفر^(٤)
وأسامه الصديق أصدق مخبر^(٥)
فلإذا هم زاروا بها لم تزار
تمشى سنابك خيلهم في مرم^(٦)
ومبيتهم فوق الجياد الضمر
فكانهن سفائن في أبحر
وخيامهم من كل لبدة قسور^(٧)
أو كل أبيض واضح ذى مغفر^(٨)
يردون ماء الأمن غير مكدر
وغدوا إلى ظي الكتيب الأعفر^(٩)

- (١) العبير والخلق : كلاهما بمعنى الطيب . العلق : المتجمد من الدم . النجيع : الدم الأحمر .
(٢) السرحان : الذئب . شلو : عضو . طعينهم : مطعونهم والمعنى : لم يمت طعينهم لشجاعتهم
حتى تحطم عليه من الرماح ما غطى جسمه فلا يستطيع السرحان الوصول إليه ولو كان الطعين من أعدائهم
لكان البيت هجوا لأنه يكون وصفاً لهم بالضعف والتكاثر على واحد ويروى عقيرهم بدل طعينهم .
(٣) ١ : لهجران . جميع النسخ : النفيس مكان الأنيس .
(٤) ورد الشطر الثاني محرفاً في جميع النسخ .
السبتي : الجري والمقدم من كل شيء والأصل فيه النمر بخرأته ، والمعنى أنهم يقتضون ليلهم بالمغازات
الغالية كالوحوش ألا ترى أن النمر لا تلد إلا في اليباب من الأرض .
(٥) تبين المعاني : فأسامه في موضع « فرواية » .
(٦) أراد بالنفوس : الأجسام . ويحتمل أن تكون القنوس جمع قنس بكسر أوله وهو أعلى
الرأس وأراد بالقنوس الجماعم وشبه قطعها بالمرمر لما فيها من البياض والصلابة . وهذا أجود
(٧) الخالغ : من خلع المهده ونقض المهده . القسور والقسورة : الأسد .
(٨) أهت : واسع الشدين . كالح : عابس . المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر
الرأس يلبس تحت القلنسوة والبيت بيان لما قبله ؛ قوم يبيت على الحشايا إلخ
(٩) الرئال : جمع رأل وهو ولد النعام . الأعفر من الظباء ما يعلو بياضه حمرة يريد أنهم =

طردوا الأوابدَ في الفدَافِدِ طَرَدَهُمْ
 ركبوا إليها يومَ هُوَ قَيَصُهُمْ
 إنا لتَجْمَعُنَا وهذا الحَيَّ من
 أحلافُنَا فكأننا من نسبة
 اللابسين من الجِلاد انْهَبَوْ ما
 لى منهمُ سيفُ إذا جَرَدَتْهُ
 وفَتَكْتُ بالزمن المدجج فتكة الـ
 صعب إذا نوب الزمان استصعبت
 فأذا عفا لم تلقَ غيرُ مَمْلَكْ
 وكفاه ^(٥) من حب الساحة أنها
 فغمامُهُ من رحمة وعراضه ^(٦)
 وحكى عن ^(٧) بعض علماء القاهرة المعزية قال : كنت في حرم البيت
 الشريف ، فدعاني إلى بعض الأماكن الشريف بن الشريف ^(٨) وسمع بتلك الدعوة
 أحد بني عمه الكرام ، فسارع إلينا مسارعة القطر من الغمام ، واتفق أن سقط ^(٩)

تلميح آخر

= جريثون يطرقون ما لا يطرق من الأماكن .

- (١) الأوابد : الوحوش . الفدافد : جمع فدغد وهو الفلاة - الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى
 فرس يسمى أعوج تنسب إليه كرام الخيل . العثير : العجاج الساطع .
 (٢) القنيص : الصيد . الحميس المصح : الجيش البارز في الصحراء لا يواريه شيء .
 (٣) الهبو : الفبار أى أن غبار حريمهم يقوم مقام الدروع فلا حاجة لهم بها . جميع النسخ :
 الهبر بضم أوله وهى مشافة الكتان . الأمة : الدرع . السنور : لبوس من قد يلبس في الحرب أو كل
 سلاح من حديد .

(٤) البراض : هو ابن قيس بن رافع الكنانى وهو الذى حمد عروة بن عتبة الكلابى على إجازة
 لطيمة ابن المنذر وهى إبله فقتله في طريقه واستاق غير ابن المنذر إلى خيبر فقامت لهذا السبب حرب
 من حروب الفجار في الجاهلية .

- (٥) جميع النسخ : وكفاه .
 (٦) عراض جمع عرصة وهى فناء الدار
 (٧) « عن » ساقطه من أ ، هـ .
 (٨) الجملة : « فدعاني إلى بعض الأماكن الشريف بن الشريف » ساقطة من ح ، د ، هـ .
 (٩) ح ، د ، هـ أنه .

من يده الكريمة خاتم به ^(١) حَجَرٌ ثَمِينُ القيمة ، فقال له ابن الشريف ^(٢) : لم لم تقف على طلب ذلك الخاتم الثمين ؟ فقال له أَلَسْتُ من أبناء أمير المؤمنين . .
ومراد ابن الشريف قول أبي الطيب :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمهُ
ومراد ابن عمه قول المتنبي :

كذا الفاطميون الندى في بنانهم أعزُّ أمَّحاء من خُطوطِ الرواجِبِ ^(٣)

سبب مدح المتنبي
طاهر بن الحسين

وهذا البيت من قصيدة كثيرة العيون ، يمدح بها طاهر بن الحسين العلوي ؛ حدث أبو عمرو عبد العزيز بن الحسين ^(٤) السلمي ^(٥) قال : سألت محمد بن القاسم المعروف بابن الصوفي : كيف كان سبب امتداح أبي الطيب لأبي القاسم طاهر بن الحسين العلوي ؟ فحدثني أن الأمير أبا محمد ^(٦) لم يزل يسأل أبا الطيب في كل ليلة من شهر رمضان ، إذا اجتمعنا عند الإفطار أن يخص أبا القاسم طاهرا بقصيدة من شعره ، يمدحه بها ، وذكر أنه اشتبه ذلك ، ولم يزل أبو الطيب يمتنع ويقول : ما قصدت غير الأمير ، وما أمتدح أحداً سواه ، فقال له أبو محمد : قد كنت عزمت أن أسألك قصيدة أخرى في فاجعلها في أبي القاسم ، وضمن له عنه مائة دينار ^(٧) فأجابته إلى ذلك .

قال محمد بن القاسم الصوفي : فضيت أنا والمطلبي برسالة طاهر لوعده

(١) ساقطة من أ .

(٢) ح ، د ، هـ : ابن شريف : تحريف

(٣) الرواجِب : مفصلات الأصابع أى أن الكرم مخلوق فيهم راسخ في أكفهم حتى إن هذه الخطوط يمكن أن تمحي منها وهو لا يمحي .

(٤) « أبو عمرو عبد العزيز بن الحسين » كذا في أ ، ب ، ح ، د ، هـ : أبو عمرو بن عبد العزيز ابن الحسين .

في الديوان لعزام : أبو عمر عبد العزيز بن الحسن ، وفي العرف : قال عبد العزيز بن الحسن .

(٥) ساقطة من سائر النسخ .

(٦) يريد به أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج أمير الرملة من قبل الإخشيد اتصل به المتنبي سنة ٣٣٥ هـ وكان طاهر بن الحسين العلوي من المقربين عند هذا الأمير وقد رغب في أن يمدحه المتنبي فتوسط له الأمير في ذلك .

(٧) كذا في سائر النسخ .

أبي الطيب، فركب معنا أبو الطيب، حتى دخلنا عليه، وعنده جماعة من أهل بيته
أشراف وكتاب، فلما أقبل أبو الطيب نزل أبو القاسم طاهر عن سريره، وتلقاه
بعيداً من مكانه، فسلم عليه، ثم أخذ بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها قاعداً،
وجلس بين يديه، فتحدث معه طويلاً، ثم أنشده.

جلوس طاهر
ابن الحسين
مدوح المتنبي بين
يديه

قال عبد العزيز: وحدثني أبو علي بن القاسم الكاتب، قال: كنتُ حاضراً
لهذا المجلس، وهو كما حدثك به أبو بكر الصوفي، ثم قال لي: أعلم أني ما رأيتُ
ولا سمعتُ في خبر شاعر جلس الممدوح بين يديه مستمعاً لمدحه غير أبي الطيب،
فإنني رأيتُ طاهراً تلقاه، ثم أجلسه مجلسه، وجلس بين يديه، وأنشده:

أعيدوا صباحي فهو عند الكواكب وردوا رقادى فهو لحظُ الحباب
فإن نهاري ليلةٌ ملهمة على مقلةٍ من فقدكم في غياهب
بعيدةٌ ما بين الجفون كأنما عقدتم أعالي كل هذب بحاجب

هذا كقول بشار:

جفت عيني عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصار
ومنها:

وأحسب أني لو هويت فراقكم لفارقتُه والدهر أنخبثُ صاحب

هذا كقول العباس بن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكبُ عيناى الدموع لتجمدا

وفيه نقد من جهة المعنى^(١):

وقد أخذه الباخرزي، فسلم منه، وأجاد حيث قال:

ولطالما اخترتُ الفراق مُغالطاً واحتلتُ في استثمار غرسٍ وِدَادى

(١) قال علماء البلاغة إن في بيت العباس بن الأحنف تعقيداً معنوياً حيث كنى بجمود العين
عن السرور مع أن الجمود يكتنئ به عن البخل بالدمع وقت البكاء كما قالت الخنساء:
أعيني جرداً ولا تجمداً ألا تكيان لصخر الندى؟

وطمعتُ منها بالوصال لأنها
ومنها :

فيا ليت ما بيني وبين أحبي
أراك ظننت السلك جسمي فعصيته
ولو قلمٌ ألقى في شق رأسه
ومنها في المديح :

كأن رجلى كان من كف طاهر
فلم يبق خلقٌ لم يردن فيناه
ومنها :

وأبهرُ آيات التهامي أنه
وإحدى ترؤى بالحاء والجم. وروى ابن فورج^(٦) « وأكبر آيات التهامي آية »^(٧)
ومنها :

وما قربت أشباه قوم أباعد ولا بسعدت أشباه قوم أقارب^(٨)

(١) السلك : خيط النظام . الترائب : عظام أعل الصدر . يقول : كأنك توهمت السلك الذي
في قلاذتك جسمي لمشابهة إياه في الرقة فحلت بينه وبين ترائبك بالدر المنظوم فيه لثلاثي عشر صدرك يشير إلى
شدة مجافاتها له حتى صارت تنفر من كل ما يشاكله .

(٢) مر حديث عن هذا البيت .
(٣) الكور : الرجل . يقول إن مواهب الممدوح لم تدع مكاناً إلا أته كذلك أنا لم أترك مكاناً
إلا أتيته فكأنني امتطيت مواهبه وهذا من أحسن مخالصة .

(٤) الضمير في « يردن » يعود على المواهب . ورود المشارب : مفعول مطلق ليردن . الشرب :
حظ الوارد من الماء ، والمعنى : لم يبق أحد لم ترد مواهب الممدوح منزله كما ترد النامس المشارب ، ومع أن مواهب
شرب للنامس فكان حقها أن تورد لكنها ترد هي الشاربين على خلاف العادة .

(٥) التهامي : نسبة إلى تهامة وهي مكة يريد به النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا البيت كلام كثير
يرجع في تفصيله إلى التبيان ج ١ ص ١٥٤ طبعة الحلبي .

(٦) تقدم التعريف به .
(٧) آية في هذه الرواية منصوبة على التمييز . وأبوك خبر المبتدأ ويريد به علي بن أبي طالب جد
الممدوح بهذه القصيدة .

(٨) يريد الشاعر أن قرب الشبه بين متباعدين في النسب لا يوجب قرب النسب ، وقربه بين الأقارب
في النسب يؤكد النسب على أن الواقع لا يؤيد نظرية الشاعر فقد يتشابه المتباعدون ويختلف المتقاربون .

ومنها :

يرى أن ما مابان منك^(١) لضارب بأقتلَ مما بان منك لعائب
ألا أيها المالُ الذي قد أبادهُ تَمَعَزَ فهذا فعلُهُ في الكَنائب
حملتُ لآليه من لسانِ حديقة سقاها الحجي سقى الرياض السحائب
فَحْيَيْتَ خير ابنٍ خير أب بها لأشرف بيت في لُؤَيَّ بن غالب

ارتجال المتنبي
القصيدة

حدث أبو عمرو عبد العزيز بن الحسن السلمي^(٢) ، قال : حدثني محمد
ابن القاسم المعروف بالصوفي ، قال : أرسلني الأمير أبو محمد إلى أبي الطيب ،
فصعدت إليه في دار^(٣) يسكنها ، فسَلَّمْتُ عليه ، وعرفته رسالة الأمير أبي محمد ،
وأنه منتظر له ، فامتنع على وقال : أعلم أنه يطلبُ شعراً ، وما قلت شيئاً ، فقلت
له : ليس نفترق^(٤) فقال لي : اقعد إذن ، ثم دخل إلى بيت في الحجرة ، ورد
الباب عليه فلبث فيه مقدار كَتَبَ القصيدة ، ثم خرج إلى ، وهي لم تجف ،
فقلت : أنشدنيها ، فامتنع ، وقال الساعة تسمعها ، ثم ركب ، وسرنا ، فدخل
على الأمير ، وعين الأمير ممدودة إلى الباب ، منتظراً لورودنا ، فسأل عن سبب
الإبطاء ، فأخبرته الخبر ، فلم عليه ، ورفع أرفع مجلس ، وأنشده القصيدة التي
أولها :

أنا لاثمي إن كنتُ وقتَ اللوائم علمتُ بما بي بين تلك المعالم^(٥)
حدث بعضُ المغاربة ، قال : كنا عند ملك المغرب ، فورد عليه مكتوب
من بعض ثغوره يتضمن أن أعداء المسلمين خرجوا من البحر وفتكوا بعساكر ذلك

تلميح آخر

(١) جميع النسخ : منه . وما الأول نافية بمعنى ليس وما الثانية بمعنى الذي واسم أن ضمير الشأن
محذوف يريد أن ما ظهر من الإنسان لضرب السيف كالعتق ونحوه ليس بأقتل له ما ظهر لظن العائب
أي أن العيب أشد من القتل وهذا من قول أبي تام :

فني لا يرى أن الفريضة مقتل ولكن يرى أن العيوب مقاتل

(٢) هذا هو الذي مر ص ٣٢٩ رقم ٤ باسم : أبو عمرو عبد العزيز بن الحسين السلمي

(٣) ١ ، ب : إلى دار .

(٤) في ذكرى أبي الطيب للدكتور عبد الوهاب عزام : ففترق وهو الصواب وفي : ١ ، ب :

فقلت له ليس يعرف

(٥) يذكر وقوفه في ديار الأحبة وما أدركه من الدهش والوجد لفرقتهم ثم يقول إن كنت حين
لاثمي اللوائم على فرط جزعي وبكائي علمت بما أصابني من ذلك فأنا لاثم نفسي على استسلامها للوجد والمبرة .

الثغر ، حتى لم يبق منهم مَن ينقل السلاح ، وصارت القتلى كالأكام على تلك البطاح ، وكان ببادية ذلك الثغر أمير تهابه الختوفُ ، وتفرَّق من ملاقاته الألوف ، فسار إليه أعداء الدين بجمع لا يبلغ عشر من قتلوا ، وأرسل يأمرهم أن يذهبوا من حيث أتوا ، فما قبلوا ، فتلقاهم بالبيض المشرفية والسمر الخطية ، فانهزمت أرواحهم إلى النار ، وثبتت أجسامهم كالأحجار ، وعمد إلى سفنهم ، فأغرقها ، وإلى أشلائهم فأحرقها ، فلما تمت قراءة الكتاب : قال : رحم الله أبا الطيب المتنبى ، ومراده قوله * فليس يأكل إلا الميت الضَّبُع * ^(١) وهذا الشطر من قصيدة لأبي الطيب ، يمدح بها سيف الدولة ، وقد مر في غزاة السننوس ^(٢) بسمه سندو وعبر آليس ، وهو نهر عظيم ونزل ، على صارخة وخرشنة ^(٣) ، فأحرق رُبُضهما وكناشهما ، وقفل غانماً ، فلما صار على آلس راجعاً وافاه الدُّمستقُ ، فصافه الحرب ، فهزمه ، وأسر من بطارقه ، وقتل ، ثم سار ، فواقعه في موضع آخر ، فهزمه أيضاً ، ثم واقعه على نهر آخر ، وقد مل أصحابه السفر ، وكلوا من القتال ، واجتاز أبو الطيب ليلاً بقطعة من الجيش نيام بين قتلى الروم ، فقال يذكر الحال ، وما جرى في الدرب من الخيانة وهي :

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع	إن قاتلوا جببنوا أو حذتوا شجعوا
أهل الحفيظة إلا أن تجربتهم	وفي التجارب بعد الغى ما يزع
وما الحياة ونفسي بعد ما علمت	أن الحياة كما لا تُشتهي طبع ^(٤)
ليس الجمال لوجه صح مارته ^(٥)	أنف العزيز بقطع العز يُجثدع
أطرح المجد عن كتفي وأطلبه	وأترك الغيث في غمدي وأنجع ؟
والمشرفة ما زالت ^(٦) مشرفة	دواء كل كريم أوهى الوجع

(١) صدر البيت : (لا تحسبوا من أسرتكم كان ذا رمق) .

(٢) في تاج العروس : سننوس بتحريك النون موضع بالروم نقله الصاغاني يقال هو دون سمندو وآلس كصاحب نهر ببلاد الروم على يوم من طرسوس قريب من البحر ، من الثغور الجزرية .

(٣) صارخة وخرشنة : بلدان بالروم

(٤) الطبع : اللوم والدناءة قال الشاعر :

لا خير في طمع يدني إلى طبع وغفة من قوام العيش تكفي

(٥) المارن : مالان من طرف الأنف

(٦) الديوان : لا زالت . . .

وفارس الخيل من خفت فوقرها في الدرب والدم في أعطافها دُفَعُ^(١)

يريد بفارس الخيل سيف الدولة ، ومنها :

وَأَوْحَدَتْهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ^(٢) وَأَغْضَبَتْهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَنْدَعٌ^(٣)
 بِالْجَيْشِ تَمْتَنَعُ السَّادَاتُ كُلَّهُمْ^(٤) وَالْجَيْشُ بَابِنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ يَمْتَنَعُ^(٥)
 قَادِ الْمُقَانِبِ أَقْصَى شُرَيْبِهَا نَهْلٌ^(٦) عَلَى الشَّكِيمِ وَأَدْنَى سِيرِهَا سَرَعٌ^(٧)
 لَا يَعْتَقِي بِلْدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بِلْدٍ^(٨) كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رَى وَلَا شَبَعٌ^(٩)
 حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرَّشَنَةَ^(١٠) تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ^(١١)

خرشنة : معروفة في بلاد الروم ، والأرباض : ما حول المدينة . ومنها :

لِلسَّيِّ ما نَكَحُوا وَالْقَتْلَ ما وَلَدُوا^(١٢) وَالتَّهْبَ ما جَمَعُوا وَالنَّارَ ما زَرَعُوا^(١٣)
 مُخَلَّى لَهُ الْمَرْجُ مَنْصُوبًا بِصَارِخَةٍ^(١٤) لَهُ الْمَنَابِرُ مَشْهُودًا بِهَا الْجَمْعُ^(١٥)

صارخة : مدينة بالروم . ومنها :

يُطْمَعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طَوْلٌ أَكْلَهُمْ^(١٦) حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ^(١٧)
 وَلَوْ رَأَاهُ حَوَارِيُّوهُمْ لَبَسَنُوا^(١٨) عَلَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الَّذِي شَرَعُوا^(١٩)
 ذَمَّ الدَّمَسْتَقُ عَيْنِيهِ وَقَدْ طَلَعَتْ^(٢٠) سَوْدُ الْغَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَرَعُ^(٢١)

(١) خفت : أسرعت في الهزيمة . وقرها : سكنها وثبتها . الدفع : أن يدفع شيء بعد شيء .
 وأراد بفارس الخيل سيف الدولة كما يقول المؤلف لأن خيله أرادت الهزيمة فثبتها في مضيق من مضائق
 الروم .

(٢) القندع : الهجر والقبيح من الكلام .

الديوان : فأوحده . والضمير راجع إلى الخيل ، والضمير الآخر لسيف الدولة .

(٣) المقانب : جمع مقنب كبير وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل . الشكيم :
 الحديدة المترصعة في فم الفرس . الإسراع والمعنى أنه قاد الخيل حتى كان غاية شربها مرة واحدة
 وهي ملجمة وأقل سيرها الإسراع .

(٤) يعتق : يعتاق أي لا يعوقه بلد عن السير إلى آخر بلد من بلاد الأعداء

(٥) مغل ومنصوباً حالان من ضمير أقام في البيت السابق . المرج : مكان . مشهودا : حال

من صارخة أي أنه بلغ الغاية في قهرهم حتى نصبت المنابر في صارخة وشهد فيه المسلمون صلوات الجمعة .

(٦) الحواريون : أصحاب عيسى عليه السلام ونسبهم إلى الروم لأنهم من أهل دعوتهم .

(٧) سود الغمام : يريد بها كتاب سيف الدولة

القرع : قطع السحاب المتفرقة الواحدة قرعة . ومنها :
فيها الكماة التي مفظومها رجلٌ على الجياد التي حوَّليها جندع

فيها : أى في سود الغمام . والجذع : التي أتى عليها حولان . ومنها :

تُذرى اللقانُ غباراً في مناخرها وفي حناجرها من آلسٍ جُرَّع^(١)
كأنها تتلقاهم لتسلكتهم فالطعن يفتح في الأجواف مائع^(٢)

ومنها :

وما نجا من شِفَارِ البيض مُنْغَلَتْ وما نجا ومنهن في أحشائه فزع
يباشر الأمنَ دهرًا وهو مُخْتَبَلٌ ويشربُ الخمر حولا وهو مُمْتَنِعٌ^(٣)
كم من حُشاشةٍ يطريق تَضْمَنُها للباشرات أمينٌ ماله وَرَعٌ^(٤)
يقاتل الخطو عنه حين يطلبه ويطرد النوم عنه حين يضطجع^(٥)
تغدو المنايا فلا تنفك واقفة حتى يقول لها عودى فتندفع
قُلْ لِلدَّمِستِقِ إِنْ المُسْلِمِينَ^(٦) لكم خانوا الأمير فجازاهم بما صنعوا
وجدتمهم نياماً في دماكم كأن قتلاكم إياهم فجعلوا^(٧)
ضَعْفَى تَعِيفُ الأعادى عن مثالم من الأعادى وإن هموا بهم نزعوا
لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق فليس تأكل إلا الميتة الضبع

(١) اللقان : موضع . آلس : نهر على يوم من طرسوس . أى لسرعة هذه الخيل تشرب من آلس وتبلغ اللقان قبل أن تستم ابتلاع الماء الذى شربته .

(٢) كأن خيله تتلق الروم لتدخل في أجسادهم وتسلكتها فإن الطعن يفتح في أجوافهم جراحات واسعة تمنع الفرس أن تدخل فيها .

(٣) أى يصير إلى مأمنه فيعيش دهرًا فيه وهو فاسد العقل لشدة ما راعه من الخوف ويشرب الخمر سنة وهو متغير اللون لاستيلاء الصفرة عليه .

(٤) يريد بالأمين : القيد أى كم فاروس لم يبق منه إلا رقبته قد قيد وأسر فهو في ضمان القيد للسيف إذا دعت الحاجة إلى قتله . البطريق : الفارس من الروم .

(٥) الضمير في : يقاتل يعود على القيد .

(٦) المسلمين : الذين أسلمهم سيف الدولة للمدو لتخاذلهم عنه .

(٧) يقول : وجدتم هؤلاء الذين ظفرت بهم نياماً في قتلاكم كأنهم مفجوعون بهم وقد تلطخوا بدماهم .

ا : كأن أمواتكم ، وسائر النسخ : كأن أمواتهم ، ورواية الديوان : كأن قتلاكم .

ومنها :

وإنما عرض الله الجنودَ بكم
فكل غزو إليكم بعد ذاك فلتَه
يمشي الكرامُ على آثارِ غيرهم
وهل يشينك وقتٌ كنتَ فارسَه
من كان فوقَ محلّ الشمس موضعَه
لم يُسلم الكُرُ في الأعقاب مهجَتَه

لكي يكونوا بلا فسَلْ إذا رجعوا^(١)
وكلُّ غازٍ لسيف الدولة التَّبَعُ
وأنت تخلُق ما تأتي وتبتدعُ
وكان غيرك فيه العاجز الضَّرْعُ
فليس يرفعُه شيءٌ ولا يضعُ
إن كان أسلمها الأصحابُ والشيع

ومنها :

الدهر معتذرٌ والسيفُ منتظرٌ
وما الجبالُ لنصرانٍ بحامية

وأرضهم لك مُصْطافٌ ومرتبِعُ
ولو تنصر فيها الأعصمُ الصَّدْعُ

الأعصم : الوعل . والصدع : ما بين السمين والمهزول . ثم قال :

وما حَمَدتكَ في هول ثبتَّ له
فقد يُظَنُّ شجاعاً من به خَرَقُ^(٢)

وقد يُظَنُّ جباناً من به زَمَعُ^(٣)
وليس كلُّ ذواتِ المِخْلَبِ السبعُ

وقيل : إن رجلاً جلس على جسر بغداد ، فأقبلت امرأةٌ بارعةٌ الجمالِ من ناحية الرُّصافة إلى الجانب الغربي ، فاستقبلها شاب ، وقال لها : رحم الله عليَّ ابن الجهم ، فقالت المرأةُ : رحم الله أبا العلاء المعري ، وما وقفنا ، بل سارا مَشْرِقا ومَغْرِباً . قال الرجل : فتبعتُ المرأةُ ، وقلت : لئن لم تخبريني بما أراد بابن الجهم ، وأردت بأبي العلاء لأفعلنَّ^(٤) بك ، فضحكت ، وقالت^(٥) : أراد بعلي بن الجهم قوله في أول قصيدته :

تلميح آخر

(١) عرض الله الجنود بكم : ابتلاهم بكم . الفصل : الرذل الذي لا مروءة له .
* الديوان : أنت فارسه .

(٢) تمتصع : تذهب في الأرض هاربة .

(٣) الخرق : الخفة والطيش . الزمع : الارتعاد

(٤) ساقطة من ١ .

(٥) ١ : فقالت .

عيون المهابيّين الرّصافة^(١) والجسر
وأردت بأبي العلاء قوله :

فيادارها بالخيف^(٢) إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

ومن قصيدة لأبي الطيب جمع فيها بين الغثّ والسمين ، وهي التي أولها :
قد علّمّ البينُ منّا البينَ أجفانا
تدّمّمي وألف في ذا القلب أحزانا^(٣)
جمع فيها بين
الغثّ والسمين

أملتُ ساعة ساروا كشف معصمها
ليلبث الحى دون السير حثيرانا
ولو بدت لأنا هتتهم فحجّبتها
صون عقولهم من لحظها صانا^(٤)
بالواخداث وحاديها وبى قمر
يَظَلُّ من وخدها فى الحيدر حشيانا^(٥)

وحشيان بالخاء المهملة من الغريب الوحشى الذى لا يأنس به السمع ، ولا يقبله
القلب ، يقال : حشى الرجل يحشى حشى ، فهو حشيان ، إذا أخذه البهر .
يقول : إذا وخذت الإبل تحت هذا القمر ، أخذه البهر^(٦) لترفه . ومن المؤدبين من
يروى حشيان بالخاء المعجمة من الخشية .

ثم قال ، وأحسن ، ولطف ، وظرف^(٧) :

قد كنتُ أشفق من دمعى على بصرى
فاليوم كلُّ عزيز بعدكم هانا^(٨)
ثم أراد أن يزيد على الشعراء فى وصف المطايا فأتى كما قاله صاحب بأخزى
الخزايا ، فقال :

لو استطعتُ ركبتُ الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرا

(١) الرصافة : محلة ببغداد .

(٢) الخيف : مكان .

(٣) مضى الكلام عن هذا البيت .

(٤) يريد أنها صانت نفسها عن الظهور فكان فى ذلك صون عقولهم عن أن تصاب بلحظها فتفتن .

(٥) الواخداث : الإبل والمعنى أنه والواخداث وحاديها فداء لقمر يظل من سير الإبل حشيان لترفه

ولأنه لم يتعود السير ولا ركوب الإبل .

(٦) البهر : انقطاع النفس من الإعياء .

(٧) ضبّطت الكلمتان : لطف وظرف بالتشديد فى .

(٨) تقدم الكلام عن هذا البيت .

قال صاحب : ومن الناس أمه فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح لعل له عصبية لا يريد أن يُركبوا إليه ، فهل في الأرض أفحش من هذا التسحب ، وأوضع من هذا التبسط (١) ؟ ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقوله :
فالعيسُ أعقلُ من قوم رأيتهمُ عما يراه من الإحسان عُميانا
ثم قال وأجاد في مدح أولية الممدوح :

إن كوتبوا أو لُقُوا أو حوربوا وُجدوا في الخط واللفظ والهيحاء فُرسانا
كأن ألسنهم في النطق قد جُعِلَتْ على رماحهم في الطعن خُرُصانا (٢)
كأنهم يَرِدُونَ الموتَ من ظمإٍ أو يَنْشَقُونَ من الخطى رِيحانا (٣)
ثم قال :

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا ظُمَى الشِفاهِ جِعَادِ الشَّعْرِ غُرَانَا (٤)
قال صاحب : الزنجى لا يوجد إلا جعد الشعر ، فكيف ينقلبون عن الجعودة إلى الجعودة وقد احتج عنه (٥) أصحاب المعاني بما يطول ذكره . والعجب كل العجب من خاطر يقدح بمثل قوله في قصيدة :
وملمومة زَرَدُ ثوبُها ولكنّه بالقنا مُخْمَلُ

(١) هذا نقد المتحيز فإن الشاعر إذا ذكر الناس فإنه يخرج من جملتهم كثيراً من الناس كما قال السري :

ألا إن خير الناس حياً وميتاً أسير ثقيف عندهم في السلاسل
فالسري لم يفضل أحداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا البيت وإن كان قد أكد بقوله حياً وميتاً وكذلك أبو الطيب قد خصص في البيت الثاني (راجع العكبري والواحدى في نقض هذا النقد) .

(٢) الخرصان : جمع خرص وهو هنا السنان يقول : ألسنهم ماضية نافذة كأنها أسنهم .

(٣) ينشق : يشم وهو من قول البحري :

يتزاحمون على القتال لدى الوغى كتراحم الإبل العطاش بمورد

(٤) جميع النسخ : خلائق لوحدها . . .

ظمى الشفاه : دفاقها مع سمرة . غران : جمع أغر وهو الأبيض .

(٥) كذا في ا ومعناها دافع ووجه الدفاع أن الشاعر يريد أن يقول لو أن أخلاق الممدوحين كانت في الزنج لحسنوا مع جعودة شعرهم وغلظ شفاههم .

سائر النسخ : احتج عليه .

يفاجئ جيشا بها حينئذ ويُنذرجيشا بها انقَسَطْلُ^(١)

ثم يتصرف في هذا الكلام الغث الرث ، فيتبعه به ، حيث يقول :
جعلتُك بالقلب لى عُدَّةٌ لأنك باليد لا تُجعل
ولو قاله بعضُ صبيان المكاتب لاستُحيى له منه .

وهذه القصيدة قالها في سيف الدولة ، وهو بميا فارقين ، وقد ضُربت له خيمةٌ كبيرة ، وأشاع الناس أن مقامه يتصل أياما ، فهبت ريح شديدة ، فسقطت الخيمة ، وتكلم الناس عند سقوطها ، فقال أبو الطيب :

أيقدحُ^(٢) في الخيمة العُذْلُ وتَشْمَلُ مِن دهرها يشمل
وتعلو الذى زُحَلٌ تحته مُحالٌ لعمرك ما تُسأل
فلم لا تلوم الذى لامها وما فصّ خاتمه يَنْدُبُلُ
يقول فلم لا تلوم الخيمةُ لائمها على سقوطها ، والرئيس الذى أعجزها الاشمال عليه يقصر يَنْدُبُلُ مع عِظمه عن فصّ خاتمه ، والضمير في خاتمه راجع إلى سيف الدولة . وقيل معناه : فلم لا تقول الخيمة^(٣) للائمها ما فصّ خاتمك يذبل ، فإن قال اللائم : يذبل جبل ، وكيف يصح أن يُتختم به ؟ قالت له الخيمة : وكيف يصح أن تثبت خيمة ، وتشتمل على من شمل دهرها ؟ وقيل المعنى : فلم لا تلوم الخيمةُ لائمها على أن ليس فصّ خاتمه يذبل ؟ فكما أن لوم الإنسان على ذلك مستحيل لأنه ليس في الطاقة فكذلك لوم الخيمة ، وقال^(٤) :

تضيقُ بشخصك أرجاؤها ويركُضُ فى الواحد الجَحْفَلُ
وتقصر ما كنتَ فى جوفها وترُكزُ فيها القنا الذَّيْلُ^(٥)
وكيف تقوم على راحة كان البحار لها أنْمُلُ
فليت وقارك فرقتَه وحملت أرضك ما تحمل

(١) الملمومة : المجموعة ويريد بها الكتبية من الجيش . الخمل : ما جعل له خمل . الزرد : حلق الدروع . يقول : هذه الكتبية لباس فرسانها الدروع وكان الرماح خمل لذلك اللباس . القطل : الغبار .

(٢) جميع النسخ : أينفع .

(٣) ساقطة من ح ، د ، هـ .

(٤) ساقطة من ب . ح ، هـ : ثم قال . د : قال .

(٥) الديوان ، هـ : وتركز فيها . والضمير يعود إلى الخيمة . سائر النسخ : فيه ، تحريف .

أى لو فرقته لخص الخيمة ما يُوقرها ويُثبّتها عن السقوط :
فصار الأنعامُ به سادةً وسُدَّتْهمُ بالذى يُفَضَّلُ
رأتْ لونَ نُورِكَ فى لونِها كلون الغزالة لا يُغسل

أى اكتسبت من نورك ما صارت به كالشمس التى لا يزول نورُها .
وأن لها شرفا باذخا وأن الخيامَ بها تخجلُ
فلا تنكرنَّ لها صرعةً فن فرح النفس ما يقتل
ولو بلغ الناسُ ما بُلِّغَتْ لخانتهمُ حولك الأرجل
ولما أمرت بتطنيبها أشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد اللهُ تقويضها ولكن أشار بما تفعل (١)
وعرف أنك من همه وأنك فى نصره ترفل (٢)

وعرف أنك من همه : أى من إرادته .

استكراه اللفظ
وتعقيد المعنى

ومما يُشأن على أبى الطيب المتنبي استكراهُ اللفظ وتعقيدُ المعنى ، وهو أحد
مراكبه الخسنة التى يتسنّمها ، ويأخذ عليها فى الطرق الوعرة ، فيُضِلُّ ، ويُضِلُّ ،
ويَتعب ، ويُتعب ، ولا ينجح ، إذ يقول فى وصف الناقة :

شيمٌ اللبالي أن تُشكك ناقتى صدرى بها أفضى أم البیداء (٣)
فتبيت تُسند مُسندا فى نسيها إيسآداها فى المهمة الإنضاء

الإسآد : لإسراع السير ، والننى : الشحم والسمن ، والإنضاء : مصدر أنضاه
يُنْضِيه إذا هزله ، ومُسندا : حال من الناقة ، وهو اسم فاعل وفاعله الإنضاء .
يقول : تبيت ناقتى تسير سائراً فى جسدها الهزال سيرها فى المهمة . وهما من قصيدة
يمدح بها أبا على هارون بن عبد العزيز الأوارجى الكاتب وأولها :

(١) اعتمد الأمر : قصده . أشار : من المشورة لا من الإشارة أى لم يقصد الله هدم الخيمة
ولمّا أراد بإسقاطها أن يشير عليك بما ينبغى أن تفعل من معالجة النهوض والمسير للفرز ليكون رحيلك
عن أمره .

(٢) ساقط من ح ، د ، هـ .

(٣) فى هذا البيت كلام كثير مضطرب لا يتسع له المقام فارجع إليه فى التبيان

أَمِنْ أَزْدِيَارَكَ فِي الدَّجَى الرِّبَاءُ إِذْ حَيْثُ كُنْتَ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ

أخذه من قول علي بن جبلة (١) :

بأبي من زارني مُكْتَتِماً طارقٌ نَمَّ عليه نورُهُ
رصد الخلوَّةَ حتى أمكنتُ كابد الأهوالَ في زورته
حَذَرًا من كل واشٍ جذِعا كيف يُخْفِي الليلُ بدرًا طلعا ؟
ورعى السامرَ حتى هجعا ثم ما سلم حتى ودعا

قال :

قلْتُ المِليحةُ وهى مِسْكٌ هتْكُها ومسيرها فى الليل وهى ذُكَاءُ (٢)

كأنه من قول امرئ القيس :

ألم ترياى كلما جئتُ طارقا وجدت بها طيباً وإن لم تَطْيَبِ

وقول الآخر

دُرَّةٌ كيفما أديرْتُ أضاءت ومَشَّمٌ من حيث ماشَمٌ فاحا

ومن هذا قول بشار :

وتَوَقَّ الطَّيْبَ ليلتنا إنه واش إذا سطعا

ومن هذا المعنى قول الآخر :

وأخفَوْا على تلك المطايا مسيرهم فنَمَّ عليهم فى الظلام التسمُّ

(١) ومن قول أبي نواس :

ترى حيثما كانت من البيت مشرقاً ومالم تكن فيه من البيت مغرباً

ويروى بيت المتنبي : إذ حيث أنت من الظلام ضياء ، ولا إشكال فيه على هذه الرواية من الإعراب أما الرواية المشهورة وهى كما جاءت فى الصبح وفى الديوان ، فأسهل أوجه الإعراب أن يكون ضياء مبتدأ ، والخبر محذوف تقديره ضياء هناك ، وكان فى البيت لا تحتاج إلى خبر لأنها فى معنى حصلت ووقعت . انظر المكبرى ص ١٠ ج ١ المطبعة الشرفية سنة ١٣٠٨ هجرية .

(٢) يقول : إن المِليحة مسك فتى تحركت انهتك سترها بسطوع رائحتها وكذلك هى شمس فتى سارت بالليل رآها الناس .

وقال أبو عبادة البحرى :

وحاولنَ كِتْمَانَ الترحلِ فى الدجى فمَنَ بهنَ المسكُ حينَ تَضَوَّعا
وقال أيضاً :

وكانَ العبيرُ بهاَ واشيئاً وجَرَسُ الحُلِيِّ عليها رقيباً
وزاد أبو المطاع بن ناصر الدولة على الجميع بقوله :

[ثلاثةٌ منعَتْها من زيارتنا ضوءَ الجبينِ ووسواسُ الحُلِيِّ وما
وقد دجا الليلُ خوفَ الكاشحِ الحنيقِ ^(١)
هَبَ الجبينَ بفضْلِ الكُفِّ تَسْتَرِه يفوح من عَرَقٍ كالعنبرِ العَبِيقِ
والحُلِيِّ تنزعه ^(٢) ما الشأنُ فى العرقِ ؟
ومنها :

بينى وبينَ أبى على مثلهُ شمُ الجبالِ ومثلُهنَ رجاءُ
وعقابُ لُبنانٍ وكيفَ يَقْطَعُها وهو الشتاءُ وصيفُهنَ شتاءُ
لَبَسَسَ الثلوجُ بها على مسالكى فكأنها بياضُها سوداءُ
وكذا الكريمِ إذا أقامَ ببلدةَ سالَ النصارَ بها وقامَ الماءُ
وفى هذا البيت نقد ^(٣) قد يظهر بالتأمل .

ومنها :

فى خطه من كل قلب شهوةٌ حتى كأن مدادَه الأهواءُ
ولكل عين قُرَّةٌ فى قربه حتى كأن مغيبَه الأقداءُ
من يهتدى فى الفعل ما لا يهتدى فى القول حتى يفعل الشعراءُ
ومنها ^(٤) :

من يظلم اللّوَماءَ فى تكليفهم أن يُصبحوا وهمُ له أكفاءُ

(١) ساقط من جميع النسخ .

(٢) « ما » ساقطة من أ ، ب .

(٣) ووجه النقد على ما يظهر أن المطابقة بين سال وقام غير دقيقة .

(٤) ساقطة من سائر النسخ وقد انفردت أ بذكر : « ومنها » مع أن الأبيات فى هذه القصيدة وفى التى قبلها متتالية ولم يكن من داع لذكرها .

وَنَذِيمِهِمْ^(١) وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ
[وقد أكثر الشعر في هذا المعنى : فقال أبو تمام :

وليس يعرف طيب الوصل صاحبه
حتى يُصاب بنأى أو بهجران^(٢)
وقال أيضاً :

والحادثات وإن أصابك بؤسها
فهو الذى أنباك كيف نعيمها
وقال أيضاً :

سمّجت ونبهنا على استسماجها
فلذاك لم تُفِرْطْ كآبة عاطلٍ
وقد ملّح بشار في قوله :

وكنّ جوارى الحى ما دمت فيهم
قباحاً فلما غبت صرن ملاحا
وقال البحتري :

وقد زادها إفراط حسن جوارها
وحسن درارى الكواكب أن ترى
ومنها^(٤) :

من نفعه في أن يُهاج وضره
فالسلم يكسر من جناحي ماله
ومنها :

يا أيها المجدى عليه روحه
إذ ليس يأتيه لها استجداء^(٥)

(١) نذيمهم : من دامه أى ذمه وعابه .

(٢) الديوان : وليس يعرف كنه الوصل صاحبه حتى يغادى بنأى أو بهجران

(٣) البيتان من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر أخذ بابك الخرى وقبلهما :

فلأ ذريجان اختيال بعدما كانت معرس عبدة ونكال

أطلقتهما من كيدته وكأتمما كانت له معقولة بمقال

(٤) أى من قصيدة المتنبي .

(٥) المعنى أن روحه موهوبة له من العفاة لأنهم لم يطلبوها منه . ولو طلبوها لجاد بها لشدة

كرمه وهذا من قول أبي تمام :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتنق الله سائله

أَحْمَدُ عُنْفَاتِكَ لَا فَجَعْتَ بِفَقْدِهِمْ
لَا تَكْثُرُ الْأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلَّةِ
وَالْقَلْبُ لَا يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ
وَمِنْهَا :

أَبْدَأْتَ شَيْئًا مِنْكَ يُعْرِفُ بَدْوَهُ
فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ
فَإِذَا سَأَلْتَ فَلَا لِأَنَّكَ مَحْجُوجٌ
وَإِذَا مُدِّحْتَ فَلَا لِتَكْسَبَ رِفْعَةً
وَإِذَا مُطَّرْتَ فَلَا لِأَنَّكَ مُجْدِبٌ
لَمْ تَحْكُ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا
لَمْ تَلْقَ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا
وَأَخْرَجَهَا :

لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى الَّذِي مِنْكَ هُوَ
الَّذِي : لَغَةً فِي الَّذِي . يَقُولُ : لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ هَذَا الْوَرَى الَّذِي كَأَنَّهُ مِنْكَ لِأَنَّكَ
جَمَالُهُ وَشَرْفُهُ وَأَفْضَلُهُ ، لَكَانَتْ حَوَاءٌ فِي حَكْمِ الْعَقِيمِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ ، وَلَكِنْ بِكَ
صَارَ لَهَا وَلَدٌ ، وَهَذَا الْبَيْتُ مِمَّا اعْتَلَّ لَفْظُهُ ، وَلَمْ يَصِحَّ مَعْنَاهُ ^(٧) فَإِذَا قَرَعَ السَّمْعُ ،
لَمْ يَصِلْ إِلَى الْقَلْبِ إِلَّا بَعْدَ إِتْعَابِ الْفِكْرِ ، وَكَدًّا لِلْخَاطِرِ ، ثُمَّ إِنْ ظَفَرَ بِهِ بَعْدَ الْعَنَاءِ
وَالْمَشَقَّةِ فَقَلَمًا يَحْصِلُ عَلَى طَائِلٍ .

(١) ١ : أَحْمَدُ عُنْفَاتِكَ لَا فَجَعْتَ بِمَحْدَمِ أَيْ لَا قَطَعَ اللَّهُ شُكْرَهُمْ عَنْكَ .

(٢) أَيْ لَا يَكْثُرُ الْأَمْوَاتُ كَثْرَةَ تَقَلُّبِهَا الْأَحْيَاءُ إِلَّا إِذَا بَلَّيْتَ بِحَرْبِكَ

(٣) الْمَعْنَى أَنَّكَ أَحْدَثْتَ مِنَ الْكَرَمِ مَا لَا يَعْرِفُ لَهُ بَدْوٌ مِنْ قَبْلِكَ لِعَظَمَتِهِ ، ثُمَّ كَرَّرْتَهُ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ
حَتَّى نَسِيَ ذَلِكَ الْبَدْوَ ، وَصَارَ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَعْرُوفًا

(٤) قَدْ وَصَلْتَ فِي الْفَخْرِ وَالْمَجْدِ إِلَى غَايَتِهِمَا .

(٥) الدَّأْمَاءُ : الْبَحْرُ

(٦) الرِّحْضَاءُ : عَرَقُ الْحَمَى .

(٧) قَالَ بَعْضُ النُّقَدَةِ : إِنَّ هَذَا الْبَيْتَ نَصَفَهُ بِهِيَ النَّظْمِ وَنَصَفَهُ رَدِيئُهُ .

ومما يشان على أبي الطيب قوله في المدح :
أنى يكون أبا البرايا^(١) آدم وأبوك والثقلان أنت محمد

وتقديره : أنى يكون آدم أبا البرايا ، وأبوك محمد ، وأنت الثقلان .
وقال من نسيب قصيدة :

إذا عدلوا فيها أجبتُ بأنّةٍ حُبَيْبَتَا قلبي فؤادى هيا جُمْلُ^(٢)

أراد يا حبيبتى ، أبدل الياء من حبيبتى ألفا تخفيفاً ، وقلبي منصوبٌ لأنه بدل من حبيبتا ، وفؤادى بذر من قلبي ، وهذا كقولك أخى ، سيدى ، مولائى ، نداء بعد نداء ، ويقال فى النداء : يا زيد ، وأيا زيد ، وهيا زيد . وأشباه هذه الأبيات كثيرة فى شعره ، كقوله :

لسانى وعينى والفؤادُ وحمى أودُ اللواتى ذا اسمها منك والشر^(٣)

ومما يُنمى على أبى الطيب التعسف فى اللغة والإعراب ، وهو مما يسبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عند المحتجين عنه ، اعتذار له ، ومناضلة دونه ، كقوله :

فِدَى مَنْ عَلَى الْغُبَاءِ أَوْطَمَ أَنَا لَهَذَا الْأَبَى الْمَاجِدِ الْجَائِدِ الْقَرَمِ^(٤)

ولم يُحك عن العرب الجائده ، وإنما المحكى رجل جواد ، وفرس جواد ، ومطر جواد ، وهذا من قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحاق التنوخى وأولها :

(١) الديوان : البرية .

(٢) ويروى : قلبا فؤادا بقلب الياء ألفا . والبيت من قصيدة فى مدح شجاع بن محمد الطائى المتبجى مظلمها :

عزيز أسأ من دأوه الحديق النجل عياء به مات المحبون من قبل
(٣) أود : جمع ود بتشليث الواو بمعنى ودود والمعنى أن هذه المذكورات منى تود أمثالها منك فلسانى يود لسانك ويعنى تود عينك . . . وكل شطر منى يود شطراً منك قال الواحدى والنرض من هذا البيت التعمية فقط وإلا فالفائدة منه مع ما فيه من الاضطراب . والخطاب فيه للمدوح وهو من قصيدة يمدح بها على بن أحمد بن عامر الأنطاكى أولها :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيداً وما قول كذا ومعنى الصبر
(٤) القرم : السيد . فدى : يقصر إذا فتحت الفاء ويقصر ويمد إذا كسرتها .

مَلامٌ^(١) النوى فى ظلمها غايةُ الظلم لعل بها مثل الذى بى من السقم
فلو لم تغر لم تنزوى عني لقاءكم ولو لم تردكم لم تكن فيكم خصمى

وقال محمد بن وهيب فى هذا المعنى :

وحاربى فيه ريب^(٢) الزمان كأن الزمان له عاشق

وقال البحرى :

قد بينَ البينَ المَفرقُ بيننا عشقَ النوى لريبِ ذاكِ الرَّبِّبِ

منها^(٣) :

أمنِمةٌ بالعودةِ الظبيةِ التى بغيرِ ولىِّ كان نائلَها الوسمى^(٤)

أصل هذا المعنى مع كثرة تداوله لبشار ، حيث قال :

قد زرتنى زورةً فى الدهرِ واحدةٌ ثنىً ولا تجعلِها بيضةَ الديك

وقبل البيت الذى فيه لفظة الجائذ :

أذاقَ الغوانى حسنه ما أذقنننى وعفَ فجازاهن عنى على الصُّرمِ

ومعنى هذا البيت ظاهر ، ولكن عيب عليه قافيته فإنها وإن كانت فى أصل اللغة بمعنى القطع ، لكن غيرتها العامة وجعلتها دالة على ما يقبح ذكره ، وهذه الكلمة وما يجرى مجراها ، لا يُعاب البدوى على استعمالها ، لأن الألفاظ لم تتغير فى زمنه كقول أبى صخر الهذلى :

(١) فى العرف : ملامى . لم تزو : من زواه إذا انحاه وأبعده . الخصم : الخصم وهو للجمع والواحد

والمؤنث بمعنى

(٢) روى : صرف ، وابن وهيب هو أبو جعفر محمد بن وهيب الحميرى البصرى شاعر مطبوع

مكثر مدح المأمون والمعصم وهو القائل :

وإنى لأرجو الله حتى كأنى أرى بحملى الظن ما الله صانع

(٣) أى من قصيدة المتنبى

(٤) الولى : المطر الثانى . الوسمى : المطر الأول ، ويريد به الوصال . يقول : إنها بدأت بالوصال

ثم لم تعد إليه فهل ننعيم به مرة أخرى ؟

قد كان صَرم في الحياة لنا فَمَعَجِلَتْ قبل الموت بالصَرم

فإنه لا يعاب عليه كما عيب على المتنبي ، وكقوله :

فأرحامُ شعير يتصلن لدنه وأرحامُ مالٍ لا تنى تنقطع^(١)

وتشديد النون من لدن غير معروفه في لغة العرب . قال ابن جني لدنه فيه قبح وبشاعة ، إذ لم يكن بعد النون نون ، وروى يتصلن بجوده ، وبعد هذا البيت :

فتى ألف جزء رأيه في زمانه أقلُّ جزىء بعضه الرأي أجمع

ألف جزء خبر مبتدأ ، وهو رأيه ، وأقلُّ مبتدأ ، بعضه الرأي خبره^(٢) ، وهذا البيتان من قصيدة أولها :

حُشاشة نفس ودعت يوم ودّعا فلم أدر أئى الظاعنين أشيع
أشاروا بتسليم فجدا بأففس تسيل من الآماق والسمُّ أدمع^(٣)
حشاي على جمر ذكى من الهوى وعيناي في روض من الحسن ترتع

إلى أن قال في أثنائها في وصف القلم :

نخب نأرُ حرب لم تهجها بنائنه وأسمرُ عريان من القشر أصلع
جعل القلم أصلع للينه ، وملاسته كالرأس الأصلع

نحيف الشوى يعدو على أم رأسه ويسحق فيقوى عدوه حين يقطع

يقول : هذا القلم رقيق الأطراف ، يريد رقة جلّفته ، وأم رأسه : وسطه ، ويحى : أى يكمل عن المشى ، فيقوى عدوه إذا قُطَّ :

يسمّج ظلاماً في نهار لسانه ويفهم عن قال ما ليس يُسمع

(١) أى في التذليل على التعسف في اللغة والإعراب .

(٢) ركب الشاعر في هذا البيت من التقديم والتأخير والحذف والإبهام ما لا يباح مثله في أساليب الكلام حتى إنك إذا حللت تركيبه النحوى وجدته باقياً على غموضه لا يظهر لك الغرض منه إلا بعد إطالة النظر وإعنات الروية .

(٣) السم : مخففة لغة في الاسم .

(٤) جلقة القلم : ما بين مبراه إلى سنته .

ذُبَابُ حُسَامٍ مِنْهُ أَنْجَى ضَرِيبةً
وأعصى لمولاه وذا منه أطوع^(١)
بكف جوادٍ لو حكمتها سحابةٌ
لما فاتها في الشرق والغرب موضع^(٢)
وقال أبو تمام فيه من قصيدة أولها :
مَتَى أَنْتَ عَنْ ذَهْلِيَةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ
وقلبك منها^(٣) مدة الدهر آهل

لأبي تمام في
وصف القلم

إلى أن قال مخاطباً لأبي جعفر محمد بن عبد الملك الزيات :
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِهِ
تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ وَالْمَقَاصِلِ^(٤)
لَكَ الْخَلَوَاتُ الْإِلَاءُ لَوْلَا نَجِيهَهَا
لَمَا احْتَفَلْتُ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمُحَافِلِ^(٥)
لِعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتُ لِعَابُهُ
وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلِ^(٦)
لَهُ رِيقُهُ طَلٌّ وَلَكِنْ وَقَعَهَا
بِآثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ^(٧)
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ
وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلِ^(٨)
إِذَا مَا امْتَطَى الْخُمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ
عَلَيْهِ شِعَابَ الْفَكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتِهِ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ
لِنَسْجَوَاهِ تَقْوِيضُ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ
إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ
أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلِ^(٩)
وَقَدَرَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانُ وَسَدَّدَتْ
ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ

(١) يقول : إن القلم أفضل من السيف لأن المضرروب بالسيف قد ينجو أما المضرروب بالقلم فلا ينجو إذا كتب بالقلم قتله . وهو من قول ابن الرومي :
لعمرك ما السيف سيف الكمي ... بأنفذ من قلم الكاتب

(٢) ومثله قول ابن الرومي :

خسرق يعم ولا يخص بفضلته كالغيث في الإطباق كل مكان

(٣) في الأصل : صدرك عنها تحريف

(٤) الشبابة : سن الرمح واستعارها لمن القلم يريد أنه موفق إلى الحكمة والإصابة حتى لا يقع رأيه في تدبير الأمور إلا في الصميم .

(٥) هذا البيت سابق لما قبله في رواية الديوان وليس في وصف القلم

(٦) الأرى : عمل التحل . اشتارته : استخرجته من شحمه . يريد أنه إذا غضب كان قوله كسم الأفاعي وإذا رضى كان في حلاوة الشهد استخرجته أيد خبيرة باستخراجه

(٧) الريقة : الريق .

(٨) يريد بركوبه : حمل الأنامل إياه . وراجلا أي حين يلقى .

(٩) في الأصل : الدهر الجلي

رأيتَ جليلاً شأنه وهو مُرهفٌ ضنّى وسمينا خطبته وهو ناحل

وقال بعض مُداح العلامة المخدوم بهذا الكتاب من قصيدة أولها :

غفر القربُ ما جناه البعادُ وأكنته في الهوى الأكبادُ

إلى أن قال في حوصف القلم :

ذو يرّاعٍ إذا مشى يُنبِتُ الدُرَّ بأرض القرطاس منه المدادُ
أسمرٌ ليس مثله يُحسِنُ الأبْدُ يضُ فعلاً والأسمِرُ المُنَادُ (١)
عَلَمٌ في العلوم يمشى على بَيِّ لءاءِ نورٍ فيظهرُ الإرشادُ
ذو بيانٍ لولاهُ أُخفى مرورُ الدَمِ هر ما شادَه قديماً زيادُ (٢)
كل علم يُرامُ منه إذا ما شَدَّخُوا رأسَه به يُستفادُ
وإذا أعجم الكلامَ فقد أعرب ما يَسْتَبِين منه السَّدادُ
مَقْصِدُ الكاتِبِينَ حتّى إذا ما قصدُوهُ لم يُدركوا ما أرادوا
وتراه يجرى على الرأسِ في خد مة باريه إن دعاه مُرادُ
أُخرسٌ غير أنه ربما يَنُ طق فصل الخطاب وهو جمادُ
رقّ جسماً وسَحَّ دمعاً إلى أن خِلستَه مُدْنَقاً جفتَه سعادُ

قال أبو تمام (٣) يرثى ابنين كانا لعبد الله بن طاهر صغيرين ماتا في يوم واحد ما توارده فيه أبو بقصيدة أولها :

ما زالتِ الأيَّامُ تُخبرُ سائلاً أنْ سوف تَفْجَعُ مُسهلاً أو عاقلاً (٤)

إلى أن قال في أثنائها :

مجدُّ تأوَّب (٥) طارقاً حتّى إذا قلنا أقامَ الدهرَ أصبحَ راحلاً

(١) يريد بالأبيض السيف وبالأسمِر الربيع .

(٢) في الأصل : أخفت ولا وجه لتأنيث الفعل ، ويريد بزياد زيادين أبيه ، ويشير إلى ما كان لخطبه من أثر في توطيد الأمن في العراق وما كان له من مبادئ في سياسة الحكم .

(٣) الموزونات الآتية من المثل السائر للموصلى .

(٤) المسهل : السائر في السهل . العاقل : القار في بيته من عقل البعير . والمعنى أن المنية لا تترك إنساناً من غير أن تفجعه .

(٥) تأوَّب : أتى ليلاً .

نجمان شاء الله ألا يطلعا
 إن الفجيجة بالرياض نواضرا
 كهفي على تلك الشواهد فيهما
 إن الهلال إذا رأيت نموّه
 قل للأمير وإن لقيت موقرا
 إن ترز في طرقتي نهار واحد
 فالثقل ليس مضاعفا لمطية
 لا غرو إن فسنان من عيدانه
 إن الأشاء إذا أصاب مشدّب
 شمتحت خلالك أن يواسيك امرؤ
 إلا مواعظ قادها لك سمحة
 هل (٧) تكلف الأيدي بهز مهند
 إلا ارتداد الطرف حتى يافلا
 لأجل من بالرياض ذوابلا
 لو أمهلت حتى تكون شاملا (١)
 أيقنت أن سيكون بدرأ كاملا
 منه يريب الحادثات حلاحلا (٢)
 رزأين هاجا لتوعة وبلايلا (٣)
 إلا إذا ما كان وهما بتازلا (٤)
 لتقيسا حماما للبرية آكلا (٥)
 منه تمهل ذرا وأث أسافلا (٦)
 أو أن تذكر ناسيا أو غافلا
 إسجاح لبك سامعا أو قائل
 إلا إذا كان الحمام الفاصلا

وقال أبو الطيب المتنبي في مرثية (٨) بولد صغير لسيف الدولة ، أولها :

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل
 كأنك أبصرت الذي بي وخيفته (١٠)
 تركت خدود الغانيات وفوقها
 وهذا الذي يضمني كذاك الذي يبلى (٩)
 إذا عشت فاخترت الحمام على الشكل
 دموع تذيب الحسن في العين (١١) النجل

(١) روى : سيصير .

(٢) موقرا : رزينا . يريب يشكك . حلاحلا : سيدا شعاعا .

(٣) ترز : تصاب أصلها ترزا حذفت همزها . البلايل : اللواسيس .

(٤) الوهم : الجمل الذلول في ضخامة وقوة . البازل : ما اكتملت قوته من الإبل .

(٥) عيدانه : جمع عيدانة وهي النخلة إذا عيدنت وروى : عيدانة .

(٦) الأشاء : النخل الصغير . المشدّب : مصلح الشجر . تمهل : ارتفع . أث : كثر . في الأصل :

أطال مكان اتهمل .

(٧) في الأصل : لا .

(٨) اعتمدنا في تصحيح هذه القصيدة على الديوان : العرف .

(٩) في الأصل : يسلى والمرق بها أبو الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة توفى بمبارقين في سنة ٣٣٨ هـ .

(١٠) الأصل : فخفته .

(١١) الأصل : في الحلق .

وقد قَطَرَتْ حُمْراً على الشَّعَرِ الْجَحَلِ
 وإنْ تَكَ طِفْلاً فالأَسَى ليس بالطفَلِ
 ولكن على قدرِ المَخِيلَةِ^(٢) والأَصْلُ
 نَدَاهُمْ ومن قَتَلَهُمْ مُهْجَةٌ الْبُخْلِ^(٣)
 ولكنَّ في أعطافه مَنْطِقُ الْفَضْلِ^(٤)
 وَيَشْغَلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشَّغْلِ
 وَأَقْدَمُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ مِنَ النَّبْلِ^(٥)
 فَإِنَّكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ
 كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوَارِمِ فِي أَهْلِ
 وَأَثْبَتَ عَقْلاً وَالْقُلُوبُ بِلا عَقْلٍ
 وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفُؤَارِسِ وَالرَّجُلِ
 وَيِيدُو كَمَا يِيدُو الْفَرِيدُ عَلَى^(٦) الصَّقْلِ
 ففِيهِ لَهَا مُعْنٌ وَفِيهَا لَهُ مُسَلًى
 يَصُولُ بِلا كَفٍّ وَيَسْعَى بِلا رِجْلٍ
 وَيُسَلِّمُهُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ لِلنَّمْلِ^(٧)
 إِلَى بَطْنِ أُمِّ لَا تُطَرَّقُ بِالْحَمَلِ^(٨)

تَبْلُ الثَّرَى سُوداً مِنَ الْمِسْكِ وَحْدَهُ^(١)
 فَإِنَّ تَكَ فِي قَبْرِ فَإِنَّكَ فِي الْحَشَا
 وَمِثْلَكَ لَا يُبْكِي عَلَى قَدَرِ سَنَةٍ
 أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْأَلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ
 بِمَوْلُودِهِمْ صَمْتُ اللِّسَانِ كَغَيْرِهِ
 تَسْلِيهِمْ عَلَيْهِمْ عَنْ مُصَابِهِمْ
 أَقْلُ بِلَاءٍ بِالرِّزَايَا مِنَ الْقَنَاسَا
 عِزَاءُكَ^(٦) سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ
 مُقِيمٌ مِنَ الْهِجَاءِ فِي كُلِّ مَنَزَلٍ
 وَلَمْ أَرِ أَعْصَى مِنْكَ لِلْحُزْنِ عِبْرَةً
 تَخُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ
 وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ
 وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةً
 وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ
 يَرِدُ أَبُو الشَّبْلِ الْخَمِيسَ عَنْ ابْنِهِ
 بِنَفْسِي وَلَيْدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمَلِهِ

(١) الجحل : الكثيف

(٢) في هامش الأصل عن نسخة : الفراسة .

(٣) في رواية : الذي مكان الألى . وفي الأصل : الذين رماحهم .

(٤) في رواية : الفصل بالصاد المهملة .

(٥) البلاء : المبالاة . قال له ابن جني : كان ينبغي أن تقول : أشد إقداماً ، لأن الفعل أقدم

يقدم ، فقال المتنبي : إنما أخذته من قدم يقدم ، وليس الجواب سديداً .

(٦) الأصل : عزائك .

(٧) الأصل : من .

(٨) أبو الشبل : الأسد والبيت مثل : يقال إن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد يأكله ويهلكه

فالمنى أن الأسد يدفع الجيش عن شبله ولا يقدر أن يدفع النمل عنه مع ضعفه أراد أن سيف الدولة مع بطشه

بالجوش والممالك لم يستطع أن يدفع الموت عن ولده مع كون الموت على ما وصفه لا جيش له ولا سلاح .

(٩) التطريق : عمر الولادة أي أن الأرض أم الخلائق لكنها لا تلد ولادة حقيقية ، فلا تصاب

بعر الولادة .

بَدَا وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابَةِ بِالرَّوَى وَصَدَّ وَفِينَا غُلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحَلِ
وَرِيْعٌ لَهُ جَيْشُ الْعَدُوِّ وَمَا مَشَى وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَغَلَّى
وَقَدْ مَدَّتْ الْخَيْلُ الْعَتَاقُ عِيُونَهَا إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النُّعْلِ

فانظر إلى ما صنع هذان الشاعران في هذا المقصد الواحد ، وكيف هام كل واحد منهما في واد منه مع اتفاقهما في بعض معانيه ، وسأبين ما اتفقا فيه ، وما اختلفا ، وأذكر الفاضل من المفضل ، فأقول :

أما الذى اتفقا فيه ، فإن أبا تمام قال :

لَهْنِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهِمَا لَوْ أُمْهَلَّتْ حَتَّى تَكُونَ شَيْئًا
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

بِمَوْلُودِهِمْ صَمْتُ اللِّسَانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنْ فِي أَعْطَافِهِ مَنْطِقُ الْفَصْلِ
فَأَتَى بِالْمَعْنَى الَّتِي أَتَى بِهِ أَبُو تَمَامٍ ، وَزَادَ عَلَيْهِ بِالصَّنَاعَةِ اللَّفْظِيَّةِ ، وَهُوَ الْمَطَابَقَةُ فِي قَوْلِهِ :

صَمْتُ اللِّسَانِ ، وَمَنْطِقُ الْفَصْلِ ، وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

نَجْمَانِ شَاءَ اللَّهُ أَلَا يَطْلَعَا إِلَّا ارْتِدَادَ الطَّرْفِ حَتَّى يَأْفَلَا
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

بَدَا وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابَةِ بِالرَّوَى وَصَدَّ وَفِينَا غُلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحَلِ
فَوَافَقَهُ فِي الْمَعْنَى ، وَزَادَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : وَفِينَا غُلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحَلِ . أَمَا مَا اختلفا فيه ، فإن أبا الطيب أشعر فيه من أبي تمام أيضًا ، وذلك أن معناه أمتن من معناه ، ومبناه أحكم من مبناه . فإن أبا الطيب المتنتى قال :

عِزَاءُكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ فَإِنَّكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ

وهذا البيت بمفرده خير من بيتي أبي تمام اللذين هما :

إِنْ تَرُزَّزَ فِي طَرَفِي نَهَارٍ وَاحِدٍ رُزْأَيْنِ هَاجَا لَوْعَةً وَبَلَابِلًا
فَالثَّقَلُ لَيْسَ مَضَاعَفًا لِمَطِيَّةٍ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهْمًا بِأَزَلَا

فإن قول أبي الطيب : « والشدائد للنصل » أكرم لفظاً ومعنى ، من قول أبي تمام : إن الثقل إنما يضاعف للبازل من المطايا .
وقال أيضاً :

تخون المنسايا عهدَه في سليله وتنصرُه بين الفوارس والرجل
وهذا أشرف من بيتي أبي تمام اللذين هما :

لا غرّو إن فسّنان من عيّدانه لقيسا حماماً للبرية آكلا
إن الأشياء إذا أصاب مُشدّبٌ منه اتمهّل ذراً وأثّ أسافلا
وكذلك قال أبو الطيب :

ألست من القوم الألى من رماحهم نَداهم ومن قتلهم مهجةُ البخل
تُسليهم عليّاهم عن مصابهم ويشغلهم كسبُ الثناء عن الشغل

وهذان البيتان خير من بيتي أبي تمام اللذين هما :

شَمَخْتُ خِلالَكَ أَنْ يُوَاسِيكَ امْرُؤٌ أَوْ أَنْ تَذَكَّرَ نَاسِيَا أَوْ غَافِلَا
إِلَّا مَوَاعِظُ قَادَهَا لَكَ تَمَحُّةٌ إِسْجَاحُ لَبِكَ سَامِعَا أَوْ قَائِلَا
ومن تأمل هاتين القصيدتين لهُذين الشاعرين المفلّحين ، علم فضل أبي الطيب على أبي تمام ، ورأى قولي ما قالت حذام .

ومما توارد عليه ^(١) أبو عبادة البُحرى وأبو الطيب المتنبي وصف الأسد ، ومبارزته ، فحكم لأبي الطيب بالتقدم على البحرى ، وذلك أن بشر ^(٢) بن عوانة

(١) نص العبارة في الأصل :

ومما توارد أبو عبادة البحرى وأبو الطيب المتنبي على وصف الأسد ومبارزته . . . فزدنا [عليه]
وحذفنا (على) ليستقيم الكلام ونص العبارة في المثل السائر :
ومما ينتظم بهذا النوع ما توارد عليه أبو عبادة البحرى وأبو الطيب المتنبي في وصف الأسد ومبارزته .
ص ٤٠٥ مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

(٢) بشر بن عوانة : كان صعلوكاً ومن حديثه أنه أرسل إلى عمه يخطب ابنته فقال له عمه : إني آليت ألا أزوج ابنتي إلا من يسوق إليها ألف ذاقة مهراً ولا أرضاها إلا من نوق خزاعة ، وهذا احتيال من عمه للخلاص منه ، فقد كان في الطريق إلى خزاعة أسد وحية ندر من يقلت منهما فلما سلك بشر تلك الطريق لقي الأسد وقمص مهره فنزل وعقره ثم اختلط سيفه واعترضه وقطعه ثم كتب بدم الأسد على قميصه

العبدى سبقهما إلى هذه الطريقة في قصيدته الرائية ، وهى من النمط العالى الذى لم يُنسج على منواله ، وكل الشعراء لم تَسَمُ قرائحهم إلى استخراج معنى ليس بمذكور فيها :

أفاطمُ لو شهدتِ بيطنَ خَبَّتْ وقد لاقى الهزبرُ أخاكِ بشرًا
إذا لرأيتِ ليثًا أمَّ ليثًا هزبرًا أغلبًا لاقى هزبرًا^(١)
تقدّم ثم أحجم عنه مهرى محاذرةً فقلتُ : عُقِرَتَ مهرا^(٢)
أنيلُ قدمى ظهرَ الأرضِ إلى وجدتُ^(٣) الأرضَ أثبتَ منكَ ظهرا
وقلتُ له وقد أبدى نصالا مُحَدَّدةً ووجَّهًا مكفهرًا
يُبدِلُ بِمِخْلَبٍ وَبِحَدِّ نَابٍ وبالاخطاتِ تحسبهنَّ جَمَرًا^(٤)
وفى يُمْنائى مضى الحدُّ أبى بمَضْرِبِهِ قِرَاعُ الحربِ أُثْرًا^(٥)
ألم يبلغك ما فعلتُ ظُبَاهُ بكَاظِمَةِ غَدَاةٍ لقيتُ عمرا^(٦)
وقلبى مثلُ قلبك ليس يَخْشَى مُصَاوَلَةَ فَكَيْفٍ يخافُ ذُعرًا ؟
وأنتِ ترومُ للأشبالِ قوتها وأطلبُ لابنةَ الأعمامِ مَهْرًا
فقيمِ تسومُ مثلى أن يُولَّى ويجعلَ في يديك النفسَ قَسْرًا^(٧)
نصحتكُ فالتمسِ ياليتُ غيرى طعاما إن لَحِمَى كان مُرًّا

قصيدة بشر بن
عوانة في وصف
الأسد

إلى ابنة عمه هذه القصيدة . وقد نسب بعض الرواة هذه الأبيات لعمر بن معد يكرب كتب بها إلى أخته كبشة وكان اسم ابنة عمه لميس والصحيح أن الواقعتين مختلفتان قد وقع بينهما الاشتباه وخلطت إحداها بالأخرى وقد حدث نوارد الحواطر بين الشاعرين في بعض الأبيات وقد ضمن بديع الزمان الهمذاني المقامة البشرية هذه القصيدة جميعها .

(١) الأغلب : الغليظ العنق .

(٢) ويرى : تهنس إذ تقاعس . . .

(٣) في رواية : رأيت .

(٤) قبل هذا البيت في المقامات :

يكفكف غيلة إحدى يديه ويبسط للوثوب على أخرى
وسياق .

(٥) الأثر : بضم أوله الجرح بعد البره سمي به تلك الندوب في السيف .

(٦) كاظمة : اسم لموضعين المعروف منهما الذى على ساحل بحر فارس بينه وبين البصرة

مرحلتان لقاصد البحرين .

(٧) في الأصل : قهراً .

فلما ظن أن الغش نصحي مشى ومشيت من أسدّين راما
يكفكف غيلةً إحدى يديه
هزرت له الحسام فخلت أنى
وجدت له بجائشة^(٢) أرته
وأطلقت المهند من^(٣) يميني
فخر مضرجاً بدم^(٤) كآني
وقلت له يتعز على أنى
ولكن رمت شيئاً لم يرمه
فإن تلك قد قتلت فليس عاراً
وقال أبو عبادة البحتري في قصيدته التي أولها :

* أجِدْكَ لَا يَنْفَكُ يَسْرَى لَزِينَا^(٧) . *

أسدية البحتري

وفي أثنائها تعرض لذكر الأسد ، ومبارزة الفتح بن خاقان^(٨) له : قال :
وما نَقَمَ الحسادُ إلا أصالة
وقد جربوا بالأمس منك عزيمة
غداة لقيت الليث والليثُ مُخْذِر
لديكَ وفعلًا^(٩) أرى حياً مهذباً
فَضَلَّتْ بها السيفُ الحسامَ المجرّباً
يُحَدِّدُ ناباً للقاء ومُغْلِباً

(١) روى : سالت .

(٢) في الأصل : بجانية .

(٣) في الأصل : في يميني .

(٤) كذا في المقامات وفي هامش الأصل . وفي الأصل : فخر مجندلا يدي . . .

(٥) في الأصل : قتلت مناسباً جارا وقسراً . تحريف .

(٦) بعده : في المقامات تحاول أن تعلمني فرارا لعمر أبيك قد حاولت نكرا

(٧) تمامه : خيال إذا آب الظلام تأوباً

ومعنى : أجده أجد هذا منك ونصبه على نزع الخافض .

(٨) وزير المتوكل ومن مدوحى البحتري .

(٩) في الأصل : وعزماً .

إذا شاء غادى عانةً أو غدا على عقال سيرب أو تقنص ربربا^(١)
شهدتُ لقد أنصفتَه حين تنبري له مُصْلِتَا عَضْبَا من البيض مَضْبَا
فلم أرَ ضِرْغامَيْنِ أصدق منكما عِرَاكًا إذا الهَيَابَةُ النِّكْسُ كَذْبَا

وانتقُد على البحرى هذا البيت ؛ فإن قوله « الهَيَابَةُ النِّكْسُ كَذْبَا » تفريط
فى المدح ، وكان ينبغى أن يقول إذا البطل كَذَّب ، وإلا فأى مدح فى إقدام
المُقَدِّم فى الموضع الذى يَتَقَرَّ فيه الجبان ؟ وهلا قال كما قال أبو تمام :

فتى كلما ارتاد الشجاعُ من الرَّدَى مَقَرًّا غداة المَارِقِ ارتادَ مَصْرَعَا

ومنها :

هزبرُ مثنى يبغي هزبراً وأغلبُ من القوم يغشى باسل الوجهِ أغلبا
أدل يشعَّب ثم هالته صولةُ رآك لها أمضى جَنَانَا وأشغَبَا^(٢)
فأحجم لما لم يجد فيك مَطْمَعَا وأقدم لما لم يجدْ عنك مَهْرَبَا
فلم يغنه أن^(٣) كرَّ نحوك مُقْبِلَا ولم يُنْجِه أن حَادَ عنك مُنْكَبَا
حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدُك ارتدت ولا حدُّه نَبَا

لما انتهت النوبة إلى أبى الطيب المتنبي ، قال بمدح بدر بن عمار^(٤) ، وقد
خرج إلى أسد ، فهاجه عن بقرة افترسها^(٥) فوثب على كتفل فرسه ، وأعجله عن
استلال سيفه ، فضربه بسوطه ، فزلَّ عن كفل فرسه ، ودار به الجيش ، فقتل ،
وخرج إلى أسد آخر ، ففكر عليه ، فهرب الأسدُ منه ، بقصيدة أولها :

فى الخلد أن عزم الخليطُ رحيلا مطرٌ تزيد به الخدودُ مُحولا

(١) فى الأصل : أوعدا بالعين المهملة ، إن تقنص والأخير تحريف العانة : الأتان والقطيع
من حمر الوحش . السرب : القطيع من الظباء . الربرب : القطيع من حمر الوحش .

(٢) فى الأصل : أدل « بسغب » بالسين المهملة ، « أسغبا » ولا معنى لها . والشغب :
تجميع الشر .

(٣) فى الأصل : إذ .

(٤) كان يلى طبرية (من مدن الشام) من قبل ابن رائق وإلى الشام من قبل الخليفة العباسى .
وللمتنبي فيه مدائح كثيرة .

(٥) فى الأصل : « فرسه » فى موضع « بقرة افترسها » والتصويب من الديوان . المعبرى ٢٣٧

إلى أن قال :

أَمُعَقَّرَ اللَّيْثَ الْهَزْبِرِ بِسُوطِهِ أَمُعَقَّرَ اللَّيْثَ الْهَزْبِرِ بِسُوطِهِ
وَقَعَّتْ عَلَى الْأَرْدُنَ مِنْهُ بَلِيَّةٌ وَقَعَّتْ عَلَى الْأَرْدُنَ مِنْهُ بَلِيَّةٌ
وَرَدُّ إِذَا وَرَدَ الْبَحِيرَةُ شَارِبًا وَرَدُّ إِذَا وَرَدَ الْبَحِيرَةُ شَارِبًا
مَتْخَضَبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا بَسَّ مَتْخَضَبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا بَسَّ
مَا قَوَّبْتُ عَيْنَاهُ إِلَّا ظَنَنْتَا مَا قَوَّبْتُ عَيْنَاهُ إِلَّا ظَنَنْتَا
فِي وَحْدَةِ الرَّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ فِي وَحْدَةِ الرَّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ
يَطَأُ الثَّرَى مَرْفِقًا مِنْ تَيْهِهِ يَطَأُ الثَّرَى مَرْفِقًا مِنْ تَيْهِهِ
وَيَرُدُّ غُفْرَتَهُ إِلَى يَافُوخِهِ وَيَرُدُّ غُفْرَتَهُ إِلَى يَافُوخِهِ
وَتَظَنُّهُ مِمَّا يُزَمِّجُ نَفْسَهُ وَتَظَنُّهُ مِمَّا يُزَمِّجُ نَفْسَهُ
قَصَصَتْ مَخَافَتَهُ الْخَطَا فَكَأَنَّمَا قَصَصَتْ مَخَافَتَهُ الْخَطَا فَكَأَنَّمَا
أَلْقَى فَرِيستَهُ وَبَرَبَرَ دُونَهَا أَلْقَى فَرِيستَهُ وَبَرَبَرَ دُونَهَا
فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ
أَسَدٌ يَرَى عَضْوِيهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا ^(٧) أَسَدٌ يَرَى عَضْوِيهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا ^(٧)
نَيْسَالَةَ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا نَيْسَالَةَ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا
فِي سَرَجِ ظَامِئَةِ الْقُصُوصِ طِمِيرَةٌ فِي سَرَجِ ظَامِئَةِ الْقُصُوصِ طِمِيرَةٌ

(١) يقول : إن الأسد كان بلية وقعت على هذا النهر فقد فتك بكثير من الناس حتى اجتمعت رؤوسهم هناك مثل التلول .

(٢) ورد : يضرب لونه إلى الحمرة . البحيرة : بحيرة طبرية .

(٣) الفریق : الجماعة . حلولا : حالين نازلين .

(٤) الغفرة : شعر القفا إذا غضب الأسد ردها إلى يافوخه فانتصب كالإكليل .

(٥) في الأصل : بشدة .

(٦) بربر : صاح في غضب وهو من قول البحترى :

شاركته في البأس ثم فضلت به الجود محفوفاً بذاك زعماً

(٧) في الأصل : كلاهما . الأزل : القليل اللحم .

(٨) الطلبات : جمع طلبة وهي المطلوب . مكان لجامها : كناية عن الرأس أي أنها شديدة =

(٩) ظامئة القصوص : دقيقة المفاصل . الطمرة : الوثابة . في سرج ... حال من التاء في

« قربت » والبيت وصف لفرس ابن عمار التي لاقى عليها الأسد .

تندى سوافها إذا استحضرتها
ما زال يجمع نفسه في زوره^(٢)
ويدق بالصدر الحجار كأنه^(٣)
وكانه غرته عين فادنى
أنف الكريم من الدنية تارك^(٤)
والعار مصاص وليس بخائف
سبق التقاء كنه يوثية هاجم
خذلته قوته وقد كافحته
قبضت منيته يديه وعنفه
سمع ابن عمته به وبجالة
وأمر مما فر منه فراره
تلف الذى اتخذ الجراءة نخلة

وتظن عتقد عنانها محلولاً^(١)
حتى حسبت العرض منه الطولا
يبغى إلى ما فى الحضيض سبيلا
لا يبصر الخطب الجليل جليلا
فى عينه العدد الكثير قليلا
من حفته من خوف مما قليلا
لو لم تصادمه لجازك ميلا
فاستنصر التسليم والتجديلا^(٥)
فكأنما صادفته مغلولاً
فنجأ يهرول منك أمس مهولاً
وكتفله ألا يموت قتيلا
وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا

والذى يشهد به الحق ، أن معانى أبي الطيب أكثر عدداً ، وأسد مقصداً ،
ألا ترى أن البحرى قد قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة المملوح ،
فى تشبيهه بالأسد مرة ، وتفضيله عليه أخرى ، ولم يأت بشيء سوى ذلك ؛ وأما
أبو الطيب فإنه أتى بذلك فى بيت واحد وهو قوله :

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادّخرت الصارم المصقولاً

ثم إنه تفنن^(١) فى ذكر الأسد: فوصف صورته، وهيئته ، ووصف أحواله ،

=العدو حتى إذا طلبت عدواً أو وحشاً نالته وهى طويلة العنق لولا أنها تحط رأسها للجام لم ينله فارسها
لارتفاعه .

(١) السوالف : جمع سالفة وهى جانب العنق . استحضرتها : ركضتها يقول : إذا حشيتها
على الركض جدت حتى يعرق عنقها وما حوله فإذا جذبت عنانها طاوعت وانثنت حتى تظن أن عقد
عنانها محلول .

(٢) الزور : عظم الصدر

(٣) الأصل : كأنما .

(٤) فى الأصل : جاعل وبهامشه كما أثبتنا .

(٥) التجديل : من قولهم جدله إذا صرعه أى أوقعه على الجدة وهى الأرض .

في انفراده في خيالاته ، وفي هيئة مشيه . واختياله مع شجاعته ^(١) ، وشبه المدوح به في الشجاعة ، وفضله عليه بالسقاء ، ثم ذكر الأنفة ، والحمية التي بعث الأسد على قتل نفسه بقاء المدوح ، وأخرج ذلك في أحسن مخرج ، وأبرزه في أحسن معنى ، ولفظانة أبي الطيب لم يتعرض لما ذكره بشر في أبياته التي ذكرناها ، لعلمه أن بشراً قد ملك رقاب تلك المعاني ، واستحوذ عليها ، ولم يترك لغيره شيئاً يقوله ، ولم يقع فيما وقع فيه البحترى من الانسحاب على ذيل ^(٢) بشر ، لانه قصر عنه تقصيراً كثيراً ، ولما كان الأمر كذلك ، عدل أبو الطيب عن سلوك تلك الطريقة ، وسلك غيرها ، فجاء فيما أورده مبرزاً ، فإن بشراً قال :

إذاً لرأيت ليثاً أم ليثاً هزبراً أغلباً لاقى هزبراً
مشى ومشيت من أسدين راما مراماً كان إذ طلباه وعراً

وقال البحترى :

فلم أر ضِرغامين أصدق منكما عراكاً إذا الهَيَّابُ النُّكْسُ كَدَّبا
هزبر مشى يبغى هزبراً وأغلباً من القوم يَغشَى باسل الوجه أغلباً

وقال بشر :

وقلتُ له وقد أبدى نصالاً محدةً ووجهها مكفهراً
يُبدِلُ بِمِخْلَبٍ . ويحدُّ ناب وباللحظاتِ تحسبهن جمرًا

وقال البحترى :

غداة لقيت الليثَ والليثُ مُخْدِر يحدُّ ناباً للقاءٍ ومِخْلَباً

وما توارد عليه أبو الطيب وأبو عبادة البحترى ^(٣) وصف السيف : قال سيفية المنتهي أبو الطيب ^(٤) :

(١ - ١) هذه العبارة مضطربة في الأصل ونصها :

في خليسه وفي هيئة مشيه واختياله ووصف خلق بخلق مع شجاعته .

(٢) إن صح الرأي القائل بأن القصيدة المنسوبة إلى بشر من خيال البديع ونظمه لم يكن هناك

محل للظن على البحترى لأن البحترى سابق في الزمن على البديع .

(٣) الأصل : في وصف وزيادة : « في » تفسد الأسلوب

(٤) يمدح أبا بكر على بن صالح الروذباري الكاتب بدمشق .

كفرندى فرندى سینی الجراز
تحسب الماء خطاً في لب النا
كلما رمت لونه منع النا
ودقيق قدى الهباء أنيق
ورد الماء فالجواب قدراً
حملته حمائل الدهر حتى
وهو لا تلحق الدماء غراريه
يا مزيل الظلام عنى وروضى
والهاني الذي لو استطعت كانت
إن برق إذا برقت فعلى
لم أحملك معلماً هكذا لام
ولقطعي بك الحديد عليها

لذة العين عدة للبراز^(١)
ر أدق الخطوط في الأحراز^(٢)
ظرم موج كأنه منك هازي
مُتوال في مستو هز هازي^(٣)
شربت والتي تليها جوازي^(٤)
هي محتاجة إلى خراز^(٥)
ولا عريض منتضيه الخازي^(٦)
يوم شربى ومعتقلى في البراز^(٧)
مقلتي غمده من الإعزاز
وصليلي إذا صلتك ارتجازي
ليضرب الرقاب والأجواز^(٨)
فكلانا لجنسه اليوم غازي^(٩)

(١) الفرند : جوهر السيف . الجراز : القاطع . البراز : مبارزة الأقران في الحرب والمعنى سيني يشبهني في جوهر الفرند وقوة المضاء وهو لذة للنظر وعدة لمبارزة الأعداء .

(٢) الأحراز : جمع حرز وهو العوذة تكتب فيها الرقى . شبه برقي سيفه باللهب وما يتخلله من آثار الفرند بخطوط الماء دقيقة كخطوط الأحراز .

(٣) الهباء : ما تراه في الشمس إذا دخلت من موضع ضيق . قدى : من قولهم قيد رمح أو قدى رمح أى مقداره أى ويمنع الناظر من لونه فرند دقيق كأنه الهباء في الشكل والصورة وهذا الفرند حسن متتابع الخطوط في سطح مستو كثير الاضطراب .

(٤) قدرا : مفعول شربت مقدم . جوازي : جمع جازية من قولهم جزأت الإبل بالخضرة إذا قنعت بها عن الماء يقول إن هذا السيف سقى الماء عند طبعه فشربت جوانبه مقداراً منه والمواضع التي تليها من المتن لم تشرب لأن السيف لا يسقى كله وإنما تسقى شفرته ويترك باقيه ليكون أثبت عند الضرب فلا ينقص .

(٥) المراد أنه سيف قديم الصنعة قد أخلق طول الدهر حمائله .

(٦) غراريه : ما بين متنه وحده .

(٧) البراز : بفتح الباء الفضاء الواسع لاستراحة به . ينادى السيف فيقول أنت تزيل الظلام عنى إذا اشتد سواد الغبار ، وعنى بيوم الشرب يوم الحرب يشرب فيه دم الأعداء ولذلك جعل السيف روضه في ذلك اليوم لما فيه من الخضرة المكتسبة بالصنعة وهي مستحبة في السيوف وإذا تضايق في فضاء تحسن ودفع به عن نفسه .

(٨) الأجواز : الأوساط جمع جوز وهو الوسط يريد أوساط الرجال .

(٩) عليها : الضمير يعود على الأوساط والرقاب والجوار والمجرور : حال من الحديد يقول : =

سَلَّهَ الرِّكْضَ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ فَنَصْدَى لِلغَيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ (١)
وَتَمْنَيْتُ مِثْلَهُ فَكَأَنِّي طَالِبٌ لَابْنِ صَالِحٍ مِنْ يُوَازِي (٢)

ومن قصيدته الأسدية (٣) :

وَكأنْ بَرَقَا فِي مَتُونِ غِمَامَةٍ هِنْدِيَّةٍ فِي كَفِّهِ مَسْلُولا (٤)
وَمَحَلُّ قَائِمِهِ يَسِيلُ مَوَاهِبًا لَوْ كُنَّ مَسِيلًا مَوَجَدَّنَ مَسِيلًا (٥)
رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَهَنَ كَأَنَّمَا يُبْدِينُ مِنْ عِشْقِ الرِّقَابِ نُحُولًا

ومن قصيدته النُّورُوزِيَّةِ :

قَتَلْتَنِي يَمِينُهُ بِحَسَامٍ أَعْقَبَتْ مِنْهُ وَاحِدًا أَجْدَادُهُ (٦)
كَلَّمَا اسْتُلِّ ضَا حَكَّتْهُ إِيَاةٌ تَزْعُمُ الشَّمْسُ أَنَّهَا أَرَادَتْهُ (٧)

لم أحملك إلا لأقطع بك الحديد الذي على الرقاب والأوساط (الدروع والمناقر) فكلانا يغزو جنسه .
(١) الوهن : نحو من نصف الليل يقول : لما ركضت الخيل بعد وهن خرج من الغمد فرأى
أهل الحجاز بريقه فارتقبوا المطر . وروى : سله الركب .

(٢) هذا من أحسن . الخالص التي للمتنبي ومثله له :

نودعهم والبين فينا كأنه قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

(٣) أي من القصيدة السابقة التي مدح فيها بدرين عمار ووصف مبارزته للأسد .

(٤) الأصل : هنديّة بقاء مربوطة . تحريف والضمير في هندية يعود على الممدوح والهندي :
السيف المصنوع من حديد الهند وفي البيت تشبيه مقلوب أراد به المبالغة في بريق السيف ولمعانه .

(٥) قائم السيف : مقبضه . وفي : محل قائمه كناية عن راحة الممدوح أي أن كفه تسيل نعماً لو
كانت مطراً لم تجد مكاناً يكتفى لمجرها .

(٦) هي التي مدح بها ابن العميد وهنأه بعيد النيروز ومطلعا :

جاء نيروزنا وأنت مراده وورت بالذي أراد زناده

وفيها يصف سيفاً قلده إياه وفرساً حمله عليه وجائزة وصلها بها وقد كان ابن العميد عاب القصيدة
الرائية التي مدحه بها المتنبي ومطلعا : • باد هواك صبرت أم لم تصبرا •
وقد مضى كلام لنا عن هاتين القصيدتين الرائيتين والنوروزية .

الحسام : القاطع . أعقب الرجل : ترك عقباً أي ولداً وأراد بأجداده : معادن الحديد التي استخرج
منها السيف والمعنى أنه وحيد لا مثيل له .

(٧) الإيابة : ضوء الشمس وحسنها . أرادته : جمع راد وهو ارتفاع الضحا وروفقه أي كلما
جرد هذا السيف من غمده لمعت في صفحته إيابة من الشمس كأنها تضاحكه ولشدة لمعان تلك الإيابة
تنخدع الشمس عند رؤيتها فتنظن السيف شمساً أخرى مثلها قد لمعت هذه الإيابة من أشعتها .

مَثَلُوهُ فِي جَفَنِهِ خَشِيَّةَ الْفَقِّ مَثَلُوهُ فِي جَفَنِهِ خَشِيَّةَ الْفَقِّ
 مُنْعَلٌ لَا مِنَ الْحَفَا ذَهَابًا يَحُ مُنْعَلٌ لَا مِنَ الْحَفَا ذَهَابًا يَحُ
 يَقْسَمُ الْفَارِسَ الْمَدَجَّ لَا يَقْسَمُ الْفَارِسَ الْمَدَجَّ لَا
 جَمَعَ الدَّهْرَ حِدَّهُ وَيَدِيهِ جَمَعَ الدَّهْرَ حِدَّهُ وَيَدِيهِ
 وَتَقَلَّدْتُ شَامَةً فِي نَدَاهَا وَتَقَلَّدْتُ شَامَةً فِي نَدَاهَا

سيفية البحري قال البحري من قصيدة أولها :

« أهلا بذككم الخيال المقبل^(٦) »

قَدْ جُدَّتْ بِالطَّرِيفِ الْجَوَادُ فَشَنَّهُ قَدْ جُدَّتْ بِالطَّرِيفِ الْجَوَادُ فَشَنَّهُ
 يَتَسَاوَلُ الرُّوحَ الْبَعِيدَ مَنَالَهُ يَتَسَاوَلُ الرُّوحَ الْبَعِيدَ مَنَالَهُ
 بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ حَتَفٍ^(٨) مَظْلَمَ بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ حَتَفٍ^(٨) مَظْلَمَ
 مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تَمُضْهُ يَدُ فَارِسٍ مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تَمُضْهُ يَدُ فَارِسٍ
 يَغْشَى الْوَعْيَ فَالْتَرُسَ لَيْسَ بِجَنَّةٍ يَغْشَى الْوَعْيَ فَالْتَرُسَ لَيْسَ بِجَنَّةٍ
 مَصْنَعٌ إِلَى حَكَمِ الرَّدَى فَإِذَا^(٩) مَضَى مَصْنَعٌ إِلَى حَكَمِ الرَّدَى فَإِذَا^(٩) مَضَى

(١) مثلوهُ : عملوا مثله . الأثر : الفرند وهو جوهر السيف يريد أنهم نسجوا على غده صورته من الفضة حتى لا تفقده العين إذا أغمد بل تكون كأنها ناظرة إليه وذلك لحسنه حتى إن مالكة لا يشتهي أن يفقد منظره بإغماده .

(٢) يقول إن هذا الجفن جعل له نملا من ذهب وليس ذلك بسبب الحفا وهو يحمل من هذا السيف بحرا لكثرة مائه وفرند زبده .

(٣) البدادان : جانبا السرج .

(٤) يقول إن الدهر جمع حد هذا السيف ويدي الممدوح وشعرى في الشاء عليه فاجتمعت أفراد الدهر التي لا نظير لها .

(٥) شبه السيف الذي قلده إياه بالشامة ، وسائر هباته بالجلد الذي تكون فيه الشامة . يريد أن ذلك السيف على نفاسته وكرمه لا يعد في جملة عطاياء إلا شيئا قليلا كالشامة في الجلد .

(٦) تمامه : « فعل الذي نهواه أو لم يفعل » والقصيدة في مدح محمد بن حميد الطوسي وقد قابلناها بمخطوط الديوان ١٥٣١ أدب بدار الكتب .

(٧) أدد : أبر التين وهو ابن قحطان يطلب منه سيفا بعد أن جاد عليه بمحسان .

(٨) الأصل : فج .

(٩) في الأصل : وإذا .

متوقدٌ يَتَقَرَّى^(١) بأول ضربة
 وإذا أصاب فكل شيء مَقْتَلٌ
 وكأنما سودُ النمل وحمُرُها
 وكان شاهره إذا استعصى به
 حملت حمائله القديمة بقلّة^(٢)
 ما أدركت ولو انها^(٣) في تدبّل
 وإذا أصيب فإله من مَقْتَل
 دبّت بأيد في قساره وأرجل^(٤)
 في الرّوع يعصى بالسماك الأعزل^(٥)
 منذ عهد عاد غصّة لم تدبّل^(٥)

* * *

ومن تعسفات أبى الطيب قوله :

شديدُ البعد من شرب الشّمول تُرنجُ الهند أو طلعُ النخيل^(٦)
 والمعروف عند العرب الأترج ، والترنج مما يغلط فيه العامة .
 قال الصّاحب : لأدرى الاستهلال حسن ؟ أم المعنى أبدع ؟ أم قوله : ترنج
 أفصح ؟ وكقوله :

(١) الأصل : يبرى .

(٢) الأصل : لو أنها .

(٣) قرأه : ظهرو .

(٤) هذا البيت محرف في الأصل . استعصى به . ضرب . يعصى : يحتمى .

(٥) الأصل : من عهد . . . البقل : كل ثبت اخضرت له الأرض . والمعنى : أن السيف

أخضر اللون وأن اخضاراه قديم من يوم طبعه صانعه وقد أخذ البحرى هذا المعنى من قول القائل :

مهند كأنما طباعه أشربه في الهند ماء الهندبا

والهندبا : بقلّة وقد نظر المتنبي إلى قول البحرى في قوله :

حملته حمائل الدهر حتى هى محتاجة إلى غراز

وقد سبق شرحه ص ٢٢١

(٦) حضر أبو الطيب مجلس سيف الدولة وبين يديه أترج وطلع وهو يمتحن الفرسان وعنده ابن

حبش شيخ المصيصة بتشديد الصاد الأولى (المصيصة اسم لشجر من ثغور الشام ولقرية قرب دمشق) فقال

سيف الدولة لابن حبش لا تتوهم أن هذا للشرب فقال أبو الطيب :

شديد البعد . . .

أى أن هذا الثمر بعيد أن تشرب عليه الخمر وإنما استحضارك لهما ولما يشا كلهما من الرياحين

للاستمتاع بهما وبعد هذا البيت :

ولكن كل شيء فيه طيب لديك من الدقيق إلى الجليل

بيضاءُ يَمْنَعُهَا تَمَكَّلَمَ دَلْهُا تِيهًا، وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ تَمِيسًا^(١)
فَنَصَبَ تَمِيسَ مَعَ حَذَفِ أَنْ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ عِنْدَ أَكْثَرِ النُّحَوِيِّينَ^(٢) .
وَقَوْلُهُ :

وَتَكْرَمْتَ رُكْبَانَهَا عَنْ مَسْبَرِكِ تَقْعَانٍ فِيهِ وَلَيْسَ مِسْكَ أَذْفَرَا
فَجَمَعَ الرُّكْبَانِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الثَّنِيَّةِ ، فَقَالَ تَقْعَانُ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ ، وَغَيْرُ
سَدِيدٍ فِي صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ^(٣) .

وَقَوْلُهُ :

لَيْسَ إِلَّاكَ يَا عَلِيَّ هَمَامٌ سَيْفُهُ دُونَ عَرِضِهِ مَسْأُولُ
وَقَوْلُهُ :

لَمْ تَرِ مَنْ نَادَمْتَ إِلَّاكَ لَالَسُوهُ وَدَكَ لِي ذَاكَ
فَوَصَلَ الضَّمِيرُ بِإِلَا ، وَحَقُّهُ^(٤) أَنْ يَنْفَصَلَ عَنْهُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ضَلَّ مِنْ
تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ .

وَقَوْلُهُ :

أَبْعَدُ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ^(٥)

= وَمِيدَانُ الْفَصَاحَةِ وَالْقَوَافِي وَمَتَحْنُ الْفَوَارِسِ وَالْخَيُْولِ
قِيلَ إِنَّ ابْنَ خَالَوَيْهِ أَنْكَرَ عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ « تَرْجُجَ » وَقَالَ : الْمَعْرُوفُ أَرْجَ فَاسْتَشْهَدَ أَبُو الطَّيِّبِ
أَنْ أَبَا زَيْدٍ رَوَى « تَرْجُجَ وَتَرْجُجَةً » وَذَكَرَهُ ابْنُ السَّكَيْتِ فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ .
(١) يَرَوَى « التَّكَلَّمَ » بِدَلٍّ تَكَلَّمَ .

(٢) نَصَبَ تَمِيسَ وَنَصَبَ تَكَلَّمَ أَيْضًا وَهُوَ مُضَارِعٌ حَذَفَتْ مِنْهُ إِحْدَى التَّائِمِينَ فَالْتَقَدَ يَوْجَهُ
لِنَصَبِ الْفَعْلَيْنِ مَعَ حَذَفِ النَّاصِبِ وَقَدْ أَجَاذَهُ الْكُوفِيُّونَ وَأَنْشَدُوا قَوْلَ طَرَفَةَ :
أَلَا أَهَذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوَشْيَ وَأَنْ أَشْهَدُ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مَخْلَدِي
وَالْبَصْرِيُّونَ يَرَوْنَهُ عَلَى الرَّفْعِ .

(٣) سَبَقَ تَوْجِيهُ كَلَامِ الْمُتَنَبِّي .

(٤) هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ فِي قِيَاسِ النُّحُوِّ وَالْمَشْهُورُ عَنِ الْعَرَبِ وَقَدْ رَوَى الْفَرَّاءُ بَيْتًا عَنِ الْعَرَبِ
أَحْتَجَّ بِهِ أَبُو الطَّيِّبِ وَاحْتَذَى عَلَيْهِ :

فَا نَبَالِي إِذَا مَا كُنْتُ جَارَتِنَا أَلَا يَحَاوِرُنَا إِلَّاكَ دِيَارِ
وَالْإِنْصَافُ يَقْتَضِي أَلَا يَطَالِبُ الشَّاعِرُ بِأَكْثَرِ مَنْ إِسْنَادَ قَوْلِهِ إِلَى شَعْرِ عَرَبِيٍّ مَنقُولٍ عَنْ ثِقَةٍ وَنَاهِيكَ
بِالْفَرَّاءِ .

(٥) يُخْرِجُ عَلَى أَنَّ الْكُوفِيِّينَ قَالُوا : مَا أَسْوَدَ شَعْرُهُ وَمَا أَبْيَضَهُ أَوْ أَنَّ الْمُتَنَبِّيَّ يَرِدُ التَّفْضِيلُ وَإِتْمَاعُ

وألف التعجب لا تدخل على ألف أفعل ، إنما يقال أشد سوادا ، وحمرة ،
وخضرة .

وكقوله :

جَمَلًا كَمَا بِي فَلَيْتُكَ التَّبَرُّيحُ أَغْدَاءُ ذَا الرَّشَامِ الْأَغْنِ الشَّيْحُ ؟
وحذف النون من يكن إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين ، لأنها
تنحرك إلى الكسر ، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت (١) .

وكقوله :

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقَ وَمَا أَحَدٌ مِثْلِي
والتشبيه بما محال (٢) .

وكقوله :

لَعَظُمْتَ حَتَّى لَوْ تَكُونُ أَمَانَةً مَا كَانَ مُؤْتَمِنًا بِهَا جَبْرِينُ
قال صاحب : وقلب هذه اللام إلى النون أبغض من وجه المنون ، ولا أحسب

أراد الوصف بأفعل الذي مؤنثه فعلاه ويكون معناه : لأنت أسود في عيني وتم الكلام ثم ابتدأ « من الظلم »
كما تقول : هو كريم من أحرار ، سري من أشرف .

(١) قال المحتج عن أبي الطيب إن ضرورة الشعر تجيز حذف النون مع الألف واللام وقد حكاه
أبو زيد عن العرب ، والشعر فيه لحيل بن عرفة :

لَمْ يَكْ الْحَقُّ سَوَى أَنْ هَاجَهُ رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعْنَى بِالسَّرَرِ
وأبو زيد ثقة ، والرواية عن العرب حجة .

(٢) قال الواحدي : سمعت أبا الفضل العروضي يقول : « ما » وإن لم يكن للتشبيه فإنه يقال
ما هو إلا الأسد فيكون أبلغ من قولهم كأنه الأسد . يقول المتنبي . لا تقل ما هو إلا كذا أو كأنه كذا
لأنه ليس فوق أحد ولا مثل أحد فتشبهني به . وهذا قول صاحب الوساطة حكاه عن أبي الطيب فيقول : ما :
يَأْتِي لِتَحْقِيقِ التَّشْبِيهِ تَقُولُ : مَا عَبْدُ اللَّهِ إِلَّا الْأَسَدُ كَمَا قَالَ لَبِيدُ

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع
وليس ينكر أن ينسب التشبيه إلى « ما » إذا كان له هذا الأثر ، وفي الوساطة والمكبرى كلام طويل
عن هذا البيت وقد أتينا بأقرب ما فيهما .

جبريل عليه السلام يرضى منه بهذا المجنون^(١) ، هذا على ما في معنى البيت من الفساد والقيح^(٢) .

وكقوله :

خروجه عن حملت إليه من ثنائى حديقة سقاها الحجبى سقى الرياض السحاب
الوزن
أى سقى السحاب الرياض^(٣) .

ومنها^(٤) :

تفكره عليم ومنطقه حُكم وباطنه دين وظاهره ظرف
وقد خرج فيه عن الوزن ، لأنه لم يبح عن العرب مفاعيلن في عروض الطويل غير مصرّع ؛ وإنما جاء مفاعلن . قال صاحب : ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل فما نجد له على خطئه مساعداً . قال القاضي أبو الحسن ، وقد عيب أيضاً بقوله :
لأنما بدّر بن غمار سحاب هطّل فيه ثواب وعقاب .
لأنه أخرج الرمل على (فاعلاتن) ، وأجرى جميع القصيدة على ذلك في الأبيات غير المصرّعة ، وإنما جاء الشعر على (فاعلن) وإن كان أصله في الدائرة فاعلاتن .

ومنها : استعماله الغريب الوحشى^{استعماله الغريب الوحشى} ، وإذا كان المتنبي من المحدثين بل من العصرين ، وجرى على رسومهم في اختيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم ، بل

(١) في الأصل : المجان ولم نر لها وجهاً .

(٢) وجه القبح الإفراط وتجاوز الحد اللذان يدلان على رقة الدين وسخافة العقل بل يدلان على زندقة وكفر . أما جبرين فلفظة بنى أسد .

(٣) هو من شواذ الاستعمال في رأى البصريين وهو من قصيدة في مدح طاهر بن الحسين العلوى أولها : « أعيذوا صباحى فهو عند الكواعب » . الديوان : حملت إليه من لسانى حديقة . .

(٤) « ومنها » أى من تعسفاته .

ربما انحط عنهم بالركاكة والسفسفة ، ثم تعايط الغريب الوحشي ، والشاذ البدوي ، بل ربما زاد في ذلك على أقحاح المتقدمين ، حصل كلامه بين طرقي نقيض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين .

فمن ذلك الفن الذي ينادى على نفسه وَيَقْلَاقُ موقعه في شعره وشعر غيره من أبناء عصره ، قوله :

وما أرضى لمقلته بحُلمٍ إذا انتبهت توهمه ابتيشاكا
والابتشاك : الكذب ، ولم أسمع فيه شعراً قديماً ولا محدثاً سوى هذا البيت .
وقوله في وصف الغيث :

لساحيه على الأجداث حفش كأيدي الخيل أبصرت المسخالي^(١)
الساحي : القاشر . ومنه سميت المسحاة ، لأنها تنقش الأرض ، والحفش : مصدر حفش السيل حفشا : إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع .

وقوله في وصف السيف :

ودقيق قيدي الهباء أنيق متوال في مستو هزهاز^(٢)
قيدى : بمعنى مقدار . يقال بينهما قيد رمح ، وقاد رمح وقيدى^(٣) .
وقوله :

أركائب الأجباب إن الأدما تَطِيسُ الخلود كما تَطِيسُنَ اليرمعا^(٤)
تطس : أى تدق . واليرمع : الحجارة البيض الرخوة .

(١) النقد صحيح فكلمة : حفش غريبة وعاب عليه قوم قوله : كأيدي الخيل . . . وقالوا هو من الكلام البارد ، والبيت من قصيدة يرثى بها والدة سيف الدولة أولها :

نعد المشرفة والعوالى وتقتلنا المنون بلا قتال
وقبله : سقى مثواك غاد في الغوادى نظير نوال كفك في النوال

(٢) تقدم تفسيره رقم ٣ ص ٣٦٠ .

(٣) أى قدى رمح

(٤) البيت مطلع قصيدة يمدح بها عبد الواحد بن العباس بن أبي الإصبع الكاتب .

وقوله :

وإلى حصَى أرض أقام بها بالناس من تقييله يَتلُّ^(١)
الليل : إقبال الأسنان ، وانعطافها على باطن الفم . ولم يُسمع في شعره غيره .

وقوله :

* الشمس تَشْرُقُ والسحاب كَسَتهُورًا^(٢)

الكنهور : القطعة العظيمة من السحاب .

وقوله :

* وقد غَمَرَتْ نوالا أيها النال^(٣)

والنال : المُعطى .

وقوله :

* أسائلها عن المتديريها^(٤)

قال صاحب : لفظة « المتديريها » لو وقعت في بحر صاف لكدرته ، ولو

(١) البيت من قصيدة في مدح عضد الدولة أومها :

اثلت فإنا أيها الطلل نسكى وَرَزَم تحتنا الإبل
وقبله :

يشتاق من يده إلى سبل شوقاً إليه ينبت الأسل
سبل تطول المكرمات به والحجد لا الحوذان والنفل
فالجار والمجور في هذه البيت الذي ذكره المؤلف : وإلى حصى . . . معطوف على قوله : إلى سبل
والمعنى : ويشتاق إلى حصى أرضه الذي كثر تقييل الناس له حتى يرى أسنانهم فقصرت .
(٢) صدره : « وترى الفضيلة لا ترد فضيلة » فالشمس بالنصب على البدل من « الفضيلة » . وهو
من قصيدة في مدح ابن العميد مطلعها :

* باد هواك صبرت أم لم تصبرا *

وتقدم كلام عن هذا البيت

(٣) صدره : « وكيف أكفر ما أوليت من حسن » وهو من قصيدة مطلعها :

* لا خيل عندك تهديها ولا مال *

(٤) من قصيدة في مدح علي بن إبراهيم التنوخي مطلعها :

ملث القطر أعطشها ربوعا وإلا فاسقها السم النقيما
أسائلها . . . فلا تدرى ولا تدرى دموعا

ألقى ثِقْلَهَا على جبل سام لَهْدَه ، وليس للمقت فيها نهاية ، ولا للبرْد معها غاية ؛
والمتديروها : المتخذوها دارا ، قال الصاحب : ومن أطم ما يتعاطاه : التفاصح
بالألفاظ النافرة ، والكلمات الشاذة ، حتى كأنه وليد خيباء وغدّى لبن ، ولم يطأ
الحضّر ، ولم يعرف المندّر .

فَن ذلك قوله :

أَيْفُطِمُهُ التَّوْرَابُ قَبْلَ فِطَامِهِ وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِلَى الْأَكْلِ (١)
وليس ذلك سائغاً لمثله وهو وليد قرية ، ومعلم صبية .

ومن الجُموع الغريبة التي يوردها قوله في جمع الأرض :
أَرُوضِ النَّاسِ مِنْ تَرْبٍ وَخَوْفٍ وَأَرْضِ أَبِي شَجَاعٍ (٢) مِنْ أَمَانٍ
وقوله في جمع اللغة : عَليمٌ بِأَسْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللُّغَى (٣) . وفي جمع الدنيا :
أَعَزَّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجٌ سَابِحٌ (٤) وقوله في جمع الأخ :
كُلَّ أَخَائِهِ كِرَامِ بَنِي الدُّنْيَا . قال الصاحب : لو وقع الآخاء في رائية
الشماخ (٥) لاستنقل ، فكيف مع أبيات منها :
قَدْ سَمِعْنَا مَا قَلَّتْ فِي الْأَحْلَامِ وَأُنَلْنَاكَ بِسَدْرَةٍ فِي الْمَنَامِ (٦)

(١) البيت من قصيدة يرثي بها أبا الهيجاء بن سيف الدولة الذي مات حدثاً والتوارب لغة في التراب
والمعنى يعجب من موت الطفل وأكل التراب له قبل أن تقطعه أمه ويبلغ سن الأكل .

(٢) يريد به عضد الدولة والبيت من قصيدته :

« مَغَانِي الشَّعْبِ طَيِّبَا فِي الْمَغَانِي

(٣) تمام البيت : له خطرات تغضخ الناس والكتبا

(٤) تمامه : وخير جليس في الزمان كتاب

« نَظِيرُ هَذَا الْجَمْعِ آبَاءُ جَمْعِ أَبِي . والبيت بتمامه :

كُلَّ أَخَائِهِ كِرَامِ بَنِي الدُّنْيَا يَا وَلَكِنَّهُ كَرِيمُ الْكِرَامِ

(٥) الشماخ : اسمه معقل بن ضرار من غطفان جاهلي إسلامي رجاز اشتهر بوصف القوس والفرس

شهد له الخطيئة والرجاز مندوحة في استعمال الغريب وهذا ما يشير إليه الصاحب ولعله يريد رائيته التي مطلعها

عَفْتُ ذُرُوءَ مَنْ أَهْلُهَا فَحْفِيرُهَا »

(ديوانه ص ٣٧ - ٤٣) طبعة القاهرة .

(٦) أرسل شاعر إلى الأمير أبياتاً يذكر فيها فقره ويزعم أنه رآها في النوم فقال أبو الطيب :

قَدْ سَمِعْنَا . . .

والكلام إذا لم يتناسب زيفته جهابذته وبهرجته نقاده .

ومنها الركافة والسفسفة بالفاظ العامة والسوقة ومعانيهم كقوله :

رومانى خساسُ الناسِ من صائب استه وآخرُ قطنٍ من يديه الجنادلُ

وقوله :

وإن ما رأيتنى فاركب حصانا ومثله تخرَّ له صريعاً^(١)

وقوله :

إن كان لا يُدعى الفقى إلا كذا رجلا فسم الناس طُرّاً إصبعا

وقوله :

قسا فالأسدُ تفزع من يديه ورقٌ فنحن نفزع أن يذوبا

وقوله :

تألَّمُ درزه والدَرَزُ لَيْنٌ كما تألَّمُ العُضْبُ الصنيعا^(٢)

وعلى ذكر الدرز ، فقد حكى صاحب فى كتاب الروزنامة^(٣) من حديث لحظة الطولونية المغنية ما يشبه معنى هذا البيت ، وهو أنه قال : سمعتها

= وبعده :

وانتهينا كما انتهت بلا شئ . فكان النوال قدر الكلام

(١) من قصيدة :

ملث القطر أعطشها ربوعا

وتقدم حديث عنها . ص ١٦٨

(٢) الدرز : موضع الخياطة المكفوفة من الثوب . العُضْبُ الصنيع : السيف المحكم الصنعة والضمير فى تألم يعود إلى المرأة فى بيتين سابقين هما :

ترفع ثوبها الأرداف عنها فيبقى من وشاحيها شعوا

إذا ماست رأيت لها ارتجاباً له لولا سواعدها نزوعا

والمعنى أنها رقيقة ناعمة حتى إن درز القميص يوجعها كما يوجعها السيف لرقه بشرتها فإذا نال جسمها موضع الخياطة ألمها وأوجعها .

(٣) الروزنامة ويقال الروزنامة لفظ فارسي مركب من كلمتين : روز أى يوم ونامه أى كتاب وهى أوراق منضدة بترتيب تتضمن معرفة الأيام والأشهر على مدار السنة وهى أشبه بما نسميه التقويم (انظر تفسير الألفاظ الدخيلة فى العربية للقس طوبيا العيسى الحلبي الباني ص ٣١) .

ما وقع فى شعره
من الركافة
والسفسفة بالفاظ
العامة والسوقة
ومعانيهم

تقول : يا جارية علىَّ بالقميص المعمول^(١) في النسيج ؛ فقد آهاني ثقل الدروز .

وقوله :

لِسَرِيٍّ لِبَاسُهُ خَشِينُ الْقَطَنِ ومروى مروى ليس القروء^(٢)

وقوله :

ما أَنْصَفَ الْقَوْمَ ضَبَّهُ وَأَمَّهُ الطَّرْطُطُ بِهِ
رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وباكوا الأمَّ غُلْبَةً^(٣)

وقوله :

* ولفظ در يُريك الدر مخشلبا^(٤) *

وقوله :

إِنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنْ فَبَرَّيْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِسْلَامِ
قال صاحب : « حينئذ » هاهنا أنقر من عَيْر مُنْقَلِت .
قال ومن ركيك صنعته في وصف شعره ، والزَّراية على غيره قوله :
إِنْ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيضِ هُذَاءَ ليس شيئاً وبعضه أحكام^(٥)

(١) الذي لا خياطة فيه . (٢) البيت من قصيدة قالها في صباه ، مطلعها :

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قَتَلْتَ شَهِيدَ . . .

وقبائه : ولعل مؤمل بعض ما أبى لمغ باللفظ من عزيز حميد

لسرى . . . يعنى نفسه . مروى مر : ثياب رقاق تنسب لمرو وهى بلد بفارس .

(٣) بالك الحمار الأتان : نزا عليها . وهذه الأبيات قصة سبقت .

(٤) كذا في الأصل . الديوان : « ودر لفظ يريك الدر مخشلبا » . وصدر البيت :

* بياض وجه يريك الشمس حالكة *

والمخشلب كلمة نبطية ومعناها الخرز من حجارة البحر وليس بدر ، جاء في الوساطة ما مجمله :

قالوا : « مخشلبا » ليس من كلام العرب وقال أبو الطيب هى كلمة عربية فصيحة وقد ذكرها العجاج ولست أعرفها من شعر العجاج ولا أحفظها محكية عن العرب غير أنى أرى استعمالها وأمثالها غير محفوظ لأنى أجد العرب تستعمل كثيراً من ألفاظ العجم إذا احتاجت لإقامة الوزن وإتمام القافية وقد تتجاوز ذلك إلى استعماله مع الاستغناء عنه وساق لذلك أمثلة كثيرة .

وقد استعملها شوقي في العصر الحديث فقال :

خلوا الأكاليل للتاريخ إن له يداً تؤلفها درا ومخشلبا

وبما يشفع أحياناً لاستعمال كلمة غريبة أن توضع في موضع يسهل فهمها وكانت بحرسها موجية بمعناها فإن الجمع بين الدر والمخشلب يوحي بأن الثانية تعنى شيئاً حقيراً .

(٥) أحكام : جمع حكم بضم أوله أى حكمة .

منه ما يجلبُ البراعةُ وانفضَ لى ومنه ما يجلبُ البرسامُ^(١)

قال : وما هنا بيت نرضى باتباعه فيه ، وما ظنك بمحكّم مُناوِيه ، ثقة
بظهور حقه ، وإبراء زنده ، وإن لم يكن التحكيم بعد أبي موسى من موجب
العزم ، ومقتضى الحزم . وهو :

أطعناك طوع الدهر يا بنَ ابنِ يوسف بشهوتنا^(٢) والحاسدو لك بالرغم

وقوله :

تَقْضِمُ الجمرَ والحديدَ الأعادي دونه قضمَ سكرِ الأهواز^(٣)

وقوله :

فكأنما حسب الأسنة حلوة أو ظنّها البرنى والآذا^(٤)

قال صاحب : إذا جُمع السكرُ إلى البرنى والآذا ، تم الأمر .

قال : وكانت الشعراء تصف المآزر تنزيهاً لألفاظها عما يُستشنع ذكره
حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذى لم يهتد إليه غيره فقال :

إني على شغفى بما فى خمرها لا أعفُ عما فى سراويلاتها^(٥)

وكثير من العهبر أحسن من هذا العفاف .

قان القاضى^(٦) ومن أمثاله العامة قوله :

وكل مكان أتاه الفنى على قدر الرجل فيه الخطا

(١) الأصل : « فيه » مكان منه ، « الذهن » مكان الفضل . البرسام : علة يهذى فيها .

(٢) الديوان : لشموتنا .

(٣) القضم : أكل الشيء اليابس . الأهواز : كور بين البصرة وفارس أى أن أعداءه تقضم
الجر والحديد من شدة حنقها عليه وقصورها دونه كما يقضم السكر ، والبيت من قصيدة يمدح بها أبا بكر
على بن صالح الروذبارى الكاتب .

مطلها : كفرذى فرند سنى الجراز . وقد تقدم كلام كثير عن أبيات هذه القصيدة ص ٣٦٠

(٤) البرنى والآذا : ضربان من التمر والمشهور فى الأزاد القصر ، لكنه مد لإقامة الوزن .

(٥) تقدم حديث عنه .

(٦) يريد به القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى .

ومنها إبعاد الاستعارة ، والخروج بها عن حدها ، كقوله :

مَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَتَّقِرٌ قُهَا وحسرةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ ^(١) وَالْيَلَسَبِ

وقوله :

تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ ملءُ فُؤَادِ الزَّمانِ إِحْدَاهَا

وقوله :

لَمْ تَحْكُ نَائِلُكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصِيْبُهَا الرُّحَضَاءُ

وقوله :

إِلَّا يَسْبُ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِيدٌ شَيْبًا إِذَا خَضَبَتْهُ سَاوَةٌ نَصَلًا

وقوله :

وقد ذقتُ حَلَوَاءَ الْبَنِينِ عَلَى الصَّبَا فَلَا تَحْسَبْنِي قُلْتُ مَا قُلْتُ عَنْ جَهْلٍ
فجعل للطيب والبيض واليلب قلوبًا ، وللسحاب حمى ، والزمان فؤادا ، وللكب
شيا ، وهذه استعارات لم تَجْرُ على شَيْبَةٍ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ ، وإنما تصح الاستعارة
وتحسنُ على وجه من الوجوه المناسبة ، وطُرُق من الشَّبَهَةِ والمُقَارَبَةِ .

قال صاحب : وما زلنا نعجب من قول أبي تمام وهو :

« لَا تَسْقِي مَاءَ الْمَلَامِ » ^(٢) فَخَفَ عَلَيْنَا « بِحُلُوءِ الْبَنِينِ » ^(٣) .

(١) البيض : جمع بيضة وهي الخوذة من حديد . اليلب : أمثال البيض كانت تتخذ من جلود
الإبل واحدها يلبه .

والبيت من قصيدة في رثاء أخت سيف الدولة أولها :

يَا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب
وقد سبق حديث عن هذا المطلع .

(٢) بيت أبي تمام :

لَا تَسْقِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبَّ قَدْ اسْتَعَذْتُ مَاءَ بَكَائِي
وهو موضع مؤاخذه لإضافة الماء إلى الملام والتشبيه فيه غير مستغ .

(٣) يشير إلى بيته السابق :

وقد ذقت حُلُوءَ الْبَنِينِ عَلَى الصَّبَا فَلَا تَحْسَبْنِي قُلْتُ مَا قُلْتُ عَنْ جَهْلٍ

الاستكثار من قول « ذا » . ومنها الاستكثار من قول « ذا » .

قال القاضي : وهي ضعيفة في صنعة الشعر ، دالة على التكلف ، وربما وافقت موضعاً تليق به ، فاكثبت قبولاً ، فأما في مثل قوله :

قد بلغت الذي أردت من البرِّ ومن حقِّ ذا الشريفِ عليك
وإذا لم تسرَّ إلى الدار في وق بك ذا خفتُ أن تسيرَ إليك^(١)
وقوله :

لولم تكن من ذا الوريِّ اللَّذْءُ منك هو عقيمتُ بيموِّلد نسلها حواء^(٢)
وقوله :

عن ذا الذي حُرِّم اللبوثُ كماله يُنسي ألفريسة خوفه بجماله^(٣)
وقوله :

وإن جزعنا له فلا عجب ذا الجزرُ في البحر غيرُ معهود^(٤)
وقوله :

أفي كلِّ يوم ذا الدُّمُسْقُ مُقَدِّمٌ قفاه على الإقدام للوجه لائم^(٥)

(١) البيتان في الأمير أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج .

(٢) مر له ذكر بالقصيدة التي أولها : * أمن ازديارك في الدجى الرقباء *

(٣) من قصيدة في مدح سيف الدولة أولها : * لا الحلم جاد به ولا بمثاله *

ومعنى البيت أنه يصف مدوحه بأنه حاز من الكمال ما لم تحزه الأسود وأنه جميل حتى إن الفريسة تنسى الخوف منه لاشتغالها بالنظر إلى جماله .

وقبله :

وشركت دولة هاشم في سيفها وشققت خيس الملك عن رباله
(٤) من قصيدة أولها :

ما سدكت حلة بمولود أكرم من تغلب بن داود
يمدح سيف الدولة ويرثي أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان .

ومعنى البيت أنه شبهه بالبحر وشبه موته بالجزر فإن جزعنا لموته فلا عجب فإن مثل هذا الجزر لم يمهده في البحر فالله في البحر إذا جزر أن يتراجع ماؤه ولم يمهده فيه أن يجزر حتى يحف . والشرط الأول محرف في الأصل .

(٥) من قصيدته التي أولها :

وقوله :

أبا المسكِ ذا الوجهُ الذى كنت تانقا إليه وذا الوقتُ الذى كنتُ راجيا^(١)
وقوله :

أغالبُ فيك الشوقَ والشوقَ أغلبُ وأعجبُ من ذا الهجرِ والوصلِ أعجب^(٢)
وقوله :

أريد من زمنى ذا أنْ يُبَلِّغنى ما ليس يَبْلُغُه من نفسه الزمن^(٣)
وقوله :

يُضحك في ذا اليومِ كلُّ حبيبه^(٤)

فهو كما تراه سخافةٌ وضعفٌ ، ولو تصفحتَ شعره لوجدتَ فيه أضعاف
ما ذكرناه من هذه الإشارة ، وأنت لا تجد منها فى عدةِ دواوينِ جاهليةٍ حرقا ،
والمحدثون أكثر استعانة بها ، لكن فى الفسوطِ والندرةِ ، أو على سبيل الغلط والفسلطة .
الإفراط فى المبالغة :

الإفراط فى
المبالغة

ومنها الإفراط فى المبالغة ، والخروجُ فيه إلى الإحالة كقوله :

ونالوا ما اشتهووا بالحزم هَوْنًا وصاد الوحشَ نملُهُمُ دُبِيًّا

وقوله :

وضاقت الأرضُ حتى كان هاربُهم إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنه رجلا^(٥)

= على قدر أهل العزم تأقى المزائم *

فى مدح سيف الدولة .

(١) فى مدح كافور ومظلمها :

* كفى بك داء أن ترى الموت شافيا *

(٢) مطلع قصيدة فى مدح كافور .

(٣) من قصيدة مظلمها :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

قالها وهو عند كافور لما بلغه أن قويا نعوه فى مجلس سيف الدولة .

(٤) عجز البيت : حذائى وأبكى من أحب وأندب ، وهو من قصيدة يمدح بها كافورا مظلمها :

* أغالب فيك الشوق والشوق أغلب *

(٥) قال الخوارزمي : رأى فى هذا البيت ليست من رؤية العين وإنما هى من رؤية القلب يريد =

فبعدَه وإلى ذا اليوم لو ركضتُ بالخيل في كهواتِ النفل ما سَعَلًا^(١)

وقوله :

وأعجب منك كيفَ قدَرتَ ننشأ وأقسمُ لو صلحتَ يمينَ شيءٍ
وقد أعطيتَ في المهد الكمالا لما صلحَ العبادُ له شمالًا^(٢)

وقوله :

بمن أضرب الأمثال أم من أقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهر^(٣)

وقوله :

ولو قلم ألقيتُ في شق رأسه من السقم ما غيرتُ من خط كاتب^(٤)

وقوله :

من بعد ما كان ليلى لا صباح له كأن أول يوم الحشر آخره^(٥)
فهو مما لا يُستهجن في صنعة الشعر ، على أن كثيراً من النّقدة لا يرتضون
هذا الإفراط^(٦) .

= به التوهم ، وغير الشيء يجوز أن يتوهم .

وقال ابن القطاع : قد أُوغِذَ في هذا البيت فقليل : كيف يرى غير شيء ؟ وغير شيء معدوم والمعدوم لا يرى . وليس الأمر كما قالوا بل أراد غير شيء يعياً به .

(١) يصف أعداء المدوح بالقلّة والضعف حتى لو ركضوا بخيلهم في لُهاة النفل ما شعر بهم ولا سعل . وهذا البيت والذي قبله من قصيدة في مدح سعيد بن عبد الله الكلبي المنبجى أولها :

* أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا *

(٢) هذا البيت سابق لما قبله في الديوان وهما من قصيدة في مدح بدر بن عمار مطلعها :

= بقائى شاء ليس هم ارتحالا *

(٣) من قصيدة في مدح عبد الله بن يحيى البحرى أولها :

= بكيت يا ربع حتى كدت أبكيكا *

(٤) من القصيدة التي أولها :

= أعيدوا صباحي فهو عنه الكواعب *

(٥) من قصيدة في جعفر بن كئيل أولها :

حاشى الرقيب فخانتنى ضائره وغيض الدمع فانهلت بواده

(٦) والرأى في هذه الأبيات التي ساقها المؤلف أمثلة للمبالغة الخارجة إلى الإحالة أنها عيب مشترك

وذنب مقتسم وقع فيه التداى والمحدثون فإن احتمل فللكل وإن رد فعل الجميع وحظ المتنبي منه كحظ

غيره من الشعراء « الوساطة » .

ومنها : تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين ، كقوله :
 ما تكرر من
 ألفاظ في أبياته
 ومينٌ جاهلٌ بى وهو يجهل جهلته ويجهل علمى أنه بى جاهل

وقوله في هذه القصيدة :

فَقَلَقْتُكَ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَلَ الْحَشَا قَلَا قَلَّ عَيْسُ كُلْهُنْ قَلَا قَلَّ^(١)

قال الصاحب : وما زال الناس يستبشعون قول مسلم :

سَلْتُ وَسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولًا

حتى جاء هذا المبدع ، فقال :

وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا قُبِيلَ الْفَقْدِ مَفْقُودَ الْمِثَالِ
 وأظن المصيبة في الراى أعظم منها في المرئى .

وقوله :

عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلِّمْ مَهَابَةً تَوَاضَعْتَ وَهُوَ الْعَظْمُ عُظْمًا عَنِ الْعَظْمِ

قال الصاحب : وما أحسن ما قال الأصمعى لمن أنشده :

فَمَا لِلنَّوَى جُذْءُ النَّوَى قُطْعُ النَّوَى كَذَاكَ النَّوَى قِطَاعَةٌ لَوْصَالِ

« لو سلب الله على هذا البيت شاة لأكلت هذا النوى كله » وقوله :

وَلَا الضَّعْفَ حَتَّى يَتَّبِعَ الضَّعْفَ ضِعْفُهُ وَلَا ضِعْفَ الضَّعْفِ بِلِ مِثْلِهِ أَلْفٌ^(٢)

وقوله :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جَبِيرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامٌ

(١) البيتان من قصيدة قالها في صباه أولها :

• قفا تريا ودق فهانا الخنايل •

قلقله : حركه . قلاقل العيس : خفاف الإبل .

(٢) البيت من قصيدة في مدح أبي الفرج أحمد بن الحسين القاضي المالكي أولها :

لخنية أم غادة رفع السجف لوحشية لا ما لوحشية شنف

وقوله :

العارضُ الهَتَنِ ابنُ العارضِ الهَتَنِ ابنُ العارضِ الهَتَنِ (١)

وقوله :

ولم وإن كان الدفينُ حبيبه حبيبٌ إلى قلبي حبيبٌ حبيبي

وقوله :

لك الخيرُ غيرى رامَ من غيرك الغنى وغيرى بغير اللاذقية لاحق (٢)

وقوله :

ملولةٌ ما يدوم (٣) ليس لها من مثل دائم بها مللٌ

وقوله :

قتيلٌ أنتَ أنتَ وأنتَ منهم وجدكُ بشرٌ الملكُ الهمامُ

وقوله :

وكلكمُ أتى مأتى أبيه فكل فعالٍ كلكمُ عجباً

وقوله :

وما أنا وحدي قلتُ ذا الشعرِ كلَّه ولكنَّ شعري فيك من نفسه شعر

وقوله :

إنما الناس حيث أنت وما لنا س بناس في موضع منك خالي

وقوله :

ولولا تولى النفسِ حمل حلمه عن الأرض لانهدت وناء بها الحمل

(١) من قصيدة في مدح أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي القاضي بأنطاكية أولها * أفاضل الناس أغراض لذا الزمن *

ولابن القطاع نقد خلاصته أن المتنبي قد غلط بأن صاغ الهتن على فعل من هتن بهتن والصواب هاتن ولم يقل أحد من العلماء ولا جاء عن أحد من العرب هتن كفرح .

(٢) في مدح الحسين بن إسحق التنوخي من قصيدة مطلعها :
هو البين حتى ما تأنى الخزائق

(٣) في الأصل : ما تدوم .

وقوله :

وَنَهَبُ نَفُوسِ أَهْلِ النَّهْبِ أَوْلَى بِأَهْلِ النَّهْبِ مِنْ نَهَبِ الْقَمَاشِ

وقوله :

وَطَعَنَ كَأَنَّ الطَّعْنَ لَا طَعْنَ عِنْدَهُ وَضَرَبَ كَأَنَّ النَّارَ مِنْ حَرِّهِ بَرْدَ

وقوله :

أَرَاهُ صَغِيرًا قَدَرُهَا عَظِيمُ قَدَرِهِ فَمَا لِعَظِيمٍ قَدَرُهُ عِنْدَهُ قَدَرُ^(١)

وقوله :

جَوَابُ مَسَائِلِي أَلَّهُ نُظَيْرٌ وَلَا لَكَ فِي سَوَالِكَ لَا أَلَا لَا
قال صاحب : ما قدرتُ أنْ مثلَ هذا البيتِ يَتلجُ سَمْعًا ، وقد سمعتُ بالفأفاء ،
ولم أسمعَ باللامِ إلَّا حتى رأيتُ هذا المتكلفَ المتعسفَ الذي لا يقفُ حيث
يعرف .

ومنها : إساءة الأدب بالأدب كقوله :

فَغَدَا أَسِيرًا قَدْ بَلَكَتُ ثِيَابَهُ بِدَمٍ وَبِئْسَ بَيُولِهِ الْأَفْحَاذُ

وقوله :

وَمَا بَيْنَ كَاذَتَيْ الْمُسْتَفِيرِ كَمَا بَيْنَ كَاذَتَيْ الْبَائِلِ^(٢)

وقوله :

خَفَّ اللَّهُ وَاسْتُرَّ ذَا الْجَمَالِ بِرُقْعٍ فَإِنْ لُحِثَتْ حَاضَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ^(٣)

(١) الضمير في « قدرها » يعود على الدنيا في بيت سابق .

(٢) الكاذبة : لحم الفخذ . المستفير : طالب الفارة . أى أن المستفير من هذه الخيل كان يتفجع لشدة العدو كما يتفجع البائل لثلا يصيبه البول . والبيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة مظهرها :
« إلام طماعية العاذل »

(٣) تقدم حديث عنه .

ويقال : لما أُتُكِرْتُ عليه «حاضت» غَيَّرَهُ ، فجعله « ذابت » . وذكر البول والخيض مما لا يحسن وقوعه في مخاطبة الملوك والرؤساء ، وأقبح موقعاً من ذلك قوله في قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة ، ويعزيه عنها ، حيث قال :

وهل سمعتِ سلاماً لي ألم بها فقد أطلتُ وما سلمتُ عن كَشَبِ^(١)
وما باله يُسلم على حرِّم الملوك ، ويذكر منهن ما يذكره المتغزل في قوله :
يَعْلَمَنَّ حينَ تُحْيِيَا حسنَ مَبْسَمِيهَا وليس يعلم إلا الله بالشنب^(٢)
وكان أبو بكر الخوارزمي يقول : لو عزاني لإنسان عن حرمة لي بمثل هذا لأخفته بها ، وضربتُ عنقه على قبرها ، قال الصاحب : ولقد مررت على مريّة في أم سيف الدولة ، تدل مع فساد الحس على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكاً في أمه بقوله :

بعيشك هل سَلَّوَتْ فإن قلبي وإن جانبْتُ أرضك غيرُ سالٍ

(١) الديوان : من كَشَب ، البيت من قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة الكبرى التي أولها :
يا أخت خير أخ . . .

والخطاب في : « سمعت » للأرض ومعنى البيت : هل سمعتي أيتها الأرض أسلم عليها وحدثني على قربها وقد أطلت اليوم من السلام عليها ولم أسلم من قرب .
ولإيضاح المعنى نذكر البيتين السابقين لهذا البيت :

قد كان كل حجاب دون رؤيتها فاقنعت لها بأرض بالحجب
ولا رأيت عيون الإنس تدركها فهل حدثت عليها أعين الشهب

(٢) النون من يعلمن عائدة على أترابها في البيت السابق لهذا وهو :
وهيها في العلا والمجد ناشئة وهم أترابها في اللهو واللعب
ولابن جني دفاع عن النقد الموجه لهذا البيت فنقله بنصه : وكان أبو الطيب يتجاسر في ألفاظه جداً ألا تراه يقول لفاتك يمدحه :

وقد يلقيه المجنون حاسده . . .

أفلا ترى كيف ذكر لقبه على قبحه وتلقاه وسلم أحسن سلامة ولولا جودة طبعه وصحة صنعته ما تعرض لمثل هذا . وكذلك ذكره مبسمها وحسنه وشبهه ومفرقها في البيت الذي يتلوه
مرة في قلوب الطيب مفرقها وحسرة في قلوب البيض واليلب
ومن ذا الذي كان يحسر على تلقى سيف الدولة بذكر مثل هذا من أخته وآل حمدان أهل الأئمة والإباء وذوو الحمية والامتناع وأكثر شعره يجري هذا المجرى من إقدامه وتماطيه فإذا تفتنت له وجدته على ما ذكرته لك ومن أجل هذا ونحوه ما قال :

لا تحسن الفصحاء تنشدها هنا بيتاً ولكني الهزبر الباسل .

فيتشوق إليها ، ويخطئ خطأ لم يسبق إليه ؛ وإنما يقول مثل ذلك من يرى بعض أهله ، فأما استعماله إياه في هذا الموضع ، فإنه دالٌّ على ضعف البصر بمواقع الكلام .

وفي هذه القصيدة :

رِواقِ انْعَزِ فوقك مُسْبِطٌ ومُلْكٌ على ابنك في كمال

ولعل لفظة الاسطرار في مرآئي النساء من الخلدان الرقيق الصفيق الميين * .

قال ولما أبدع في هذه القصيدة ، واخترع ، قال :

صلاةُ الله خالِقنا حَنُوطٌ على الوجهِ المُكْتَفَنِ بالجمال

فلا أدري هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والدة ملك يرثيها بالجمال ، أم قوله في وصف قرابتها وجواريتها :

أتتهن المصيبةُ غافلات فدمعُ الحزنِ في دمع الدلال^(١)

الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين على أن الديانة ليست عياراً على الإيضاح عن الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، ولكن للإسلام حقه من الإجلال ضعف العقيدة الذي لا يسوِّغ الإخلال به قولاً وفعلًا ، ونظماً ونثرًا ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في مواضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في وقته ، وكثيراً ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله :

يترشفن من فسي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد^(٢)

* النسخ « المنير » ، وقد استظهرنا أن تكون « الميين » كما أثبتنا ويؤيد هذا الاستظهار قول العكبري ج٢ ص ٢٤ طبعة سنة ١٣٠٨ هـ « البين » وفيه دفاع جميل عن المتنبي .

(١) هذا الكلام يوم أن البيت معيب مع أن هذا من أبدع المعاني كما يقول العكبري في شرحه .

(٢) قد يقال إن أفعل التفضيل هنا ليس على بابه ، وأن المراد أن هذه الرشفات حلوة كحلوة

التوحيد .

وقوله :

ونُصِفِي الذي يُكْنَى أبا الحسن الهوى ونُرضى الذي يُسمى الإلهَ ولا يُكْنَى (١)

وقوله من قصيدة مدح بها العلوى :

وأبهر آيات التهامي أنه أبوكم وإحدى ما لكم من مناقب (٢)

وقوله :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدُّنا (٣)

وقد أفرط جداً ، لأن الذي الأفلاك فيه والدُّنا ، هو علم الله عز وجل .

وقوله :

الناس كالعابدين آلهة وعبدُه كالموحد اللاهات (٤)

وقوله لفناً خُسرو :

لو كان علمك في الإله مقسماً في الناس ما بعث الإله رسولا
أو كان لفظك فيهم ما أنزل التوراة والفرقان والإنجيل (٥)

وقوله :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا

- (١) المراد بأبي الحسن « سيف الدولة على الحمداني » ولا نقد على هذا البيت كما في المعبرى .
(٢) النقد في هذا البيت فيه نظر وتفصيله في كلام أبي الفضل العروضي (انظر شرح المعبرى ١ : ١٥٤ ، ١٥٥ طبع الحلبي) ورواية البيت « أجدى بالجيم وقد يروى (إحدى) بالحاء كما في ص ٣٣١
(٣) البيت من قصيدة في مدح بدر بن عمار أولها :

• الحب ما منع الكلام الألسنا •

- (٤) هذا آخر بيت من قصيدة له في مدح عضد الدولة عند قدومه عليه بشيراز مطلعها :
أوه بديل من قولتي واهـا لمن نأت والبديل ذكرها
ومعناه : أن الناس في خدمتهم لغيره كمن يعبد آلهة من دون الله لأنه هو الملك على الحقيقة ، وغيره
من الملوك زور وأنا في اقتضاري على خدمته دون غيره كمن يوحد الله ولا يشرك به .
(٥) الديوان : أو كان لفظك فيهم ما أنزل التوراة والفرقان والإنجيل
وهما من قصيدة في مدح بدر بن عمار مطلعها :

* في الحمد أن عزم الخليط رجلاً •

أو كان صادف رأسَ عازرَ سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى
عازر : اسم الرجل الذى أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام بإذن الله عز
وجل .

وقوله :

أو كان لُجُّ البحر مثلَ يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى^(١)
وكان المعانى أعيته ، حتى التجأ إلى استصغار أمور الأنبياء .
وفى هذه القصيدة :

يا من نلوذ من الزمان بظله أبداً ونطرد باسمه إبليساً^(٢)
وقوله وقد جاوز حد الإساءة :

أىّ تحلّ أرتقى أىّ عظيم أتى ؟
وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر فى همتى كشعرة فى مفترقى

وقبيح بمن أوله نطفة مدرة ، وآخره جيفة قدرة ، وهو بينهما حامل بول
وعذرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذى لا تسعه معدنة^(٣)

ومنها الغلط بوضع الكلام غير موضعه كقوله :

أغار من الزجاجة وهى تجرى على شفة الأمير أبى الحسين

وهذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبوبه ، كما قال أبو الفتح كشاجم^(٤)
وأحسن :

أغار إذا دنت من فيه كأس على دِرّ يُقبّله زجاج^(٥)

(١) الأبيات الثلاثة من قصيدة فى مدح محمد بن زريق الطرسوسى مطلقها :

هذى برزت لنا فهجت ريسا ثم انشيت وما شفيت نسيما

(٢) قالوا إنما يطرد الشيطان بذكر الله ورسوله .

(٣) الأصل : مقدرة .

(٤) من شعراء الشام فى القرن الرابع ومن وصاف الطبيعة .

(٥) ما بين المعقوفين من ص ٣٤٣ إلى هنا ساقط من سائر النسخ .

فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغير على شفاهاها .

وكقوله :

وغير الدُّمُسْتَقَّ قولُ الوشاة إن عليًّا ثَقِيلٌ وَصَبُّ
فجعل الأمراء يوشى بهم ، وإنما الوشاية : السعاية ونحوها . ومن شأن الممدوح
أن يُفْضَلَ على عدوه ، ويُجرى العدو مجرى بعض أصحابه ، وليس بسائق في
اللغة أن يقال وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته ^(١) .

وكقوله في وصف الحمى المعروفة ^(٢) .

إذا ما فارقنني غسَلْتَنِي كأننا عاكفان على حرام ^(٣)

وليس الحرام أخص بالاغتسال منه من الحلال .

وكقوله في وصف مُهره :

* وزاد في الأذن على الخِراق ^(٤) .

وأذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب ، وتشبه بطرف القلَم ، وأذن
الأرنب على الضد من هذا الوصف .

ومنها : امتثال ألفاظ المتصوفة ، واستعمال كلماتهم المعقدة ، ومعانيهم
المغلقة ، في مثل قوله في وصف فرس :
كلماتهم المعقدة

سَبَّوح لها منها عليها شواهد ^(٥)

وقوله :

إذا ما الكأس أرعشتَ الـيدينِ صَحَوْتُ فلم تحُلْ بيني وبينى ^(٦)

(١) زادت الوساطة بعد هذا : « ولوقيل ذلك في أميرين لكان قصر بالموتى به لا محالة وإنما
المعروف الصحيح أن يوشى بالأصغر إلى الأكبر فإن توسع في ذلك فبالنظير » .

(٢) « الحمى » زيادة من ب ، وسائر النسخ : المحرقة .

(٣) البيت من أبيات في وصف الحمى أولها :

وزانرق كان بها حياء فليس تزور إلا في الظلام

وقد تقدم حديث عنها .

(٤) هو من أرجوزة أولها : ما للمروج الخضر والحدائق .

(٥) صدره : « وتسعدني في غمرة بعد غمرة » .

(٦) هذا مطلع قصيدة قالها ، وقد دخل على علي بن إبراهيم التنوخي فعرض عليه كأسا بيده فيها شراب =

وقوله :

أفَيْكُمْ فَتًى حَتَّى يُخْبِرُنِي عَنِّي بِمَا شَرِبْتَ مَشْرُوبَةَ الرَّاحِ مِنْ ذَهْنِي

وقوله :

نَالِ الَّذِي نَلْتُ مِنْهُ مِثْنِي اللَّهُ مَا تَصْنَعُ الْخَمُورُ ^(١)

وقوله :

كَسِبَرَ الْعِيَانَ عَلَى حَتَّى لِمَنَّهُ صَارَ الْيَقِينُ مِنَ الْعِيَانِ تَوَهُمَا ^(٢)

وقوله :

وَبِهِ يُضْنُ عَلَى الْبَرَّةِ لَا بِهَا وَعَلَيْهِ مِنْهَا لَا عَلَيْهَا يُوسَى ^(٣)

وقوله :

وَلَوْ لَا أَنَّنِي فِي غَيْرِ نَوْمٍ لَكُنْتُ أَظُنُّنِي مِنِّي خَيَالًا

قال الصاحب : ولو وقع قوله :

نَحْنُ مِمَّنْ ضَايِقُ الزَّمَانُ لَهُ فِيهِ لَكَ وَخَانَتَهُ قَرَبَكَ الْإِيَامُ ^(٤)

= أسود فقال ارتجالا :

إِذَا مَا الْكَأْسُ . . .

ومعناه : إذا كان غيرى يشرب الخمر حتى تضطرب يده من السكر فأبى أبى على صحوى لأنى لا أشربها فلا تحول بينى وبين حواسى .

(١) مضى الكلام عن هذا البيت وعن سابقه .

(٢) هذا البيت تأكيد لبيت سابق عليه هو :

أَنَا مَبْصُرٌ وَأُظُنُّ أَنَّنِي نَائِمٌ مَنْ كَانَ يَعْلَمُ بِالْإِلَهِ فَأَحْلَمَا

ومعناه : قد عظم على ما أراه منك حتى شككت فيما رأيته وصار المعائن عيان اليقين كما متهم الذى لا يدرك بالعيان .

وهو وما قبله من قصيدة قالها وهو فى المكتب يمدح رجلا وأراد أن يستكشفه عن مذهبه أولها :

كُنْ أَرَأْنِي وَبِكَ لَوْ مَكَمُ الْوَمَا هُمْ أَقَامَ عَلَى فُؤَادِ أَنْجَمَا

(٣) يدوس : من الأسى وهو الحزن وسهلت للقفافية لأن أصلها الهمز .

(٤) اللام فى « له » زائدة والضمير راجع إلى الزمان أى من ضايقهم الزمان فيك لنفسه ، ليستأثر

بك دونهم ، وإلحاق اللام بالمفعول قبيح جداً .

في عبارات الجُنَيْدِ والشَّيْبِلِي (١) لتنازعه المتصوفة دهرا بعيدا .

ومن أشد ما قاله في هذا المعنى :

ولكنك الدنيا إلى حبيبة فها عنك لي إلا إليك ذهابُ

ومنها الخروج عن رسم الشعراء إلى الفلسفة كقوله :

وَلَسَجْدَتَ حَتَّى كَدَتَ تَبْخُلَ حَائِلًا لِمُنْتَهَى (٢) ومن السرور بكاء

وقوله :

والأسى قبل فرقة الروح عجز والأسى لا يكون بعد الفراق

وقوله :

إلف هذا الهواء أوقع في الأذى نفس أن الحمام مرّ المذاق (٣)

وكقوله :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شَجَبٍ والخُلْفُ في الشجب (٤)
فقل تَخْلُصُ نفسُ المرءِ سائلةً وقيل تَشْرَكَ جسمُ المرءِ في العطَبِ

وقوله :

خلفت صفاتك في العيون كلامه كالخط يملأ مسمعى من أبصرا (٥)

(١) الجنيد هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق توفي ببغداد ٢٩٧ هـ والشيل هو أبو بكر دلف بن جحدر وقيل جعفر بن يونس الصالح الخراساني الأصل البغدادي المولود والمنشأ توفي ٣٣٤ هـ ببغداد .

(٢) للمنتهى أى من أجل المنتهى وهو مصدر كالاتهاء . والمعنى : قد بلغت في الجود أقصى غاية وطلبت شيئاً آخر وراءه فلم تجد فكنت تحول أى ترجع عن آخره لما انتهيت فيه إذ ليس من شأنك أن تقف في الكرم عند غاية وأكد المعنى بقوله : ومن السرور بكاء

(٣) ورد هذا البيت في الديوان قبل سابقه .

(٤) الشجب : الهلاك .

(٥) الضمير في « كلامه » يعود إلى « خالقك » في البيت السابق وهو :

فدعاك حسدك الرئيس وأمسكوا ودداك خالقك الرئيس الأكبر

وهما في مدح ابن العميد .

خروجه عن رسم
الشعر إلى الفلسفة

وقوله :

تمنع من سهاد أو رقاد ولا تأمل كترى تحت الرجام
فإن لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

قال ابن جني : أرجو ألا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها .

ومنها استكره التخلص ، قال القاضي : لعلك لا تجد في شعره تخلصا ^{مخالصه}
مستكرها إلا قوله : ^{المستكره}

أحبك أو يقولوا جرّ نمل ثبيراً وابن إبراهيم ريعاً
فهذا تخلص ليس عليه شيء من الجمال ، وههنا يكون الاقتضاب أحسن
من التخلص ، فينبغي لسالك هذا الطريق أن ينظر إلى ما يصوغه ، فإن أتاه التخلص
حسنًا أتى به ، وإلا فلليدعه .

وكذلك قال في قصيدته التي أولها :

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا والبين جارع على ضعفى وماعد لا^(١)
« علّ الأمير يرى ذلّي فيشفع لي إلى التي صيرتني في الهوى مثلاً^(٢) »

والإضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره ، وما ألقاه في هذه الهوة^(٣)
إلا أبو نواس حيث قال :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هوى^(٤) لعل الفضل يجمع بيننا
على أن أبا نواس أخذ ذلك من قيس بن ذريح^(٥) ، لكنه أفسده ، ولم يأت به
كما أتى به قيس .

(١) الشطر الثاني ساقط من سائر النسخ .

(٢) كذا في ب .

(٣) كذا في ١ ، ب . سائر النسخ : الهفوة .

(٤) كذا في ١ ، ب . سائر النسخ هواك .

(٥) قيس بن ذريح ، شاعر عذري في العصر الإسلامي ، رضيع الحسين بن علي ، عشق لبني =

ولذلك حكاية : وهو أنه لما هام بِلُبَّتِي في كل واد ، وَجُنَّ بها ، رَقَّ له ^(١)
الناس ورَحِمَوه ، فسعى ابنُ أبي عتيق ^(٢) إلى أن طَلَّقَهَا من زَوْجِها ، وأعادها

إلى قيس وزوَّجَهَا إياه ، فقال عند ذلك :

جَزَى الرَّحْمَنُ أَفْضَلَ مَا يُجَازَى على الإحسان خيراً من صَدِيقِ
وقدْ جَرَّبْتُ إِخْوَانِي جَمِيعاً فما أَلْفَيْتُ كَابِنَ أَبِي عَتِيقِ
سعى في جمع شَمْلِي بعدْ صَدْعِ ورَأَيْ حِدْتُ فِيهِ عن طَرِيقِ ^(٣)
وأطفأ لَوْعَةً كَانَتْ بَقْلِي أَغْصَتْنِي حَرَارَتُهَا بِرِيقِ

وأما قوله :

فَأَفْسَنِي وَمَا أَفْسَتَتْهُ نَفْسِي كَأَنَّمَا أَبُو الْفَرَجِ الْقَاضِي لَهُ دُونَهَا كَهَفٌ ^(٤)

وقوله :

لو استطعت رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُم إلى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بُعْرَانَا

وقوله :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجُ سَابِجٍ وخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ
وبَحْرُ أَبِي الْمَسْكِ الْخِضَمُّ الَّذِي لَهُ على كلِّ بَحْرِ زَخْرَةٌ وَعُبابُ
فَهْي ، وإن لم تكن مستحسنة ، فليست بالمستهجن الساقط .

= بنت الحباب الكعبية ، وقال فيها شعراً غزلياً رائعاً . (ذريح بفتح الذال) : الأغاني ج ٩ طبعة الدار .

(١) ساقط من أ .

(٢) ابن أبي عتيق شاعر حجازي إسلامي من أهل الظرف والمجون ، كانت له حوادث بين انشعراء الغزلين ومحوباتهن .

(٣) كذا في أ ، ب . سائر النسخ : الطريق .

(٤) قبل هذا البيت :

ضنى في الهوى كالم في الشهد كامنا لذت به جهلا وفي الالة الحنف
وفاعل أفنى : ضمير يعود على الضنى في البيت المذكور ، والمعنى أن الضنى أفنى نفسه وما أفنته لأن الممدوح ملجأ له دونها .

ومنها قبيح المقاطع ^(١) : كقوله بعد أبيات أحسنَ فيها غاية الإحسان ، وتَرَقَّى قبيح المقاطع فيها ^(٢) الدرجة العالية ، وهي :

ولله سِرٌّ في عُملاك وإنما كلام العدا ضربٌ من الهديان
أيلتمسُ الأعداءُ بعد الذي رأتُ قيامَ دليلٍ أو وُضوح بَيان
رأتُ كلَّ من يَسْئوِي لك الغدْرُ يَبْتلى بغدرِ حياةٍ أو بغدرِ زمان

ومنها ^(٣) :

قَضَى اللهُ يا كافورُ أنكَ واحدٌ وليس بقاضٍ أن يَرى لك ثاني
فما لك تختارُ القِسيَّ وإنما عن السعد يرمي دُونَكَ الثَّقْلان
وما لك تُعنى بالأسنة والقنا وجدُّك طمعانٌ بغير سِنان
ولم تحمِلُ السيفَ الطويلَ نِجادُهُ وأنت غنيٌّ عنه بالحِمدَ ثَنان
أردُّ لي جميلاً جُدَّتْ أو لم تجدْ به فإنك ما أُحِبَّتْ فيَّ أُناني

هذا البيت الذي هو عُوذَتُها ^(٤) :

لو الفلكَ الدَّوارَ أبغضتَ سَعِيَهُ لعَوَّقَهُ شَيْءٌ عن الدَّورانِ ^(٥)

وكقوله في قصيدة منها :

في خَطِّهِ من كلِّ قلب شهوةٌ حتَّى كأن مِدَادَهُ الأهواءُ
ولكلِّ عينِ قُرَّةٌ في قُربِهِ حتَّى كأن مَنَغِيَبَهُ الأقداءُ

هذا البيت الذي جعله المقطع :

لو لم تكن من ذا الوريِّ اللَّذْمُ منك هوُ عَقِمَتْ بِمولدِ نسلها حواءُ

(١) المقاطع : نهايات القصائد .

(٢) ساقطة من ١ .

(٣) ساقطة من جميع النسخ ، والأبيات غير متصلة .

(٤) العوذة : ما يعوذ به الصبي والمريض ونحوهما .

(٥) في الرواية : وهذا البيت من قلائده إلا أنك تعلم ما في قوله : « شئ » من الضعف الذي يجتنبه

الفحول ، ولا يرضاه النقاد إلى ما فيه من مبالغة مفرطة غير مقبولة .

وكقوله في آخر قصيدة :

خَلَّتِ البلادُ من الغزاةِ ليلَها فأعاضَهاكَ اللهُ كَيَّ لا تَحْزَنَا

ومن ولوع أبي الطيب بالتصغير قوله : « أذم إلى هذا الزمان أهيلته »^(١) .

وما يعاب عليه
ولوعه بالتصغير

وقوله :

مَنْ لِي بفهم أهيل عصر يدعى أن يحسبَ الهنديَّ فيهم باقِلٌ^(٢)

وقوله : « حُيِّبْنَا قَلْبِي فَوَادَى هَيَا جُمْلٌ^(٣) » .

وقوله : « ونام الخويديم عن لَيْلِنَا^(٤) » .

وقوله : « أفي كل يوم تحت ضيبتى شُويعِرٌ^(٥) » .

^(٦) فقد كان مولعاً بالتصغير لا يقنع من ذلك بخلسة المغير ، ولا ملامة عليه ، إنما هي عادة صارت كالطبع ، فما حسن منها مأنوس الربع ، ولكنها تغتفر مع المحاسن . هكذا قال المعري في رسالة الغفران^(٦) .

(١) تمامه : « فأعلمهم قدم وأحزمهم وغد » وهو من قصيدته التي مطلعها : « أقل فعلى بله أكثره مجد » مدح بها على بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي الواحدى طبع أوروبا ص ٢٩٦ .

(٢) البيت من لاميته في مدح القاضي أبي الفضل الأنطاكي ومطلعها :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أواهل

وباقل الذى ضرب به المثل في العى كان قد اشترى ظلياً بأحد عشر درهما ، فر يقوم فسأله بكم اشتريت فمعجز عن الجواب وفتح يديه وفرق أصابعهما ، وأخرج لسانه يريد أن يقول « أحد عشر » فأقلت الظبي منه . وقوله « الهندي » يريد الحساب الهندي ومعنى البيت : يتمنى لو فهم أهل هذا العصر الذين لا يميزون بين الحق والباطل ، ولا يفرقون بين العالم والجاهل حتى لو ادعى باقل بينهم معرفة حساب الهند لم يجد منهم من يكذب دعواه (اقرأ حكاياته في شرح العكبرى على الديوان ج ٣ : ٢٦٠ طبع الحلبي)

(٣) تقدم تمامه ومطلع قصيدته وموضوعها في ص ٣٤٥ .

(٤) تمامه : « وقد تأم قبل عى لا كرى » وهو من قصيدته التي مطلعها :

« ألا كل ما شية الخيزل » يصف فيها خروجه من مصر ويهجو كافورا. الديوان ١ : ٣٦ ، طبعة الحلبي .

(٥) تمامه : « ضعيف يقاوين قصير يطاول » وهو من قصيدة لامية مدح بها سيف الدولة عند

دخول رسول الروم في صفر سنة ٣٤٣ هـ مطلعها :

دروع ملك الروم هذى الرسائل يرد بها عن نفسه ويشاغل

الذيوان (٣ : ١١٢) طبع الحلبي

(٦ - ٦) الكلام على ولوعه بالتصغير ساقط من الأصول ما عدا نسخة ١ . انظر رسالة الغفران =

نُبذة من محاسنه وروائعه وغرائبه وقلائده وفرائده التي زاد فيها على مَنْ تقدم
وسبق بها جميع مَنْ تأخر :

فمنها حسن المطلع كقوله :

فدينك من ربع وإن زدتنا كَرَبًا فإثك كنت الشرقَ للشمس والغربا
نزلنا عن الأكوار نَمْشِي كَرَامَةً لِمَن بان عنه أن نُلِمَّ به رَكْبًا

وقوله :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هوَ أولٌ وهى المَحَلُ الثانى
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة^(١) بلغت من العلياء كل مكان

وقوله :

إذا كان مدحٌ فالنسب المقدمُ أكل فصيح قال شعرا مُتَمِّمُ ؟
لَحَبُّ ابنِ عبدِ الله أولى فإنه به يُبدَأُ الذكرُ الجميلُ ويُختمُ

وقوله :

أعلَى الممالك ما يُبنى على الأسَلِ والطَّعْنُ عندُ مُحِيطِين كالقُبُلِ

وقوله فى الشكاية :

فؤاد ما تسليه المدام وعُمرٌ مثل ماتَهَبُ اللثامُ

== طبعة دار المعارف (٣٤٦ ، ٣٤٧) .

(تنبيه) جملة القول فيما ذكره المؤلف تحت عنوان : « ما ينعى على أبى الطيب من معاييب شعره ومقايجه » من أمثال : قبح المطالع ، والتفاوت فى شعره بالجمع بين البديع النادر ، والضعيف الساقط ، وتعميص اللفظ ، وتمقيد المعنى ، إلى المبالغة فى التكلف ، والزيادة فى التعمق ، والخروج إلى الإفراط والإحالة ، أو السفسة والركاكة ، وما إلى ذلك - جملة القول فى هذا وأشباهه ، كما يقول صاحب الواسطة : « إن هذه المعاييب وأشباهها لو وفى فيها التهذيب حقها ، ولم يبخس التشقيف شرطه ، لانقطعت عنها ألن العيب ، وانسدت دونها طرق الطعن ، لكننا لم نجد شاعراً أشمل للإحسان والإصابة ، والتنقيح والإجادة فى شعره أجمع ، بل قلما نجد ذلك فى القصيدة الواحدة ، والخطبة الفردة ، ولا بد لكل صانع من فترة ، والخواطر لا تستمر بها الأوقات على حال .

(١) مرة : بضم الميم : قوية شديدة .

وقوله أيضاً :

أفاضلُ الناس أغراضٌ لهذا الزمنِ يخذلونهمُ أخطاهمُ من الفِطَنِ

وقوله :

اليومَ عهدكمُ فأين الموعدُ هيهاتَ ليس ليومَ عهدكمُ غدُ
الموتُ أقربُ مِخلباً من بينكمُ والعيشُ أبعدُ منكمُ لا تبعُدوا

وقوله في التهئة بزوال المرض :

المجدُ عوفى إذ عوفيتَ والكُرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألمُ

ومن ابتداءاته التي تُسكر العقول ، وتفعل فعلَ الشَّمول ، قوله في (١) قصيدة
يمدح بها كافوراً ، ويذكر الصلح بينه وبين ابن سيده ، وكانت جرت بينهما
وحشة (٢) ، فبدأ قصيدته بذكر الغرض المقصود ، فقال :

حَسَمَ الصلحُ ما اشتتهه الأعادي وأذاعته ألسنُ الحسادِ
وأرادته أنفسُ حال تدبِ رُك ما بينها وبين المرادِ
صار ما أوضع الخجون (٣) فيه مِن عتاب زيادة في الودادِ
وكلامُ الوشاة ليس على الأح باب سلطانه على الأضدادِ
إنما تنجح المقالة في المر ء إذا وافقت هوى في الفؤادِ

وكذلك قوله في أول قصيدة مدح بها سيف الدولة ، وكان البيطريق (٤) أقسم

(١) كذا في ١ ، هـ . سائر النسخ : من .

(٢) جاء في الديوان (طبع لجنة التأليف) في التقديم لهذه القصيدة : واتصل قوم من الغلمان
بالصبي (الأمير أبي القاسم أو نو جو ر) مولى الأسود فأنكر ذلك عليهم وطالبه بتسليمهم إليه فجرت بينهما
وحشة أياماً ، ثم سلمهم إليه فأثلفهم ، واصطلحوا ، فقال أبو الطيب في ذلك : حمم الصلح . . .

(٣) كذا في ١ ، ب ، والديوان .

(٤) كذا في ١ ، ب . ويريد به بطريق الروم ، وفي القصيدة يقول المتنبي مشيراً إليه :

آلى الفتى ابن شمشق فآحنشه فتى من الضرب تسمى عنده الكلم

ويقال إن هذه القصيدة : عتق اليمن . . . آخر قصيدة قالها المتنبي لسيف الدولة . قال ابن جني :

قلت لأبي الطيب وقت قراءة هذه القصيدة عليه إنه ليس في جميع شعرك أعلى كلاماً من هذه القصيدة
فاعترف بذلك وقال : كانت وداعاً .

برأس مَلِكِهِ أَنَّهُ يُعَارِضُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ فِي الدَّرْبِ ، وَيَجْتَهِدُ فِي لِقَائِهِ ، وَيَثْبُتَنَّ (١) لَهُ ، وَسَأَلَ مَلِكَهُ إِعْدَادَهُ ، وَإِنْجَادَهُ بِبِطَارِقَتِهِ ، وَعُدَّدَهُ ، ففعل ذلك ، فخبب الله ظننه ، وأتبع جده ، وولى هارباً ، فافتتح أبو الطيب قصيدته بفحوى الأمر ، فقال :

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَعَى نَدَمٌ ماذا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ
وَفَى الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ ما دل أنْكَ فِي الْمِعَادِ مُتَّهِمُ

وقوله وقد فارق سيف الدولة ، وسار إلى مصر :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُدَمِّمٍ وَأَمْ وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمٍ

وقوله في الغزل :

أَرِيْقُكَ أَمْ مَسَاءُ الْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ بَيْسَى بَرُودٌ وَهُوَ فِي كَبْدِي جَمْرُ

وقوله أيضاً :

حُشَّاشَةُ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَعُو فَلَمْ أَذَرِ أَىَّ الظَّاعِنِينَ أَشِيعُ ؟

ولأبى تمام ابتداءات غريبة :

منها لما حاصر المعتصمُ عَمُورِيَّةَ زَعَمُ أَهْلُ النِّجَامَةِ أَنَّهَا لَا تَفْتُحُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ ، وَأَفَاضُوا فِي هَذَا ، حَتَّى شَاعَ وَصَارَ أَحَدُوهُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَلَمَّا يَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَهَا عَلَى يَدِ الْمَعْتَصِمِ ، مَدَحَهُ أَبُو تَمَامٍ بِقَصِيدَةٍ عَدِيمَةِ النَّظِيرِ ، وَبَنَى مَطْلَعَهَا عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ، فَقَالَ :

السَّيْفُ أَصْدَقُ لِنَبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْحَدِّ وَاللَّعِبِ
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٍ بَيْنَ الْخَمِيسِينَ لَا فِي السَّبْعَةِ الشَّهْبِ
أَيْنَ الرَّوَايَةِ أَمْ أَيْنَ النُّجُومِ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمَنْ كَذَبِ ؟
تَخْرَصًا وَأَحَادِيثًا مَلْفَقَةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ (٢) إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ

(١) لا وجه لتوكيد الفعل هنا لأنه أجاب القسم بأن .

(٢) كذا في ١ ، ب . النبع : شجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام الواحدة نبتة . الغرب :

يفتحين نبت ضعيف قال المتنبي لسيف الدولة :

وهذا من أحسن ما يأتي في هذا الباب .

وكذلك قوله في أول قصيدة يمدح بها المعتصم ، ويذكرُ خروجَ بآبكَ
الحرّتمى عليه ، وظفّره به :

الحق أبْلَجُ والسيوفُ عواري فحدّارٍ من أسدٍ العَرَيْن حدّارٍ
وقوله متغزلاً :

عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلّما وأن تُعْتَبَ الأيامُ فيهمُ فربما

ومن ابتداءات أبي عبادة البحرى قوله ، وهو غاية في بابه :

يُودَى لويّهوى العذولُ ويعشقُ فيعلمُ أسبابَ الهوى كيفَ تعلّقُ

وأحسن ابتداءات المتقدمين قول امرئ القيس :

خليليّ مرّاً بي على أمّ جُنْدَبٍ نُقِصَّ لُباناتِ الفؤادِ المُعْدَبِ

وقول النابغة :

كلّني لِيَهَمَّ يا أميمة^(١) ناصبٍ وليل أقايسه بطيئٍ الكواكب

قدّمه ابنُ المعتز وغيره لسلامته على قول امرئ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيبٍ ومَنْزِلٍ بِسِقْطِ الدَّوَى بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

لما فيه من عدم التناسب ، فإنه وقف ، واستوقف ، وبكى ، واستبكى ،
وذكر الحبيب والمَنْزِل في نصف بيت عذب اللفظ سهل السبك ،^(٢) ولم يتفق له
مثل ذلك في النصف الثاني بل أتى فيه بمعان قليلة في ألفاظ غريبة ، فباين الأول
بخلاف بيت النابغة ، فإنه لا تفاوت بين قسميه .

= فلا تنك الليل إن أيدىها إذا ضربين كسرت النبع بالغرب

ح ، هـ : ليست بشرق إذا عدت ولا غرب تحريف . د : بياض مكان « نبع »

(١) الرواية بالفتح والقياس ضمها ولم في ذلك أوجه منها : أن من التحويين من يبني المنادى
المفرد على الفتح لأنها تشابه حركة إعرابه - اقرأ الخزانة . ج ١ ص ٢٧٠ .

(٢) الواو في « ولم » ساقطة من ا ، ب .

من ابتداءات
البحرّى الحسان

ومن أحسن^(١) ابتداءات المؤلّد ين قول أبي نواس :

خليلىّ هذا موقفٌ من مُتّيمٍ فعوجاً قليلاً وانظراه يُسَلِّم

وقول إسحاق الموصلى :

هل إلى أن تنام عيني سبيلٌ إنّ عهدى بالنوم عهدٌ طويل

ومن محاسن الابتداءات ما ذكره المبرد في الروضة^(٢)، قال : إن الرشيد غزا غزوةً في بلاد الروم ، وإن نقفور ملك الروم خضع له ، وبذل الجزية ، فلما عاد عنه ، واستقر بمدينة الرقة ، وسقط الثلج ، نقض نقفور العهد ، ولم يجسر أحد على إعلام الرشيد لمكان هيئته في صدور الناس ، وبذل يحيى بن خالد للشعراء الأموال على أن يقولوا أشعاراً في إعلامه ، فأشفقوا من لقائه بمثل ذلك إلا شاعراً من أهل جُدّة يكنى أبا محمد ، فنظم قصيدة ، وأنشدها الرشيد ، أولها :

نقض الذى أعطيتّه نقفورُ فعليه دائرة البوار^(٣) تدور

أبشرُ أمير المؤمنين فإنه فتح أتاكَ به الإلهُ كبيرُ^(٤)

فلما أنهى الأبيات ، قال الرشيد أو قد فعل ؟ ثم غزاه في بقية الثلج ، وحصل له الفتح .

ومن لطيف الابتداءات قول مهيّار^(٥) :

أمّا وهواها حلفَةٌ وتَنَصَّلُا لقد نقل الواشى إليها فأحلا*

فإنه أبرز الاعتذار في هيئة الغزل ، وأخرجه في معرض التشبيب ، وكان وشى به إلى الممدوح ، فافتتح قصيدته بهذا المعنى .^(٦) ومن ذلك قول بعض العراقيين :

وراءك أقوال الشوشة الفواجر ودونك أحوالُ الغرام المخامر

(١) « أحسن » ساقطة من سائر النسخ .

(٢) « الروضة » اسم كتاب للمبرد في الأدب لم ينشر بعد .

(٣) ج ، د : العذاب . البيت ساقط من هـ .

(٤) هـ ، د ، هـ : « فتح أتاكَ من الإله كبير » .

(٥) كذا في د ، هـ . وفي ا ، ب : المهيّار تحريف .

• الديوان : حذرة مكان حلفة .

(٦) ٦ - ٦ ما بين القوسين ساقط من سائر النسخ .

ولولا وَلَوْعٌ منك بالصدّ ماسعواً ولولا الهوى لم أنتدب للمعاذر
فسلك مسلك مهيار ، وزاد عليه في المعاتبة على الإصغاء إلى قول الوشاة
والاستماع منهم ، وذلك من أغرب ما قيل في هذا المعنى ^(١).

ومن الابتداءات الحسنة قول الشاهينى ^(٢) حرسه الله تعالى من قصيدة يمدح
بها من تقصر عن أدنى فضائله ألسنة الأقلام يحى أفندى شيخ مشايخ الإسلام
متع الله ببقائه الأنام [المفتى الآن بدار السلطنة العثمانية حرسها الله تعالى إلى يوم
القيامة] ^(٣).

لا يَسَلُنِي عن الزمان سَوُولٌ إن عتبي على الزمان يطول

وكذلك قوله أدامه الله تعالى ، وأبقى معاليه :

كم أدارى ولستُ ممن يُدارى ليت قلبي في عشقه ^(٤) بالخيار

ومن الابتداءات الحسنة قول شيخنا عالم ^(٥) حَلَسَبَ الشهباء ^(٦) إحدى العواصم ،
بدرِ فلنك الفضل ، وشمس سماء المكارم ، نجم الدين أفندى الأنصارى لازال
ملاحظاً بعين عناية البارى :

أترى الزمانَ يُعيد لي إيتاسي ويرقُّ لي ذاك الحبيبُ القاسي

واعلم أن حسن الابتداء يجرى في النثر كما يجرى في الشعر من ذلك ما قيل
لكاتب : اكتب إلى الأمير ، وعرفه أن بقرةً ولدت حيواناً على شكل إنسان ،
فكتب بعد البسملة : أما بعد حمد الله الذي خلق الأنام ، في بطون الأنعام .
ومن ذلك ما كتب أبو إسحاق الصابى عن الخليفة الطائع لله إلى الأطراف
عند عوده إلى كرسي ملكه ، وزوال ما نزل به من الأتراك ، فقال : الحمد لله ناظم

(١) سائر النسخ : قول أحمد أفندى الشاهينى .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) سائر النسخ : حبه

(٤) كذا في ١ . ب : حالم . تحريف . سائر النسخ : حاكم

(٥) ساقطة من جميع النسخ . والعواصم وتسمى الثغور هي المدن التي يربط فيها العرب لحاية البلاد

من أعدائها المتأخمين لها .

الشَّمْلُ بعد شتاته ، وواصل الحبْل بعد بَسَاتِهِ ، وجابر الوهن إذا نُثِمَ* ، وكاشف الخطب إذا أظلم ، والقاضى للمسلمين بما يَنْصُمُ نَشَرَهُمْ* ، ويشد أزرهم ، ويصلح ذاتَ بَيْنِهِمْ ، ويحفظ الألفة عليهم وإن شابت ذلك فى الأحيان شوائب من الحدّثان ، فلن يتجاوزَ بهم الحدَّ الذى يوقظ غافلَهُمْ ، ويُنَبِّهَ ذاهلَهُمْ ، ثم إنهم عائِدون إلى أفضل^(١) ما أولاهم الله ، وعوَدَهم ووثق لهم ووعدهم من إيمان سِرْبِهِمْ ، وإعذاب سِرْبِهِمْ وإعزاز جانبِهِمْ ، وإذلال مُجانبِهِمْ ، وإظهار دينِهِمْ على الدين كله ولو كره المشركون .

وإذا نظرت إلى فواتح السور رأيتَ من البلاغة والتفنن ما تقصر عن كُنْهِ وصفه^(٢) العبارة كالتحميدات المفتتح بها أوائلُ السور ، وكذا الابتداء بالنداء كقوله فى مفتتح سورة النساء : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ . وفى سورة^(٣) الحج : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، فإن مثلَ هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للإصغاء إليه ، وكذا فى الابتداء بالحروف نحو الم ، حم ، مما^(٤) يبعث على الاستماع والتطلع نحوه ، لأنه يَفْرَعُ السَّمْعَ شَيْءٌ غَرِيبٌ لَيْسَ بِمِثْلِهِ عَادَةٌ .

نبذة من مخالصة

ومن بدائع أبى الطيب حسنُ الخروج والتخلص كقوله :

مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرْبِيهَا فَقَلْتُ لَهَا مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا
فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَالْمُغِيثِ يُرَى لَيْثَ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عِجْلٍ إِذَا انْتَسَبَا^(٥)

* كذا فى ١ ، ب . سائر النسخ : أثلم تحريف .

• النشر بفتحيتين : المنتشر .

(١) ح ، د ، هـ : فضل بدون همزة .

(٢) كذا فى ١ ، ب . سائر النسخ : وصف كُنْهِه . . .

(٣) ساقطة من ١ .

(٤) ح ، د ، هـ : ما .

(٥) البيتان من قصيدة يمدح بها المغيث بن على بن بشر العجلي ومعناها : أنت من الغزلان وترباك اللتان تماشيهما من العرب فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينهما ؟ فقالت لا تعجب من مجانستى للرب وأنا ظبية فإنى كالمغيث تراه من الأسود وهو مع ذلك من بنى عجل .

وقوله أيضاً :

وخرق مكان العيس منه ^(١) مكاننا
ويوم وصلناه بليل كأنما
وليل وصلناه يوم كأنما
وغيث ظننا تحته أن عامرا
أو ابن ابنه الباقي على بن أحمد
من العيس فيه واسط الكور والظهر
على أفقه من برقه حلال حمر
على متنه من دجنه حلال خضر
علا لثم يمت أو في السحاب له قبر
يجود به لو لم أجز ويدي صفر ^(٢)

وقوله :

إذا صلت لم أترك مَصَلا لفاتك
ولإ فخانتي القوافي وعافني
وإن قلت لم أترك مقالا لعالم
عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

وقوله :

حذق الحسان من الغواني هيجن لي
حذق يذم من القوائل غيرها
يوم الفراق صباة وغيللا
بدر بن عمار بن إسماعيل ^(٣)

وقوله :

ولو كنت في أسر غير الهوى
فدتي نفسه بضمان النضار
ضمنت ضمان أبي وائل
وأعطى صدور القنا الذبل ^(٤)

(١) كذا في الديوان . جميع النسخ : فيه .

(٢) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي أولها :

« أطاعن خيلا من فوارسها الدهر »

وفي هذه الأبيات يصف فلاة ويوما وليلا وغيثاً ثم يخلص إلى المدح خير مخلص .

(٣) يذم : من اللام أي يحير . بدر : فاعل يذم والمعنى : أنه يحير من كل ما يقتل إلا من حذق الحسان فإنه لا يستطيع الإجارة منه .

(٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان العدوي من أسر الخارجي ، وكان أبو وائل قد ضمن لهم وهو في الأسر خيلا طلبوها منه ، وما لا اشترطوه عليه ، فأقاموا ينتظرون وصول الخيل والمال ، فصحبهم جيش سيف الدولة وأبادهم ، وقتل الخارجي . وحسن التخلص باد في قوله : « ضمنت ضمان أبي وائل » .

ومما جاء من التخلصات الحسنة قوله :

وأوردت نفسي والمهند في يدي موارد لا يُصدِرْنَ من لا يُجَالِدُ^(١)
ولكن إذا لم يحمل القلب كفه على حالة لم تحمل القلب ساعده^(٢)
خليلي إني لا أرى غير شاعر فليم منهم الدعوى ومنى القصاصد
فلا تعجبا ، إن السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد

هذا هو^(٣) الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض ألا ترى أن الخروج إلى مدح المملوح في هذه الأبيات ، كأنه أفرغ في قالب واحد ، وهو من بدائع المشهورة . وكذلك قوله أيضا ، وهو من أحسن ما يأتي به من التخلصات ، وهو في قصيدته الثائية^(٤) التي أولها :

سرب محاسنه عمدت ذواتها . داني الصفات بعيد موصوفاتها^(٥)
فقال في أثنائها :

ومطالب فيها الهلاك أثبتتها ثبتت الجنان كأنني لم آتتها
ومقارب بمقارب غادرتها أقوات وحش كن من أقواتها^(٦)
أقبلتها غرر الجياد كأنما أيدى بنى عمران في جبهاتها^(٧)
الثابتين فروسة كجلودها في ظهرها والطنن في لباتها^(٨)

(١) المعنى : أنه يورد نفسه موارد في الحرب لا يسلم منها إلا الشجاع المجالد .
(٢) أى أن قوة الضرب إنما تكون بالقلب لا بالكف ، فإذا لم تقو الكف بقوة القلب لم تقو بقوة الساعد . وحسن التخلص واضح في البيت الرابع .

(٣) ضمير الفصل زيادة عن « ا » .

(٤) كذا في ا ، ب . وفي سائر النسخ : الهاثية .

(٥) عدمت : كذا في جميع النسخ وفي هامش « ا » إشارة إلى رواية عن نسخة : « حرمت » وهي رواية العكبرى وقد انفردت « ا » بإيراد بيت المطلع كله .

(٦) المقارب : جمع مقرب كبير وهو الطائفة من الخيل . والمعنى : رب جيش من الفرسان لقيته بمثله من أصحابي فتركته قوتا للوحوش التي كانت قوتا له .

(٧) أقبلته الشيء : جعلته قبالة أى مواجهاً له . يشبه بياض غرر خيله بنم المملوحين . وفي جميع النسخ « عمار » في موضع عمران وهو تحريف . لأن القصيدة في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران كما في شرح التبيين . ويؤيده رواية في هامش « ا » . وقوله : « جبهاتها » كذا في معظم الأصول وفي « ا » حياتها وفي « ب » حياتها « ولا معنى لها » .

(٨) ا ، ب والديوان : كجلودها . بقية النسخ كجياها تحريف .

ومنها :

تلك النفوسُ الغالباتُ على العلا والمجدُ يَغلبها على شهواتها
سَقِيَّتْ منابتها التي سَقَّتْ الوري بيَدَيَّ أبي أيوب خير نباتها^(١)
فانظر إلى هذين التخلّصين البديعين ، فالأول خرج به إلى مديح الممدوح ،
والثاني خرج به إلى نفس الممدوح . وكلاهما قد أغرب فيه كل الإغراب .
وقوله :

نودعهم والبين فينا كأنه قسنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

وهذا النوع مهم من مهمات البلاغة ، وحقيقته : أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني ، فيبينها هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره ، وجعل الأول سبباً إليه ، فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير أن ينقطع كلامه ، ويستأنف كلاماً آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً ، وذلك مما يدل على حذق الشاعر ، وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ، ويكون متبعاً للوزن والقافية ، فلا تواتيه الألفاظ على حسب إرادته .

وأما النائر فإنه مطلق العنان يمضي^(٢) حيث شاء ، فلذلك يشق التخلّص على الشاعر أكثر مما^(٣) يشق على النائر .

ومن بديع ما أتى في هذا الباب ونادره قول أبي تمام :

يقول في قومسٍ صبحي وقد أخذتُ منا السُرى وخُطَا المهريةِ القُودِ
أَمَطَّلَعَ الشمس تبغى أن تَؤُمَّ بنا فقلت كلا ولكن مَطَّلَعَ الجودِ^(٤)

من مخالص
أبي تمام

(١) يروى : بندي بدل : بيدي . والمعنى : أن آباء الممدوحين الذين أحيوا الناس بجودهم قد حيى مجدهم بجود هذا الممدوح وهو خير أبنائهم .

(٢) د : يمضي به .

(٣) جميع النسخ : ما يشق والتفضيل يقتضى : مما .

(٤) في «أ» ، «ب» والديوان والصولي أخبار أبي تمام يقول «في قومس صبحي» وفي غيرها تحريف وليس في الديوان من القصيدة غير هذين البيتين . وهما في مدح عبد الله بن طاهر وقد خرج إليه الشاعر =

وقوله أيضا في وصف أيام الربيع :
 خُلِّقَ أَطْلٌ مِنَ الرَّبِيعِ كَأَنَّهُ خُلِّقَ الْإِمَامُ وَهَدِيَهُ الْمَتِيسِرُ^(١)
 فِي الْأَرْضِ مِنْ عَدَلِ الْإِمَامِ وَجُودِهِ وَمِنَ النَّبَاتِ الْغَضِّ سُرُجٌ تَزْهَرُ^(٢)
 تُنْسَى الرِّيَاضُ وَمَا يُرَوِّضُ جُودُهُ أَبْدَأُ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُذَكِّرُ^(٣)
 وَهَذَا مِنْ أَلْطَفِ التَّخْلِصَاتِ وَأَحْسَنَهَا .
 وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

« أَمَا الرِّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرَنِي مَا سَلَفَا^(٤) » .

غِيدَاءُ جَادَ وَلَيْتُ الْحَسَنُ سُنَّتَهَا فَصَاغَتْهَا بِيَدَيْهِ رَوْضَةً أَنْفَا^(٥)
 يُضْحِي الْعَذُولُ عَلَى تَأْنِيهِ كَكَلْفَا بَعْدَ مَنْ كَانَ مَشْغُوفًا بِهَا كَكَلْفَا^(٦)
 يَجَاهِدُ الشُّوقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْذِبُهُ جِهَادُهُ لِلْقَوَافِي فِي أَبِي دُلْفَا^(٧)
 وَهَذَا أَحْسَنُ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَأَدْخَلَ فِي بَابِ الصَّنَاعَةِ ، وَكَذَلِكَ^(٨) جَاءَ قَوْلُهُ :

= وقوس : صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل . والمهرية : الإبل الكريمة منسوبة إلى بلاد مهرة بن حيدان من اليمن . والقود : الطويلات الأعناق .

(١) « أطل » بالطاء المهملة كذا في « ١ » وفي سائر النسخ : أطل . والروايتان في الديوان شرح التبريزي . « المتيسر » كذا في جميع النسخ .

(٢) « سرج » : جمع سراج وأصله بضم الراء وخفف للشعر .

(٣) « وما يروض جوده » في جميع النسخ وروى : « وما يروض فعله » والأبيات من قصيدة يمدح بها المعتصم أولها :

رَقَّتْ حَوَاشِي الْمَهْرِ فِيهِ تَمَرُّرٌ وَغَدَا الثَّرَى فِي حَلِيهِ يَتَكَسَّرُ
 (٤) « هو مطلع قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي وعجزه :

« فلا تكفن عن شأنك أو يكفا »

(٥) غيداء : ناعمة . الولي : المطر الثاني الذي يلي الأول وهو الوسمي . السنة : الوجه

والصورة . روضة أنفا : لم ترعها الدواب من قبل .

(٦) « مشغوبا » كذا في ١ ، ب وفي سائرهما : مشغولا وفي الديوان : مشغوبا .

(٧) كذا في الأصول . وروى البيت أيضا هكذا :

يَجَاهِدُ الشُّوقَ طَوْرًا ثُمَّ تَرْجِعُهُ مَجَاهِدَاتِ الْقَوَافِي فِي أَبِي دَلْفَا

وفي هبة الأيام للمؤلف ص ١٠٦ روى هذا البيت والذي بعده على هذا النحو :

يَجَاهِدُ الشُّوقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْذِبُهُ إِلَى جِهَادِ الْقَوَافِي فِي أَبِي دَلْفَا

بجوده انصاعت الأيام لابهة شرح الشباب وكانت جلة شرفا

وقال في شرحهما : هذا من محاسن مخلصه المشهورة . يقول : يجاهد الشوق ثم يجذبه إلى جهاد القوافي

في الذي رجعت الأيام شابة بجوده ، وكانت مسنة . والشرف : جمع شارف ، وهي المسان من الإبل .

(٨) وكذلك : كذا في ١ ، ب ، ج ، د ، هـ ، ولذلك ، ولا معنى للام هنا .

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا منها طُلُول باللوى ورسوم^(١)
 لا والذي هو عالم أن النوى صَبِيرٌ وأن أبا الحسين كريم^(٢)
 ما حُلْتُ عن سنن الوداد ولا غدت^(٣) نفسى على ألف سيواك تحوم^(٤)

وهذا خروج من غزل إلى مديح أغزل منه .

ومن البديع في هذا الباب قول أبي نواس من جملة قصيدته المشهورة التي أولها :

* أجارة بَيْتَيْنَا أبوكَ غيور^(٥) *

فقال عند الخروج إلى ذكر المدوح :

تقول التي في بيتها خَفَّ مَرَكَبِي عزيزٌ علينا أن نراك تسير
 أمّا دُونَ مَصْرِ لِلْغَنَى مُتَطَلِّبٌ بلى إن أسباب الغنى لكثير
 فقلتُ لها واستعجَلَتْهَا بَوَادِرُ جرت فجرى في إثرهن عير
 ذريني أكَثِرْ حاسديك برحلة إلى بلد فيها الخصبُ أمير^(٥)

والشعراء متفاوتون في هذا الباب ، وقد يُقصر عنه الشاعر المُفْلِقُ المشهور بالإجادة في إيراد الألفاظ ، واختيار المعاني ، كالبحرّى ، فإن مكانه من الشعر لا يُجهل ، وشعره السهلُ الممتنعُ الذي تراه كالشمس : قريباً ضوءُها بعيداً مكانُها ، وكالقناة ليناً مسّها خَشِنًا سِنَانُهَا ، وهو على الحقيقة قينة الشعراء في الإطراب ، وعَنَقَاؤُهُم في الإغراب ، ومع هذا ، فإنه لم يُوفق في التخلص إلى

(١) كما عفا : كذا في جميع الأصول وفي الديوان : عفت .

(٢) صبر : كذا في أ ، ب ، د ، هـ وفي ح ، بين السطور في د : مر .

(٣) وهذه الأبيات من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شابة وأولها :

أَسَقِ طَلُوهْمَ أَجْشَ هَزِيمٍ وغدت عليهم نصرة ونعيم

(٤) بيتينا : كذا في ب ، د ، هـ والديوان والبيت مطلع قصيدة يمدح فيها الخصب ، وكان

والى مصر من قبل الرشيد وعجزه :

* وميسور ما يرجى لديك عسير *

(٥) إلى بلد فيها : كذا في أ ، ب . وسائر النسخ : فيه ، والتذكير أغلب . ورواية الديوان طبع

الحميدية المصرية ١٣٢٢ هـ : عن بيتها ، في جرّين ، بلد فيه بدل (فيها) كما في أ ، ب .

المديح ، بل اقتضبه اقتضاباً ، وليس له من ذلك إلا اليسير ، كقوله في قافية الباء من قصيدة :

وكفّاني إذا الحوادثُ أظلمتُ ن شهابا بغرّة ابن شهاب ^(١)

من مخلص
البحري

وكقوله :

قصدتُ لنجران العراقِ ركباً فطلبنَ أرجبها مَحِلّة ماجد ^(٢)
آليتُ لا يلقَيْن جَدّاً صاعداً في مطلبٍ حتى تُنَاخَ بِصاعدٍ ^(٣)

وكقوله في قصيدته التي أولها :

« حلفت لها بالله يوم التفرق ^(٤) » *

فإنه تشوق فيها إلى العراق ^(٥) من الشام ، فوصف العراق ومنازله ورياضه ، فأحسن في ذلك كله ، ثم خرج إلى مدح الفتح بن خاقان فقال :

رباعٌ من الفتح بن خاقان لم تزل غنيّ لفقير ، أو فكّاكاً لمُوثق ^(٦)

(١) بغرة : كذا في ح وهو الصواب ، وفي سائر النسخ بمرّة .

والبيت من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب وأولها :

ما على الركب من وقوف الركاب في مخاف الصبا ورسم التصابي

(٢) هذا البيت ساقط من النسخ ما عدا ١ ، ب وفيهما ركبانا في موضع : ركبانا . ومالك في

موضع : ماجد : تحريف وهو من قصيدة يمدح فيها صاعد بن مخلد وأولها :

قل للخيال إذا أردت فعاود تدن المسافة من هوى متباعد

(٣) هذا البيت متصل بما قبله في القصيدة وهو موضع الشاهد - وهما في مدح صاعد بن مخلد أحد

ممدوحى البحرى . ورواية الديوان طبع هندية : لا يلقَيْن ، حتى ينخن .

(٤) تمامه : « وبالوجد من قلبي بها المتعلق » والقصيدة في مدح الفتح بن خاقان كما في الديوان طبعة

هندية ١٩١١ م ص ١٢٢ ج ٢ وفي المثل السائر (١ : ٣٠٨) طبعة الحلبي فقد لهذا المطلع لما فيه من تقديم وتأخير فراجع .

(٥) « إلى العراق » كذا في ١ ، ب وسائر النسخ : للعراق .

(٦) في الديوان : (غنيّ لعدم أو فكّا كما لمهق) .

ثم أخذ في مدحه بعد ذلك بضروب من المعاني ، وكذلك ورد قوله في قصيدته التي أولها :

* ميلوا إلى الدار من ليلي نحييها ^(١) *

فإنه وصف البركة فأبدع ، ثم خرج منها إلى مدح المتوكل ، فقال :
 كأنها حين لحت في تدفقها يدُ الخليفة لما سال واديهما
 وأحسنُ ما وجد له وهو ما تلتف فيه كلَّ التلطف قوله في قصيدته التي يمدح
 بها ابن بسطام ومطلعها :

* نصيب عينيك من سَحَّ وتسجَم ^(٢) *

فقال عند تخلصه :

* هل الشباب مُلِمٌ بي فراجعة ^(٣) *

لو أنه نائل غمرٌ يُجادُ به إذاً تطلبته عند ابن بسطام ^(٤)
 وله مواضع آخر ^(٥) يسيرة بالنسبة إلى كثرة شعره .

ومما استُظرف في هذا النوع قول ابن ^(٦) الزمكدم الموصلی :

وليل كوجه البَرِّ قَعِيدِي ^(٧) ظُلْمَةٌ وبردِ أغانيه وطولِ قُرُونِه
 سريتُ ونفوي عن جفوني ^(٨) مُشَرَّدٌ كعقل سليمان بن فهد ودِينِه

أبيات عجيبة
 في بابها

(١) تمامه : نم ونسألها عن بعض أهلها (الديوان : ٢ - ٣١٨)

(٢) تمامه كما في المخطوطة رقم ١٥٣١ أدب بدار الكتب المصرية « وحظ قلبك من بث وتهيام »

(٣) تمامه كما في النسخة المشار إليها آنفاً : أيامه لي في أعقاب أيام

(٤) لو أنه نائل غمر يُجادُ به لقد تطلبته عند ابن بسطام

كذا في المخطوطة المشار إليها وفي جميع النسخ تحريف في الشطر الأول .

(٥) « وله مواضع أخرى » كذا في ١ ، ب وفي سائر النسخ « مواضع آخر »

(٦) « ابن الزمكدم » كذا في جمع النسخ ونهاية الأرب (٧ : ١١٩) وديوان المعاني (١ :

١٩٥) إلا « د » ففيها اللامكدم بالبدال المهملة وهو تحريف .

(٧) البرقعدي منسوب إلى برقيد وهي بليدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين .

(٨) في نهاية الأرب ج ٧ ص ١٢٠ : ونفوي فيه نوم ...

على أولئك فيه التفاتٌ كأنه أبو جابر في خبطه وجنونه^(١)
إلى أن بدا ضوءُ الصباح كأنه سنا وجهه قِرواش وضوءُ جبينه

وهذه الأبيات لها حكاية ، وذلك أن شرف الدولة قِرواش^(٢) صاحبَ
الموصل كان جالسا مع ندمائه في ليلة من ليالي الشتاء في جملة هؤلاء الذين هجاهم
الشاعر ، وكان البرقيدي مُغنياً ، وسليمانُ بن فهد وزيراً ، وأبو جابر حاجباً ،
فالتمس شرفُ الدولة من هذا الشاعر أن يهجوَ المذكورين ويمدحه ، فذكر
هذه الأبيات ارتجالاً ، وهي غريبة في بابها ، لم يسمع بمثلها ، ولم يترض قائلها
بصناعة التخلص وحدها ، حتى رقى في معانيه المقصودة^(٣) إلى أعلى منزلة ، فابتدأ
البيت الأول بهجو البرقيدي ، فهجاه في ضمن مراده ، وذكر أوصاف ليالي
الشتاء جميعها ، وهي الظلمة ، والبرودة ، والطول ، وكذلك البيت الثاني والثالث ،
ثم خرج إلى المديح بالطف وجهه ، وأدق صنعة ، وهذا يسمى الاستطراد .

ومما يجرى على هذا الأسلوب ما ورد لابن حجاج^(٤) البغدادي :

ألا يا ماء دجلة لست تدرى باني حاسدٌ لك طول عمرى
ولو أنى استطعت سكرت سكرًا عليك فلم تكن يا ماء تجرى^(٥)

(١) الأولق : الجنون ، يريد على فرس ذي أولق . وفيه التفات : معناه يكثر التلفت في سيره
يمتد ويسير ، فلا يستقيم في وجهة واحدة ، بل يخبط في سيره .

(٢) « قِرواش » هو قِرواش بن مقلد أمير بنى حنظل في حلب ، وقد جاء في النسخ ممنوعاً من الصرف
ولا وجه له .

(٣) « المقصورة » كذا في ١ . وفي سائر النسخ المخصوصة .

(٤) ابن حجاج البغدادي : هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج ،
أحد كبار شعراء الدولة العباسية ، امتاز بفنون المجون والدعابة والملح مما فشا في بغداد في القرن الرابع الهجري
حين بلغت الدولة غاية التحضر ، واستكملت فنون الترف ، فكان شعره فكاهة أصحاب المجالس ، وطرفة
أهل الحدو والهزل ، وراج رواجاً عظيماً على ما به من إسفاف وصغف ، وبعد عن مناهج أهل الحشمة والوقار .
توفي ببلد يقال له النيل سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، وكان من كبار شعراء الشيعة . (انظر ترجمته في يتيمة
الدهر للشمالي (٢ - ٢١١) ، وفي ابن خلكان طبعة الميمنية (١ : ١٥٥) وفي كتاب الكنى والألقاب
لعباس بن محمد القمي (١ : ٢٤٥) .

(٥) سكرت سكرًا : يعنى أقمت سدا يمترض مجراك .

فقال الماءُ ما هذا عجيب بِمِ استوجبتُهُ ياليت شعري^(١)
فقلت له لأنك كل يوم تمر على أبي الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شيءٌ يضيق عن احتمال فيه صدرى

ولا يُظَنُّ أن هذا الشيء انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة واللطفة ، وفات
مَن تقدمهم من العرب لما عندهم من قَشَف العيش ، وغلظ الطبع ، بل قد سبق
أولئك^(٢) إلى هذا الأسلوب ، وإن أقلوا منه وأكثر المحدثون ، وأى حسن من محاسن
البلاغة والفصاحة لم يسبقوا إليه ؟ وكيف لا وهم أهله ، ومنهم عُلَم ، وعنهم فُهم ،
فما جاء للفرزدق قوله :

وركب كأن الريحَ تطلبُ عندهم لهايرةٌ من جَذَبها بالعصائب
سَرَواً يَخْبِطون الليل وهي تَلْفُهم إلى شُعَب الأكوارِ من كل جانب
إذا آنسوا ناراً يقولون ليها وقد خَصِرَتْ أيديهم نارُ غالب^(٣)

فانظر إلى هذا الاستطراد ، ما أفحله وأفخمه !^(٤) .

* * *

(١) ما هذا عجيب : بتقدير همزة الاستفهام قبله .

(٢) أولئك : إشارة إلى العرب .

(٣) خصرت : بردت . وفي جميع النسخ : خصرت بالحاء المهملة - تحريف ، ولأبيات الفرزدق
هذه قصة في كتب الأدب . قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (طبعة بريل بليدن سنة ١٩٠٢ ص ٢٤٢ -
٢٤٣) : دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ، وسليمان ولي عهد ، ونصيب عنده فقال سليمان :
أنشدنا يا أبا فراس ، وأراد أن ينشده بعض ما امتدحه به فأنشده : وركب . . . إلى آخر الأبيات
الثلاثة . فغضب سليمان ، فأقبل على نصيب فقال : أنشد مولاك يا نصيب ، فأنشده :

أقول لركب قافلين لقيتهم قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان إذنى لمعرفه من آل ودان طالب
فماجوا فأنشوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب

فقال له سليمان : أحسنت ، وأمر له بصلة ، ولم يصل الفرزدق ، فخرج الفرزدق وهو يقول :
وخير الشعر أكرمه رجلا وشر الشعر ما قال العبيد

(٤) الكلام الذى أورده المؤلف في التلخيص هنا منقول معظمه من المثل السائر لابن الأثير في
التلخيص والاقتضاب .

ومن بدائع أبي الطيب التشبيب بالأعرابيات ، كقوله :

مَنْ الْجَاذِرُ فِي زِي الْأَعْرَابِ حُمْرُ الْحَلَايِ وَالْمَطَايَا وَالْجَلَالِيْبُ^(١)
 إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شَكَا فِي مَعَارِفِهَا فَنَ بَلَاكَ بِتَسْهِيْدٍ وَتَعْذِيْبِ
 سَوَائِرُ رِمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا مَنِيْعَةٌ بَيْنَ مَطْعُوْنَ وَمَضْرُوْبِ
 أَيْ لَشِدَّةِ الرِّغْبَةِ فِيْهِنَ ، وَكَثْرَةِ الذَّبِّ عَنْهُنَّ ، وَالْمَحَارَبَةِ دُونَهُنَّ .

وَرِمَا وَخَدَّتْ أَيْدِي الْمَطَى بِهَا عَلَى نَجِيعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصُوبِ
 كَمْ زُورَةٍ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةٍ أَدهى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زُورَةِ الذِّبِّ
 أَزُورَهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْتَنِي وَبِإِسَاضِ الصَّبْحِ يَغْرِى بِي
 قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سَكْنِي مَرَاتِعِهَا وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيْضٍ وَتَطْنِيْبِ
 فَوَادُ كُلِّ حُبٍّ فِي بِيُوْتِهِمْ وَمَالُ كُلِّ أَخِيْذِ الْمَالِ مُحْرُوْبِ^(٢)
 مَا أَوْجَهُ الْحَضْرَ الْمُسْتَحْسِنَاتُ بِهِ كَأَوْجِهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِيْبِ^(٣)
 حَسَنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوْبٌ يَتَطَرِيَةُ وَفِي الْبَدَاوَةِ حَسَنٌ غَيْرُ مَجْلُوْبِ
 أَفْدَى ظَبَاءَ فَلَاحَةٍ مَا عَرَفْنَاهَا بِهَا مَضْغُ الْكَلَامِ وَلَا صَبْغُ الْحَوَاجِيْبِ^(٤)
 وَلَا بَسْرَزْنَ مِنَ الْحَمَامِ مَائِلَةً أَوْرَاكُهُنَّ صَقِيْلَاتِ الْعَرَاقِيْبِ
 وَمَنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةٌ تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِيْبِيْ غَيْرَ مَخْضُوْبِ
 وَمَنْ هَوَى الصَّدُقَ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ رَغِيْبُ عَنْ شَعَرٍ فِي الْوَجْهِ مَكْذُوْبِ^(٥)

وَنَاهِيكَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ جَزَالَةً وَحَلَاوَةً . وَلَهُ طَرِيقَةٌ فِي وَصْفِ الْبَدَوِيَّاتِ ، وَقَدْ تَقَرَّرَ بِحَسْنِهَا فَأَجَادَ مَا شَاءَ فِيْهَا ، فَهِنَا قَوْلُهُ :

هَامُ الْفَوَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنْتُ بَيْتَا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمْتَدُّ لَهُ طُنْبَا
 مَظْلُوْمَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيْهِهِ غُصْنَا مَظْلُوْمَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيْهِهِ ضَرْبَا

(١) حمر الحلي : كناية عن كون حليها ذهباً . والحرمة لون ملابس الأشراف عند العرب يعني أنهم من نساء الملوك .

(٢) نسائهم جميلات يأسرن القلوب ، ورجالهم شجعان يهبون الأموال . والمحروب : من أخذ ماله .

(٣) الرعايب : جمع رعبوبة ، وهي الطويلة الممتلئة .

(٤) مضغ الكلام : ترك إبانته تخشناً كمادة الحضريات .

(٥) ومعنى البيت أنه لحب الصدق في كل شيء ترك الشعر المكذوب في وجهه ، أي أنه ترك

وقوله أيضا :

إن الذين وقفْت واحتملوا أيامهم ليديارهم دُول^(١)
الحسنُ يرحل كلما رحلوا معهم وينزل كلما نزلوا
في مقلَّتني رشأ تديرها بدويةٌ فُتِنْتُ بها الحلل^(٢)
تشكو المطاعم طول هجرتها وصدودها فن الذي تصل

بصفها بقلة الأكل وهو محمود فيهن جدًّا .

ما أسأرت في القعب من لبن تركتته وهو المسك والعسل^(٣)
قالت : ألا تصحو فقلت لها أعلمتني أن الهوى ثمل^(٤)

وقوله :

ديار اللواتي دارهن عزيزة بطول القنا يُحفَظُن لا بالتأم
حسانُ الثني ينقشُ الوشي مثله إذا مسن في أجسامهن النواع^(٥)
وييسمن عن درّ تقلدن مثله كأن التراق وشحت بالمباسم

ومنها حسن التصرف في سائر أنواع الغزل ، كقوله :

قد كان يمنعني الحياء من البكا فالיום يمنعه البكا أن يمنعا^(٥)

حسن تصرف
المتنبي في سائر
أنواع الغزل

(١) ، ١ ، ب والديوان : أيامهم ليديارهم .

(٢) الحلل : بكسر الحاء جمع حلة وهي جماعة البيوت المتدانية ، ويريد أهلها .

(٣) يريد عذوبة ريقها ، وطيب رائحة فيها ، وفيه نظر إلى قول جميل :

فلو تغلت في البحر والبحر مالح لعاد أجاج البحر من ريقها عذبا

(٤) شبيه بهذا البيت قول الآخر :

منعمة بيضاء لو دب محول على جلدها بضت مدارجه دما

والمحول : الصغير من النمل .

(٥) (البكا) كذا في الديوان . جميع النسخ (الحيا) في موضع البكا . يقول : كان حياي يغلب بكائي ، فالיום يغلب بكائي حياي . أي أن الحياء كان غالبا على البكاء ، واليوم قد غلب البكاء على الحياء .

حَتَّى كَأَن لِّكُلِّ عَظْمٍ رَّئِةٌ فِي جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِرْقٍ مَدْمَعَةٌ^(١)
 سَفَرَتْ وَبَرَّقَعَهَا الْحَيَاءُ بِصَفْرَةٍ سَتَرَتْ حِمَاسَتَهَا وَلَمْ تَكْ بُرْقَعًا
 فَكَأَنَّهَا وَالِدَمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ذَهَبُ بَيْسِمِطَى لَوْلُو قَدْ رَصَعًا^(٢)
 كَشَفَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبَ مِنْ شَعْرَهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيْلَى أَرْبَعًا
 وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِي الْقَمَرِينَ فِي وَقْتٍ مَعًا

وهي مما يُتَغْنَى بها في المجالس لرشاققتها ، وبلاغتها كل مبلغ ، من حسن اللفظ ، وجودة المعنى ، واستحكام الصنعة ، وقوله :

كَأَنَّمَا قَدَّهَسَا إِذَا انْفَقَلَتْ سَكْرَانُ مِنْ خَمِرٍ طَرَفَهَا ثَمَلٌ^(٣)
 يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَصْرِهَا عَجْزُ كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجَلٌ
 وقوله أيضا :

كَأَن الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخِتَاتٌ فَلَمَّا سِرْنَ سَالَا
 لِبِسْنَ الْوَشْيَ لَا مُتَجَمَّلَاتٍ وَلَكِنْ كَيَّ يَتَصَّنُّ بِهِ الْجَمَالَا
 وَضَفَرْنَ الْغَدَائِرَ لَا لِحُسْنٍ وَلَكِنْ خِيفَنَّ فِي الشَّعْرِ الضَّلَالَا

وهذا من إحسانه المشهور الذي لا يشق غباره فيه^(٤).

ما قاله ابن
الأثير

قال ابن الأثير الجَزَرِيُّ : اعلم أني وجدتُ الأئمة من علماء العربية يقفون مع تقدم الزمان في تفضيل الشعراء ، ويتركون النظر في فضيلة أشعارهم في هذا بين أمرين : إما أنهم لم يحققوا معرفة علم البيان من الفصاحة والبلاغة ، ولا نقّبوا عن أسرارهما اللفظية والمعنوية ، وإما أنهم رأوا أن الفضيلة للزمن ، ونسوا قول النبي صلى الله

(١) ١ ، ب والديوان : « لكل عرق مدمعا » وفي « د » « ولكل عظم » .

(٢) « فوقها » أي فوق الصفرة في البيت السابق كما في الديوان .

(٣) انفتلت : مثت . الثمل : السكران .

(٤) « فيه » زيادة عن ١ ، ب وهي في اليتيمة . والحق أن المتنبي كان كثير الغزل ، ولكن غزله

صناعي على الرغم من جودته ، وقد صرح في بعض المواطن أنه لم يقصد الغزل ، وإنما يكنى به عن غيره كقوله :

عليه وسلم : نحن الآخرون السابقون . أى نحن الآخرون زمانا السابقون فضلا ، وهذا الحكم يقع فى كل من تأخر زمانه وتقدم ، ولذلك أقول : إن فى الشعراء من المتأخرين من فاق الأولين ، والذي أدانى إليه نظر الاجتهاد دون التقليد : أن جريراً والفرزدق والأخطل أشعر ممن تقدم من شعراء الجاهلية ، وبينهم وبين أولئك فرقٌ بعيد ، وإذا استفتيت قلت : إن أبا تمام والبحرئى والمتنبئ أشعر من الثلاثة المذكورين ، وليس عندى أشعر منهم فى جاهلية ولا إسلام ^(١) فإن أبا تمام وأبا الطيب قد غاصا على المعانى فعمقا ، ودقفا ، وأتيا بكل غريبة ، وأما البحرئى فإنه أتى بديباجة السبك التى ليست لغيره ، فإن أولئك قالوا ما قالوه فى غير تنقيب ، ولا تنقير ، ولا حفظ ، ولا درس ، فشذ عنهم الشيء الكثير من المعانى الدقيقة ، وأما الألفاظ فإنهم أتوا بمحاسنها ولم يفتهم شيء منها ، لكنها توجد متفرقة فى أشعارهم ، وخلطوها ^(٢) بما قبض من الألفاظ ، والمتأخرون حصلوا على القسمين معاً ، لأنهم نقبوا ، وحفظوا ، ودرسوا ، وأتقنوا ، فترى الشاعر منهم قد حوى شعره ما تفرق فى أشعار كثيرة من شعراء العرب ، وإذا أنصف الناظر ، وترك التحامل ، ثم ترك التقليد ، علم أن حرف الميم وحرف اللام من شعر أبى الطيب المتنبي ^(٣) قد تضمننا من الجيد النادر ما لم يتضمنه شعر أحد الفحول من شعراء العرب ، وكأنى بسامع قولى هذا ، وقد ربا غيظا ، ودارت عيناه ، (وليس ذلك إلا محض تقليد وجهل بمعرفة أسرار الألفاظ والمعانى) ثم قال ^(٤) : كيف ^(٥) يشبه المتنبي بامرئ القيس ، أو من كان فى طبقته ؟ فأقول : إن كان لأحدهم رأسان ، أو لسانان ، أو كان له أربعة أرجل ، أو كان النظر إنما هو فى تقدم الزمان ، فلا شك أن أولئك أشعر ، وإن كان النظر إنما هو فى الألفاظ والمعانى فلو عاش امرؤ القيس ، ثم مات ، ثم عاش ، لما أداه فكره إلى تدقيق النظر فى هذا المعنى الذى أورده المتنبي فى قوله :

(١) « فى جاهلية ولا إسلام » : كذا فى ١ ، ب وفى بقية النسخ : فى الجاهلية ولا الإسلام .

(٢) فى جميع النسخ : ويخلطوها ولعلها محرقة عن : يخلطونها أو عن خلطوها .

(٣) قد استغرقت هاتان القافيتان أكثر من ثلث الديوان .

(٤) « ثم قال » : أى سامع قوله المعترض عليه وهو معطوف على قوله : ربا غيظا ودارت عيناه .

(٥) « كيف » عن « ١ » وسدها وهذه الزيادة قيمتها فى فهم النص .

لو قلتَ للدَّنِفِ المشوقِ فدبتُهُ^(١) مما به لأغرته بفدائه^(٢)
ولا أن يقول في مرثية امرأة^(٣) :

قد كان كلُّ حجابٍ دون رؤيتها
ولا رأيتَ عيونَ الإنسِ تُدرِكُها
فما قنعتَ لها يا أرضُ بالحجبِ
فهل حسدتَ عليها أعينَ الشُّهبِ
ولا أن يقول في مرثية امرأة أيضاً^(٤) :

وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عيبٌ
ولو كان النساءُ كَمَنَ فقَدنا
ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ
لَفُضِّلَتِ النساءُ على الرجالِ

على أني ما تركت ديوان فحل من فحول الشعراء حتى طالعتُهُ ، وحفظت منه شيئاً ، فلم أجد لأحد منهم في مرأى الناس ما يقرب من هذه الأبيات التي للمتنبى وكذلك يجرى الحكمُ في المُحدَثين ، فإنهم لم يأتوا بمثلها ولا ما يقرب منها ، ومن أين لامرئ القيس لطافة خاطر ، يستخرج منها مثل قول المتنبى في السيوف والخوف منها^(٥) :

واستعار الحديدُ لوْنا وألْقَى لونه في ذوائبِ الأطفال^(٦)

فإن الشعراء كلهم قد كرروا هذا المعنى ، إلا أنهم لم يخرجوا عن أن الخوف

(١) الدنف : الشديد المرض والمعنى أنك لو قلت للدنف ليت ما بك من برح الصباية والهوى في لغار من ذلك . وفي ١ ، ب : الحزين وفي سائر النسخ والديوان : المشوق .

(٢) قيلت في رثاء أخت سيف الدولة ومطلعا :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب
وقد تقدم الكلام على هذا المطلع .

(٣) في رثاء والدة سيف الدولة ومطلعا :

نعد المشرفة والعوالى وتقتلنا المنون بلا قتال

(٤) من قوله : ومن أين لامرئ القيس إلى هنا : ساقط من النسخ غير « ١ »

(٥) هذا البيت من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي ، ومطلعا :

* صلة الهجر لي وهجر الوصال *

ومعناه أن السيوف والرماح لما باشرت القتل اكتسبت الدم فصارت سوداء ، فكأنها استعارت لوناً غير ألوانها ، وألقت ألوانها وهي البياض في ذوائب الأطفال لأنهم يشبهون من شدة ما ينالهم من الفزع والمعنى مأخوذ من الآية الكريمة : « فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً » .

يُشيب ، وإذا بالغوا قالوا : إنه يشيب^(١) الطفل ، والمتنبى لم يقل كما قالوا ، وإنما تلطف في هذا المعنى فابرزه في صورة عجيبة كما ترى ، وكذلك لا يستطيع الشاعر العربي أن يصف الجيش فيقول :

صدمتهم بخميس أنت غرته وسمهرته في وجهه غمم^(٢)
فكان أثبت ما فيهم جسومهم يسقطن حولك والأرواح تنهزم

ولو لم يكن للمتنبى سوى هذين البيتين لاستحق بهما فضيلة التقدم على الشعراء ، ولذلك قال في هذه القصيدة ، وقد حلف ابن الدمستق والبطارق أن يكلفوا سيف الدولة :

أين البطارق والحلف الذي حلفوا بمفرق الملك والزعم الذي زعموا^(٣)
ولكى صوارمه إكذاب قولهم فهن السنة أفواها القيم^(٤)
نواطق مخبرات في جماجمهم عنه بما جهلوا منه وما علموا

وقد غربلت الأشعار قديمها ومحدثها ، وتأملتُها تأمل المنتقد ، فما وجدت لشاعر ما لأبى تمام ولأبى الطيب في باب المعاني ولا ما لأبى عبادة البحرى في باب الألفاظ فن قلدني في ذلك فقد أصاب ، وطرح عن نفسه ثقل التنقيب والتنقيير ، ومن خالفني عن علم ومعرفة فليتأمل من الأشعار ما تأملته حتى يعلم ما علمته ، وإن كان جاهلا بهذا الفن فليد رج في عشه ، فليس منه ولا إليه ، ومن الناس من يزعم أنه ليس لأبى تمام ولا للمتنبى من الغزل شيء يروق ولا يحسن ، وهذا القول

(١) هذه العبارة محرفة في ح ، د ، هـ

(٢) الغم : كثرة الشعر وإسباله على الوجه . والمعنى : أنه جعل الرماح في هذا الجيش كالغم في وجه الإنسان .

(٣) هذه الأبيات من القصيدة التي مطلعها : عقيب اليمين على عقيب الوشى ندم . والحلف بفتح الحاء وسكون اللام مخفف الحلف بكسرها . والمعنى : أين ذهبوا وأين يمينهم وقد حلفوا برأس ملكهم أن يعارضوا سيف الدولة وأين يشبوا على قتاله .

(٤) القيم : الروس . يقول : ولي سيوفه أن تكذب ما وعدوا به من الإيقاع بسيف الدولة ، فكذبهم بقطع رؤوسهم . وكما استعار لها التكذيب جعل لها السنة ، وجعل الروس أفواها لها لأنها تقطعها وتدخل في جوفها فكانها تنطق بتكذيبهم .

لا يصدر إلا عن تعصب أو جهل ، وأى غزل أحلى وأعذب وأرق من قول أبي تمام :

أنت في حل فزدني سقَمًا أفن جسمي واجعل الدمع دما^(١) أبيات أطف
وارض لي الموت بهجريك فإن أملت نفسي فزدها ألما من الهواه
حننة العاشق ذل في الهوى فإذا استودع سرًا كتما
ليس منا من شكا علة من شكا ظلم حبيب ظلما^(٢)

وهل لكثير من المتقدمين أو لابن الدمينه^(٣) أرق من هذه الأبيات ؟ وكذلك ورد قوله في طيف الخيال :

استزارته فكرتي في المنام فأتاني في خفية^(٤) واكتنام
الليالي أحنى^(٥) بقلبي إذا ما جرحته النوى من الأيام
يا لها لذة^(٦) تنزهت الأر واح فيها سرًا من الأجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا في دعوة الأحلام
وهذه الأبيات لم يؤت في الطيف بأدق منها ولا أسلس^(٧) . وكذلك قوله أيضًا :

-
- (١) في الديوان : صبرى بدل جسمي .
(٢) في الديوان : حب بدل ظلم .
(٣) اسمه عبد الله من بنى عامر ، والمدمينه أمه ، وهو شاعر إسلامي مجيد ، ومن غزله الرقيق قوله :
ألا يا صبا فجد متى هجت من فجد لقد زادني مسراك وجدا على وجد
ومنها :
وقد زعموا أن الحب إذا دنا يمل وأن النأى يشقى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على ذاك قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذى عهد
(٤) « خفية » جمع النسخ . وفي ديوان أبي تمام طبع بيروت ص ١٠ : حيفة .
(٥) أحنى : بالخاء كذا في « ١ » وفي سائر النسخ والديوان : أنحنى بالخاء المعجمة وهي تحريف
« جرحته » كذا في جميع النسخ وفي الديوان : جرحته .
(٦) في الديوان « يا لها ليلة »
(٧) مطبوعة دمشق : بأرق . « ولا أسلس » كذا في « ١ » وهي ساقطة مما عداها .

شبيه الخلد بالتفا ح والريقة بالخر
 بديع الحسن قد أُرِّ له ف من شمس ومن بدر
 له وجه إذا أبصر تَه ناجاك عن عُذر

وكذلك قوله :

يا لابساً ثوبَ الملاحه أبله فتلأنت أولى لابسيه بلْبُسِه^(١)
 لم يعطك الله الذى أعطاكه حتى أضر بيديره وبشَمَسِه^(٢)
 مولاك يا مولاي صاحب لوعة فى يومه وصباة فى أمسه
 دَنِفٌ يجود بنفسه حتى لقد أمسى ضعيفاً أن يجود بنفسه
 وهذه الأبيات أرق من كل شعر رقيق .

وله من الغزل فى مبادئ القصائد شئ كثير ، كقوله فى مطلع قصيدته
 اللامية :

أجلّ أيها الربيع الذى خفّ أهله لقد أدركتْ فيك النوى ما تحاوله
 وقفت وأحشائى منازلُ للأسى به وهو فقّر قد تعفّت منازلُه
 أسائلكم ما باله حكّم البلى عليه وإلا فاتركونى أسائله
 دعا شوقه يا ناصرَ الشوقِ دعوة فلبّاه طلّ الدمعِ يجرى وابلُه
 بيوم يريك الموتَ فى صورة النوى أواخره من حسرة وأوائله

وكذلك قوله فى مطلع قصيدته التى أولها :

إن عهداً لو تعلمين ذمياً^(٣) .

إلى أن قال :

قد مررنا بالدار وهى خلّاء فبكينا أطلالها والرسوم^(٤)

(١) « يالابسا » كذا فى « ١ » وهو الصواب .

(٢) فى الديوان : استخف فى موضع أضر .

(٣) وتماه : « أن تناما عن ليلتى أو تنيا » وهو يقتضى أن يكون الصدر :

« إن عهداً لو تعلمان ذمياً » الديوان ص ٢٥٨

(٤) « خلّاء » كذا فى « ١ » والديوان وفى سائر النسخ : خلّة .

وسألنا ربوعها فانصرفنا
كنت أرعى البذور حتى إذا ما
بشفاء^(١) وما سألنا حكيمًا
فارقوني أمسيت أرعى النجوم^(٢)
وكذلك قوله من قصيدة :

يا موسمَ اللذاتِ غالتك النوى
ولقد أراكَ من الكواعبِ كاسيا
لحظتُ بشاشتكَ الحوادثُ لحظةً
أين التي كانت إذا شامت جرى
بيضاء تسرى في الظلام فيكتسى
نوراً وتبدو في الضياء فيظلم
بعدي فربعك للصبابة موسم^(٣)
فالיום أنت من الكواعبِ محرم
ما زلتُ أعلم أنها لا تسلم
من مقلتي دمعي يُعصفه دم
ولو أتيت بما لله من الأغزال لأطلت .

وهكذا يجرى الحكم فيما للمتنبي من الغزل الرقيق كقوله في قصيدته التي مطلعها :
القلب أعلم يا عدولُ بدائه
أحبه وأحب فيه ملامة
مهلاً فإن العذل من أسقامه
لا تعذل المشتاق في أشواقه
إن المحبَّ مضرباً بدموعه
مثل القليل مضرباً بدمائه^(٤)
وأحق منك يحفنه وبمائه
إن الملامة فيه من أعدائه
وترفقا فالسمع من أعضائه
حتى يكون حشاك في أحشائه^(٥)
وكذلك قوله وهو مما لا يؤتى في الغزل بمثله :

- (١) كذا في الديوان ، وفي ابن الأثير : بسقام
(٢) الأبيات في الديوان على هذا الترتيب : (٣ ثم ١ ثم ٢)
(٣) « عالتك » كذا في ا ، ب . وفي ح ، د والديوان : غالتك وهو الصواب ، والبيت وما بعده ساقطان
من (هـ) * الديوان : وترب
(٤) لا تعذل : كذا في النسخة : ب ، د ، هـ وفي الديوان طبع الحلبي : لا تعذر .
« حتى تكون » كذا في ا ، ب . وفي ح ، د والديوان : حتى يكون .
(٥) « إن المحب » كذا في جميع النسخ . وفي الديوان : القليل ويروى المنشوق . والمتنبي في البيت
للثاني يناقض أبا الشيص إذ يقول :
أجد الملامة في هواك لذينة
حبا لذكرك فليلمني اللوم
والبيت الرابع من قول البحتري :
إذا شئت ألا تعذل الدهر عاشقا
على كد من لوعة البين فاعشق

ليس القِيَابُ على الركاب وإنما هن الحياةُ تَرَحَّلْتُ بِسلام
أرواحنا انهملت وعشنا بعدها من بعد ما قَطَرْتُ على الأقدام
لو كُنَّ يَوْمَ جَرَيْنِ كُنَّ كَصَبْرنا يوم الرحيل لَكُنَّ غير سِجَام

ومن بدائعه حسن التشبيه بغير أداة كقوله :

بدت قمراً ومالت غصنَ بان^(١) وفاحت عنبراً ورنّت غزالا

وقوله :

ترنو إلى بعين الظبي مُجْهَشَةً وتمسح الطللُ فوق الورد بالعنَمِ

وقوله :

قمرا ترى وسحابتين بموضع من وجهه ويمينه وشماله

وقوله :

أعارني سَقَمَ عَيْنِهِ وَحَمَلَنِي من الهوى ثَقْلَ مَا تَحْوِي مَا زَرُهُ

وقوله :

عرفتُ نَوَائِبَ الحِلْدَانِ حَتَّى لو انتسبتُ لَسَكَنْتُ لها نَقِيْبَا

وقوله :

وَأَتَيْتَ مَعْتَزِمًا وَلَا أَسْدُ ومضيتَ منهزما وَلَا وَعِلُ^(٢)

وقوله :

خرجن من النَّقْعِ في عارض ومن عرق الركض في وابل

وقوله :

وجيادٍ يَدْخُلْنَ في الحرب أعرا ويخرجن من دم في جلالِ
واستعار الحديدُ لونا وألوى لونه في ذوائب الأطفال

(١) « غصن بان » : كذا في أ ، ب وفي سائر النسخ والديوان : « خوط بان »

(٢) أي أقدمت على الحرب ولا أسد يقدم إقدامك ، ثم انهزمت عنها ولا وعل ينهزم انهزامك .

إبداعه في سائر
التشبيهات

ومنها الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات كقوله في السهر :

وإن نهاري ليلةٌ مداهمةٌ على مقلة من فقدكم في غياهب
بعيدةٍ ما بين الجفون كأنما عقدتم أعالي كل هُذب بحاجب

قال ابن جني : هذا من قول بشار :

جفت عيني عن التغميض حتى كأن جفونَهَا عنها قصار

وذكر القاضي ^(١) أنه مأخوذ من قول الطرقي في رطاناته ^(٢) :

ورأسى مرفوعٌ إلى النجم كنمًا ^(٣) قفأى إلى صُلبي بخيط مُخَيِّط

وقوله :

كأن سهادَ الليل يعشقُ مُقلتي فبينهما في كل هجر لنا وصلُ

وقوله :

رأيت الحميًّا في الزجاج بكفه فشبهتها بالشمس والبدرفي البحر

وقوله في الحمي :

وزائرتي كأن بها حياءُ فليس تزور إلا في الظلام
بذلتُ لها المطارفَ والحشايا فعافتها وباتت في عظامي
يضيق الجلدُ عن نفسي وعنهما فتوسَّعه بأنواع السقام
إذا ما فارقتني غسَّلتني كأنا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردها فتجري مدامعها بأربعة سجام

(١) القاضي : يريد به صاحب الوساطة على بن عبد العزيز الجرجاني كما سيأتي قريباً التصريح
باسمه وبكتابه .

(٢) رطاناته كذا في جميع النسخ والواحدى ٣٥٧ واليتيمة . والرطانة الكلام بالأعجمي وفي الوساطة
للجرجاني ص ٣٨٣ طبعة عيسى الحلبي سنة ١٩٥١ : رطازاته والرطرز محرقة : الضعيف من الشعر وغيره .
والرطازات مخففة : الخرافات (قاموس) . والطرقي شاعر محدث ، وقد حرف اسمه في بعض النسخ « الطرماع » .

(٣) كذا في « ١ » وفي سائر النسخ : ورأسى مرفوع لنجم كأنما . . . ولا شاهد فيه .

أراقب وقتها من غير شوق
ويصدق وعدّها والصدق شرٌّ
أبنت الدهر عندي كل بنت
جرحتُ بجرّحها لم يبق فيه
ألا ياليت شعري أتمسى
وهل أرى هواي براقصات
وربّما شفيتُ غليل صدرى
وضاقت خُطّة فخلصت منها

مراقبة المشوق المستهام
إذا ألقاك في الكرب العظيم
فكيف خلصت أنت من الزحام^(١)
مكانٌ للسيوف ولا السهام
تصرّف في عنان أو زمام^(٢)
مخلّاة المقادير باللغام^(٣)
بسير أو قناة أو حُسام
خلاص الخمر من نسج القدماء^(٤)

وهذا أحسن ما قيل في وصف محنة^(٥) نهكت صاحبها واشتدت به ، ثم عاد إلى حال السلامة وقد هذبت تلك الحال ، وزادته صفاء وسهولة .

وفارقت الحبيب بلا وداع
يقول لي الطبيب أكلت شيئاً
وما في طبه أنى جواد
تعود أن يُغبرّ في السرايا
فأُمسك لا يطال له فيرعى
فإن أمرض فما مرض اصطبارى
وإن أسلم فما أبقى ولكن

وودعت البلاد بلا سلام
وداؤك في شربك والطعام
أضرّ بحسمه طول الحمام
ويدخل من قتّام في قنّام
ولا هو في العليق ولا اللجام
وإن أُحتمّم فما حُمّ اعتزّام
سلمت من الحمام إلى الحمام

وقوله وهو مما لم يسبق إليه :

كريم نفّضت الناس لما لقيته
كأنهم ما جفّ من زاد قادم

(١) بنات الدهر : نوائبه .

(٢) البيت ساقط من النسخ غير ا ، ب .

(٣) الزراقصات : الإبل ، والرقص : ضرب من الحب ، واللغام : الزبد على فم البعير . يقول : هل أقصد ما أهواه من المطالب يدلّ قد جمّد الزبد على مقاردها فصار عليها مثل الحلي الفضية ، وهذا البيت مرتبط بما قبله وهو : ألا ياليت شعري أتمسى . . .

وهو في هذين البيتين يتمنى أن يعافى من الحمى فيسافر على الإبل والحيل لتحقيق غاياته .

(٤) القدماء : ما يحمل على فم الإبريق ليصنّى به ما فيه .

(٥) كذا في ا ، ب . وفي ح ، د : علة .

وكاد سرورى لا ينى بنسدامتى على تركه فى عمرى المتقدم

ومن بدائع أى الطيب قوله فى وصف الظبي :

أغناه حسن الجيد عن لبس الحلى وعادة العرى عن التفصيل^(١)
كأنه مضمخ بصندل

وقوله :

رضوا بك كالرضا بالشيب قسراً وقد وخط النواصي والفروعا^(٢)

وقوله فى وصف الشعر :

إذا خلعت على عرض له حلاًلاً وجدتاه منه فى أبهى من الحلل^(٣)
بذى الغباوة من إنشادها ضرر^(٤) كما تنضر رباح الورد بالجعل^(٥)

قيل إن أبا الطيب لما أنشد سيف الدولة قصيدته :

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل دعا فلبّاه قبل الركب والإبل

وناوله نسختها وخرج ، فنظر سيف الدولة فيها حتى انتهى إلى قوله :

بأيها المحسن المشكور من جهتى والشكر من قبل الإحسان لا قبلى
أقل أنل أقطع أحمل عى سئل أعد^(١)
زدهش بش تفضل أدن سر صيل

(١) من قصيدة فى مدح أبى محمد الحسن بن عبد الله بن طغج . والتفضل : لبس المفضل بكسر الميم وهو ثوب العمل فى المنزل .

(٢) البيت فى مدح على بن إبراهيم التنوخى من قصيدة مطلعها :
ملك القطر أعطشها ربوعا . . .

ومعناه : أنهم رضوا بك كارهين كما يرضى الإنسان عن الشيب إذا ظهر فى رأسه ولا يقدر على دفعه .

(٣) هذا من قول أبى تمام :

ولم أمدحك تفخيماً لشعرى ولكنى مدحت بك المديحا

(٤) الجعل : دوية تأوى فى التجاسات فإذا طح عليه الورد غشى عليه والبيتان من قصيدة فى

مدح سيف الدولة مطلعها :

* أعلى الممالك ما يبنى على الأسفل *

فوقع^(١) تحت أقل : أقلناك ، وتحت أنل : يُحمل إليه من الدراهم كذا ،
وتحت أقطع : أقطعناك الضيعة الفلانية - ضيعة^٢ يباب حلب - وتحت احمل :
يقاد إليه الفرس الفلاني ، وتحت عل : قد فعلنا ، وتحت سئل^٣ : قد فعلنا فاسل^٤
وتحت أعد : أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت زد : يزداد كذا ، وتحت
تفضل : قد فعلنا ، وتحت أدن : قد أدنيناك ، وتحت سر^٥ : قد سررناك^(٢) .
قال ابن جني : قد بلغني عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر^٦ من السرية^(٣) فأمر له
بجارية ، وتحت صل^٧ : قد فعلنا . قال : وحكى لي بعض إخواننا أن المعقل^٨
كان حاضراً بحضرته ، وهو شيخ ظريف ، قال له وقد حسد المتنبي على ما أمر
له به : يا مولانا قد فعلت في كل شيء سألكه ، فهلا قلت له^(٤) لما قال : هش^٩
بش^{١٠} هه^{١١} هه^{١٢} يحكي الضحك ، فضحك سيف الدولة ، وقال له : ولك أيضاً
ما تحب ، وأمر له بصلة . قال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب
الوساطة إن أبا الطيب المتنبي نسج على منوال ديك الجن حيث قال :
احل^{١٣} وامرر^{١٤} وضر^{١٥} وانتفع^{١٦} ولن^{١٧} واخ^{١٨} شن^{١٩} ورش^{٢٠} وابر^{٢١} وانتدب^{٢٢} للمعالى^(٥)

ومن هذه القصيدة قوله :

بالشرق والغرب أقوام نجبهم^{٢٣} فطالعام^{٢٤} وكونا^{٢٥} أبلغ^{٢٦} الرسل^{٢٧}
وعرفاهم^{٢٨} بأني في مكارمه^{٢٩} أقلب^{٣٠} الطرف^{٣١} بين الخيل^{٣٢} والحوال^(٦)

وستان بين حالته هذه وبين الحال التي قال فيها حين كان يتجشم أسفارا^{٣٣}
أبعد من آماله ، ويمشي في مناكب الأرض ، يطوى المراحل والمناهل ، ويضرب

(١) قوله : فوقع : حقه حذف الفاء لأنه جواب « لما » في الكلام السابق .

(٢) ١ ، ب : سررناك .

(٣) السرية : الجارية من الرقيق والفعل تسرر ، وتسرى ، أى اتخذ سرية .

(٤) « له » ساقطة من سائر النسخ .

(٥) ابر : أمر من برى أى منع والتصحيح من ديوان الشاعر (مطابع الفجر الحديثة - حمص)

(٦) الحوال : جمع خائل وهو الخادم . والضمير في : طالعام وعرفاهم : يعود لمجد سيف الدولة

وشعر المتنبي في البيت السابق لهُذين البيتين وهو :

ناديت بمجدك في شعري وقد صدرا يا غير منتحل في غير منتحل

الجرباب على صفحة الحراب ، ولا مطية له إلا الخُفُّ والنعل .

لا ناقتى تقبل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها (١)
شراكها كورها ومشفرها زمامها والشوعُ مقودها (٢)

وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي نواس :

إليك أبا العباس من بين من مشى عليها امتطينا الحضرى الملسنا
قلائص لم تعرف حيناً على طلاً ولم تندّر ماقرعُ الفنى ولا الهنا (٣)

وكما قال فى شكوى الدهر ، ووصف الخوف :

أظمتنى الدنيا فلما جثتها مُستسقىا مطّرت على مصابنا
وحبّيت من خوص الركاب بأسود من دارش فغلوت أمشى راكبا (٤)

وكما قال فى الاعتداد بالراحلة والقدرة على الرحلة (٥) :

ومهمّته جبّته على قدمي تعجز عنه العرامس الذئل (٦)
إذا صديق نكّرت جانبه لم تُعنى فى فراقه الحيل
فى سعة الخافقين مضطرب وفى بلاد من أختها بدّل

(١) الرديف : ما يرتد خلف الراكب ، والناقة هنا نعله .

(٢) جعل شراك نعله بمنزلة الكور (الرجل) للناقة . والمشفر ما يقع على ظهر الرجل من مقدم الشراك ، جعل ذلك بمنزلة الزمام للناقة . والشوع التى تكون فى الأصابع بمنزلة المقود للناقة . وهذا من شعره فى صباه يمدح به محمد بن عبد الله العلوى وأول القصيدة :

أهلاً بدار سبائك أغيدها أبعد ما بان عنك خردها

(٣) الحضرى الملس : النعل ذو الشوع التى تشبه الألسنة . القلوص : الناقة الفتية . الطلا : ولد الناقة . الفنىق : الفحل المكرم لا يركب ولا يعمل . الهنا : مقصور الهناء ما تداوى به الجربى من قطران ونحوه ، يريد أن قلائصه ليست إبلا حقيقية .

(٤) الخوص : جمع خوصاء وهى الناقة الفائرة العينين من الجهد والإعياء . الركاب : الإبل الواحدة راحلة . دارش : ضرب من الجلود . يقول بدلت من خوص الركاب خفا أسود من ردىء الجلود ، فأنا ما ش راكب وهو وصف لحاله الأولى التى يمتطى فيها نعله لفقره .

(٥) « الرجل » كذا فى ا وهى السير على الرجل ، وفى سائر النسخ الرجل .

(٦) العرامس : جمع عرمس ، وهى الناقة الصلبة

وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح البعيد والقريب ، ويصطاد ما بين
الكرُكى إلى العندليب ^(١) .

ويحكى أن على بن منصور الحاجب لم يُجزَّه على قصيدته التي أولها :
بأى الشمسُ الجانحات غواربا اللابساتُ من الحرير جلاليا
ومنها :

يستصغر الخطر الكبير لوَفَّده وَيظنُّ دجلةَ ليس تكفى شاربا
إلا ديناراً واحداً ، فسميت الدينارية .
ولما انخرط فى سلك سيف الدولة ، ودَرَّتْ له أخلافُ الدنيا على يده ، ^(٢)
كان من قوله فيه :

تركت السرى خلقى لمن قلّ مالهُ وأنعلتُ أفراسى بنُعماك عسجدا
وقيدت نفسى فى ذراك حبةٍ ومن وجد الإحسان قيذاً تقيدا
ومن بدائع أبى الطيب قوله :
ولمّا نحن فى جبل سواسية شَرُّ على الحر من سُقْم على بدن
حولى بكل مكان منهم خِلَقٌ تُخطِى إذا جثت فى استفهامها بمن
مَنْ لَمّا يُستفهم بها عن يعقل : يقول هؤلاء كالبهائم ، فقول ^(٣) لهم مَنْ
أنتم خطأ ، لَمّا ينبغى أن يقال . لهم : ما أنتم ؟ لأنّ موضع « ما » لَمّا لا يعقل ^(٤) .
ويحكى أن جريراً لما قال :

يا حبذا جبلُ الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا
قال له الفرزدق ، ولو كان ساكنه قروداً ، فقال له ^(٥) جرير لو أردت هذا

(١) الكركى والعندليب : طائران يضرب بالاول المثل للحقير وبالثاني للعظيم .

(٢) « درت له أخلاف الدنيا على يده » : كذا فى ا ، ب .

(٣) « فقول لهم » : كذا فى ا ، ب .

(٤) « لأن موضع ما لما لا يعقل » كذا فى « ا » .

(٥) « له » فى « ا » وحدها .

التمثيل بما هو
من صنعة

لقلت: ما كان ، ولم أقل : مَنْ كان^(١) .

ومن بدائع المتنبي^(٢) التمثيل بما هو من جنس صناعته ، كقوله^(٣) :
نِيتاج رأيتك في وقت على عجلٍ
كلفظ حرف وعاء سامعٌ ففهم
وقوله :

من اقتضى بسوى الهندى حاجته أجاب كل سؤال عن هبلٍ بيلم
وقوله :

أَمْضَى إِرَادَتِهِ فسوف له قَدْ واستقرب الأَقْصَى فَمَّ له هنا
سوف للاستقبال ، وقد موضوعة للمضى ، ومقاربة الحال ، يقول : إذا نوى
أمراً فكأنما يسابق نيته .

وقوله :

دون التعانق ناحِلين كَشَشَكَلْتِيْ نصب أدقَّهُما وَضَمَّ الشاكيل
وقوله :

ولولا كونُكم في الناس كانوا هُرَاءَ كالكلام بلا معانٍ
وقوله :

قُشِيرٌ وبَلْعَجَلانٍ فيها خفيةٌ كراءين في ألفاظ ألثغ ناطق^(٤)

(١) كذا في ا ، ح ، د ، وفي غيرها تحريف

(٢) في ح ، د : أبي الطيب .

(٣) « كقوله » كذا في ج ، د وساقطة من ا ، ب .

(٤) البيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر لإيقاعه بقبائل العرب مطلقاً :

تذكرت ما بين العذيب وبارق هجر عوالينا ويجرى السوابق

والضمير في « فيها » يعود إلى « قبائل » التي ذكرت في البيت قبله ، خفية منصوبة على الحال وقشير مرفوع خبر لمبتدأ محذوف ويجوز فيه النصب على البدل من قبائل والبحر على البدل من (غير) في البيت ومعنى البيت أن هاتين القبيلتين خفيتا وقتلنا في جموع القبائل التي هربت من سيف الدولة كخفاء راهبين في لفظ ألثغ إذا كررها .

وقوله :

إذا كان ما تنويه فعلا مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازمُ
يقول إذا^(١) نويت فعلاً أوقعته قبل فوته ، وقبل أن يقال لم يفعل ،
ولأن يفعل .

ومن بدائع أبي الطيب : المدحُ الموجهُ ، كالثوب له وجهان ، ما منهما إلا
حسنٌ ، كقوله :

مدحه الوجه

نهبت من الأعمار ما لوحيته لهُنتِ الدنيا بأنك خالدُ
قال ابن جني : لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده
لكان قد بقي فيه ما لا يخلقه الزمان ، وهذا هو المدح الموجه ، لأنه بنى البيت
على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ، ثم تلقاه من آخر البيت بذكر
سرور الدنيا ببقائه ، واتصال أيامه .

وكقوله :

عمرُ العدو إذا لاقاه في رهج
مالٌ كأن غرابَ البين يرقبه
أقلُّ من عمر ما يحوى إذا وهبا
فكلما قيل هذا مجتد نعبا

وقوله :

تشرق تيجانه بغرته
إشراق ألفاظه بمعناها

وقوله :

تشرق أعراضهم وأوجههم
كأنها في نفوسهم شيم^(٢)

وقوله :

إلى كم تردُّ الرسل عما أتوا له
كأنهم فيما وهبت ملام^(٣)

(١) « إذا » عن « ا » وحدها . سائر النسخ « إن » .

(٢) أى أن أعراضهم وأوجههم مشرقة نقية مثل خلائقهم .

(٣) يقول : إنك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم اللامنين لك في العطاء ، وهذا البيت من

قصيدة يمدح بها سيف الدولة وقد ورد عليه رسول الروم يطلب الهدنة .

وقوله :

يُخَيَّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِعِي وَأُنَى فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَوَازِلُ^(١)

وقوله :

كَانَ أَلْسِنُهُمْ فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّعْنِ خُرُصَانَا^(٢)

ومن بدائع أبي الطيب حسنُ التصرف في مدح سيف الدولة ، فإنه أخرجها في حسن تصرفه في
مدح سيف الدولة مخارجَ لطيفة كقولهِ :

لَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ مِنْ دَوْلَةٍ لَهَا مِنْكَ بِاسِيفَتِهَا مُنْصَلٌ

وقوله :

لَوْلَا سَمِيُّ سِيوفِهِ وَمِضَاؤُهُ لَمَّا سُلِّنَ لَكُنَّ كَالْأَجْفَانِ^(٣)

وقوله :

عِزَاءُكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ فَإِنَّكَ نَصَلَ وَالشَّدَائِدَ لِلنَّصَلِ

وقوله :

يُسَمَّى الْحَسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ وَكَيْفَ يَشْتَبِهَ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ^(٤)

وقوله :

كُلُّ السِّيُوفِ إِذَا طَالَ الضَّرَابُ بِهَا يَمْسُهَا (غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ) السَّامُ^(٥)

وقوله :

تُهَابُ سِيُوفُ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا

(١) ما أشبه حاله في انتقاله من بلد إلى بلد وعدم استقراره في مكان واحد بكلام العوازل لا يستقر في أذن وإنما يدخل في أذن ويخرج من أخرى .

(٢) تقدم الكلام عليه ص ٣٣٨ .

(٣) سمى سيوفه : يعني سيف الدولة والمعنى لولا سيف الدولة ومضاء عزمه لم تغن السيوف من الحديد شيئاً . وهذا شبيه بقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي وقد أعطى سيفه الصمصامة لرجل فلم يعمل به شيئاً فقال إنما يفعل الساعد لا السيف .

(٤) هذا البيت من قصيدة مطلعها : « المجد عوفى مذ عوفيت والكرم » .

(٥) هذا البيت من قصيدة مطلعها : « عقي اليمين على عقي الوحي ندم » .

وقوله :

تَحْيِرُ فِي سَيْفٍ رَيْبَةٍ أَصْلَهُ وَطَائِعِهِ الرَّحْمَنُ وَالْمُحَدُّ صَاقِلُ

وقوله :

قَلَّدَ اللَّهُ دَوْلَةً سَيْفِهَا أَزْ تَ حُسَامًا بِالْمَكْرَمَاتِ مُحَلَّى
فَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بِحَرَا وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْعِدَا كَانَ نَصَلَا

وقوله :

وَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبُ وَأَنْتَ لِيَوَاءُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ

وقوله :

لَقَدْ سَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْمُحَدُّ مُعْلَمًا فَلَا الْحَدُّ مُخْفِيهِ وَلَا الضَّرْبُ ثَالِمًا
عَلَى عَاتِقِ الْمَلِكِ الْأَعَزِّ نِجَادُهُ وَفِي يَدِ جِبَارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ
وَأَنْ الذِّي سَمِيَ عَلِيًّا لِمَنْصَفٍ وَإِنْ الذِّي سَمَاهُ سَيْفًا لِنَظَالِمِهِ
وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَدُّهُ وَتَقْطَعُ لَزَبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُهُ (١)

وقوله :

إِنْ الْخَلِيفَةُ لَمْ يُسَمَّكَ سَيْفَهُ حَتَّى بَلَكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ
وَإِذَا تَتَوَجَّحَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ وَإِذَا تَخَمَّ كُنْتَ فَصَ الْخَاتَمِ (٢)

وقوله :

مَنْ لِلسَّيْفِ بَانَ تَكُونُ سَمِيَّتُهَا فِي أَصْلِهِ وَفِرْنَدِهِ وَوَفَائِهِ
طَبَعَ الْحَدِيدِ فَكَانَ مِنْ أَجْنَسِهِ وَعَلَى الْمَطْبُوعِ مِنْ آبَائِهِ

وقوله :

عَيْبُ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ وَاحِدٍ مَا يَصْنَعُ الصَّمَامُ بِالصَّمَامِ

(١) لزبات الزمان : شدائده .

(٢) « سيف واحد » كذا في الأصول والرواية المشهورة « سيف في الرغي » .

وقوله :

اتحسب بيضُ الهند أصلك أصلها
إذا نحن سميناك خِلنا سيوفنا

ومن بدائعه في سائر مدائحه قوله :

ملك سنان قناته وبنانه
كالبلر من حيث التفت رأيت
كالشمس في كبد السماء وضوءها
كالبحر يقذف للقريب جواهرها

وقوله أيضا :

ليس التعجبُ من مواهب ماله
عجبا له حفظُ العنان بأعمل
لو مرَّ يركضُ في سطور كتابة
كرمٌ تبيّن في كلامك مائلا
أعيازا والك عن محل نلت
ذكر الأنام لنا فكان قصيدة

وقوله :

وما زلتُ حتى قادني الشوق نحوّه
وأستكبر الأخبارَ قبل لقائه

يسايرني في كل ركب له ذكرُ
فلما التقينا صغرا الخبرَ الخبر^(٣)

(١) هذا البيت في الديوان قبل سابقه .

(٢) يصفه بالفروسية ، وأن مهره يطاوعه في جميع حركاته ، فلا يضع حافره إلا حيث يشاء ، وخص الميم لأنها أشبه بالخافر في الاستدارة من سائر الحروف .

(٣) وهذا من قوله عليه السلام لزيد الخليل الطائي وقد وفد عليه : ما وصف لي أحد إلا رأيت دون الوصف سواك ، فإنك فوق ما وصفت لي .

ومثله قول الآخر :

كافت محادثة الركبان تخبرني
ثم التقينا فلا والله ما سمعت
عن أحمد بن حلّ أطيّب الخبر
أذنّي بأحسن مما قد رأى بصرى

هذا ضد قولهم تسمع بالمعدي لا أن تراه .

ومنها :

أزالت بك الأيام عتبي كأنما بنوها لها ذنبٌ وأنت لها عذرُ

وقوله :

ألا أيها المالُ الذي قد أباده
لعلك في وقت شغلت فؤاده
تَعَزَّرَ فهذا فعله بالكتائب
عن الجود أو كثرت جيشُ محاربِ

وقوله :

بعثوا الرعبَ في قلوب الأعدى
وتكاد الظُّبَا لما عودوها
كل ذمير يزيدُ في الموت حُسْنًا
كرمٌ خشنُ الجواب منهم
ومعَالٍ إذا ادَّعاه سواهم
فكأنَّ القتال قبلَ التلاقي
تَنَتَضَى نفسها إلى الأعناق
كبدور تمامها في المحاق (١)
وهو كالماء في الشفار الرقاق (٢)
لزمته جنايةُ السراقِ

وقوله أيضا :

قومٌ بلوغ الغلام عندهم
كأنما يولد الندى معهم
إذا تولَّوا عداوه كشفوا
تظن من فقدك اعتدادهم
إن برَّقوا فالخُتوفُ حاضرة
أو شهدوا الحربَ لأقحا أخذوا
أو حَلَقُوا بالغَمومِ واجتهدوا
أو ركبوا الخيل غيرَ مُسرَّجةٍ
طعنُ نُحُورِ الكُماةِ لا الخُلُمِ
لا صِغَرُ عاذِرٍ ولا هَرَمُ
وإن تولَّوا صنعة كتموا
أنهمو أنعموا وما علموا
أو نَطَقُوا فالصواب والحكمُ
من مُهَج الدارعين ما احتكوا
فقولهم خاب سائلي - القَسَمُ (٣)
فإن أفخاذهم لها حزمُ

(١) الذمير : الرجل الشجاع .

(٢) يقول إن لم كرما غشن جوانبهم على الأعداء وهم إذا سيموا الخسف أبي كرمهم قبوله ثم شبه ذلك الكرم بالماء ، فإنه مع لينه إذا سقيته السيوف زادها صلابة ومضاء .

(٣) الغموس : اليمين التي يحلف صاحبها وهو ينوي الحنث فيها فهي تنفس في الإثم . والمعنى إذا حلفوا اليمين يخافون الإثم فيها بالحنث ، حلفوا بخيبة سائلهم لأنها أعظم شيء عليهم .

تُشرقُ أعراضهم وأوجهم
أعيدكم من صروف دهركم
وقوله :

فلما رآوه وحده دون جيشه
وأوردهم صدرَ الحصانِ وسيفه
جوادٌ على العِلاتِ بالمالِ كله
وقوله :

أرى كلَّ ذى مُلكٍ إليك مصيره
إذا مطرتُ منهم ومنك سحابة
وقوله :

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا
وكلُّ أناسٍ يتَّبِعون إمامهم
ورُبَّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته
وقوله :

همُ المحسنون الكرمُ في حومةِ الوغى
ولولا احتقار الأسدِ شبهتها بهم
وقوله :

أَغَرُّ أعداؤه إذا سلموا
إنك من معشرٍ إذا وهبوا
كتيبةٌ لستَ ربَّها نَقَل
وقوله :

لو كفر العالمون نعمته
كالشمس لا تبتغي بما صنعت
لما عدَّتْ نفسه سجاياها
منفعةٌ عندهم ولا بجاها

ومن بدائع أبى الطيب المتنبى مخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصاديق مع الإحسان والإبداع ، وهو مذهب له ، تفرد به ، واستكثر من سلوكه اقتداراً منه وتبحراً فى الألفاظ والمعانى ، ورفعاً لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدرجاً لها إلى ماثلة الملوك ، كقوله لكافور :

وما أنا بالباغى على الحبِّ رشوةً ضعيفُ هَوَى يَبْغَى عليه ثوابُ
وما شئتُ إلا إن أُذِلَّ عواذلى على أن رأيى فى هواك صوابُ
وأعلم قوما خالفونى وشرقوا وغربت لى قد ظفرت وخابوا
إذا نلتُ منك الود فالمال هين وكلُّ الذى فوق التراب ترابُ

وقوله فيه :

ولولم تكن فى مصر ماسرتُ نحوها بقلب المشوق المستهام المعذب

وقوله لابن العميد :

تفضلت الأيام بالجمع بيننا فلما حميدنا لم تُدْ منّا على الحمد
فَسَجَدْتُ لى بقلب إن رحلتُ فلأنى مُخَلِّفُ قلبى عندهم من فضله عندى

وقوله لسيف الدولة :

مالى أكتُم حباً قد برى جسدى وتدعى حباً سيف الدولة الأممُ
إن كان يجمعنا حبٌ لِغُرَّتِهِ فليت أنا بقدرِ الحبِّ نقسمُ
يا أعدل الناس إلا فى معاملى فيك الخصامُ وأنت الخَصْمُ والحكمُ
إذا رأيتَ نِيوبَ الليث بارزةً فلا تَظُنَّنْ أن الليثَ يبتسمُ
يا مَنْ يعزُّ علينا أن نفارقهم وجداننا كلَّ شىء بعدكم عدَمُ
ما كان أخلاقنا منكم بتكرمة لو ان أمركم من أمرنا أممُ
إن كان سرركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألمُ
وبيننا لو رعيتُم ذاك معرفة إن المعارف فى أهل النهى ذمُ
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم والله يكره ما تأتون والكرمُ
ليت الغمام الذى عندى صواعقه يُزيلهن إلى من عنده الدِّيمُ

أرى النوى تقتضي نى كل مرحلة
لئن تركن ضميرا عن ميامنا
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
شر البلاد بلاد لا صديق بها
وشر ما قنصته راحتي قنص
لا تستقل بها الوحادة الرسم
ليحدن لمن ودعتهم ندّم^(١)
ألا تفارقهم فالراجلون هم
وشر ما يكسب الإنسان ما يصم
شهب البزاة سواء فيه والرخم^(٢)

استعماله ألفاظ
الغزل في أوصاف
الحرب

ومن بدائع أبي الطيب استعماله ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب
والجد ، وهو أيضا مما لم يسبق إليه ، وتفرد به ، فأظهر فيه الحذق بحسن النقل ،
وأعرب عن جودة التصرف والتلاعب بالكلام كقوله :

أعلى الممالك ما يُبنى على الأسفل والطنع عند محبين كالقبيل^(٣)
وقوله وهو من فرائده :

شجاع كان الحرب معشوقة له إذا زارها قدّته بالخيال والرجل
وقوله :

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم تركت جمعهم أرضا بلا رجل
ما زال طيرفك يجرى في دماهم حتى مشى بك مشى الشارب الثمل
وقوله :

والطنع شزر والأرض راجفة كأنما في فؤادها وهل^(٤)
قد صبغت خدّها الدماء كما يصبغ خدّ الخريفة الحسجل

(١) ضمير : اسم جبل على يمين قاصد مصر من الشام .

(٢) قال صاحب اليتيمة : والقصيدة على براعتها واستقلال أكثر أبياتها بأنفسها ، تكاد تدخل في باب إساءة الأدب بالأدب ويوضح ذلك : « يا أعدل الناس إلا في معاملتي » فقد وصفه بأقبح الجور .
وقوله :

« كم تطلبون لنا عيبا فيمجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم »

ففيه تعنيف واضح لسيف الدولة على إصغائه إلى الطاعنين على المحتبى ثم يقول له إن الله يكره ذلك ،
ويأباه الكرم .

(٣) محبين : الضمير يعود على الممالك .

(٤) الهل : الفزع . الديوان : الأرض واجفة .

والخيل تبكى جلودها عرقاً بأدمع ما تسحها مقفل

وقوله :

تعود ألا تنقضم الحب خيله إذا الهام لم ترفع جنوب العلائق^(١)
ولا ترد الغدران إلا وماؤها من الدم كالريحان تحت الشقائق

وقوله :

فأنتك دامية الأطل كأمما حذيت قوائمها العقيق الأحمر^(٢)
وإذا الحمائل ما يخذل بنقنف وإذا الحمائل ما يخذل بنقنف^(٣)

وقوله :

قد سوت شجر الجبال شعورهم فكان فيه مسفة الغربان^(٤)

وقوله :

وجرى على الورق النجيع القاني فكانه النارنج في الأغصان

وقوله :

حمى أطراف فارس شمري يحض على التباقي بالتفاني^(٥)

(١) حكى ابن جني عن أبي الطيب قال : الفرس إذا علقت عليها الخلاة طلبت لها موضعاً مرتفعاً تجعلها عليه ثم تأكل ، فخيله أبدأ إذا أعطيت عليها رفعة ، على هام الرجال الذين قتلهم لكثرة من هناك من القتل .

(٢) الأطل : باطن خف البعير . حذيت : ألبست حذاء . يقول : جاءتك وقد دميت أخفافها لطول السير ، وعودة الطريق حتى كأنها انتعلت العقيق الأحمر . والخطاب لابن العميد .

(٣) الحمائل : الإبل . النقف : المفاضة . ورواية الديوان : ثوبا بدل بردا . يقول : كثرت الخصب أمامهم فلا تقطع ركابهم موضعاً إلا وقد كست الخضر فتبدو آثار سيرها فيه كالشق في الثوب الأخضر (٤) يمدح سيف الدولة ، ويصف هزيمة الروم ، الضمير من (فيه) يعود على الشجر . والمسقة من قولهم أسف الطائر في طيرانه إذا دنا من الأرض والمعنى : ما تظاير من شعورهم تعلق بشجر الجبال فسودها كأنه غربان حطت عليها .

(٥) شمري : كثير التشمير : يقول لأصحابه : أنفوا أنفسكم لبيق ذكركم . والبيت من قصيدة يمدح بها عضد الدولة . مظلها : مغاني الشعب طيباً في المغاني

بضرب هاج أطراب المنايا سوى ضرب المثلث والمثاني^(١)
 كأن دم الجحاصم في العناصي كسا البلدان ريش الحيقطان^(٢)
 فلو طرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الخدق الحسان^(٣)
 وقوله :

« كَرَعَنَ بِسَبْتٍ فِي إِنَاءٍ مِنَ الْوَرْدِ »^(٤)

ومن بدائعه حسن التقسيم :

حكى^(٥) أبو القاسم الأمدى في كتاب الموازنة بين شعري الطائيين ، قال : بدائعه في حسن
 سَمِعَ بعضُ الشيوخ من نَقْدَةِ الشعر قولَ العباس بنِ الأحنف :
 وصالكم هجرٌ وحبكم قِلِّي وعطفكم صِدٌّ وسلمكم حربٌ
 وأنتم بحمد الله فيكم فظاظَةٌ وكلُّ ذُلٍّ من مراكبكم صعبٌ
 فقال : هذا والله أحسن من تقسيات إقليدس^(٦) وقول أبي الطيب في هذا

(١) بضرب متعلق بالفعل (حَمَى) في البيت قبله . المثاني والمثلث : من أوتار العود والمعنى أن
 عضد الدولة حمى فارس بضرب شوق المنايا إلى قبض الأرواح لشدة وكثرة الفتك فيه ، وهذا الضرب غير
 ضرب أوتار العود الذي من عادته أن يهيج الشوق والطرب .
 (٢) العناصي : جمع عنصوة كترقوه وهي الشعر المتفرق في الرأس ، الحيقطان : ذكر الدراج
 يكون ملون الريش . يقول إن جهاجم الأعداء كانت تطير ، وشعورها المتلطخة بالدماء تنتثر على وجه البلدان
 فكان دماهم قد كست البلدان ريش هذا الطائر .
 (٣) المعنى أن الأمن عم تلك البلدان حتى لو ألقيت فيها قلوب العشاق لما خافت سهام الأحداق .
 (٤) هذا عجز بيت صدره : « إذا ما استحين الماء يعرض نفسه » وهو من قصيدة يودع بها ابن
 العميد وهو في طريقه إلى عضد الدولة ، أولها :
 « نسيت وما أنسى عتاباً على الصدر »

السبت : اخلد المدبوغ شبه به هنا مشافر الإبل . يقول : إذا مرت هذه الإبل بماء الغدران فصار
 لكثرة كأنه يعرض نفسه عليها فأجابه الإبل ، وأقبلت عليه لتشرب ، كرمعت منه بمشافر لينة كالسبت
 وقد أهدق الزهر بذلك الماء فصار كأنه إناء له . وليس أبو الطيب مبتدعاً في استعمال ألفاظ الغزل في أوصاف
 الحرب فقد سبقه عنبرة بقوله :

ولقد ذكرتكَ والرماح ذواهل متى ويبيض الهند تقطر من دمي
 فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبقارق تُفرك المتسم

(٥) كذا في التيمية وهو المناسب للسياق وفي سائر الأصول : قال وفيه تكرار مع ما بعده .
 (٦) إقليدس : هو عالم يوناني عاش قبل الميلاد بنحو ٣٠٠ سنة . واشتهر بالرياضيات وخاصة =

الفن أولى بهذا الوصف وهو :

ضاق الزمانُ ووجهُ الأرض عن مَلِك
فنحن في جَدَلٍ والرومُ في وَجَلٍ
مِلءَ الزمانِ ومِلءَ السهلِ والجبلِ
والبرُّ في شُغْلٍ والبحرُ في خَجَلٍ

وقوله :

الدهرُ معتذرٌ والسيفُ منتظرٌ
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا
وأرضهم لك مصطافٌ ومُرْتَبَعٌ
والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

وقوله :

فلم يخلُ من نصر له مَنْ له يد
ولم يخلُ من أسمائه عود منبرٍ
ولم يخل من شكر له من له فم
ولم يخل دينارٌ ولم يخل درهم^(١)

وقوله :

يَجِلُّ عن التشبيه لا الكَفُّ بلحَّةُ
ولا جرحه يُوسى ولا غوره يُرى
ولا هو ضِرغامٌ ولا الرأى مُخْدَمٌ
ولا حده يَنْبُو ولا يَتَشَلَّمُ

ومنها :

مَحَلَّتْكَ مقصودٌ وشانك مُفْحَمٌ
ومثلك مفقودٌ ونيلك خِضْرُمٌ

ومن هذه القصيدة البيت المشهور وهو :

فلو ضَرَّ مرءاً قبله ما يَسْرُهُ
لأَثَّرَ فيه بأسُهُ والتكْرُمُ^(٢)

ضر : فعل ، وفاعله : ما يسره ، ومرءاً ، مفعول ، والضمير في قبله للممدوح ،

= الهندسة ، وله في الرياضيات عدة تأليف أشهرها كتابه « أصول إقليدس » . وقد استدعاه بطليموس فيلاديفوس ، فقدم الإسكندرية ، وفتح بها مدرسة لتعليم الرياضيات لم تلبث أن صارت أول مدرسة في مصر .

(١) هذان البيتان : من قصيدة يمدح بها سيف الدولة مطلعها :

« إذا كان مدح فالنسيب المقدم » .

(٢) الأبيات الأربعة الأخيرة : من قصيدة في مدح عمر بن سليمان الشراي ، وهو يومئذ يتولى

القضاء بين العرب والروم مطلعها : « نرى عظما بالبين والصد أعظم » .

وفى يسر للمرء وفى فيه وبأسه للممدوح . يقول : لو ضر الذى يسر أحداً قبل هذا الممدوح لضر هذا الممدوح بأسه وتكرمه ، لانه يسر بهما .

وقوله :

قليلٌ عائدى سقيمٌ فؤادى كثيرٌ حاسدى صعبٌ مرامى
عليلٌ الجسم ممتنعٌ القيام شديدٌ السكر من غير المدام

وقوله :

بمصر ملوكٌ لهم ماله ولكنهم مالههم همته
فأجود من جودهم بخله وأحمد من حمدهم ذمه
وأشرف من عيشهم موته وأنفع من وجدهم عدمه^(١)

وقوله :

لم نفتقد بك من مرق سوى لستق ولا من البحر غير الريح والسفن^(٢)
ولا من الليث إلا قبج منظره ومن سواه سوى ما ليس بالחסن

وقوله :

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم قدّم وأحزّمهم وغد^(٣)
وأكرمهم كلبٌ وأبصرهم عم وأسهدهم فهم فأشجعهم قرد

وقوله :

وغناك مسألةً وطيشك نفخة ورضاك فيشلةً وربك درهم^(٤)

(١) الوجد : الغنى ، والأبيات من قصيدة فى ذكرى فاتك أولها :

• يذكرنى فاتكا حلمه •

(٢) اللثق : الطين الذى يصير من تراب الأرض بماء السحاب . يريد أنه سحاب وبحر ولكن منفعتة خالصة عن المشقة والتنقيص . والبيت الذى بعده : من قصيدة فى مدح أبى عبيد الله محمد بن عبد الله القاضى الأنطاكى ، مطلعها :

• أفاضل الناس أغراض لذا الزمن •

(٣) القدم : المي . الوجد : اللثيم اللثيم .

(٤) البيت من قصيدة فى هجاء إسحاق بن إبراهيم بن كيقعل . يقول : غناك فى مسألة الناس =

وقوله :

عربيٌّ لسانُهُ ، فلسفيٌّ رأيُهُ ، فارسيَّةٌ أعيادُهُ

وقوله :

سقتني بها القطرُ بلىً مليحةً
سهادٌ لأجفانٍ وشمسٌ لناظر
وأعيدُ يهوى نفسه كلُّ عاقل
أديبٌ إذا ما جسَّ أوتار ميزهر
يُحدِّثُ عما بين عاد وبينه
على كاذبٍ من وعدٍها ضوء صادق
وسقمٌ لأبدانٍ وميسكٌ لناشِق
عفيفٌ ويهوى جسمه كلُّ فاسق
بلا كلِّ سمعٍ عن سواه بعائق^(١)
وصدغاه في خدِّي غلامٍ مراهق

كقوله :

ومنا نحن سياقه
الأعداد (٢)على ذا مضى الناسُ اجتماعٌ وفرقةٌ
وميثٌ ومولودٌ وقالٍ ووامقٌ

وقوله :

ألا أيها السيفُ الذي ليس مُغمداً
هنيئاً لضربِ الهامِ والمجدِ والعلَا
ولا فيه مُرتابٍ ولا منه عاصمٌ
وراجيك والإسلامِ أنكَ سالمٌ

وقوله :

ورب جوابٍ عن كتابٍ بعثتهُ
حروفٌ هجاءِ الناسِ فيه ثلاثةُ
وعنوانُهُ للناظرين قَسَامُ
جوادٌ ورمحٌ ذابلٌ وحُسام

لما سمى الجيش جواباً جعل حروفه جواداً ورمحاً وحُساماً ، اقتداراً واتساعاً في
الصنعة .

= وليس وراء طيشك حقيقة ، إنما هونفخة فيك ، ورضاك أن ترى فيشلة (ذكر) ، وربك الله
تعبه درهم .

(١) القطر بل : خمر منسوبة إلى قطر بل وهو موضع بالعراق والضمير في « بها » يعود على (بلاد)
في بيت سابق . ومعنى : أديب إذا ما جس : إذا ضرب بالعود شغل كل سمع عن سواه . الديوان : عن سواها .

يحدث . . . إلخ . معناه أنه عليم بالتاريخ مع حداثة سنه .

(٢) المراد بسياقة الأعداد سرد الأشياء في نسق حسن .

وقوله :

ومرهف سِرْتُ بين الجَحْفَلين به حتى ضربتُ وموجُ الموت يلتطمُ
فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ (١)

قال ابن جني : قد سبق الناس إلى ذكر ما جمعه في هذا البيت ، ولكن (٢)
لم يجتمع مثله في بيت ، وقد قال البحري :

اطلبا ثالثاً سواي فإني رابعُ العيسِ والدُّجى والبيدِ

وهذا لفظ عذب ، ولكن ليس فيه ما في بيت المتنبي .

وقوله :

أنت الجوادُ بلا مَنٍّ ولا كَدَرٍ ولا مِطالٍ ولا وَعْدٍ ولا مَدَلٍ (٣)

وقوله :

بى حرُّ شوقٍ إلى ترَشُّفها ينفصل الصبرُ حين يتصلُ
الثغرُ والنحرُ والمُخلخلُ والمِعة صَمٌّ دائيُّ والفاحمُ الرَّجِلُ (٤)

وكقوله :

ولكنَّ بالفسطاط بجرّاً أزرتهُ حياتي ونصحي والهوَى والقوافيا (٥)

(١) يروى أن المتنبي فكر في الحرب حين هاجمه فأتته جماعته فقال له غلامه : كيف تفروا أنت
القائل « فالخيل والليل . . . البيت فقال المتنبي : قتلتنى قتلك الله ، ودافع عن نفسه حتى قتل .

(٢) كذا في الأصول والبيّمة ولو حذف « لكن » لكان الأسلوب أجود .

(٣) المنزل : الضجر ويروى « ملل » .

(٤) المخلخل : موضع الخلخال من الرجل . والرجل : الشعر المرسل البسط .

(٥) البيت من قصيدة يمدح بها كافورا ، مطلعها : « كفى بك داء » وأزرتة : الحمزة في أوله
لتمديه الفعل زار إلى المفعول الثاني والمعنى أن بالفسطاط بجرّاً (كافورا) قد هون عليه فراق إلفه ، فزاره
بحياته ، أى لقضاء باقى أيامه عنده ، وحمل إليه نصحه ومودته وشعره ، والبيت مرتبط بالبيت السابق
له وهو :

خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا لفارقت شيعي موجع القلب باكياً

وقوله من قصيدة أخرى :

أَمِينًا وَإِخْلَافًا وَغَدْرًا وَخَسَةً وَجُبْنًا أَشْخَصَالُحْتَى أُمِّ مَخَازِيَا ؟ (١)

ومن بدائعه إرسال الأمثال في أنصاف الأبيات (٢) كقوله :

إرسال الأمثال في
أنصاف الأبيات

[بذا قضت الأيام ما بين أهلها]	مصائب قوم عند قوم فوائد
[قواصد كافور توارك غيره]	ومن قصد البحر استقل السواقي
[أعزه مكان في الدنيا سرج سابح]	وخير جليس في الزمان كتاب
[وبيننا لو رعيم ذاك معرفة]	إن المعارف في أهل النهي ذم
[لعل عتبك محمود عواقبه]	وربما صحت الأجسام بالعلل
[ولو لم تبق لم تعيش البقايا]	وفي الماضي لمن بقى اعتبار
[يراد من القلب نسيانكم]	ويأبى الطباع على الناقل
[سبقت إليهم منابهم]	ومنفعة الغوث قبل العطب
[ليترد بنو الحسن الشراف تواضعا]	هيهات تكتم في الظلام مشاعل
[أعاذك الله من سهامهم]	ومخطيء من رميه القمر (٣)
[ولكني حسدت على حياتي]	وما خير الحياة بلا سرور
[يفتدي بنيك عبيد الله حاسد هم]	بجبهة العير يفدى حافر الفرس
[إلام طماعية العاذل]	ولا رأى في الحب للعاقل
[وكل يرى طرُق الشجاعة والندي]	ولكن طبع النفس للنفس قائد
[لا تحسبوا من أسرتم كان ذارمق]	وليس تأكل إلا الميت الضبع
[ما لنا في الندي عليك اختيار]	كل ما يمنح الشريف شريف
[غير اختيار قبلت برك بي]	والجوع يرضى الأسود بالجيف
[فلا تنكرن لها صرعة]	ومن فرح النفس ما يقتل
[وقد يتزينا بالهوى غير أهله]	ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

(١) من قصيدة يهجو بها كافورا أولها : « أريك الرضا لو أخفت النفس خافيا » .
(٢) وردت في الكتاب هذه الأمثال وعددها ٣٨ مثلا ، مكتوبة بعضها وراء بعض ، كما يكتب
الشاعر وقد كتبها كما يكتب الشعر بعد أن كتبنا النصف الثاني من كل بيت موضوعا بين معقوفين .
(٣) هذا المثل زيادة في (ح) .

إن النفس^(١) غريبٌ حيثما كانا
ومن الرديفُ وقد ركبَتْ غضنفرًا ؟
إذا عظم المطلوبُ قلَّ المساعد
ومن يتسُدُّ طريقَ العارضِ الهطِّلِ
وأدنى الشَّرِكِ في نسبِ جِوارِ
وفي عتقِ الحسناءِ يُستحسنُ العقْدُ
لا تخرجِ الأقماسُ عن هالاتها
[سَقِيًّا لِدَشْتِ^(٣) الأَرْزَنِ الطَّوَالِ]
ولكن صَدَمَ الشرِّ بالشرِّ أحْزَمُ
أنا الغريقُ فما خوفي من البَدَلِ
أشدُّ من السَّقمِ الذي أَذهبِ السُّقْمَا
فلأن الرفقَ بالحناني عتابُ
إن القليلَ من الحبيبِ كثير
بغِيضٍ إلى الجاهلِ المتعاقِلِ
وليس كلُّ ذواتِ المِخْلَبِ السُّبُعِ
وللسيوفِ كما للناسِ آجالُ
في طلعةِ الشمسِ ما يُغْنِيكَ عن زُحَلِ
فأولُ قُرْحِ الخيلِ المِهارُ
والبرُّ أوسعُ والدنيا لمن غلبا
ليس التَّكْحُلُ في العينينِ كالكَحَلِ
ويَبِينُ عِتْقُ الخيلِ في أصواتها

[وهكذا كنتُ في أحلى وفي وطني]
[أنت الوحيدُ إذا ركبْتَ طريقَةً]
[وحيدٌ من الخُلَّانِ في كلِّ بلدةٍ]
[وما ثنَّاكَ كلامُ الناسِ عن كرمِ]
[لهم حقٌّ بِشِرْكِكَ في نِزارِ]
[وأصبحَ شِعْرِي مِنْهُمَا في مكانه]
[أعْيَا زوالَكَ عن محلِّ نِلْتَه]
[إن النفوسَ عُدُدٌ^(٢) الآجالِ]
[وما ذاكُ بَخْلًا بالنفوسِ على القنا]
[والهجرُ أَقْتَلُ لي مما أراقِبُهُ]
[ولم يسلها إلا المنيا ولانما]
[ترفقَ أيها المولى عليهم]
[وقنِيتَ باللقيَا وأولَ نظرةٍ]
[وما التيهَ طيبيَ فيهمُ غيرَ أني]
[إن السلاحَ جميعُ الناسِ تحمله]
[القاتلُ السيفَ في جسمِ القَتِيلِ به]
[خذْ ما تراه ودعْ شيئًا سمعتَ به]
[لعلَّ بَنِيهمَ لِبَنِيكَ جندُ]
[الموتُ أعذرُ لي والصبرُ أجملُ بي]
[لأنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَكَلَّفُهُ]
[كرمٌ تَبَيَّنَ في كلامِكَ ماثلاً]

(١) في النسخ كلها « الذليل » والتصحيح من الديوان .

(٢) عدد : بفتح العين وضما ويروى (غرض) .

(٣) دشت الأَرزَنِ : موضع بشيراز ومعنى الدشت الصحراء والأَرزَنِ شجر صلب تتخذ منه العصي .
والطَّوَالِ وصف مبالغة في الطويل وهو نعت للأَرزَنِ والبيت من قصيدة في مدح عضد الدولة وذكر خروجه
للصيد بهذا الموضع .

ومنها إرسال المثلين في مصرعي البيت الواحد كقوله :

وكلُّ امرئٍ يُؤلى الجميلَ محبَّبٌ وكلُّ مكانٍ يُنبِتُ العزَّ طيب

وقوله :

في سعة الخافِقَيْنِ مضطربٌ وفي بلادٍ من أختها بدلٌ

وقوله :

الحبُّ ما منع الكلامَ الألسنة وألذُّ شكوى عاشقٍ ما أعلننا

وقوله :

ذلٌّ من يتغبطُ الذليلَ يعيش ربُّ عيشٍ أخفُّ منه الحمام

وقوله :

مَنْ يَهْنُ يسهلِ الهَوَانُ عليه ما لجرحٍ بميتٍ لإسلامٍ

وقوله :

كفى بك داءٌ أن ترى الموت شافيا وحسبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

وقوله :

أفاضل الناسِ أغراضٌ لذا الزمِين يخلو من الهَمِّ أخلاهم من الفِطْنِ

وقوله :

وأتعِبَ مَنْ ناداك من لاتُجيبه وأغِظَ مَنْ عاداك من لاتشاكل

وقوله :

لا تشترِ العبدَ إلا والعصا معه إن العبيدَ لا تُتجاسَّ متاكيدٌ

وقوله :

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتهُ وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمردا
 ووضعُ الندى في موضعِ السيفِ بالعلَا مضيرٌ كوضعِ السيفِ في موضعِ الندى

وما قتل الأحرارَ كالغزو عنهم^١ ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا ؟
وقيدتُ نفسي في ذراكِ محبة^٢ ومن وجد الإحسانَ قيداً تقيدا

ومنها إرسال المثل والاستملاء^٣ على لسان التجربة في البيت والبيتين فصاعداً ،
وحسنُ التصرف في الحكمة والموعظة^٤ وشكوى الدهر ، والدنيا ، والناس ، وما يجري
مجرها كقوليه :

وما أجمعُ بين الماءِ والنارِ في يدي بأصعبَ من أن أجمعَ الجَدَّ والفهما
والدنيا وما يجري هذا المجرى

وقوله :

يُسخي العداوةَ وهىَ غيرُ خفيّةٍ نظرُ العلوّ بما أسرَّ يَبُوحُ^٥

وقوله :

والأمرُ لله ربّاً مجتهدٍ ما خاب إلا لأنه جاهدٌ

وقوله :

إليكَ فإنى لستُ ممن إذا اتقى عِضاصَ الأفاعى نام فوق العقاربِ

وقوله :

خيرُ الطيور على القصور وشرُّها يتأوى الخرابَ ويسكن النّاؤوسا^(١)

وقوله :

ليس الجمالُ لوَجّهٌ صحَّ مارِئُهُ أنفُ العزيزِ يقطعُ العزَّ يُجْتَدَعُ^(٢)

وقوله :

وليس يَصَحُّ في الأفهامِ شيءٌ إذا احتاجَ النهارُ إلى دليل

قال ابن جني : هذا كما قال أهلُ الجدل ، مَنْ شكَّ في المشاهدات فليس
بكامل العقل .

(١) النّاؤوس : القبر .

(٢) مارن الأنف : مالان منه . ويجتدع : يقطع .

وقوله :

وقد يَتَزَيَّا بالهوى غيرُ أهليه ويستصحبُ الإنسانُ من لا يلائمه

وقوله :

وما تنفع الخيلُ الكرامُ ولا القنَا إذا لم يكن فوق الكرام كرام^(١)

وقوله :

وأحسبُ أني لو هَوَيْتُ فِرَاقَكُمْ لفارقتكمُ والدهرُ أحبُّ صاحبِ

وقوله :

من خصَّ بالذمِّ الفراقَ فإنني من لا يرى في الدهر شيئاً يُحمدُ

وقوله :

ومن نكدر الدنيا على الحرَّ أن يَرى عدواً له ما من صداقته بُدُّ

وقوله :

وإذا كانت النفوسُ كِبَاراً تعبتُ في مُرادها الأجسامُ

وقوله :

تَلَفُ الذي اتخذ الشجاعةَ خَلَّةً وعظ الذي اتخذ الفِرَارَ خَلِيلاً^(٢)

وقوله :

فإن يكنِ الفعلُ الذي ساء واحداً فأفعاله اللأني سَرَرَنَ أُلُوفُ

وقوله :

وإذا خَفِيتُ على الغيِّ فعاذرُ أن لا تراني مقلةً عَمِيَاءُ

وقوله :

إن كنتَ تَرْضَى بأن يُعْطُوا الجِزْيَ بذلوا منها رضاك ومنَ لِلْعُورِ بِالْحَوْلِ

(١) بعد هذا البيت في البيعة بيت هو :

ما كل ما يمتنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

(٢) خلة : خليله وصديقه . تلف مبتدأ خبره جملة وعظ . . .

وقوله :

فأَجْرَكَ الإلهُ على مريض بعثت إلى المسيح به طيباً^(١)

وقوله

إذا أتت الإساءةُ من وضع ولم أَلَمْ المسىءَ فَنَنْ أَلومُ ؟

وقوله :

وإذا أمتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضلُ

وقوله :

إذا ما قدرتُ على نطقَةٍ إني على تركها أقدرُ^(٢)

وقوله :

ولِحَمَالُ الأذى ورؤيةُ جانيه ه غداءُ تَصَوِّى به الأجسامُ

وقوله :

وتوهموا اللعبَ الوغى والطعنُ في الـ هيجاءٍ غيرُ الطعن في الميدانِ

وقوله :

وإذا ما خلا الجبانُ بأرض طلب الطعنَ وحدهُ والنزلاً

وقوله :

ومن الخيرِ بقاءُ سَلْبِكَ عني أسرعُ السَّحْبِ في المسيرِ الجَهِامُ

(١) من قصيدة مدح بها المتنبي على بن محمد بن سيار بن مكرم وكان له وكيل يقول الشعر ويدعى العلم ؛ أرسله إلى المتنبي يناشده فتلقاها وسمع بعض شعره الركيك وكتب إلى على قصيدة مطلعها :
ضروب الناس عشاق ضروبا وأعدوهم أشقهم حبيبا
ومنها قبل بيت الأصل :

تيمنى وكيك مادحا لي وأنشدني من الشعر الغريبا
فأَجْرَكَ الإله . . .

ومعنى هذا البيت أثابك الله على خليل (يريد وكيله) بعثت به طيبا إلى المسيح يريد نفسه وأن منزله في الشعر كنزلة المسيح في الطب ووكيل الممدوح في منزلة مريض جاء يداوى طبيباً ماهراً .
(٢) يريد أنه على الصمت أقدر منه على الكلام .

وقوله :

وليس الذى يَتَّبَعُ الوبلَ رائداً كمن جاءه فى داره رائدُ الوبلِ

وقوله :

أبلغُ ما يُطلبُ النجاحُ به الطِبُ عٌ وعند التعمقِ الزلُّ

وقوله :

كم مَخْلَصٌ وعِلاٌ فى خوضِ مَهْلِكَةٍ وقتلَةٍ قُرْتُ بالدمِ فى الجُبُنِ

وقوله :

وما قلتُ للبدرِ أنتَ اللجينُ ولا قلتُ للشمسِ أنتَ الذَّهَبُ^(١)
ومن ركبِ الثورَ بعدِ الجِوا د أنكرَ أَظْلَافَهُ وَالْغَبَبُ^(٢)

وقوله :

فقرُّ الجَهلِ بلا قلبِ إلى أدب فقرُّ الحمارِ بلا رأسٍ إلى رَسَنِ
لا يُعجِبُ مَضِيماً حسنُ بَزَّتِهِ وهل يَروقُ دَفيناً جَوْدَةُ الكَفَنِ؟

وقوله :

إذا ما الناسُ جَرَّبَهُمْ لِيَبُ فلانى قد أَكَلَتْهُمْ وذاقا
فلم أرَ ودَّهم إلا خِداً عاً ولم أرَ دِينَهُم إلا نِفاقا

وقوله :

ذرينى أُنْزِلْ ما لا يُنْالُ من العُلا

فصعبُ العِلا فى الصَّعبِ والسَّهْلُ فى السَّهْلِ

(١) أى لم أنفصلك عما تستحق من المدح ، كما ينقص البدر إذا شبه بالفضة ، والشمس إذا شبهت بالذهب ؛ يخاطب به سيف الدولة .

(٢) الأظلاف : جمع ظلف ، وهو من البقرة والشاة ونحوهما بمنزلة الحافر من الدابة . والغيب اللحم المتدل تحت حنك البقرة . جعل الجواد مثلاً لسيف الدولة ، والثور مثلاً لمن لقي مده من الملوك قال الخطيب : ذكر الركوب هنا : فيه جفاء ، ولا تخاطب الملوك بمثل هذا ، وهو كما قال خراش ابن زهير :

ولا أكون كن ألقى رحالته عل الحمار ونخل صهوة الفرس

تريدين لُقيانَ المعالي رخيصةً
ولا بُدَّ دونَ الشَّهد من إبرِ النحل

وقوله :

تَمَسَّنْ يَلْدُ المستهامُ بمثله
وغيظُ على الأيام كالنار في الحشا

وقوله :

ومكايدُ السفهاء واقعةٌ بهم
لُعِنَتْ مقارنةُ اللثيم فإنها

وقوله :

وما الخيلُ إلا كالصديق قليلةٌ
إذا لم تشاهد غيرَ حُسْنِ شِيئاتِها

وقوله :

تصفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ
ولمن يُغالطُ في الحقائق نفسه

كأنه من قول لبيد :

واكذب النفسَ إذا حدثتها
إن صدقَ النفس يُزرى بالأمل

وقوله :

وأَتَعَبُ خلقِ الله من زاده
فلا يَنْتَحِلُ في المجد مالُك كلُّه
ودبره تدبيرُ الذي المجدُ كفه
فلا مجدَ في الدنيا لمن قلَّ ماله

وقصر عما تَشْتَهِي النفسُ وَجْدُهُ
فينحلَّ مجدٌ كان بالمالِ عَقْدُهُ
إذا حاربَ الأعداءَ والمالَ زَنْدُهُ
ولا مالَ في الدنيا لمن قلَّ مجدُهُ

(١) القد : السير يشده المأسور .

(٢) ضيف : كذا في البيتية . وفي سائر النسخ : صنف ، بصاد ونون . وضيفنا : كذا في البيتية وحدها وهو الذي يناسب المعنى . والضيفن الطفيل الذي يجمى مع الضيف بلا دعوة ؛ وفي جميع النسخ : ديدنا .

إذا كنتَ ذا شِكٍّ من السيفِ فابْلُغْهُ
وما الصَّارمُ الهنديُّ إلا كغيرِهِ

وقوله :

إنما تنجَحُ المقالةُ في المر
وإذا الحلمُ لم يكن في طباع
إنما أنت والدُّ والأب القسا

وقوله :

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له
وما بلدُ الإنسان غير الموافق
وجائزةٌ دعوى المحبة والهوى
وما يُوجعُ الحرمانُ من كفِّ حارم

وقوله :

إنما أنفُسُ الأنيسِ سباعٌ
من أطاق التماسَ شيءٍ غلابا
كلُّ غادٍ لحاجةٍ يتمنى

وقوله :

لولا المشقةُ ساد الناسُ كلهمُ
وقلما يبلغُ الإنسانُ غايتهُ
إنما لَكني زمنُ تركِ القبيحِ به
ذكر الفتى عمرهُ الثاني وحاجتهُ

(١) تنفيه ، بالتشديد للمبالغة : بمعنى تنفيه . يريد أن السيف لا تعرف جودته إلا بتجربته ، وكذلك الرجال لا تبين أقدارهم لمن يريد اصطناعهم إلا بتجربتهم ، وخاصة عند الأزمات والشدائد .

(٢) الأنيس : الناس . يتفارسن : يفترس القوي منهم الضعيف جبهة وخفية .

(٣) الديوان : واغتصابا .

(٤) الشلال : الناقة الخفيفة السريعة .

وقوله :

تري الجبناء أن العجز حزمٌ وتلك خديعة الطبع اللثيم
وكل شجاعة في المرء تُغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم

قيل له أنتى يكون الشجاع حكيماً ؟ فقال : هذا على بن أبى طالب كرم الله وجهه كان شجاعاً حكيماً .

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعُلموم

وقوله :

ولقد رأيتُ الحادثات فلا أرى يَفْقَهُ يَمِيت ولا سوادا يَعْصِمُ^(١)
والهمُّ يَسْخَرُ الجَسِمِ نخافةً وَيُشِيبُ ناصية الصبي ويُهَرِّمُ
ذو العقل يَشْقَى في النعيم بعقله وَأَخُو الجَهَالَةِ في الشقاوة يَنْتَعِمُ
لا يَخْدَعُنكَ من عدو دمعُه وَارْحَمْ شَبَابَكَ من عدو تُرْحِمُ
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حَتَّى يُرَاقَ على جوانبه الدم

قال ابن جنى : أشهد بالله أن لَوَ لم يقل غيرَ هذا البت لتقدم به أكثر المُحدثين ، وهذه الأبيات كلها غُررٌ وفرائد ، لا يصدر مثلها إلا عن فضل باهر ، وقدرة على الإبداع ظاهرة ، ومنها :

والظلم من خلق النفوس فإن تجد ذا عفة فليحلة لا يَظْلُمُ^(٢)
ومن البلية عدلٌ مَنْ لا يَرْعَوِي عن جهله وخطابُ مَنْ لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعُه ومن الصداقة ما يضرُّ ويؤلمُ

وقوله :

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه حريصاً عليها مُستهماً بها صَباً

(١) اليتيم البياض ، يريد بياض الشيب . يعنى أن حوادث الدهر تنال الصغير والكبير ، فلا يكون الشيب سبباً للموت ، ولا الشباب واقياً منه .

(٢) الديوان واليتيمة : « من شيم » .

فحبُّ الجبان النفسَ أوردته الرَّدَى

وحب الشجاع النفسَ أوردته الحربا

وقوله :

ويختلف الرزقان والفعل واحد

إلى أن ترى إحسانَ هذا لذا ذنبا

وقوله :

وفيك إذا جنى الجاني أناة*
بنو كعب وما أثَّرتَ فيهم
بها من قَطْعِهِ أَلَمْ ونقص*
لهم حقٌ بِشِرْكِكَ في نزار
لعلَّ بَنِيهِمْ لِبْنِكَ جند*
وما في سَطْوَةِ الأرباب عيب*

تُظن كرامةٌ وهي احتقار
يدٌ لم يُدْمِها إلا السَّوارُ
وفيها من جلالته افتخار
وأدنى الشرك في نسب جوارُ
فأول قُرْح الخيل المِهَّار
ولا في ذِلَّة العُبدانِ عار

وقوله :

من اقتضى بسوى الهندى حاجته
ولم تزل قلةُ الإنصاف قاطعة*
هَوْنٌ على بصر ما شقَّ منظره
لا تشكُّونَ إلى خلقت فتشتمته
وكن على حذر للناس تسره
وقت يضيعُ وعمرٌ ليت مدته
أنى الزمانَ بنوه في شيبته

أجاب كلَّ سؤال عن هلٍ بلم
بين الرجال وإن كانوا ذوى رحم
فلأما يَحْقِظَاتُ العين كالحلم
شكوى الجريح إلى الغربان والرخم
ولا يَغْرُنُكَ منهم ثغرٌ مُبْتَسِم
في غير أمته من سائر الأمم
فسرَّهم وأتيناها على المهرم

وقوله :

الرأى قبل شجاعة الشجعان
فإذا هما اجتماعا لنفس مرة*
ولربما طعن الفتى أقرانه
لولا العقولُ لكان أدنى ضيغم*

هو أول وهى المحل الثانى
بلغت من العلياء كل مكان
بالرأى قبل تطاعن الأقران
أدنى إلى شرف من الإنسان

وقوله :

فكلُّ بعيدٍ همٌّ فيها معذبٌ
ولا أشتكى فيها ولا أتعَبُ
ولكنَّ قلبي يا بنَّةَ القومِ قُلُوبُ
بغِيضِها تُنْأى أو حَبِيبا تُقَرِّبُ

لحى الله ذى الدنيا مُناخاً لراكب
ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً
وبى ما يبدود الشعرَ عني أقلُّه
أما تَغْلِيظُ الأيامُ فيَّ بأن أرى

وقوله :

فا طلي منها حبيبا تَرُدُّه
تكلفُ شيء في طباعِك ضدهُ

أبى خلقتُ الدنيا حبيبا تُدَيِّمه
وأسرُعُ مفعول فعلتَ تغيرا

وقوله :

وصدِّقْ ما يعتاده من تَوَهَّمِ
وأصبح في ليل من الشكِّ مُظْلَمِ
ولا كلُّ فعالٍ له بِمَتَمِّ
وأيمَنُ كَفِّ فيهم كَفُّ مُنْعَمِ
وأكثرَ إقداماً على كلِّ مُعْظِمِ
سرورٍ مُحبٍ أو إساءةٍ مُجْرَمِ؟

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءت ظنونُه
وعادى مُحِبِّيهِ يَقولُ عُدائِهِ
وما كلُّ هَماوٍ للجميلِ بِفَاعِلِ
وأحسنُ وجهٍ في الورى وجهُ محسنِ
وأشرفُهم مَن كان أشرفَ همةٍ
لِمَن تَطْلُبُ الدنيا إذا لم تُرِدْ بها

وقوله :

وعمرٌ مثلُ ما تهبُّ اللثامُ
وإن كانت لهم جُثُّ ضِخَامِ
ولكنَّ معدنُ الذهبِ الرَّغَامِ
وأشبهُنا بديانانا الطَّغَامِ
تعالى الجِيشُ وانحطَّ القَتَامُ
تجنَّبَ عُتْقَ صَيْقَلِيهِ الحُسامِ

فؤادٌ ما تُسَلِّيهِ المِدامُ
ودهرٌ ناسُهُ ناسٌ صِغارُ
وما أنا منهمُ بالعِيشِ فيهمُ
وشبهُ الشَّيءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ
ولو لم يَعْلُ إِلَّا ذُو محلٍ
ولو حَيَزَ الحِفاظُ بِغيرِ عقلِ

وقوله :

يا فيا ليت جودها كان بخلا

أبدا تستردُّ ما تهب الدنـ

فَكَفَّتْ كَوْنَ فَرَحَةٍ تُورِثُ الْغَمَّ وَخِلٌ يَغَادِرُ الْوَجْدَ خِيَلًا
وَهِيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لَا تَحْدُ فَظَ عَهْدًا وَلَا تُتِمُّ وَصْلًا
كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا وَبِفَتْكَ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلِّتُنِي
أَيُّ كُلِّ مَنْ أَبْكِيهِ الدُّنْيَا فَإِنَّمَا يَبْكِي لِفُوتِ شَيْءٍ مِنْهَا ، وَلَا يُخْلِيهَا الْإِنْسَانُ
إِلَّا قَسْرًا بِفَتْكَ يَدَيْهِ عَنْهَا .

ومن هذه القصيدة :

شِيمُ الْغَانِيَاتِ فِيهَا فَلَا أَدُ رَى لَذَا أَنْتَ اسْمُهُمَا النَّاسُ أَمْ لَا
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْسِ سَ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأُحْلَى
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَتُفَا مَلَّ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفَ مَلَا
آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فَإِذَا وَلِيَا عَنْ الْمَرْءِ وَلَى
وقوله :

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السَّفَنُ
قَالَ ابْنُ جُنَى : حَدَّثَنِي الْمُنْتَنَى ، قَالَ : حَدَّثَنِي فُلَانُ الْهَاشِمِيُّ مِنْ أَهْلِ حَرَّانَ
بِمَصْرٍ قَالَ : أُحَدِّثُكَ بِظَرِيفَةٍ : كَتَبْتُ إِلَى امْرَأَتِي بِحَرَّانَ كِتَابًا تَمَثَّلْتُ فِيهِ
بِیَّتِكَ وَهُوَ :

قف على هذه
الظريفة

بِمِ التَّلَّعْلِ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنٌ
فَأَجَابَتْنِي عَنِ الْكِتَابِ وَقَالَتْ : مَا كُنْتُ وَاللَّهِ كَمَا ذَكَرْتَ فِي هَذَا الْبَيْتِ ،
بَلْ أَنْتَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

سَهَرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحِشَّةً لَكُمْ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوِي الْوَسْنَ (١)
قَالَ : وَلَمَا سَمِعَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْبَيْتَ الَّذِي يَتْلُوهُ وَهُوَ :

وَأَنْ بُلِّيتُ بِوَدِّ مِثْلٍ وَدَكُمُ فَإِنَّنِي بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِينُ
[قَالَ : سَارَ وَحَقُّ أَبِي] (٢)

(١) استمر مريره: قوى بعد ضعف . وارعوى: ارتدع . والوسن: النعاس . والمعنى استوحشت
بعد فراقكم لآلئى إياكم ، حتى جفانى الرقاد ، ثم تجللت لما ذكرت من سوء صنعكم ، فسلوت وعاودنى
النمائم . (٢) زيادة من ديوان المتنبي لغزاهم ص ٤٦٩ .

وهذه الأبيات من قصيدة قالها بمصر ، وقد بلغه أنه نُعي في مجلس سيف الدولة بجلب ، وبعَدَ مطلعها :

أريدُ من زمني ذا أنْ يُبَلِّغني
لا تلقِ دهرَكَ إلا غيرَ مُكثَر
فما يُدِيمُ سروراً ما سُرِرْتَ به
مما أضرَّ بأهلِ العشق أنْهُمُ
تَفْنِي عيونهمُ دمعاً وأنفُسهمُ
في إثرِ كل قبيح وجهه حَسَنُ

ومنها أيضاً :

يا من نُعيتُ على بُعْدِ بمجلسه
كم قد قُتِلْتُ وكم قَدِ مِتُّ عنْدكمُ
قد كان شاهدَ دفني قبل موتهمُ^١

كلُّ بما زعم الناعون مُرتَهَنُ
ثم انتفضتُ فزال القبرُ والكفنُ
جماعةٌ ثم ماتوا قبل مَنْ دفنوا

ومنها :

رأيتكم لا يصون العرضَ جاركمُ
جزاءٌ كلَّ قريب منكم مللُ
وتغضبون على من نال رِفْدكمُ
فغادرَ المجرُّ ما بيني وبينكمُ
تحبو الرواسمُ من بعد الرسم بها

ولا يتدر على مراكمُ اللين^(١)
وحظُّ كلِّ مُحِب منكم ضغنُ
حتى يعاقبه التنعيص والمنن
يَهْماءَ تكذبُ فيها العين والأذن^(٢)
وتسأل الأرضَ عن أخفافها الثفن^(٣)

• الديوان : فأيوم سرور . • الديوان : قولم مكان موتهم .

(١) من جاوركم لا يسان عرضه ، لأنه يشتم فلا تدفون ؛ والنعم لا يدر لبنها على مراكم لوخامته يريد أن نعمتكم مشوبة بالأذى ، فلا يهأأ أخذها .

(٢) ما : زائدة ، الهماء : الأرض التي لا يهتدى فيها . ترى العين فيها من الأشباح ، وتسمع الأذن من الأصوات ، مالا حقيقة له ، لكثرة ما يتخيل فيها من المخاوف .

(٣) حبا : مشى على بطنه ويديه . والرواسم : الإبل التي تمشي الرسم ، وهو ضرب من السير المريع . والثفن : ما من الأرض من أعضاء البعير إذا برك ، كالركبتين والكركرة . أي لطول السير في تلك الأرض ومتابعتها ، تبرى الأرض أخفاف الإبل ، فتحبو على ثفنائها ، وتقول الثففات للأرض : أين ذهبت الأخفاف حتى صار المشى علينا بعد أن كان عليها ؟

لانى أوصاحبُ حلمى وهو بى كثرَمُ ولا أوصاحب حلمى وهو بى جُبْنُ
ولا أقيم على مال أذلُّ به ولا ألدُّ بما عرضى به كَرِنُ
ومنها :

وإن تأخر عني بعضُ موعدة فما تأخرُ آمالى ولا تَهينُ
هو الوفى ولكنى ذكرتُ له مودةً فهو يبلوها ويمتحن

ومن بدائعه افتضاذه أبكارَ المعانى فى المرائى والتعازى كقوله :

محاسنه فى المرائى
والتعازى

سالمُ أهل الودادِ بعدهمُ يسلم للحزن لا لتخليد

أى إذا مات الصديق يسلم صديقه للحزن لا للخلود ، لأن كلامه .

فما يرجى الخلودُ من زمن أحمدُ حالينه غيرُ محمودِ

أى أحمدُ حاليك أن تبقى بعد صديقك ، وهو مع ذلك غير محمود لتعجل
الحزن وانتظار الأجل .

وقوله :

المجد أخسرُ والمكارمُ صفقةٌ من أن يعيش لها الكريمُ الأروع^(١)
والناسُ أنزلُ فى زمانك منزلاً من أن تعایشهم وقدرُك أرفعُ
قُبْحاً لوجهك يا زمانُ فإنه وجهٌ له من كل قبح بُرْقُعُ
أيموتُ مثلُ أبى شجاع فأتك ويعيشُ حاسدُ الحصى الأوكع^(٢) ؟

وقوله :

من لا تُشابههُ الأحياءُ فى شَيْسَمِ أمسى تُشابههُ الأمواتُ فى الرَمِ^(٣)

(١) الصفقة : أصلها من صفقة البيع ، ثم استعملت فى الحظ والنصيب . والأروع : الذكى
الفؤاد . يقول : المجد والمكارم أنقص حظاً من أن يعيش لها هذا المرء . فقد شقيت بموته لأنه كان
يمزها ويجمع شملها .

(٢) الأوكع : الذى أقبلت إبهام رجله على السبابة ، حتى يرى أصلها خارجاً كالعقدة ؛
والمراد به اللئيم . والأبيات من قصيدة يرقى بها أبا شجاع فاتكا ، وله خبر طويل فى ترجمته فى ابن خلكان .

(٣) من رثائه الأمير فاتكا .

عَدِمَتُهُ وَكَأَنِّي سِرْتُ أَطْلُبُهُ فَمَا تَزِيدُنِي الدُّنْيَا عَلَى الْعَدَمِ
وَقَوْلِهِ :

وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الْأَحِبَّةَ قَبْلُنَا وَأَعْيَا دَوَاءُ الْمَوْتِ كُلَّ طَيِّبٍ
سَبَقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَسِيئَةٍ وَذُحُوبٍ
تَمْلِكُهَا الْآتِي تَمَلِّكُكَ سَالِبٍ وَفَارَقَهَا الْمَاضِي فِرَاقَ سَلِيبٍ

هذا كقول بعض الوعاظ : فإنما في أيديكم أسلابُ الهالكين استخلفها الباقون ،
كما تركها الماضون ، وقد أفصح عن هذا المعنى بعض أهل العصر بقوله :
هذه منازلنا التي كانت لهم للغير نبقيها مدى الأحقاب

وَقَوْلِهِ :

عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَافُ إِنْ كَانَ نَافِعًا بِشَقِّ قُلُوبٍ لَا بِشَقِّ جُيُوبٍ (١)
فَرِبَ كَثِيبٌ لَيْسَ تَسْنَدِي جَفُونُهُ وَرُبَّ كَثِيرٍ الدَّمْعُ غَيْرُ كَثِيبٍ
وَلِلْوَاجِدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَقَرَاتِهِ سَكُونٌ عَزَاءُ أَوْ سَكُونٌ لُغُوبٍ (٢)

وَقَوْلِهِ :

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى أَنْ الْكَوَاكِبَ فِي التَّرَابِ تَغْوَرُ
مَا كُنْتُ أَمَلُّ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى رَضْوَى عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ تَسِيرُ
خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكَ خَلْفَهُ صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ دُكِّ الطُّورِ
حَتَّى أَتَوْا جَدَثًا كَأَنَّ ضَرْبَهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَحْفُورُ
كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ (٣)

(١) في البيعة : الإسعاد ، وهما بمعنى .

(٢) الأبيات من قصيدة يعزى بها المنتهي سيف الدولة عن عبده « يماك » التركي . والبيت « ورب
كثيب ... إلخ » : مأخوذ مما أنشده أبو علي في آخر تكملة إيضاحه :

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه وما كل مؤت نصحه بلبيب
والبيت الأخير كقول أبي تمام :

أنصبر للبلوى عزاء وحسبة فتؤجر أم تلو سلو البهائم

(٣) في رثاء محمد بن إسحاق التنوخي ، والبيت الأول فيه نظر إلى قول آخر : =

وقوله في تعزية سيف الدولة عن أخته :

ولعمري لقد شَغَلْتَ المنايا بالأعادي فكيف تطلبُ شُغلاً^(١)
خِطْبَةً لِلْحِمَامِ ليس لهَارِدٌ وإن كانت لها المساءة تُكَلَّا
وإذا لم تجد من الناس كُفُوًا ذاتُ خِدرٍ أرادتِ الموتَ بَعَلَا

وهذا أحسن ما قيل في مرثي حُرَمِ الملوك .

وقوله في مرثية طفل لسيف الدولة وتعزيته عنه :

فإن تكُ في قبرٍ فإنك في الحَشَا وإن تك طفلاً فالأسى ليس بالطفل
ومثلُك لا يُبكي على قدرِ سِنِّه ولكن على قَدَرِ المَخِيلَةِ والأصل
عزاءك سيف الدولة المقتدى به فإنك فصلٌ والشدائدُ للنصل
ولم أرَ أعصى منك للدمع عِبْرَةً وأثبت عقلاً والقلوبُ بلا عقلٍ
تخونُ المنايا عهدَه في سليله وتنصرُه بين الفوارس والرجلِ
ويبقى على مَرِّ الحوادثِ صبرُه ويبدو كما يبدو والفرندُ على الصَّقَلِ
وما الموت إلا سارقٌ دقَّ شخصُه يصول بلا كَفٍّ ويسعى بلا رجلِ
يردُّ أبو الشبل الخميسَ عن ابنه ويسلمُه عند الولادة للنملِ

ومنها :

إذا ما تأملتَ الزمانَ وصَرَفَه تيقنتُ أن الموتَ ضربٌ من القتلِ
وما الدهرُ أهلٌ أن تُؤمِّلَ عنده حياةً وأن يُشتاقَ فيه إلى النسلِ
وقد ذقتُ حُلواءَ البنينَ على الصبا فلا تحسبني قلتُ ما قلتُ عن جهلٍ^(٢)

= ما كنت أحسب والمنية كاسمها
والبيت الثاني منقول من قول ابن المعتز :

هذا أبو القاسم في نعشه قوموا انظروا كيف تسير الجبال
والرابع من قول ابن الزيات :

يقول لي الخلان لوزرت قبرها فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر
(١) اليتيمة : يطلبن ، والضمير راجع إلى المنايا .

(٢) عقد ابن الأثير في كتابه « المثل السائر » موازنة بين هذه القصيدة وقصيدة لأبي تمام في رثاء
ولدين لعبد الله بن طاهر ، ماتا في يوم واحد ، مظلما « نجان شاء الله ألا يطلعا » وفضل المتنبي على أبي تمام =

وقوله :

نحن بنو الموتى فما بالناس تبخلُ أيدينا بأرواحنا
فهذه الأرواحُ من جنّوه لو فكّر العاشقُ في منتهى
لم يرَ قرنُ الشمسِ في شرقه يموتُ راعى الضان في جهله
وربما زاد على عُمره وغاية المفسرِ في سلمه
فلا قضى حاجته طالبٌ نَعافُ ما لا بُدَّ من شربه
على زمان هي من كَسْبِهِ هذه الأجسامُ من تُربّه
حُسْنِ الذى يَسْبِيه لم يَسْبِه فَشَكَّتِ الأنفسُ في غربه^(١)
مَوْتَةَ جالينوس في طبه^(٢) وزاد في الأمن على سيره
كفاية المفسرِ في حربه فؤاده يَخْفِقُ من رُعبه

ومن قلائده الإبداعُ في الهجاء ، كقوله :

إن أوحشتك المعالي فإنها دارُ غُربَةٍ
أو آنستك الخازي فإنها لك نِسْبَةٍ

وقوله :

إني نزلتُ بكذابين ، ضيفهمُ
جودُ الرجالِ من الأيدي وجودُهمُ
ما يقبضُ الموتُ نفساً من نفوسهمُ
عن القرى وعن الترحالِ محدودُ
من اللسانِ فلا كانوا ولا الجودُ
إلا وفي يده من نَتْنِها عودُ

يعنى العودَ الذى يتناوله المعالج للشيء القَدَرِ ليكون واسطة بينه وبين يده
العبدِ ليس لحرٍّ صالحٍ بأخٍ لو أنه في ثياب الحرِّ مولودُ

في مواضع كثيرة ، والبيت الثامن : « يرد أبو الشبل . . . » مثل ضربه لقيام سيف الدولة بجليل الأمور ، وهو مع ذلك لا يدفع الموت عن ولده . ويقال إن الفحل إذا اجتمع على ولد الأسد أكله وأهلكه ، فالأسد يرد الجيش عن ابنه ، ولا يستطيع رد الفحل عنه .

(١) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وشكت : عطف على لم ير . والمعنى : من رأى الشمس طالعة لم يشك في غروبها . وهو مثل . يعنى أن كل حادث لا بد أن ينتهى إلى الزوال .

(٢) في رواية « ميتة » . وجالينوس : طبيب عالم من أطباء اليونان انتفع الأطباء بكتبه في تعليم

الطب .

من علّم الأسود الخصى مكرمة
أم أذنّه في يد النخّاس دامية
وذاك أنّ الفحول البيض عاجزة
أقومه البيض أم آباؤه الصّيد
أم قدره وهو بالفلسّين مردود
عن الجميل فكيف الخصى السود

كأنه من قول أبي على البصير^(١) :
عَجَزَ الراكبُ البصيرُ وأولّى

وقوله :

فلا تُرَجِّ الخيرَ عند امرئ
مرت يدُ النخّاس في رأسه

وقوله :

أخذتُ بمدحه فرأيت لهوا
ولما أن هجوتُ رأيتُ عيباً
فهل من عاذر في ذا وهذا
مقالى للأُحيمق يا حكيم
مقالى لابن آوى يا لثيم
فدفوع إلى السقم السقيم

وقوله :

لقد كنت أحسب قبل الخصى
فلما نظرتُ إلى رأسه
بأن الرؤوس محلّ النهي
رأيت النهي كلّها في الخصى

وقوله :

يمشى بأربعة على أعقابه
وجفونُه ما تستقر كأنها
وتراه أصغر ما تراه ناطقا
وإذا أشار مكلما فكأنه
يقبلي مفارقة الأكف قذاله
تحت العلوج ومن وراء يُلجَم
مطروقة أوفت فيها حصرم
ويكون أكذب ما يكون ويُقسم
قرد يقهقه أو عجوز تلطم
حتى يكاد على يد يستعم^(٢)

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) الأبيات من قصيدة يهجو بها أبا إسحاق الأعرور المعروف بابن كيخلف . والقذال : مؤخر الرأس . يقول : إن قذاله يكره مفارقة الأكف ، لأنه قد ألف صحبتها في الصغم .

ومن قلائد أبي الطيب إبرازُ المعاني اللطيفة في معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة،
والرمي بالطُرف والمُلح كقوله في الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه ، وبين
مدح كافور وقد قصده في بيت واحد وهو :

فراقٌ ومن فارقتُ غيرُ مُدَمِّمٍ وأمُّ ومن يَمَمْتُ خيرُ مُيَمِّمٍ

ثم قال مُعرِّضاً بسيف الدولة :

وما منزلُ اللذاتِ عندي بمنزلِ إذا لم أُبَجِّلْ عنده وأكرمِ
رحلتُ فكمِ باكِ بأجفانِ شادنٍ علىَّ وكمِ باكِ بأجفانِ ضيغمِ
المصراع الثاني تصديق لقوله :

• لَيْسَ حُدُوثُنَّ لِمَنْ وَدَعْتُهُمْ نَدَمٌ •

وما ربةُ القُرطِ المليحِ مكانهُ بأجزعَ من ربِ الحسامِ المُصمِّمِ
فلو كان ما بي من حبيبٍ مُقَنَّعٍ عذرتُ ولكن من حبيبٍ مُعَمِّمِ

وهذا أيضاً مما نبهت عليه من إجرائه الممدوح من الملوك مجرى المحبوب في
كثير من شعره .

رى واتقى رَمِيٍّ ومن دون ما اتقى هوَّى كاسرٌ كفى وقوسى وأسهمى

وقوله في مدح كافور والتعريض بالقَدَح في سيف الدولة :

قالوا هجرتُ إليه الغيثَ قلتُ لهم إلى غيوثِ يديه والشآبيبِ
إلى الذي تهبُّ الدُّولاتُ راحتهُ ولا يَمُنُّ على آثارِ موهوبِ
ولا يَتَرَوُّعُ بمغرور بهِ أحداً ولا يُفَزِّعُ موفوراً بمنكوبِ
يأيهما الملكُ الغاني بتسميةٍ في الشرق والغرب عن نعتٍ وتلقبِ

يعنى أنه مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة .

أنت الحبيبُ ولكنى أعوذ به من أن أكونُ مُحِبًّا غيرَ محبوبِ

وهذا أيضاً من ذاك .

وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد ما فارق حضرته يُعرّض باستزادة يومه وشكر
أمسه ، وهو من فرائده :

وإن فارقتني أمطاره فأكثر غُدرانها ما نَضَبُ
وإني لا تُبْعُ تذكّاره صلاةَ الإله وسقى السحبُ

ومنها في التعريض لكافور :

ومن ركب الثورَ بعد الجوا دِ أنكر أظلافه والغيبُ

وقوله في هزّ كافور والتعريض باستزادته :

أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أناله فإني أغني منذُ حين وتُشربُ

يقول : مديحي إياك يطربك ، كما يطرب الغناءُ الشاربَ ، فقد حان أن
تسقينى من فضل كأسك .

وهبتَ على مقدار كفتيَ زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلبُ

وقوله أيضاً في التعريض بالاستزادة :

أرى لى بقربي منك عيناً قريبةً وإن كان قرباً بالبعد يُشَابُ
وهل نافعى أن تُرفعَ الحجبُ بيننا ودون الذى أمَلْتُ منك حجاب
أقلُّ سلامي حُبَّ ما خفَّ عنكم وأسكتُ كيما لا يكونَ جواب
أى حُبِّ ما خفَّ عليكم .

وفى النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتي بيانٌ عندها وخِطابُ

وقوله في وصف الفرس :

ويوم كليل العاشقين كَمَسَتْهُ أراقب فيه الشمسَ أيان تَغْرُبُ
وعيني إلى أذنى أغرَّ كأنه من الليل باق بين عينيه كوكبُ

أى كأنه قطعة من الليل ، وكأن الغرة في وجهه كوكب ، وعينه إلى أذنه ،
لأنه كامنٌ لا يرى شيئاً ، فهو ينظر إلى أذنى فرسه ، فإن رآه قد توحش بهما ،

تأهب إلى أمره ، وأخذ لنفسه الحذر ، وذلك أن أذن الفرس تقوم مقام عينيه ،
وتقول العرب : أذنُ الوحشي أصدق من عينيه .

له فَضْلَةٌ عن جسمه في إهابه تجي على صدر رحيب وتذهب^(١)
شقتُ به الظلماء أدنى عِنايته فيطغي وأُرخيه مِراراً فيلعب
أى إذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه ، وعزّة نفسه ، وإذا أُرخيتُ عنانته
لعب برأسه .

وأصرعُ أى الوحش قفّيته به وأنزلُ عنه مثله حين أركبُ
وقوله في التوديع :

وإني عنك بعد غد لَمَعَاد وقلبي في فِئائك غيرُ غاد
مُحبك حيث ما اتجهت ركابي وضيفك حيث كنتُ من البلاد
وقوله :

سِرٌ حَلَّ حيثُ تَحُلُّه النّوارُ وأرادَ فيك مرادك المقسّدارُ
وإذا ارتحلتَ فشيعتك سلامة حيث اتجهت وديمةٌ مدارُ
وأراك دهرُك ما تحاولُ في العدا حتى كأن صروفه أنصارُ
أنت الذي بسجّح الزمانُ بذكره وتزينتُ بحديثه الأسمارُ
وقوله في الرفق بالصدّيق والعنف بالعدو :

إني لأجبنُ عن فِراق أحبّتي وتُحسُّ نفسي بالحمام فأشجعُ
ويزيدني غضبُ الأعادي جرأة ويُلِمُّ بي عتبُ الصديق فأجزعُ
وقوله في حسن الكناية :

تشتكى ما اشتكى من ألم الشو ق إلينا والشوقُ حيثُ النحولُ
ولمّا كنى عن تكذيبها ، ولم يُصرح به ، أى أنا أشتكى الشوق ، ونحوى يدل
على ذلك ، وهى غير ناحلة ، فليست مشتاقة .

(١) يصف فرسه بعرض الصدر ، وسعة الجلد عليه ، وكلاهما يقتضى سعة الخطو ، وسرعة العدو .

وقوله :

[عَفِيفَ مَا فِي ثَوْبِهِ مَأْمُوزَةً^(١)] أبيضَ ما في تاجه ميمونه
أى عفيف الفرج ، فكنى به .

وقوله فى العيادة :

لَا تَعْذِلُ الْمَرْضَ الَّذِى بِكَ شَاقٌّ أَنْتَ الرِّجَالُ شَاقٌّ عِلَاتِيهَا^(٢)
ومنازلُ الحمى الجسومُ فقل لنا ما عذرُها فى تركها خيراتها
أى لا عذر للحمى فى تركها جسمك ، إذ هو أفضل الجسوم .
وقوله :

قُصِدَتْ مِنْ شَرْقِيهَا وَمَغْرِبِيهَا حَتَّى اسْتَكْتَكَ الْبِلَادُ وَالسُّبُلُ
لَمْ تَبْقَ إِلَّا قَلِيلَ عَافِيَةٍ قَدْ وَفَدَتْ تَجْتَدِيكُهَا الْعِلَلُ^(٣)
وقوله :

يُجِشَمُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَوَدًّا وَقَدْ يُؤْذَى مِنَ الْمَقَّةِ الْحَبِيبُ
وكيف تُعلِّكُ الدنيا بشيء وكيف تنوبُكُ الشكوى بداء
وأنت لعلَّة الدنيا طبيب ؟ وأنت المستغاثُ لما ينوب ؟^(٤)

وقوله فى التهنة :

الْمَجْدُ عَوْفَى إِذْ عَوْفِيَتَ الْكَرْمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَاثِكَ الْأَلَمُ
وما أخصك فى بُرءٍ بتهنة إذا سلمتَ فكل الناس قد سلكموا^(٥)

(١) ما بين القوسين زيادة من الديوان واليتيمة ، وهو محل الشاهد .

(٢) هذا مثال من تعقيدات المتنبي . وبيانه : شائق : خبر مقدم لأنت ، والرجال مفعول شائق وترتيب ألفاظ البيت : أنت شائق الرجال ، وشائق علائها ، فلا تعذل المرض الذى بك . والمعنى : المرض الذى بك لا يلام ، فإنك قد شوقت الرجال إلى زيارتك ، وشوقت علائها أيضاً ، فهى تزورك مثلهم .

(٣) يقول أنفقت كل ما عندك ، ولم تبق لنفسك إلا بقية من العافية ، فقدمت العلل تستوهبها منك . وهو من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

(٤) فى سيف الدولة وقد تشكى من دمل .

(٥) فى سيف الدولة وقد برئ من الدمل .

وقوله :

إِنَّمَا التَّهَنُّاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَأَنَا مِنْكَ لَا يُهْنِي عَضُوٌّ
وَلِمَنْ يَدَّتْ نِ الْبَعْدَاءِ بِالْمَسَرَاتِ سَائِرَ الْأَعْضَاءِ

وقوله :

الصُّومُ وَالْفِطْرُ وَالْأَعْيَادُ وَالْعَصْرُ
مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلَّا رَوْضَةٌ أَنْفُ
مَا يَنْتَهِي لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ
فَإِنْ حَظَّكَ مِنْ تَكَرَّرِهَا شَرَفٌ
مَنِيرَةٌ بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
يَا مَنْ شَائِلُهُ فِي دَهْرِهِ زَهْرُ
فَلَا انْتَهَى لَكَ فِي أَعْوَامِهِ عُمْرُ
وَحَظُّكَ غَيْرُكَ مِنْهَا النَّوْمُ وَالسَّهَرُ

وقوله في الشيب :

تَغْيِيرُ حَالِي وَاللَّيَالِي بِجَاهِلِهَا
وَشَبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغُرَانِقُ (١)

وقوله :

تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بَيضَ أَوْجُهِنَا
وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً
وَمِنْهَا حَسَنُ الْمَقْطَعِ ، كَقَوْلِهِ :

قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِنُهَا
وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانًا
وَلَا تُسَوِّدُ بَيضَ الْعُذْرِ وَاللَّيْمِ
لَوْ احْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكَمِ

وقوله :

سَمَا بِكَ هَمِّيَ فَوْقَ الْهَمُومِ
وَمَنْ كُنْتَ بِحَرًّا لَهُ يَا عَلِيٌّ
فَلَسْتُ أَعْدُوَّ يَسَارًا يَسَارًا
لَمْ يَقْبَلِ الدَّرَّ إِلَّا كِبَارًا

وقوله :

أَنْكَلْتُ عَيْبِكَ مَا أَمَلَوَا
أَنَا لَكَ رَبُّكَ مَا تَأْمَلُ

وقوله :

وَأَعْطَيْتَ الَّذِي لَمْ يُعْطَ خَلَقْتَ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

ما قاله في حسن
الحشو

وقوله في حسن الحشو :

صَلَّى إِلَهِهُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُودَّعٍ وَسَقَى ثَرَى أَبْوَيْكَ صَوَّبَ غَمَامٍ^(١)

وقوله :

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارًا مُجْرَبٌ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا

وقوله :

إِذَا خَلَلْتَ مِنْكَ حِمَصٌ لَا خَلَّتْ أَبَدًا فَلَا سَقَاهَا مِنَ الْوَسْمِيِّ بِاِكْرُهُ

ومما أورد له في حسن الحشو البيت المشهور وهو :

إِنْ الثَّمَانِينَ وَبُلْغَتَهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

نقد للمخدوم
بهذا الكتاب

بشريطة أن يكون لفظ «وبلغتها» بناء الخطاب ، أما إذا كانت للمتكلم ، فليس منه لكن أفادنا المولى المعنون باسمه الشريف هذا الكتاب أن البيت فيه نظر يظهر بالتأمل ، إذا كان بناء الخطاب ، ولم نسمع بهذا النقد^(٢) من غيره ، أدام الله علوه ، وزاد في أوج المعارف سموه ، فإنه المولى الذى تقتبس الفضائل من أنواره ، وتعرف الفواضل من تياره ، فلا زالت أيامه بالحمد مشرقة ، ولا برحت بحار فضائله بالفوائد مغدقة ما سطع بدر العدل ، ولمع برق الفضل .

[خاتمة]

هذا ؛ ونوادر أبى الطيب المتنبي غزيرة ، وأخباره كثيرة ، وفد اخترنا منها ما يستظرف لإبراده ، ويضطرب الألباب إنشاده ، ومنذ تم ما جمع ، وسُمي بالصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، تواردت التقریظات من العلماء الأعلام ، وسميت بنسمة الصبح ، وجرت منها مجرى الختام .

(١) يريد بالحشو هنا : الاحتباس .

(٢) لعل النقد الذى يشير إليه : أن الدعاء للمخاطب ببلوغ الثمانين ، مع إخباره في البيت بأنها قد أحوجت سمعه إلى ترجمان ، فيه ما يؤم الدعاء عليه أيضاً بأن يصاب بهذا الور .

وأول ما ورد ما كتبه مخدومنا شخصُ الفضل وصورته ، وحكّى الأدب وزينته ، سيد سادات مَنْ في الشَّهَاء من آل النبي ، أحمد أفندي الشهير نسبة الكريم بابن النقيب الحسني ، وهو :

يَرَاكَ - لافضل الربيع - ربيعُه
لأخباره ، قد قلَّ مَنْ يستطيعُه
من الفضل ما بين الأنام جميعه
حسّاماً بهام الظالمين وقوعه
تلاً مثل الصبح زاد سطوعه
وقد كانت الأطماع قبل تضعفه
وأحياناً بين الآداب فيها صنيعه
يكون بديعاً كل شيء بديعه
يسير بها من كل ركب سريعه
وفضلاً وإقبالا ، وأنت بديعه

أَيُوسُفُ إِن أَظْهَرَتْ رَوْضاً مَدَّ بَجَا
وَجَدَّتْ لِلْكِنْدَلِ ذِكْرًا بَجَامِعٍ
وَتَوَجَّهَتْ بِاسْمِ الْهَمَامِ الَّذِي لَهُ
سَكِيلُ حُسَامِ الدِّينِ ذِي الْمَجْدِ مَنْ غَدَا
وَصَدْرُ مَوَالِي الرُّومِ مَنْ نُورِ عَدْلِهِ
وَمَنْ كَلَّمَ يَزِلُّ لِلشَّرْعِ بِالزَّهْدِ حَافِظًا
وَمَنْ شَرَفَ الشَّهَاءَ مَدْحَلَّ رُبْعِيهَا
فَمَنْ يَتَلَقَّبُ بِالْبَدِيعِ فَإِنَّمَا
وَإِن كُنْتَ قَدْ حَبَّرْتَ فِيهِ مَدَّ آيَحَا
فَمَا هُوَ إِلَّا الصَّاحِبُ النَّدْبِ سُوْدَا

ثم ورد ما تفضل به شيخنا ، الذي يزغرت في الشَّهَاء فضائله ، وعمت فضلاء ما كتبه نجم الدين الأدباء فواضله ، وأزرى سنناً سُوْدُده بالدرارى ، شمس الجدد ، بدر الفضل ، أفندي الأنصارى نجم الدين ، أفندي الأنصارى ، وهو قوله ، مدّ الله ظيله ، ورفع حِمْلَه :

تَشْرَهُ فِيهَا السَّمْعُ وَالطَّرْفُ وَالْفَكْرُ
عَلَى شِعْرَاءِ الدَّهْرِ قَدَمَهُ الشُّعْرُ
أَحَادِيثُهَا الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهَا خَمَرُ
إِذَا الْبَحْرُ مِنْهُ دَائِمًا يَخْرُجُ الدُّرُ
عَلَى مَا بِهِ الدَّهْرُ الضَّيْنُ سَخَا الدَّهْرُ
فَلَمَّا رَأَتْهُ مُقْبِلًا سَطَعَ الْفَجْرُ
بِهَيَّاءٍ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ لَهُ الذِّكْرُ
بِكُلِّ فَمٍ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَهُ شُكْرُ
وَلَوْ لَمْ يَجِدْ أَغْنَاكَ عَنْ بَدَلِهِ الْبَشْرُ

رِسَالَةُ مَوْلَانَا الْبَدِيعِ رَوْضَةُ
أَبَانَتْ مَزَايَا ابْنِ الْحُسَيْنِ الَّتِي بِهَا
وَأُسْكِرَتْ الْأَلْسَابَ حَتَّى كَانَمَا
وَلَا يَدْعُ أَنَّ أَبْدَى الْبَدِيعِ دُرَّهُ
فَكَيْفَ وَمَنْ صَيَّغَتْ لَهُ الْعِلْمُ الَّذِي
أَتَاهَا وَلَيْسَ الظُّلْمُ مُلْتَقً رَوَاقَهُ
إِمَامٌ كَسَسَا الشَّهَاءَ سَاطِعُ عَدْلِهِ
بِمَاذَا يُجَادُ الْقَوْلُ فِي مَدْحِ عَالَمٍ
جَوَادٍ إِذَا ضَنَّ الْجَوَادُ بِمَا لَهُ

علمت لماذا يشبه العالم البحر
معالى كما الأيام يجمعها الشهر
بشهبائنا منذ حلتها حصل الفخر
فضائل إذ أنت الذي عبده حر
وأحدق في فصل الربيع بها الزهر

إذا ما تصدّى للعلوم مباحثا
فيا واحد الدنيا الذي جمعت له الأ
ويابن الحسام المنتضى والذي به
رأيناك أولى الناس بالمدح من ذوى
فدّم ما تغنت في الرياض بلبل

٣

ثم ورد ما قاله عالم الشهباء وابن عالمها، ومُشيدٌ بالفضائل دعائم معالِمها
صاحبُ النهج المَرَضَى وهو الشيخ أبو الوفا العَرَضِي ، متّع الله ببقائه الأنام :
يا جَوْهَرًا قام الكمال بذاته
والفاضل الفطين الذي دلت على
ربّ المعاني والبديع الذي
عاشت بك الآداب وهى رَمِيمةٌ
ونسخت من « ذكرى حبيب » كل ما
ونبذت من « عبث الوليد » جميع ما
وأبنت بالبرهان « معجز أحمد »
وأقمت ميزان العدالة مُقسطًا
لله درك من أدب مصدع
في ضمّن تأليف تحرّر باسم من
السالك السنن الأغبر نباهة
قل للذين تقدّموا وتأخروا
وتعلّموا الأحكام كيف قضاؤها
وتأمّلوا فيه العفاف طيبة
هو من سيوف الله وابن حسامه
وأنارت الشهباء لما جاءها
فانجّاب عنها كل ظلمة ظالم
لا زالت الفضلاء تخدم بابها

تقرّظ أبو الوفا
العرضي

وأضاء مجدًا من صفاء صفاته
إحسانه آثار تنميقاته
زان البيان بديع تحسنياته
وبعثت للكندی روح حياته
نسخته أيدى الدهر من كلماته
نطق به الأيام من أبيات
وكشفت سجف الطعن عن حسناته
لم تترك الميثقال من ذراته
أبدًا حلال السحر من كلماته
زان الزمان بدّر تحقيقاته
مشوى العدالة من جميع جهاته
نور الهدى اقتبسوه من مشكاته
مهمّا توارى الحق في شهباته
كغوامض التحقيق من ملكاته
من ريع قلب الزور من عزّماته
وقد استنار الكسف في مِرآته
فيها وعم العدل من برّكاته
والنصر لا ينفك عن حرّكاته

ما كتبه السيد
يحيى الصادق

ثم ورد ما نطقه كُشاجمُ عصره ، وفاضلُ مِصرِه ، بل واحد دهره ،
السيد الأوحد في الخلائق فضلاً ، ربيع الفضل ، يحيى الصادق :

لله ما نَمَقَتْ من مُرْقص
أَثَبَتْ من سِحْرِك في طيه
وهكذا الفاضلُ من شَأْنِه
هذا وقد قيل على أنه
أو ساكبِ القَطْرِ على البَحْرِ أو
أو حاملِ الدُّر إلى يَمِه
لأنه عنوانه باسم مَنْ
فقلت مَهْلاً " هذه عادة "
انظروا إلى الطاهي وتقدمه الطَّ
وقَيمُ البُسْتَان قد يُتَحِفُ أ
والشاكري يحمل أستاذَه
وهكذا ربُّ البديع النَّدى
لأنه أهدى لأستاذَه
معَ أن ما يعلمُه فوق ذا
يَعْرِضُه بين يَدَيِّ واحد الد
حامِي حمى الشرع القويم الذي
سيفٌ من الرحمن قد سلَّه
وكل من يَطْمَعُ في مثله

بُغِيَ أخا اللبّ عن المُطربِ
إعجازَ آياتِ أبى الطيبِ
نصرةُ ذى الفضل على الأجنبي
كناقلِ التمرِ إلى يثرب
مُهدى رِذَاذِ الطَّل للصيّبِ
أو مُرسلِ النُّور إلى الكوكبِ
لولا خِتَامُ الرُّسُل قُلْنَا نبي
لا يُنكِرُ العادةَ إلا غيبي
عَمَامَ للمولّى ولا تَعَجَّبِ
مالكَ بالفاخِر والأطيبِ
على ذُرِّ الأَصْهَبِ والأشهبِ
يُدْعَى البديعى ليس بالمُعْتَبِ
باكورة الفضل ولمْ يُسْهَبِ
لكنه قد جاءَ بالأعذبِ
نيا وأم الشرقِ والمغربِ
قد شَرَّفَ الشَّهَاءَ بالمَنْصَبِ
وابنِ حُسامِ الدين إنْ يُنسَبِ
مِنْ دَهْرِهِ لُقْبَ بالأشعبي

ما كتبه السيد
موسى الراعى

ثم ورد ما قاله نَسِيج وَحْدِه ، ووارث الفصاحة عن نِزارِه ومَعَدِه ، ومالك
رِقِّ المعاني ، الحسيب النسيب السيد موسى الحمداني ، وهو :

غَنِينَا عن الياقوت واللؤلؤِ الرطبِ
تضمن أخباراً يَلَدُ استماعُها
بعقِدِ جُمانِ عُدٍّ مِنْ جُمْلَةِ الكُتُبِ
كما لَدَتْ الشُّكُوى مِنَ الحُبِّ لِلحُبِّ

ولاحت به لابن الحسين قلائد
وكيف ومنشيه الذي قد أطاعه
وحيد بلاد الشام بالفضل يوسف ال
برسم وحيد الدهر من عم عدله
سكيل الحسام اللوعى الذى غدت
أجل موالى الروم من جود جوده
ومن شرفت شهباؤنا بقدميه
ومن فرجت أيامه كل كربة
فلا زال نحمدوم الأفاضل مورد

تخبر عنه أنه أشعر العرب
نظاما ونشرا كل مبتكر صعب
بديعى من عنه مؤلفه يبنى
وسارت به الركبان فى الشرق والغرب
له عزمة أمضى من الصارم العصب
على أمد الأيام أجدى من السحب
وتاهت به عجباً على السبعة الشهب
فصار اسمها فى الناس فراجة الكرب
فضائل مقصودا على البعد والقرب

٦

ما كتبه السيد محمد التقوى
ثم ورد ما قاله صاحب النسب النبوى ، الأجدد الكامل السيد محمد التقوى ،
وهو :

أسحر بابل أم ذى نسمة السحر
أم غرة فى جبين الدهر شادخة
أم البديعى أبدى بنت فكرته
راقت صفاء ورقت كل حاشية
كأنها من عصا موسى قد اكتسبت
تضممت نظم أخبار قد انتشرت
ودونت باسم مولانا الذى بزغت
نجل الحسام الذى ماضى عزيمته
مولى كريم السجايا من خلائفه
لو كان للزهر من لآلاء سؤدده
طالت مدائح من كل ذى أدب
وإن يقصر مديحى عن علاه فكتم
أضمرت ذكر اسمه فى طي مدحيه

سرت عن الشحر أم عقلمن الدرر
أم غادة فتنت بالدل والخور
بكل معنى رفيق اللفظ مبتكر
منها ودقت معانيها على الفكر
فلم تدع للسوى صنعا ولم تدّر
لابن الحسين بليغ البدو والخضر
يوحى العدالة فى أيامه الغرر
فى المشكلات يرى أمضى من القدر
تخلقت نبات الروض فى السحر
جزء لما احتجبت يوما عن النظر
وهل تطول يد للأنجم الزهر
قد انثنى مادح بالعى والحصر
إذ كان أشهر فى الدنيا من القمر

يا من فضائله من كل ذي بصير في الشرق والغرب ميل السمع والبصر
أبقيت ذكرا بما أسديت في حلتب كالذكر نخلوه في الآصال والبكر

٧

تقریط عبد القادر
الحموى

ثم ورد ما قاله حمادى الرواية ، وثعالبي الدراية . صاحبنا الشيخ عبد القادر
الحموى ، وهو :

بتأليف مولانا البديعى يوسف
تحلى به جيد الزمان وأصبحت
وقد زيد حسناً أنه صيغ باسم من
يذكرنا يا قوت أدنى حروفه
سما ربّه كثر الهداية والحجا
حليف التقى نجل الحسام الذى زهت
وزحزح عنا ظلمة الظلم وانتضى
وأبدى بها بدر الفضائل بازغا
ومين قبله والله لم نر قاضيا

تجدد ما لابن الحسين من الفضل
له نصرة كالروض غودى بالطل
له قلم ما زال أمضى من النصل
وكل مثال منه جبل عن المثل
سما العلا والمجد والفضل والبذل
به حلب الشهباء والأب كالنجل
على عاتق العدو وإن سيفا من العدو
ومين قبله قد كان فى سد ف الجهل
له سطوة الضرع غام فى ورع الشبلى

. . .

هذا ما اخترناه من تقریضات ، ولولا خوف الإطالة لذكرناها جميعاً ؛
فإنه لم يبق فاضل ولا شاعر من أبناء الشهباء ، ولا من غيرها المقيمين بها إلا وقد
كتب تقریضاً ، ومدح به جناب المولى أیده الله تعالى ، مساعداً لنا فى مدحه ،
لقصورنا عن شكر ما أسداه لنا ، وما يسديه ، فلا زالت الأفاضل تحت ظلال
جوده قائلة ، وألسنة الأقلام على أمدة اللبالي بالإفصاح من محامده قائلة ، ولا برحت
قلوب أعاديه من هيئته خافقة ، ورايات عدله المنصورة بالشرائع خافقة . وهذا
دعاء يشمل كل إنسان ، فيجب أن ينطق به كل لسان .

وقد تم وقوع الفراغ من نسخه ، من نسخة أصله على يد الفقير الراجى عفو
ربه الكريم المنان حسين ابن الحاج عثمان الحلبي ، غفر الله زله ، وختم بالصالحات
عمله ، وذلك فى اليوم السابع عشر من شهر رجب الفرد ، من شهور سنة أربعة

وخمسون^(١) وألف ، أحسن الله ختامه . والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

٨

ترجمة المصنف

يوسف المعروف بالبديعي : الدمشقي الأديب ، الذي زين الطروس برشحات أقلامه ، فلو أدركه البديع ، لاعتزل صنعة الإنشاء والقريض ، عند استماعه نثره ونظامه .

خرج من دمشق في صباه ، فحلّ في حلب ، فلم يزل حتى بلغ الشهرة الطنانة في الفضل والأدب ، وألف المؤلفات الفائقة ، منها كتابه الموسوم « بالصبح المنبي ، عن حيثة المنبي » ، وهو كتاب جم الفائدة ، وله كتاب « الحدائق » في الأدب . ولما رأى كتاب الخفاجي « الريحانة » ، عمل كتاب « ذكرى حبيب ، فأحسن وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأعرب عن لطافة تعبيره ، وحلاوة ترصيعه ، وتمكنه من الاطلاع ، إلا أنه لم يساعده الحظ في شهرته ، فلا أعلم له نسخة إلا في الروم ، كانت عند أستاذي المرحوم شيخ العزقي ، ونسخة عندي ، وكان ألف كتابه « الصبح » باسم شيخ الإسلام ، عبد الرحمن بن الحسام ، إذ كان قاضياً بحلب ، وكان يميل إلى البديعي ويقرّبهُ . ولما ولي قضاء الشام ، كان في خدمته أيضاً ، وله فيه مدائح كثيرة : وشعر كثير ، أوردت له منه في كتابي « النفحة » ما فيه مقنع . وأخبرني والدي أن البديعي ، كان قد ولي قضاء الموصل في آخر عمره ، ووصل بعدها إلى قسطنطينية : فتوفى بها في ثلاث وسبعين وألف .

نقلت من آخر تاريخ الأمين الدمشقي^(٢) .

جاء في الصفحة التالية لصفحة الترجمة السابقة بخط دقيق جميل :
« هذا الكتاب عندي بطريق العارية ، للأكل الشيخ محي الدين الثاني ، وذلك في غرة جا سنة ١٢٥٤ . وأنا الفقير عمر زيتونة »

عفى عنه

(١) هكذا ورد بالأصل والصواب أربع وخمسين .

(٢) قد أثبتنا نص هذه الترجمة في صدر الكتاب والأمين الدمشقي هو صاحب خلاصة الأثر .

بيان

بان لنا ونحن بسبيل مراجعة التجارب وعمل الفهارس أن تقديم الكتاب يجب أن يكون آخر ما يكتب عنه، فإن هناك أموراً لم نُشر إليها في التقديم ولم تتكشف لنا إلا أخيراً، لذلك كان لزاماً علينا أن نصدر هذا البيان لنذكر ما فاتنا التنبيه عليه ؛ فقد اشتملت هوامش الكتاب على التعريف بطائفة كبيرة من الأعلام الواردة به ؛ كما اشتملت على مسائل ذات قيمة أدبية وعلمية ولغوية ، من ذلك :

تحقيق اسم والد المتنبي « عيدان السقا » هامش (١) من ص ٢٠ ، ومنه تعليقنا على الحواظ النادرة الحفظ كحافضة المتنبي ، وأبي العلاء ، وابن عباس ، وبديع الزمان هامش ص ٣٤ ، ومنها : معارضة أبي العلاء القرآن بما سموه قرآنه ونفى ذلك عنه هامش (١) من ص ٥٧ ، ومنها : الأدب المكشوف والرأى في نشره أوطيه ، وعلاقته بالأخلاق هامش صفحتي ١٧١ ، ١٧٢ إلى غير ذلك مما حوته هوامش الكتاب .

وفي أثناء مراجعة التجارب وعمل الفهارس عثرنا على معلومات فيها تصويب أو إيضاح لبعض ما ورد في الكتاب بعد تمام طبعه ننبه عليها فيما يلي :

١ - جاء في ص ٣٣ من كتاب الصبح هامش رقم ٦ في السطر الحادى عشر : وروى أبو العباس سَوَّار بن شُرَاحَة ، والصواب : أبو الفياض سَوَّار بن أبي شُرَاحَة . انظر ص ٦٦ من أخبار أبي تمام للوصول ، ثم ص ٢٥٩ من المرجع نفسه هامش رقم ١ ، ثم راجع تاريخ بغداد ج ٩ ص ٢١٢ .

٢ - جاء في ص ٨٧ من كتاب الصبح : « قال عبد المحسن على بن كوجك : إن أباه . . . وقد عثرنا على ما يأتي : جاء في كتاب ديوان المتنبي في العالم العربى وعند المستشرقين للمستشرق بلاشير ص ١٥٥ ، ص ١٥٦ : المحسن بن كوجك مات سنة ٤١٦ هـ ، سنة ١٠١٥ م ، وقد روى معلومات عن أبيه الذى مات سنة ٣٥٩ هـ ، سنة ٩٦٩ م ، والذى عرف المتنبي شخصياً في حلب .

» وجاء في ذكرى المتنبي لعزام ص ١٠١ ، ١٠٢ : كثر الشعراء حول سيف الدولة

ينالون جوائزهم، ويشيدون بذكرك، ومنهم - غير أبي فراس وأبي الطيب - النامي، وعلى ابن عبد الله الناشي، والسري الرفاء... وابن كوجك، والخالديان، وأبو الحصين الرقي.

وجاء في معجم ياقوت ج ١٧ ص ٨٩ : الحسن بن الحسين بن علي كوجك أبو القاسم، وعلى هذا العنوان هامش يقول : لم نعر له على ترجمة سوى ترجمته في ياقوت، وبين علي وكوجك يباض يشعر بسقوط كلمة، بدليل ما جاء في ص ٩٠ من هذا الجزء السطرين : الخامس والعاشر إذ يسميه في السطر الخامس : الحسن بن علي بن كوجك أبو عبد الله من أهل الأدب . . .

وفي السطر العاشر يقول : أملى علينا الأستاذ أبو عبد الله الحسن بن علي بن كوجك . ومن هذه النصوص نخرج بأن صحة هذا الاسم هي الحسن بن علي بن كوجك

٣- جاء في ص ١٤٢ السطر الثالث من الهامش تعليقاً على الوزير المهلبى « تقدمت ترجمته » والصحيح أن الترجمة التي تقدمت هي ترجمة لعبد الله بن محمد بن أبي عيينة المهلبى هامش ٤ ص ٦٢ ، أما الوزير المهلبى فهو الحسن بن محمد المهلبى من ولد المهلب بن أبي صفرة ، كان وزير معز الدولة بن بويه وكان من ارتفاع القدر ، واتساع الصدر ، وعاءو الهمة على ما هو مشهور به ، وكان غاية في الأدب والمحبة لأهله ، توفي سنة ٥٣٥٢ هـ ج ١ ص ١٧٨ ، ١٧٩ ابن خلكان بتصرف

٤- جاء في ص ١٥٠ هامش رقم ١ تعليقاً على بيت البحتري في وصف إيوان كسرى :

وهو ينبيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان فيهم بلبس
أن الضمير « هو » يعود على الجرماز في بيت سابق ، والجرماز هو الإيوان ، وإيضاحاً لهذا ننقل ما جاء في ص ١١٨ من الشوامخ (أبو عباد البحتري) للدكتور محمد صبرى :

« الجرماز ، قال شارح البارودي : اسم بناء عظيم كان عند أبيض المدائن ثم عفا أثره ، وقال آخر : الجرماز أحد أبهاء القصر ، وقال ثالث : الجرماز

أحد القصور في الإيوان ، وهذه التفسيرات كغيرها لا تنفع غلة ، لأن البحترى يريد الإيوان نفسه ، وسياق الكلام يدل على ذلك ، وقد وجدنا بخط عبد السلام المصرى على هامش نسختنا الأصلية من ديوان البحترى ما يأتي :

قال أبو سهل : الإيوان بالفارسية : كروانزى ، فعربه ، وقال جرماز « وهذا قول البحترى :

فكان الجرماز من عدم الإذ من وإخلاله بنية رسم
لو تراه علمت أن الليالى جعلت فيه مائماً بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان فيهم بلبس
وعلى هذا فالجرماز هو الإيوان كما قلنا مع العلم بأن الصبح قد بدأ أبيات البحترى
في وصف الإيوان بالبيت الأخير (وهو ينبيك عن عجائب قوم . . . إلخ)

٥ - جاء في الصبح ص ٢١١ اسم : أبو الحسن النحاس (بالخاء المهملة)
وروى له البيت الآتى :

إذا أروت الأرض أسيافهم من الدم نخلت سحابا همع
يقابله بيت المتنبي :
قوم إذا أمطرت موتاً سيوفهم حسبتها سحبا جادت على بلد

وقد اتفقت مصورة نسخة الجامعة للإبانة لوحة ١٨ مع الصبح فيما نسب
لكليهما ، ولكنها ذكرت اسم (أبو الحسن النحاس) : محمود بن الحسين الكوفي
أبو الحسن النحاس (بالخاء المعجمة) ، ثم جاء في الصبح صفحتي ٢٥٠ ، ٢٥١
الآيات الآتية منسوبة لمحمود بن الحسن الوراق :

لا تلح شبي وما شاهدت من كبرى مادمت أغدو صحيح العقل والبصر
قالوا : أبوك تميمي و همته شم القنار وأكل اللحم بالوضر
وما تميم إذا عدت أولى كرم فقلت في النار معنى ليس في الحجر

ويقابل بيته الأخير بيت المتنبي :

فإن تكن تغلبُ الغلباءُ عنصرها فإن في الخمر معنى ليس في العنب

وقد اتفقت مصورة نسخة الجامعة للإبانة لوحة ١١١ مع الصبح فيما نسب
لكليهما ولكنها ذكرت اسم الوراق هكذا : محمود بن الحسين الوراق الكوفي التميمي
يهجو من قصيدة أولها :

لا تلح شيبى إلى آخر الأبيات الثلاثة .

ونحن نرجح أن اسم الشاعر محمود بن الحسن لا الحسين ، كما جاء في نسخة
الأصل وفي تاريخ الخطيب، وأنه النخاس بالخاء المعجمة لا بالخاء المهملة ، فقد جاء
في تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٨٧ ، ٨٨ في ترجمته أنه : محمود بن الحسن الوراق ...
ويقال : إنه كان نخاساً يبيع الرقيق ، وأنه تميمي كما تقول مصورة نسخة الجامعة ،
وأبياته ناطقة بذلك .

٦ - وورد في كتاب الصبح ص ٢١٢ اسم : مؤنس بن عمران البصرى ، وذكر
له البيت الآتى :

طوته المنايا والثناء كفيله برد حياة ليس يخلقها الدهر

يقابله بيت المتنبي :

كفل الثناء له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور

وذكر مرة ثانية في ص ٢٥٦ باسم : موسى بن عمران ، واتفق الصبح ومصورة
نسخة الجامعة على رواية قوله في الموضعين مع ما يقابله من شعر المتنبي ، ولكن
نسخة الجامعة ذكرته في الموضع الأول لوحة ٢٣١ باسم : موسى بن عمران البصرى ،
وذكرته في الموضع الثانى لوحة ٥٢ ب بهذا الاسم ، وزادت عليه فقالت : موسى
ابن عمران بن جميع (بصيغة التصغير) التاجر البصرى ، وقد ضرب المأمون عنقه
بسرخنس لاثامه إياه بقتل الفضل بن سهل ، ونستظهر أن نسخة الجامعة هي
الصواب ، وأنه موسى لا موسى ولا مؤنس .

٧ - جاء في ص ٢٤٩ من الصبح هامش رقم ٥ تعليقاً على الخطيب : هو
سعيد الخطيب ، وقد ترجمناه فيما سبق ، وهذا سمو ، فإن المراد بالخطيب هنا :
الخطيب القزويني صاحب تلخيص المفتاح وقد توفى سنة ٧٣٩هـ ، أما سعيد الخطيب
فشاعر كان في عصر المعتصم وبين الاثنين قرون . ثم نستدرك ما يأتى :

- ص
- ١٥ أول كلمة من السطر الأول « أجل » بصيغة المضارع وصوابها بصيغة التفضيل
- ١٧ السطر الثامن : بالبديعي . وصواب الترقيم أن توضع نقطتان رأسيتان .
- ٢٦ « السابع : أفاق صب والصواب : صب .
- ٣٠ البيت الرابع : يجتاب حزة سهلها ووعورها والطيرهان مراده ودقوقا ضببت « والطيرهان » بضم الراء والصواب شد الطاء وكسرهما وفتح الراء وضم النون، وقد سئل الأستاذ حسن كامل الصيرفي محقق ديوان البحترى عنها فقال : إنها اسم دير للتصاري بسامرا اشتراه المعتصم وبنى عليه أول قصر له .
- ٧٤ السطر الثاني (لئن حاد) والصواب : جاد
- ٨٤ « الرابع ماء الحديد بضم الدال وصحتها بالكسر
- ٨٦ « الرابع : وضع في نهايته معقوف ونجم ، وفي الهامش عقب نجم ما يأتي : ما بين المعقوفين في هذه الصفحة وسابقتها ساقط من سائر النسخ ولم يوضع المعقوف الأول وموضعه في الصفحة السابقة في ابتداء السطر السادس عشر .
- ٨٧ السطر الأول : قال عبد المحسن على ابن كوجك والصواب حذف الألف من كلمة ابن .
- ٩٢ السطر الثاني : محمد بن عيينة وصحته محمد بن أبي عينية .
- ١٨٠ عنوان جانبي : كلام بن شرف القيرواني وصحته : كلام ابن شرف بزيادة ألف .
- ١٨٦ الكلمة الأولى من السطر السادس : بالخبترى وصحتها : بالبحترى .
- ٢١٥ آخر بيت يكتب هكذا :
- وإذا تألت في الندى كلامه الـ ... مصقول خلّت لسانه من عضبه
- ٢٤٨ السطر الرابع « والحاضر » وصحته : والحاضرة .
- ٣٦٠ السطر الحادي بشر يكتب البيت هكذا :
- لم أحملك معلما هكذا إلا م لضرب الرقاب والأجواز
- ٣٨٧ سقط عنوان جانبي أمام السطر الثالث عشر هو : قف .
- ٤١٦ البيت الذي قبل الأخير : وحياد صحته بجذف الكسرة ، ورواية العكبرى والعرف : لحياد . . .